الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة الجزائر

كلية العلوم الإسلامية

قسم العقائد و الأديان

الفكر السياسي عند الشيخ
محمد الغزالي

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في العلوم الإسلامية

تخصص: أصول الدين

إعداد الطالب: خالد حباسي إشراف أ الدكتور: محمد عبد النبي

السنة الدراسية: 1423-1424 ه / 2002-2003 م

أهدي هذا الجهد المتواضع إلى جميع من لهم عليّ وأمة الإسلام والإنسانية بعد الله فضل وبلاء في خدمة الإسلام ، وقضايا الحق والعدل في العالم ، ممن عرفت وممن لم أعرف ، عرفانا بحقهم وتنويها بجهدهم .

أهديه إلى الحبيب الشفيع المصطفى ε وإلى صحابته الغر الميامين وإلى التابعين وسيدهم :

الحسن البصري

أهديه إلى والدتي الحبيبة : فاطمة ، ووالدي الحبيب : السعيد .

إلى إخواني وأخواتي الأشقاء . وإلى صهرنا المحترم محمد د بقة .

كما أهديه إلى مدينة بوسعادة التي حبيت بالنشأة فيها ، وحفظ كتاب الله ، وتحصّيل مبادئ العلوم الشرعية .

وإلى آبائي الروحيين في العصر الحديث .

وإلى كل شهداء الإسلام في كل زمان ومكان ...وشهداء ثورة التحرير الجزائرية ...

إلى الشخصيات والمنظمات والقوى المناضلة من أجل العدل والسلام والحوار والتعاون بين الشعوب والحضارات ...

إلى كل من علمني حرفا ، أو هداني إلى حق ، أو زجرني عن باطل ، أو أعان في النوائب المسلطة على الأمة ، وسائر الشعوب المكافحة ، بأي عون وإن يكن كلمة طيبة .

إلى أساتذتي جميعا .

إلى كل إخواني في مدينة بوسعادة ...

إلى رفاق الدرب في الحي الجامعي بن عكنون وفي كلية أصول الدين

وإلى إخواني في مدينة غارداية .

كما أهديه شاكرا إلى كل الذين أسعفوني بتقويم فكرة ، أو إعارة كتاب ، أو دعاء في ظهر الغيب ...

إلى هؤلاء جميعا كفاء ما بذلوا من محبة ونصح وتشجيع وتضحيات ، سائلا الله لهم التوفيق والسداد ، والهدى والغنى والرشاد ، وأن يجمعنا بكرمه في روضات الجنات ... آمين آمين .

تشكرات

أهدي هذا الجهد المتواضع إلى جميع من لهم عليّ وأمة الإسلام والإنسانية بعد الله فضل وبلاء في خدمة الإسلام ، وقضايا الحق والعدل في العالم ، ممن عرفت وممن لم أعرف ، عرفانا بحقهم وتنويها بجهدهم .

أهديه إلى الحبيب الشفيع المصطفى ع وإلى صحابته الغر الميامين وإلى التابعين وسيدهم :
الحسن البصري

أهديه إلى والدتي الحبيبة : فاطمة ، ووالدي الحبيب : السعيد .
إلى إخواني وأخواتي الأشقاء . وإلى صهرنا المحترم محمد د بقة .
كما أهديه إلى مدينة بوسعادة التي حبيت بالنشأة فيها ، وحفظ كتاب الله ، وتحصّيل مبادئ العلوم الشرعية .
وإلى آبائي الروحيين في العصر الحديث .
وإلى كل شهداء الإسلام في كل زمان ومكان ...وشهداء ثورة التحرير الجزائرية ...
إلى الشخصيات والمنظمات والقوى المناضلة من أجل العدل والسلام والحوار والتعاون بين الشعوب والحضارات ...
إلى كل من علمني حرفا ، أو هداني إلى حق ، أو زجرني عن باطل ، أو أعان في النوائب المسلطة على الأمة ، وسائر الشعوب المكافحة ، بأي عون وإن يكن كلمة طيبة .
إلى أساتذتي جميعا
أبو ياسر وحرمه المصون ... الذين كانوا بحق مدرسة العلم والفكر .
إلى كل إخواني في مدينة بوسعادة ...

إلى رفاق الدرب في الحي الجامعي بن عكنون وفي كلية أصول الدين

وإلى إخواني في مدينة غارداية . كما أهديه شاكرا إلى كل الذين أسعفوني بتقويم فكرة ، أو إعارة كتاب ، أو دعاء في ظهر الغيب ...
إلى هؤلاء جميعا كفاء ما بذلوا من محبة ونصح وتشجيع وتضحيات ، سائلا الله لهم التوفيق والسداد ، والهدى والغنى والرشاد ، وأن يجمعنا بكرمه في روضات الجنات ... آمين آمين .

:

ق العالم الإسلامي خلال القرنين الماضيين لحملات من التغريب و العلمنة لم يسلم منها جانب واحد من
المجالات السياسية و الاقتصادية و الاجتماعية، و صاحب ذلك نشوء كيانات سياسية تحاكي أنظمتها
مة على فكرة الدولة القومية، و على مبدأ فصل الدين عن الدولة، ولكن دون اعتماد النظم السياسية
با في الغرب، مما رسخ الاستبداد وفاقم من أوضاع حقوق الإنسان وقيد الأمة وحال دون تنمية قدراتها.
ت ردود أفعال متباينة، كان من أبرزها نشوء حركات الإصلاح و التجديد المنطلقة من المفاهيم الإسلامية
ي.

ت هذه النماذج الفكرية التي اقترحتها هذه الحركات بين الرفض و الانغلاق التام من جهة،و الانبهار
جهة أخرى.

و ذاك برزت شخصيات فكرية و تيارات سياسية، تنشد الوسطية و التجديد، عبر الاجتهاد المعتمد على
على الحكمة أنى كان مصدرها.

الجهود ووجهت بالمضايقات و محاولات الإجهاض، و مع ذلك فثمار بعضها لا تنكر، رغم أنها لا تكاد
من التيارات المسيطرة على مراكز البحث الأكاديمي و على وسائل الإعلام.

بوأ الاجتهادات المجددة في الفكر الإسلامي السياسي المقام الذي تستحق، و لم تستحوذ على ما ينبغي لها
ه العاملين في ميدانها عقبات مالية و سياسية، تحول دون مواكبة التطورات المتعاقبة، و تؤخر الإجابة على
الملحة.

شخصيات الفكرية التي تستحق جانبا كبيرا من الاهتمام و الدراسة الشيخ محمد الغزالي الذي يمثل بحق كما
ق البشري تحديا للمؤرخين المحدثين للفكر السياسي و الاجتماعي المعاصر، سواء في مصر أو في بلاد
نتساءل هل يمكن أن يتجاهلوه كما تجاهلوا غيره من مشربه الفكري؟ أم سيضطرون إلى الإقرار بوجوده و
سيشدهم الغزالي و يطرح أمامهم كل من سبقه، وكل من سيتبعه في هذا المشرب.

أي الباحث فيه، إنما نتكلم عن محض اعترافه بهذا الفكر، و أن الذي يقوله أو يكتبه إنما هو " فكر" أعلـى
شد عليه النكير، و اعتبره مسوغا للتقدم أو جاذبا نحو التخلف، فالأمر ليس أمر التحسين و التقبيح، إنما هو
و الإقرار بأن الفكر المصري إذ يضم لديهم أمثال :
ى، وأحمد لطفي السيد، وطه حسين، وعلي عبد الرازق، ومحمد حسين هيكل ... فإنه يضم بين طياته أيضا
شلتوت ، وحسن البنا، و الأخوين محمد و محمود شاكر، و يوسف الدجوي، و عبد الله دراز، وطنطـاوي
يد وجدي ....الخ .

يخ الغزالي، الذي أصدر على مدى خمسين عاما من حياته النافعة للإسلام و أمـة المسـلمين، وللـوطن
ما يربو على الستين كتابا، و الغالبية الغالبة منها تكاد تكـون في الفكـر السياسـي و الاجتمـاعي و
ذات القضايا التي أثارها و تكلم فيها أبناء المضرب المقابل للتيار الإسلامي، عن العدالـة الإجتماعيـة، و
. السياسي، و الشيوعية، وحقوق الإنسان. لذلك فليس من السهل – مهما تكن المبررات – أن يتجاهـل
وقع محمد الغزالي في مجال التأريخ للفكر السياسي الاجتماعي المعاصر.
لاع على كتب الغزالي – و قد كانت تحوي حديثا دافقا جادا و طويلا في قضايا فكرية سياسية – سيعطي
، يتمكن من خلالها الباحثون و المتهدون في علم السياسة الإسلامي من تكوين صياغة نهائية لفكر سياسي
لك أنها تضمنت بحق صياغة أولية جيدة لتعاليم الإسلامي في هذا الميدان، و قدمت مادة فكريـة و فقهيـة
واقع المعيش من غير أن تبتعد عنه لتحلق في سماء التجريد، واتسمت في مجملها بالواقعية و الإعتـدال، مـع
لامية، و مماسة المستجدات و الإبتلاءات المترامية على العالم الإسلامي، فيمكن أن تعتبر المرجـع الأوفى، و
ن تستند إليها الصياغة الإسلامية المطلوبة في هذا المجال.
غزالي السياسية و إن كانت قد تأسست عليها، و تفرعت عنها كتابات سياسية اسلامية، هي أكثر تخصصا،
ها من – منظور تاريخي للفكر الإسلامي الحديث – حلقة تطور و انتقال مهم، أفضى إلى النهضـة الماثلـة
لامي المعاصر.
اعتبار كتب الشيخ أبي زهرة الفقهية، مدخلا جيدا للولوج الى عالم الفقه الإسلامي، و استيعاب دواوينـه
فإنه بإمكاننا القول كذلك أن كتب الغزالي السياسية هي المدخل المناسب لولوج عالم النـظم الإسـلامية،
ل وسيطة نحو التنظير السياسي الإسلامي المنشود.

الموضوع :

إلى اختيار هذا الموضوع يتمثل في :

ت الأفكار السياسية للغزالي، ووضعها في نسق منتظم ذلك أنا كانت تتوزع على مختلف كتاباته، و سنجد
ر الشيخ من الإنتاج الفكري، بقدر ما كانت أفكاره السياسية تتناثر و تتوزع و تتداخل مع موضـوعات

د دراسات أوفت نوعا ما، ما يجب إبرازه من الجوانب الفكرية المختلفة للشيخ، فإن جانب الفكر السياسي
نا المحدود – قد بقي يعاني نقصا و ضمورا واضحين .

ني :

بحثية :

بحثية التي سنتعرض لدراستها، كانت مجموعة التساؤلات التالية :
القول أن الغزالي صاحب فكر سياسي بالمعني العلمي لهذه الكلمة ؟
مارب الفكرية عند الغزالي؟ و في أي خانة يمكن إدراج الفكر السياسي للغزالي ؟ أيمكننـا إدراجـه مـع
م مع الثوريين ؟ أم مع التلفيقيين ... ؟
كر السياسي عند الغزالي ؟ و ما هي خصائص خطابه السياسي ؟
ت المختلفة في فكره السياسي ؟
فكر السياسي للغزالي في البيئة العربية و الإسلامية ؟ و خاصة فيما كان من شأنه دفـاع عـن التعـاليم
افعة واردات الغزو الفكري الحديث ؟
ظام السلطة في الإسلام ؟ - الشورى – الديمقراطية – الخلافة .
ية وحقوق الإنسان – الدستور ...
للدولة و وظائفها ؟
للعلاقات الدولية في الإسلام ؟
بار كتب الغزالي السياسية مدخلا مناسبا لولوج عالم النظم الإسلامية، و اعتبارها حلقة انتقـال
ير السياسي الإسلامي المنشود ؟

و الموضوعي :

ن من الناحية الزمنية للشخصية قيد الدراسة إلى كل أطوار فكرها السياسي.
عي، فإنه يتعلق بدراسة و تحليل الموضوعات السياسية في فكر الغزالي، أو ماله علاقة قريبة بالموضوعات
ن آرائه الاقتصادية أو الاجتماعية أو الأخلاقية.

علمية و العملية المتوخاة :

بة : تتمثل في :

بطريقة منهجية وعلمية على هذه الشخصية، التي تركت تأثيراتا الواضحة في مختلف الأوساط.

لجعلها دراسة تقويمية، يهتم فيها بالآراء السياسية الناضجة في فكر الغزالي حتى تدعم و تجلى، و نقد غيرها ق منهجية الفكر السياسي.

دراسة متكاملة، تبرز فيها الأفكار الكلية السياسية للغزالي، بعد جمع شتات الأفكار و ترتيبـها في سمـط

بر الطروحات السياسية الإسلامية الحديثة، ومدافعة ما خالفها من واردات الفكر الغربي.

بة :

ياسية، و الفكر الواعي، للمسؤولين و السياسيين و الدعاة و المصلحين.

لإيجابي لثقافة المسلمين السياسية، و تبصير الأمة بشؤونا العامة و بحقوقها وواجباتا.

ة الشباب المسلم على الحس السياسي، و انفعال مع مطالب الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر، و المشاركة سي بأفق مستقبلي واسع و عقلانية خصبة.

بعة :

منهجية المتبعة في العلوم السياسية، و الخاصة بدراسة شخصية ما – في الجانب المتعلق بفكرها السياسـي – سيفرض علينا اتباع الخطوات التالية لدراسة الفكر السياسي عند الغزالي :

راسة الحالة .

البيوغرافي : " السيرة الذاتية " .

كار الغزالي السياسية قد كانت تتوزع في مختلف كتبه، فإن ذلك قد استحثنا الى محالة الإطلاع على تراثـه ط تلك الأفكار، ووضعها في نسق منتظم، و نظمها في سمط نضيد، ذلك أنه بقدر ما كانت أفكاره هـذه داخل مع موضوعات أخرى، بقدر ما كانت تحقق نوعا رائعا من التلاحم ما بـين الشـأن السياسـي و ي و التربوي و الأخلاقي و الروحي.

نا أن كتابا و مؤلفين كثيرا قد كانوا مشدودي الفكر تجاه الظاهر، أسراء العقل نحـو ضـرورة الاعتنـاء ها، حتى و لو أدى ذلك إلى إهمال المحتوى و المضمون، فإننا نجد الغزالي ممن صب جل جهوده نحو اللـب و قد نلحظ أنه لم يهتم كثيرا بالصياغة الأكاديمية لفكره – مع احترامـه لأسسـها و أصـولها – لأسـباب أثناء تحليلنا لخطابه السياسي.

ضرورات جميعا تحتمت علينا اتباع منهج استقرائي تحليلي كما أننا اتبعنا المنهج التركي و الذي حاولنا مـن هذه الأفكار إلى أسسها الكبرى، و موضوعاتا الرئيسية، و أصولها العامة، حسـب منهجيـة العلـوم

انات :

عامة، و السياسية منها على وجه الخصوص .
ات .
اسات " السابقة .
ع ذات علاقة بالموضوع .

إطار المنهجي .
مجموع التساؤلات المذكورة سلفا ضمن المشكلة البحثية، فقد ارتأينا أن يكون [الإطار النظري = موضوع منا في أربعة فصول، الأول منها تمهيدي، و في كل فصل من هذه الفصول انضوت مباحث عدة. لتتمخض صول عن زبدة من النتائج و التوصيات الهامة .
على النحو التالي :
ول الفكر السياسي : تعرضت في المبحث الأول منه لأهميته ووظيفته في المتمع، و في المبحـث الثـاني الى سي، وذلك بغية تحديد المصطلحات و تحديد معالم الفكر السياسي من جملة علم السياسة .

في المبحث الثالث الى تطور النظم و الأفكار السياسية في العصور القديمة، بدءا بالشرق القديم [مصـر، إلى الغرب القديم [اليونان و الرومان]، مرورا بالقرون الوسطى ، و قد ختمنا هذا المبحث بـذكر ي في عصر النهضة و مطلع العصور الحديثة، و مثلت لعصر النهضة بمفكرين بارزين في دنيا الفكر همـا : [

، ثم انتقلت الى ذكر الفكر السياسي في مطلع العصور الحديثة، و عرجت على ذكر أهـم أعلامـه : [لوك، مونتيسكيه، وجون جاك روسو].

ث الخامس و الأخير بذكر الفكر السياسي الإسلامي بخاصة، فتناولت فيه الفلسفة الإسلام السياسية و نظام مرتكزات النظرية السياسية في الإسلام، خاتما هذا الفصل بذكر خصائص الفكر السياسي الإسلامي.

الأول فقد حوى أربعة مباحث، عنيت في المبحث الأول بدراسة البيئة السياسية و الاقتصادية و الثقافيـة و و في البحث الثاني ذكرت حياة الغزالي ومواقفه وجهوده في الدعوة و الفكر في مصـر وفي خارجهـا. و الثالث : تحليل خطاب الغزالي السياسي و ذكر أهم خصائصه. و معايير الخطاب الناجح مـن الناحيـة [و التوجيهية]. لنصل الى نتيجة هامة فيه، و هي أن الخطاب عنده قد طبقت فيه جملة هذه المعايير، فكـان ت في العالم العربي و الإسلامي.

الرابع تناولت سمات الفكر السياسي عند الشيخ و قد تبين لي بعد المطالعة أنه بإمكاننا أن نحصرها في :

ا د و التجديد .

ة الكلية و الرؤية الشاملة

فكر بالعمل

بقيمة الإنسان

و الإعتدال

دة من الآخر

بالمنهج النقدي

ن من نتاج الفكر الإنساني.

، في الفصل الثاني المعنون بـ : [أسس نظام الحكم] و الذي اشتمل بدوره على ثلاثة مباحث : بينت في وع [الخلافة = الرئاسة] ورؤية الغزالي للطريقة المثلى في انتخاب الرئيس و ما كان يراه من واجب التجديد

مقاييس الترشيح لمنصب الخلافة لأخلص من ورائه الى التركيز على : [شرط الذكورة] و من ورائه ، موضوع [المرأة و تولي المناصب العامة = السياسية] كما عرجت على ذكر القرشية و مدى اشـراطها عامة.

ي البحث الثاني [الديمقراطية] في فكر الغزالي، فبنيت موقفه من الديمقراطية، و في مطلـب ثـاني قمـت
يخ بخصوص هذا الموضوع، ثم حاولت الحصر – ما وسعنا الجهد – لأهم الضوابط ، و تحديد أهم المعـالم.
م هذه الديمقراطية حتى يمكننا أن نعتبر أن الإستفادة منها شيء جميل أو أنه أمر دخيل.

في البحث الثالث لذكر الشورى و تحديد معالم رؤية الغزالي لها، و خلال هذا العرض رأيت نفـس ملـزم
إصلاح الحكم عندنا و تأثرها بـ :
ل و العقد
ما كان من تأثرها بشيوع الأحاديث المسوغة للظلم، و الصبر على أذى الحكام.
ذا الفصل بمبحث رابع تناولت فيه [الحريات و حقوق الإنسان]، فذكرت في المطلـب الأول الحريـات
على أهم نقطة فيه كان قد عالجها الغزالي خلال جهاده الفكري. ألا و هي قضية [الاستبداد السياسي]
ت، و الطرق المثلى لعلاج هذا الخلل الجلل الذي مازال ينخر في جسم الأمة، و من بين هذه الطـرق
[التعددية الحزبية] كضمان ووقاية من الاستبداد و جور الحكام .

الثاني تناولت [حقوق الإنسان] و مساهمة الغزالي الفعالة في الصيغة الأولية لهذه الحقـوق، و بينـت أن
الحقوق واجبات و ضرورات، و ليست مجرد حقوق فقط كما تشير الى ذلك تسميتها .
من جملة الضرورات و الحقوق [الثقافة السياسية للأمة]. فأفردتها بمبحث خاص.

ل الثالث و الأخير: [مبادئ نظام الحكم] فقد ركزت في المبحث الأول منه على بيان معنى الدولة في فكر
قد جرنا هذا إلى الحديث عن العلاقة بين الدين و السياسة. فتطرقنا خلال هذا العرض إلى ما كان مـن رد
مد خالد الذي نادى بفكرة عدم وجود علاقة بينهما في كتابه " من هنا نبدأ" .

ذلك إلى شرح نظرية المصالح المرسلة، لأنها من أهم القواعد و المفاهيم التي تقوم عليهـا التشـريعات في

ث الثاني فقد خصصته لذكر وظائف الدولة كما كان يراها الغزالي، وحاولت أن أحصرها في مطلبين :
فيه جملة الوظائف الدينية و ركزت على :
الأخلاقية . " حفظ الدين " و أدرجنا تحت هذا المطلب :
لدين " إيجابيا و سلبيا "

لأخلاق

م بالعلوم الحديثة

جهاز الدعوة و القيام عليه انشاء و متابعة

تجديد الدين .

دعوة إلى الإسلام و نظامه [= الجهاد]

: من خلاله :

قات الدولية – الحرب و السلم – دار الحرب و دار الإسلام – دور العامل الديني في العلاقات الدوليـة –

ظور الغزالي " .]

ب الثاني : الوظائف السياسية مايلي :

وفيها ركزت على :

بتنظيم الحياة الإقتصادية

[= اتحادات العمال]

التكافل الاجتماعي.

ذا الفصل بمبحث الدستور، وقد تعرضت في المطلب الأول منه الى :

بحث في الفقه الدستوري وذلك بعد استقرائي لهذه الصعوبات في فكر الشيخ فتبين أنه بالإمكان حصـرها

هي :

لاستبدادية

لنظام الإسلامي عن الحكم في وقت مبكر.

ظامها في أبوابها الحقيقية

الثاني فقد خصصته لمحاولة تحديد الموقف من المصطلحات الحديثة في الفقه الدستوري، و رؤيـة الغـزالي

ستخدام المصطلحات الغربية عند المفكرين الإسلاميين بقين القبول و الرفض .

طلب الثالث فقد بينا من وراء طرقنا له رؤية الغزالي للدساتير [الدساتير عامة ، و الدستور المصري خاصة

ي المطلب الرابع والأخير لقضية : تدوين الدستور الإسلامي. و محاولة الغزالي الجـادة في صـياغة دسـتور
نة الناشئة.

صعوبات جمة من جنس ما يلاقيه طلاب المعارف و العلوم، من عدم وفرة المراجع و المصـادر بحـوزتي، و
لغزالي التي خلصت للشأن السياسي و لم تطبع في الجزائر، و لم تتوافر لدى الكثيرين إلا ما كان من مقالـة
ع الله، نشرت في عدد خاص عن الغزالي تحت عنوان : ملامح الفكر السياسي للشيخ الغزالي، و مبحـث
حليم عويس : الفقه السياسي عند الغزالي ضمنه في كتابه المعنون بـ : الشيخ محمد الغزالي تاريخه وجهوده

هد الإمكان الرجوع الى أمهات الكتب و المصادر في الفكر السياسي، و في السياسة الشرعية، و كتـب
ب الحديث الشريف، و التاريخ، و السير، و التراجم و الموسوعات.

التنوع الأثر الكبير في إغناء مادة البحث، و تزين هوامشه التي أخرجت فيها الأحاديث الشريفة ، و غالبا ما
الصحيحين. أما إذا كان الحديث في غيرهما فإني أحاول تتبع مظانه بذكر رقمه إن وجد، و الإ فـالجزء و
رجة الحديث في الغالب باعتماد كتب التخريج كالتلخيص الحبير لابن حجر، و فيض القـدير للمنـاوي،
لوني .

البحث بذكر بعض المسائل ذات القيمة العلمية، و التي غالبا ما تكون قد أخذت في تصورات الناس لهـا
و لم يمحص فيها سبيل البحث و النظر، فيكون من جراء ذلك أن تشيع بعض المفاهيم لدى أهل العلم، و
حكام خاطئة، فإذا بحثنا في حقيقة شأنا لم نجد ما يسندها من أدلة العقل أو النقل.

لام الوارد ذكرهم في المتن، فقد ترجمت لأكثر الأعلام الغربيين و مفكريه و السياسيين منهم، و أهملـت
أعلام الإسلام و علمائه و هذا لشهرتم – عدا الخلفاء الأربعة – وقد يستغرب هذا الصنيع بيد أني اتبعـت
مة في الترجمة لأولئك وغض الطرف عن هؤلاء، و تبريري لهذا الصنيع يتمثل فيما يلي :

بحياتم وفكرهم، و الواجب هو أنه يتحتم علينا أن نعرف الآخر .
ت لهم كانت لهم علاقة وثيقة بموضوع البحث العام وهو : السياسة إما فكرا و إما ممارسة .

خصصت الخلفاء الراشدين بترجمة وافية لغرض معرفي، هو الكشف عن الدور الهام الذي أنيط بـهـم قبـل
مع الجاهلي، و الكشف عن بعض ما خفي من حياتم أثناء خلافتهم الراشدة .

الرسالة فقد تضمنت فهرسا للآيات، ثم فهرسا للأحاديث، ثم فهرسا للمصادر و المراجع مرتبة على حروف
سم المؤلف مع اسقاط " ال " و " إبن " في المعرف .

ي البحث من قصور، فإنني أحمد ربي على أن يسر لنا الوقوف على أزيد من 120 كتابا، ما بين مصدر و

أثناء تحريري لهذه الرسالة أقدم و أؤخر، و أنقص، و أثبت و أحور. إلى أن استقر البحث على ماهو عليه
نقص البشر إلا كما يفارق الظل صاحبه :

، ما ساء قط و من له الحسنى فقط

، قول العماد الأصفهاني : (إني رأيت أنه لا يكتب إنسان كتابا في يومه إلا قال في غده : لو غير هذا لكان
ذا لكان يستحسن، و لو قدم لكان أفضل، و لو ترك هذا لكان أجمل .)

هذا الموطن خاصة : أن يغفر الله لنا و مازال فيه الفهم. و طغى به القلم ...
ربنا الشبهة ، ويعصمنا من الحيرة، و يجعل بيننا و بين المعرفة نسبا، و بيننا و بين الصدق سببا، و أن يحبب
في أعيينا الإنصاف، و يذيقنا حلاوة التقوى، و يشعر قلوبنا عز الحق ، و يودع صدورنا البر و اليقين، و
الذلة، و ما في الجهل من القلة .

و أن يجعل ما كتبناه صالحا، و أن يجعله لوجهه خالصا ....
إنه على كل شيء قدير، و بالإجابة جدير .

الفصل التمهيدي.
حول الفكر السياسي وفيه خمسة مباحث .

لأول : أهميته ووظيفته في ا لتمع .

لثاني: تعريف الفكر السياسي .

لثالث: النظم والأفكار السياسية في العصور القديمة .

لربع : الفكر السياسي في عصر النهضة ، ومطلع العصور الحديثة .

لخامس : الفكر السياسي الإسلامي وخصائصه .

ـر السياسـي :

ج أي بحث كان من بيان المصطلحات التي تحدد المفاهيم ، ليحيط القارئ بها عن وعـي وإدراك ، ويـبني
ا البنيان الذي ستقوم عليه الدراسة.
ي هذه الرسالة مصطلحا : " **الفكـر و السياسـة** ".
ا المصطلح مركبا يجدر بنا أن نعرف كل كلمة من هذا المركب مفردة .
ذا تعني السياسة ؟

كر الرجل في الأمر يفكر فكر فكرا ، إذا أعمل العقل فيه وتأمله .
اطر في الشيء .

رف بتعريفات عدة ولعل أهم وأجمع ما ارتضيته من بين تلك التعريفات هو التالي:
ي في المخ والجهاز العصبي المركزي ، يتخطى هذه الحدود الفيزيولوجية، ويصبح على مستوى الفرد وعلى
، قدرة على الكشف والتعميم والتجربة والتأثير والتغيير. فالفكر ظاهرة تاريخية نمت بالعمـل البشـري ،
ة، وتطورت خلال المراحل المختلفة من تاريخ التطور الإنساني ، وليست اللغـة إلا التعـبير الاجتمـاعي
فكر الداخلية .
الفكر باختلاف المذاهب الفلسفية والاجتماعية المختلفة ، ويمكن إجمالها في ثلاث وجهات نظر أساسية :

ظرة إلى الفكر باعتباره عملية معنوية خالصة ، مستقلة كل الاستقلال عن كل أساس عضوي أو مـادي،
وجود للطبيعة الخارجية بغير الفكر ، فالفكر هو الذي يصنع الوجود. وهذه نظرة مثالية مطلقة .
ة إلى الفكر باعتباره مجرد ثمرة مباشرة من ثمرات المادة ، وإفرازا من إفرازاتها .
ك نظرة ثالثة تدرك الأسس العظمى للعملية الفكرية ، كما تدرك أساسها الاجتماعي والتاريخي كـذلك ،
ـذا كله ، بل تجد فيه أيضا أداة للكشف والخلق والتأثير والتغييـر ، فهو ليس مجرد مرآة تعكـس الواقـع
كذلك وسيلة فعالة تغيّـر الواقع وتطوّره.
علمية الموضوعية للفكر.] [1]

ي وآخرون : موسوعة السياسة ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الثالثة ، 1995 .ج4 ، ص564 - 565 .

2

ب العربية الأقدمون على تحديد أصل كلمة سياسة ، وبالتالي مدلولها. فتضمنت كتابات بعضهم أن هـذه
ة الأصل ، وجرى عمومهم أن كلمة سياسة عربية .
ها ساس يسوس ، وأن العرب اعتادوا استخدامها منذ القدم بمعاني عديدة ، ومنها المعنى الاصطلاحي الذي

ن الكلمة كانت معروفة ومستعملة بالتأكيد منذ فجر الإسلام على الأقل مـا ورد في الصـحيحين عـن

يل تسوسهم الأنبياء ، كلما هلك نبي خلفه نبي ، وإنه لا نبي بعدي ι قالوا : فما تأمرنا ؟
الأول فالأول ، أعطوهم حقهم . فإن الله سائلهم عما استرعاهم ι [3].
ظهر أن كلمة ـ ساس ويسوس، ومصدرها سياسة ـ كانت مستعملة على الأقل منذ عهد الرسول ρ .
الكندي والمقريزي ، ومن تسرّع وسلك مسلكهم من الكتاب، حين ذهبوا إلى القول بأن الكلمة غير عربية

ما يتعّين إدراكه أن استعمال الكلمة في الحديث السابق يتطابق مع استعمالها بالمعنى العلمي لدى البـاحثين
: (مباشرة السلطة) .
تفسير النووي في شرح مسلم حيث قال:
كما تفعل الأمراء والولاة بالرعية) [5].
لغوية والمؤلفات القديمة ، درجت على إيراد هذه الكلمة كما بينت استعمالاتها، ففي لسان العرب:
على الشيء بما يصلحه ، والسياسة: فعل السائس ، يقال :هو يسوس الدواب إذا قام عليها وراضها، والوالي

ر سياسة أي: قام به ، ومن ذلك قول ثعلب :

كلمة (سياسة) عند الغربيين - اليونان والرومان قديما، والأنجلوسكسون والفرنسيين حديثا - إذ أنها تحمل معاني ودلالات مختلفة لا يسـمح
فيها شرحا وتفصيلا .

قم : (3455) ج2، ص1074 . كتاب: أحاديث الأنبياء ، باب: ما ذكر عن بني إسرائيل . المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت، ط1، (
19م). ومسلـم برقم (1842)، ج6، ص472.كتـاب : الإمـارة ، باب : وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء الأول فالأول، دار الحديث القاهرة
ـ – 1994م) .

ي إلى أن أصل الكلمة (بولطيقي) أي: المدني ، وذلك لما كان بصدد حديثه عن كتاب السياسة الصغير لأر سطو الذي ترجمه . أبو زيد سهل
322هـ) .

ب إلى أن أصل الكلمة ياسة ، فحذفها أهل مصر وزادوا بأولها سينا فقالوا : سياسة وأدخلوا عليها الألف واللام فظن من لا علم عنـده أنـا
حاول خلق أصل أسطوري لها لما قال : .. أن جنكيز خان القائم بدولة التتر ببلاد المشرق لما غلب الملك أوزبك خان ، وصارت له دولة ، قرر
أثبتها في كتاب سماه (ياسة) ، ومن الناس من يسميه (يسق) ، والأصل في اسمه (ياسة) .

- أنظر: علم السياسة لأحمد شلبي ص20 وما بعده .

مسلم بشرح النووي ، دار الحديث . القاهرة ، ط1، (1415 هـ – 1994 م) ، ج6 ، ص 474 .

سـادة قـادة لكل جميع & ساسـة للرجال يوم القتال

س الرجل أمور الناس ، على مالم يسم فاعله إذا ملك أمرهم ، ومن ذلك قول الحطيئة :

لقد سوّست أمر بنيك حتى & تركتهم أدق من الطحين] [6].

فقط أن كلمة " سياسة " عربية ، بل أيضا أنا تتطابق في معناها اللغوي مع ما نقصده اليوم عندما نطلـق سلطة .. ومن مشتقاتا :

صفة تطلق على من له صلة بالحكم أو السلطة ، سواء أكان إنسانا مثل قولنا: " رجل سياسي " أو شيئا سياسية " . وعلى هدى لسان العرب المحيط تسير معاجم اللغة العربية الكبرى مثـل " تـاج العـروس " .

اسة " في اصطلاح " علم السياسة " :

عني " علـم الرياسة " كما قال الفخر الرازي ، و علم السلطة في عرف العلم الحديث ، ومن هنا يظهـر غوي الأصلي للكلمة ، وبين معناها العرفي الاصطلاحي ، و" السلطة " المذكورة ليست سـوى ظـاهرة واقعا وعلى هذا يكون مفهوم هذا التعبير، هو أن علم السياسة يختص بدراسـة أي معرفـة " واقـــع " ر ظواهر إجتماعية ، وانطلاقا من هذا يكون المقصود بكلمة " السياسـة " في تعبير " علـم السياسـة " . والمعرفة المقصودة هنا هي معرفة الواقع بما فيه من أحداث ووقائع ، وعلى وجه التحديد الواقع السياسي

تقتضي بداهة توافر عنصرين يتمثل أولهما في : وجود واقع . ويتمثل الثاني: في العلم بذا الواقع .

رين يرجع إلى أن الواقع لا يكون واقعا إلا بقدر إدراكنا له ، وهذا يفسر القول التقليدي المتضـمن أن : " ضمائرنا " [9].

سي :

إذا أن الفكر السياسي هو مجموع الأسس والنظم السياسية التي وضعها المفكرون لرسم صورة الدولـة ، السلطة الحاكمة وأفراد ا لتمع الذي تمارس فيه تلك السلطة [5] .

الأداة النظرية التي ترتكز عليها النظم الدولية أو الحركات السياسية المدبرة والمسيرة لشؤون ا لتمع [6].

العرب المحيط ، (طبعة بيروت . دار لسان العرب) ، ج2 ، ص239/240 .

د شلبي، علم السياسة . دراسة في قواعده الأصولية وضوابطه النظرية : الدار الجامعية . ص 24 .

مبادئ علم السياسة ، ص2 .

، (مرجع سابق) ، ص31 - 32 (بتصرف) .

سالم : الفكر السياسي في الإسلام ، ص 21 .

الفكر السياسي العالم الإسلامي المعاصر ، مجلة الموافقات ، العدد 1 ، ص386 .

الفكر السياسي :

لاقة الوثيقة بين الفكر السياسي والحياة السياسية، وبالذات النظم السياسية، وهي علاقة تتمثـل غالبـا في ، بصرف النظر عن درجة هذا التأثير، ولعل من أظهر صور ذلك أن يأتي النظام استجابة لفكر معـين، أو قع سياسي وبالذات نظام سياسي قائم .

ا المعنى يأخذ صورا متعددة لعل من أهمها :

السياسيـة :

لة التي يظهر بها الفكر السياسي ، حيث لا تستطيع هذه الأفكار -غالبا- تكوين بناء فكري متكامـل في هب ، هذه الأفكار قد تعبر عن واقع معين وذلك بوصفه ، ومن هنا شيوع تعريفها بالأفكار الوصفية ، ولا النوع من الفكر السياسي، خاصة بالنسبة للباحث حيث تساعده في التعـرف علـى الأحـداث، وإدراك الأفراد والجماعات ونحوها . وإذا تحقق التقاء بين علم السياسة والفكر السياسي بهذا المعنى بالنسبة للمادة ، ختلفا ، حيث يعبّـر الفكر عن المادة من وجهة نظر أصحاب هذا الفكر ، وليس من وجهة نظـر الكـل ن ثم يكون فكرا غائيا وليس محايدا موضوعيا .

ب السياسيـة :

ست إلا أفكارا سياسية اكتمل تصويرها الفكري في صورة تكاد أن تكون كاملة ، هذه المذاهب السياسية سة في نقطة أساسية ، وهي البدء من الواقع مستقرئا إياه بقصد تفسيره ، وعلى التوقع بشأنه .
ي: فيبدأ من الواقع مقوما إياه ـ انطلاقا من قيم معينة تختلف باختلاف المذاهب ـ بقصد تأديته أو رفضه حلال آخر محله وهكذا .
ولكن سرعان ما يلحق بالفلسفة من حيث المنهج والهدف ، وفي هذه الحدود لا يصعب إدراك تمييز علـم ة ، في مواجهة المذهب السياسي من حيث المنهج والهدف.

ـات السياسيـ ـة :

هي فكر يمثل بناء نظريا متكاملا وقد تعددت إطلاقات " **نظرية سياسية** " ، بحيث تعين التمييز بين نـوعين ق عليها هذا الاسم : النوع الأول : هو النظرية السياسية الفلسفية .
النوع الثاني : هو النظرية السياسية العلمية .
ذين النوعين من النظريات السياسية هو- كما يتبين من تسميتها - المنهج المستخدم لتحقيق هـذا البنـاء ذ الأولى بالمنهج الفلسفي ، على حين تقوم الثانية على المنهج العلمي[10].

مد شلبي : مصدر سابق ، ص (107-110)

دانكان : جان ماري دانكان :علم السياسة . ترجمة محمد عرب صاصيلا ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر التوزيـع ، الطبعـة الأولى ، 1992م)

ض الذي سبق بيانه في تحديد معنى الفكر السياسي، فإن دراستنا لفكر الغزالي ستنطلق من زاوية نعتبر فيها عنده هو ذلك البنيان الفكري المجرد المرتبط بتصوير وتفسير الوجود السياسي ، وهو يمثل كل ما يخطـر في تنظيمه السياسي، وحياته العامة، كما هما عليه ليصحح منها السقيم، ويثنى على السويّ السليم ، أو كمـا يلوي إلا على ما ظهر للفطر السليمة صوابه ، وعضّدته الشرائع والقوانين فعزّ من كل جهة جنابه .

سياسي ووظيفته في المجتمع:

السياسي مرتبة مهمة بالنسبة لمعظم فروع العلوم الإنسانية ، فما من دارس لعلـم مـن تلـك العلـوم إلا بالأفكار السياسية وتطورها ، وانعكاسها على مضمون الدراسة التي ينوي طرقها ، سواء أكانـت هـذه ، تاريخية أو اقتصادية أو حقوقية .
دراسة بالأحرى تتعلق بالعلوم السياسية ؟.
لقول أن مادة الفكر السياسي ، تعتبر من الركائز الأساسية التي تقوم عليها الدراسات السياسية ، فبـالرغم ب المحيطة بالمجتمعات السياسية بالنسبة لبعضها البعض ، وبالرغم من تباين المفاهيم السياسية لتلك المجتمعات السياسي يتضمن نقاطا مركزية مشتركة، تحوم من حولها الأفكار السياسية المتصـارعة ، لتـثير النقـاش . من القضايا السياسية التي تتطلب أجوبة عليها.

ثيرة للنقاش والتساؤل يمكننا إبراز الأسئلة التالية على سبيل المثال :
مع السياسي ؟
سياسية ؟
رستها ؟.. الخ [11].
هذه القضايا السياسية كانت مثار اهتمام بالغ لدى كل المفكرين ، منذ ظهور المجتمعات السياسية للعصور صور المتعاقبة إلى يومنا هذا .
اة الإنسانية بعيدة عن الثبات والجمود ، وتخضع لقانون التطور الدائم ، طبقا لتطور العلاقات الإنسانية فان انت دائما تتطور، لتتلاءم مع الواقع السياسي والاجتماعي لتلك العلاقات الإنسانية ، وهكذا نرى أنـه في ل التطور السياسي والاجتماعي كان الفكر السياسي يشكل المرآة التي تعكس الصورة الحقيقية ، والمعـبرة ية والاجتماعية الناجمة عن التطور..) [12].

ياسي عديدة ومنها على سبيل المثال لا الحصر : الأخلاق والسياسة، أشكال نظم الحكم، الدولة والمجتمع التعاقدي . السلطة المطلقة والسيادة ، ، الحرية والمساواة ، الاستبداد والدين ، نظرية فصل السلطات ، الدولة والقوة والعلاقات الخارجية ، الدستور.
وظ : اتجاهات الفكر السياسي في العصر الحديث، المؤسسة الجامعيـــة للدراسات والنشر والتوزيع ، ط1 ، (1410هـ / 1990م)، ص

د فائدة دراسة الفكر السياسي استنادا إلى النظرة التاريخية التي تفترض أن الأفكار السياسية تمثل العصر الذي
وحقيقة أن الفكر السياسي شأنه شأن أي فكر بشري يمكن فهمه من خلال التعرف على علاقته بالعصـر
فيه ، بالإضافة إلى شخصية المفكر السياسي ، إلا أن أفكار المفكرين العظام لا تمثل بالضرورة العصور الـتي
تكون هذه الأفكار سابقة لعصورها ، ومن ثم فقيمة أفكار مونتسكيو وروسو وجـون لـوك ، ليسـت
التي توصلوا إليها من خلال تحليلهم للظواهر السياسية في عصرهم ولكن قيمة أعمال هؤلاء المفكرين يمكن
تمنحنا رؤية معينة حول كيفية تداول الإنسان للظواهر السياسية في أي زمان ، ومن ثم فما يجب أن نتم به
كار وخصائصها المتميزة .

قيمة الأفكار السياسية في مدى تأثيرها في الأحداث العظيمة، وذلك بالرغم من وجود علاقة تاريخية مثيرة
السياسية والأحداث السياسية العظيمة ، ولكن الإشكالية تبرز عندما نحاول إثبات هذا التـأثير ومـداه ،
أن إعلان الاستقلال الأمريكي الذي صاغه توماس جيفرسون [13] ورفاقه ، كان نتيجة قراءتم لجون لـوك

ر مونتسكيو وروسو في صياغة إعلان حقوق الإنسان والمواطن الصادر عام 1789 في فرنسا ؟

ه في هذا الصدد هو أن دراسة أفكار كبار المفكرين السياسيين هي قيّـمة بحد ذاتها ، لأنها تعـنى دراسـة
، الرجال ، الذين سخّروا أنفسهم للاهتمام بقضايا إنسانية معقّدة ، لا يمكن الهروب منها في أي زمـان و
نستطيع اكتساب قدر من الحكمة السياسية من خلال مراجعة الفكر السياسي ، الـذي قدّمـه هـؤلاء
الكبار[15].

. الدكتور محمد طه بدوي أهمية دراسة الفكر السياسي على النحو التالي :

1743 / 1826 . الرئيس الثالث للولايات المتحدة ، رجل متعدد المواهب ، لعب دورا رئيسيا في تاريخ بلاده، ولد في فيرجينيا لعائلة ميسورة
رس المحاماة ، أنتخب عضوا في الكونغرس القاري الثاني عام 1775 ، وفي العام التالي أصبح رئيسا للجنة صياغة وثيقة الاستقلال التي كتبها
لولاية فيرجينيا 1779 ـ 1781 ، حيث وضع "وثيقة فيرجينيا للحرية الدينية" في عام 1801. أصبح رئيسا للجمهورية، فحقق توسع
، ضعف رقعتها الجغرافية، وتمت صفقة شراء لويزيانا مع الفرنسيين ـ نابليون ـ والتي قسمت فيما بعد إلى أكثر من عشر ولايات، كما تم
ة استيراد العبيد . ـ موسوعة السياسة ،: المؤلف الرئيسي : رئيس التحرير: د عبد الوهاب الكيالي وآخرون، المؤسسة العربية
الطبعة الثالثة 1990. ج01 ، ص71 .

1' ـ 1809 م : "paine thomase": فيلسوف سياسي وكاتب أمريكي، ولد ونشأ في إنكلترا،وشغل عدة وظائف بها ، ثم هاجر إلى
، بالصحافة، إهتم بالصراع بين المستعمرات الأمريكية والإنكليزية، وكان لمؤلفه "الذوق العام" سنة 1776 أثر كبير في التعجيل بنيل الاستقلال
" الأزمة الأمريكية "، إلى رفع الروح المعنوية وبث الشجاعة في نفوس الثوار . عاد إلى إنكلترا . دافع عن الثورة
"حقوق الإنسان "، الذي هاجم فيه الحكومة الإنكليزية وساستها المناوئين للثورة الفرنسية ...هاجم الدين والكتاب المقدس في مؤلفه عصر
ـ موسوعة السياسة ج1، ص659 .

، المفاهيم : علـم السياسـة ، سيد عليوة وآخرون ، الإسكندرية ، مطبعـة الجمهوريـة ، 1999 ،ص : 101 – 102 .

كر السياسي دورا هاما في عالم السياسة ، لأنه في مجال السياسة بالذات لا ينبغي الفصل بين المذاهب والحياة
دو في كثير من الأحيان أن تكون أعمالا لتلك المذاهب والأفكار ، ومن ثم فليس من المستسـاغ تفهـم
ن الوقوف على ما يتصل بها من فكر.
ار السياسية سواء اتخذت شكل الدراسة الوصفية أو التحليلية أو النقدية ، أو تشكلت في نظرية أو مذهب ،
سياسة، لأننا من خلال هذه الكتابات نتعرف على الأنظمة السياسية المختلفة ونقـف علـى حقيقتـها ،
، وفي ضوء تجاربنا الخاصة أن نصـدر في شأنها أحكامـا عقلية تشكل اتجاهنـا إزائهـا ، ويتحـدد
أنها) [16].

ر السياسي في المجتمع :

سي وظائف عديدة في المجتمع الإنساني ، وأول هذه الوظائف أنه يعد بمثابة ذخيرة الخبرة الإنسانية في المجال
يلعب دورا هاما على مستوى المجتمع الذي يعبر عنه، إذ أنه يعد بمثابة مصدر القيم السياسية ، التي يحتـاج
، ويتناقلها من جيل إلى جيل ، الأمر الذي يحافظ على الهوية السياسية الخاصة بهذا المجتمع .
اسي أداة لتغيير الوضع القائم، من خلال تقديمه بعض الأفكار الجديدة التي تدعو إلى رفض الواقع القـائم
. [17]

الفكر السياسي المثل الأعلى الذي ينشد المجتمع السياسي الوصول إليه ، وبالتالي يستطيع النظام السياسـي
كافة الموارد المتاحة ، من أجل الوصول إلى هذا المثل الأعلى ، أو هذه القيمة الكبرى .
هامة للفكر السياسي ، وهي أنه يهتم بمشكلات المجتمع السياسية ، ويحاول أن يقدم الحلول الملائمة لها .
شكيل الاتجاهات السياسية ، والسلوك الفردي والجماعي ، إزاء الأحداث والنظم السياسية [18].

ا إلى تعريف الفكر السياسي وأهميته وكذا وظيفته في المجتمع ..
الة سيعمّق هذه النظرات والأفكار ويتوسع فيها أكثر . وهذا من خلال معالجتنا لمواضيع الفكر السياسـي
الله ـ والتي لا تعدو في نهاية المطاف سوى أن تكون جزءا من محاولة فهم جادّة منه للمنظومة الإسـلامية
ة المختلفة، والمناداة بتطبيق ما تتضمنه من مبادئ وقيم ..في واقع المسلمين المتأزم .

، رواد الفكر السياسي الحديث وآثارهم في عالم السياسة ، الإسكندرية ، المكتب المصري الحديث، 1967، ص: 5 – 13 .
محاضرات في الفكر السياسي ، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية ، جامعة القاهرة ، 1973 .
: رواد الفكر السياسي الحديث ، ص 13 .

مبحث دراسة النظم والأفكار السياسية من الماضي إلى وقتنا الحاضر، ذلك أن الـنظم السياسـية القائمـة
صول قديمة ، ولا يفهم النظام السياسي على حقيقته إلا بمعرفة أصوله وتطوراته ، والتقلبات التي طرأت عليه
مر به .

بشرية في وضع النظم السياسية وتطويرها حسب مقتضيات الظروف ، وأصابت من خيرها ، كما اكتوت
فرضت عليها خلال بعض العصور من فئات قليلة من أبناء الشعب .

نا في المقام الأول معرفة النظام السياسي عند الغزالي وفكره السياسي، فإن هذه المعرفة لا تتوفر لنا على وجه
جها التاريخي منذ القدم حتى الآن ، نظرا للارتباط الوثيق بين الماضي والحاضر ، من حيث جوهر الأنظمـة

كـ ـ ـ ـار السياسيـ ـ ـة في العـ ـصـور القديمـة:

قـ ـديـ ـ ـم.

ـ ـر:

في مصر صورة الملكية المطلقة ، منذ عهد الملك مينا حتى نهاية العصر الفرعوني. وقد ارتكز النظام الملكـ ـي ي ، فكانت المعتقدات الدينية السائدة في ذلك العهد تعتبر الملك " **فرعون مصر** " [19] ممثلا للإله ، ثم تطور ك يعتبر نفسه إلها بين البشر، وهو بهذه الصفة يعتبر مصدر السيادة في الدولة ، ومنبع الحق والعدل . ومـ ـن ك مطلقة تشمل كل شيء ، فتنصب على إقليم الدولة ومن وما عليه ، وجميع الأمور في الدولة مركزة في تأليه الملك أنه جمع السلطات كلها في شخصه ، من تشريعية وقضائية وتنفيذية ، وكان يرث عن أجداده خلفوها، ويعتبر مالكا لها ، أما أفراد الشعب فليس لهم حق ملكية على الأرض، إنما ينتفعون بها وحقهم في منحة من الملك الإله .

صورة من صور الحكم التي تضم الناحيتين الدينية والزمنية في يد واحدة أقصى درجات السياسة الثيوقراطية

والتغير العميق في الوضع الاجتماعي للشعب المصري ، وذاك بعد قيامه بثورة شـ ـعبية أسـ ـقطت الأسـ ـرة عليه من تغيير شامل في الأفكار والأوضاع في داخل الدولة ، وانتشار فكرة المساواة بين الناس في الحقوق الفوارق الاجتماعية وتزعزع فكرة ألوهية الملك ، فإن المصريين أبقوا على نظام الملكية الإلهية ، ولكنـ ـهم ة الاجتماعية .

مطلقة وقد عرف قدماء المصريين نظام الوزارة والمسؤولية الوزارية ونظام الإدارة المركزية [20].

لقبا للملوك المتأخرين لمصر القديمة ، لم يلقب المصريـ ـون حاكمهم فرعـ ـونا حتى الأسـ ـرة الثانية عشر (1445-1304ق م)، وتتألف للغة المصرية القديمة من كلمتين : بير- عا وتعنيان : الب ل العظيم وفي البداية كانت هاتان الكلمتان وصفا للقصر الملكي وليس للملك .

- الموسوعة العربية العالمية ، ج17 . ص304 .

امل ليلة ، (النظم السياسية الدولة والحكم). دار النهضة العربية للطباعة والنشر بيروت - لبنان ، 1969 ، ص325/321 .

ن :

ن في كتاب (تاريخ النظم والأحداث الاجتماعية من الماضي حتى فجر العصر الوسيط) . ص72 وما بعدها.

خ المذاهب السياسية ، ط1955 ، ص 16-22 .

مبادئ تاريخ القانون : ص122 وما بعدها .

اب : النظريات والمذاهب السياسية ، ص7 وما بعدها .

ـد القـ ـديمـ ـ ـ ـ ـة :

ـ التيوقراطية في نظم الحكم في الهند القديمة ، نتيجة لتمسك الشعب بالدين وإيمانه العميق بجميع الأفكـار
ما يسمى بالقوى المقدسة ، التي توجه سير الحوادث على اختلاف أنواعها من فردية واجتماعية وسياسية .

علـى إسراف الشعب في تعلقه بالمسائل الدينية ، وإيمانه بالخرافات المنسوبة إلى الدين ، أن أهمل جانـب
كل ما يتصل بأمور الحياة من النواحي الاقتصادية والاجتماعية والسياسية .

كم يقوم على أساس أن الملك مفوّض من قبل الله لحكم الشعب والسيطرة عليه ، وأنّه يستمد سيادته مـن
ويعتبر ظله في الأرض ، وتكون سلطته مطلقة على هذا الأساس[21].

ـ ـن القديمـ ـ ـ ـ ـة :

ياسي في الصين القديمة يقوم على أساس أن الإمبراطور يستمد سلطته من السماء، ويحكم وفقا للحق الإلهي
طلقة.
تفصيلات هذا التنظيم السياسي من أثر فلسفي قديم يسمى " دستور جو ".

صّين القديمة أفكار فلسفية ، تتعلق بالسياسة وتكوّن مبادئ ونظريات سياسية متماسكة.
صين القديمة: " **كونفوشيوس** " وتلميذه " **مانشيوس** " [22].

: (مصدر سابق) ، ص324 - 325 .
: (المصدر نفسه) ص 327 - 329 .
صة الحضارة ، دار الجيل ، ط 1998 ، ص59 - 62 .
ى، تاريخ الأخلاق، ط4 ، 1934 ، ص29 - 34 .

كـ ـ ـ ـار السيـ ـاسيـ ـ ـ ـة في الغـ ـرب القديـ ـم :

الإغـ ـ ـ ـريـ ـق (اليونان القديم) :

لاد مهد النظم والمذاهب السياسية القائمة على أسس فلسفية وعلمية ، فقد قامت با حضارة شاملة تعتـبر بية ، ويذكر الكتـاب الغربيون في هذا الصدد أن اليونان تعد للغرب بمثابة الأم ، كمـا أن الفيلسـوف ، وللأسلوب العلمي في البحث[23].

هو وضع ومكانة الحضارة اليونانية القديمة بالنسبة للغرب ، فإن هذه الحضارة العظيمة تأثـرت واستفادت الشرق القديم ، وبالرغم من وضوح هذه القضية فإن الكثرة الغالبة من المـؤرخين الغـربيين ينكرونـا ، ضارة الغربية إلى اليونان والرومان وحدهم ، ويهملون الشرق القديم إهمالا تاما[24]. وهـم بـذا المسـلك مارة الشرق عمدا لأنم يريدون إخفاء الحقيقة وتزييف التاريخ[25].

ة أنظمة متعددة للحكم، ويلاحظ بأن فلاسفة اليونان كانوا أكثر من غيرهم تعمقا في دراسة شؤون الدولة سياسية ، ومناقشة صور الحكم المختلفة لمعرفة الصالح منها .

الأبحاث أن أصبحت المسائل السياسية علما قائما بذاته ، له أصوله وقواعده الخاصة به . وأشهر فلاسـفة . وأفلاطون وأرسطو، فهم الروّاد الأوّل وأئمة علم السياسة ، وأصحاب النظريات التي مازالت تتردد حتى ظم الحكم ، إلى غير ذلك من المسائل السياسية ، ويعتبر أفلاطون وأر سطو صاحبي القدح المعلى في هـذا ازالت المنهل والمورد الذي يستقي منه المفكرون حتى الآن ، ويقيمون على أضوائه أسس نظرياتم .

فنا ابن رشد بفضل أرسطو على سائر العلوم ، بعبارات تدل على إعجابه البالغ بالمعلم الأول . فيذكر في مقدمة شرحه لكتاب " أرسطو في ؤلف هذا الكتاب هو أعقل اليونان أرسطو طاليس بن نيقوماخس، الذي وضع علوم المنطق والطبيعيات وما بعد الطبيعة وأكملها وقد قلت أنه الكتب التي ألفت قبله عن هذه العلوم لا تستحق جهد الحديث عنها " وهذه الشهادة قد تكون صحيحة بالنسبة لأثره المنهجي في جميع العلوم اسة ، ولكن إعجاب ابن رشد ينطوي على تجاهل لأولئك الذين مهـدوا السبيل لظهور أرسطو لأنه وليد تراث غني وحي ، تبدوا بوادره ة الأولى مع الفلاسفـة والشعراء والطبيعيـن ، والأدباء والمسرحيين والمؤرخين قبله كـهوميروس ، وهيبـودام، وهيرودوتس (485 – ي يسمى بأب التاريخ ، ويطلق عليه شيشرون لقب : أبي السياسة - وبريلو أول المفكرين السياسيين اليونان .. وغيرهم كثير ، وهكذا نجد أن جانب من جوانب المعرفة آخذ ومعطي ، مؤثر ومتأثر ، وهكذا الحضارات دواليك بله الأفراد ؟

نه للمؤرخين الغربيين جاء على لسان الأستاذ الأمريكي بريستيد في كتاب (انتصار الحضارة) وهو أحد المتخصصين في التاريخ المصري القديم

- أنظر: عبد الحميد متولي ، (القانون الدستوري والأنظمة السياسية) ، ج1 ص72. القاهرة .

.وى من مؤرخيهم إلى السياسيين منهم إذ ادعى رئيس وزراء إيطاليا (بر لسكوني) إدعاء فضفاضا أملاه منطق التعصب ورفض الآخر، وذلك بوق الحضارة الغربية على الحضارة الإسلامية ، بل وكأنه ينالها بعبارات الانتقاص والازدراء ، ليجد نفسه مضطرا بعدها إلى الاعتذار رسميـا مارة العظيمة . والعجب ليس من تصريحاته التي قوبلت باستنكارنا نحن المسلمين ، إنما العجب أن لا نستفيد من عبر التاريخ وأحداثـه. وان لا ن نور وصاف ومجهر كشاف ، لخبايا هاته النفوس التي ما فتئت تكن قلوبا حقدا وضراما لمحو هذا الدين بحروب خفية أو عبر حرب ضروس . ، { ما تخفي صدورهم أكبر قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون } والواجب بعد أخذ العبرة من مثل مواقفهم هذه ، هو أن نحدد الهدف نحو مل من دون أن تفت مثل هذه الدعاوى في عزائمنا.

ـر السيـ ـ ـاسـ ـ ـي عـ ـنـ ـد الروهـ ـ ـ ـ ـان :

ـان قد نبغوا في القانون بحيث أصبحوا في هذا الميدان قدوة لغيرهم على مر الأجيال، ولا تزال آثار قوانينهم
يث، فقد كانوا من الناحية الفلسفية على العكس من ذلك ، فلم تكن لهم فلسفة سياسية أصيلة نابعة مـ ـن
فكرهم الحر، وإنما اعتمد الرومان في هذا المجال على الفلسفة اليونانية ، نهلوا من مواردها ، ونسجوا علـ ـى
ير من مبادئها.

كرين السياسيين في روما القديمة هما:
رون : ولا يعدو الأمـ ـر أن نعتبرهما تلميذين غير مباشرين لأرسطو ، إذ أنهما كانا متشيعين لمنهاجـ ـه في
نظرياته وأفكاره ، وناقلين عنه الكثير، فهما يتفقان مع أرسطو في أفكاره السياسية لذلك يعتبر ـ حقيقة
ا .

لاحظته إذا من هذا أن الفكر السياسي عند الرومان لم يكن أصيلا ، وإنما كان منقولا عن اليونان ، ومصاغا
، ومطبوعا بصبغتهم العملية، التي تلائم ظروفهم وأوضاع حياتهم .

ض المعلقين على الفلسفة السياسية عند الرومان إلى القول بأن العبقرية الرومان عبقرية ترجمة ، إذ استطاعوا
وحضارات الدول الأخرى المعاصرة لهم، وصقلها والاستفادة من كنوزها على أوسع نطاق، بحيـ ـث أنهـ ـم
بق من تحقيق أمجاد لهم، لم تصل إليها الدول الأخرى صاحبة الفلسفات والحضارات الأصيلة [26].

الأفكار : محمد كامل ليلة : (مصدر سابق) ، ص 391 وما بعدها .

السيـــاســي في القـــرون الوســـطى :

لسياسي في العصور الوسطى بما يلي:

ميا : بمعنى قيام عالم واحد يمثل الجانب الدنيوي فيه تراث الإمبراطورية وسلطاته، وتمثل مبـادئ الديانـة ثيه الجانب الروحي ، فالإمبراطور يختص بشؤون الدنيا ويرعاها ، أما البابا فعليه رعاية المصالح الروحية.

يبين إلى العالم خلال العصور الوسطى على أنه مجتمع سياسي ديني تستند وحدتـه النهائيـة إلى إرادة الله

مطلقا بين الدين والكنيسة : إذ كان لكل منهما اختصاص محدد معروف، ولكن حدث بعد ذلك صـراع ات أي: (بين السلطة الزمنية والسلطة الدينية) على الحكم ، فكان كل منهما يريـد أن يخضـع الآخـر الفكر السياسي عند هذا الوضع، وإنما تطوّر وازداد عمقا، إذ أخذ المفكرون يتسـاءلون ويبحثـون عـن مجتمع، وانتهى تفكيرهم لما سبق أن ذكره أرسطو، من أن قيام المجتمعات أمر يرجع إلى طبيعة البشر، لأن اعي، لا يمكن أن يعيش بمعزل عن بني جنسه. وبذلك يكون الأساس الأول للمجتمع هو طبيعة الإنسـان فإن القصد من النظم الاجتماعية ، هو تنفيذ القانون الطبيعي الذي يتضمن مجموعة من الأخلاق والمبـادئ ويرتكز على مبدإ العدل ويؤدي إتباع أحكامه إلى الوصول بالبشر إلى مرتبة الكمال . والقانون الطبيعـي ميعا، وهو يختلف عن القوانين الوضعية المحلية الخاصة بكل أمة على حدة ، ويعتبر أسمى منها نظرا لطابعـه ع من الفكر الإلهي الذي أبدع العالم.

سياسية في العصور الوسطى على أساس التمييز بين القانون الطبيعي العام، الذي يمثل أقصى درجات السمو القوانين الوضعية التي ينقصها السمو والكمال، وتختلف من مكان لآخر وهي ضـرورية لعـلاج أخطـاء وره وآثامه ، وإقرار الأمن والسلام.

قرون الوسطى موضوع الدولة ، والملكية الفردية والرق ، على أساس الفكرة السابقة القائمة على التمييـز ، والقوانين الوضعية ، وهذا التمييز يقوم بدوره على أساس نظرية ابتكرها مفكروا هذه العصور، وتعـرف سان وسقوطه في الخطيئة)، والقصد من هذه النظرية أن المجتمعات البشرية كان من الممكن أن تسود فيهـا لية ، ذات المصدر الإلهي الذي يجعلها خيرا وعدلا وسلاما للبشر جميعا . ولكن إمكان تطبيـق القـوانين مها أمر فات أوانه ، فقد ضل البشر سواء السبيل وتنكب الإنسان عن طريق العدل والحق ، فزايله عنصـر ا في وهدة الآثام وتردى في طريق الخطايا، ولهذا فقد أصبح أمرا حتميا وجود قوانين وضعية، تتمشى مـع يقية، وتعمل على مكافحة انحرافه وتقويم اعوجاجه، وعلى ضوء ما تقدم عالج المفكرون الأمور الجوهرية في

: مصدر سابق ، ص 400 وما بعدها .

ما يتعلق بالعصور الوسطى يرجع إلى :

تاريخ أوربا العصور الوسطى (ط: 1968)، ص 445 – 473 ، وانظر ص : 190 - 205 .

ص 146 وما بعدها، وص : 179 وما بعدها .

لعت الغنيمي : النظم السياسية والاجتماعية ، (الطبعة الأولى)، ص : 196 وما بعدها .

النظم السياسة، دار النهضة العربية، القاهرة، (ط 1975)، ص 91 ..

؛ بيــن الباباوات والأباطــرة :

صراع إلا بعد أن توطدت دعائم المسيحية، وأصبح المؤمنون بها قوة ضخمة خطيرة، تستطيع أن تحمي الدين ء عليه أو على رجاله. عند هذه المرحلة شعر الباباوات بأهميتهم وسمو مركزهم، وأقاموا من أنفسهم حراسا ؤمنين به، وتزعموا العمل على إدخال غير المؤمنين في حظيرته، وبدءوا ينازعون الأباطرة سلطانهم الــزمني ، السلطة الدينية والدنيوية ، والسيطرة في الميدانين الروحي والزمني .

السائد يجعل السيادة للإمبراطور، فبيده تتركز مقاليد الأمور ، وكان هو الذي يعّين البابا ورجال الدين من لك خضوع السلطة الدينية للإمبراطور، والتزامها بأوامره ، وكان الإمبراطور يعتمد على نظرية الحق الإلهي نى أنه مفوض من قبل الله لحكم البشر ، وأنه يحاسب أمام الله وحده عن تصرفافته التي قام بها، بنــاء علــى حتم على الأفراد ـ بناء على ذلك ـ الخضوع التام لأوامر الملوك والأباطرة وإطاعة ما يصــدرونه مــن والمخالفة للإمبراطور (الحاكم) تعتبر جريمة لا تغتفر ، ذلك أن الخروج عن طاعة الحكّــام وهم ظل الله في إدارة شؤون عباده والإشراف عليهم يعتبر خروجا عن طاعة الله ، ومن هنا يكون الجرم الفظيع الذي لا .

ـال الدين هذا الإتجاه في بداية الأمر ، وفسّروا سيادة الإمبراطور على النحو السابق، ولكنهم لم يثبتوا على بثوا أن خرجوا عليه عندما اشتد ساعدهم ، وأرادوا بذلك أن يغيّــروا الوضع السائد ، ويقلبــوا ميــزان لحهم ، وبدءوا العمل ضد الإمبراطور ، بقصد إخضاع السلطة الزمنية للسلطة الدينية ، ولجئوا في صراعهم السلطة العليا في الدولة ـ إلى الاعتبارين التاليين:

ز البابوي على المركز الإمبراطوري، باعتبار البابا النائب الأول لصاحب الشريعة ، فهو خليفــة السيّــــد ن. وله بهذه المثابة الولاية العامة على عباد الله، يحكمهم ويعمل لخيرهم ويهديهم سواء السبيل ، ليحظــوا .نيا والآخرة .

الدينية تمارس سيطرتها على الروح، ونظرا لأن الروح أسمى من الجسد، فإننا من هذه النّــاحية تكون أنبل وأسمى وظيفة من السلطة الزمنية [28].

صدر سابق ، ص 409 ـ 413.

سي في **عصر النهضة :**

واخر القرن الخامس عشر، ويشمل القرن السادس عشر . وأبرز المفكرين في ذلك العهد في ميدان السياسة
ن .
كل منهما فيما يلي :

ي . (1469-1527):

كري عصر النهضة في مضمار علم السياسة، ومن قبل لا نلتقي بمفكرين بارزين واضحي الأثر.
اليا، وكانت مقطعة الأوصال ، استشرى الفساد فيها بسبب الأوضاع السياسية المضطربة ، التي لا ترتكـز
والتي انتهجها خلال قرون عديدة الباباوات وأمراء الإقطاع .
بلاده ، وقارنا بأحوال الدول الأوربية الأخرى ، وبدأ يدلي بآرائه الفلسفية على ضوء ملاحظاته ودراسته

أفكاره في عدة مؤلفات، أشهـرها كتاب " **الأميـــر** " سنة 1513، وكتـــاب
ويلاحظ أن أفكار مكيافيل ليست واحدة في الكتابين ، ويظهر التناقض واضحا بين الآراء المعروضة فيها ،
يما يتعلق بموقفه من نظام الحكم ، إذ أنه يقسم الحكومات إلى نوعين : ـ ملكيات و ـ جمهوريات.

ب الأمير يحبّـذ النظام الملكي المطلق، الذي لا يتقيد فيه سلطان الحاكم الفرد بأي قيود، ويبيح للحـاكم
حتى غير المشروع منها، لكي يحتفظ بالحكم والسلطان.
لرأي في كتاب المقالات ، وإنما عرض للنظام الجمهوري ، وقارن بينه وبين النظام الملكي . وخلـص مـن
ظام الجمهوري لمزاياه المعروفة [29].

ل إلى جانب السلطة الزمنية ، وطالب بإخضاع السلطة الدينية لها ، ومن أجل ذلك الإتجاه اعتبرته الكنيسة

مل ليلة ، (مرجع سابق) ، ص 461 . وما بعدها . ويرجع كذلك إلى جملة المصادر التالية :
1-125 .
الأعمال السياسية الكبرى . ص7-37 .
لنظم السياسية ، دار النهضة العربية ، القاهرة ،(ط 1975) . ص109.
سياسة لأرسطو ، ص66 وما بعدها .
جع سابق) 65-71
ؤاد الفكر السياسي الحديث ، ص39-40 .

صاحب مدرسة جديدة في تاريخ علم السياسة ، تتميز بالعمق في البحث ودقة التحليل وقوة الرأي. لذلك
طلاق الفكر السياسي، وخروجه من جمود القرون الوسطى ، نحو التحرر والتقدم في العصور الحديثة .

إيا التي تشع من عبقرية مكيافيل في بعض الحالات، لا تدفع عنه الخطأ البين الذي وقع فيه وأصر عليـه ،
حبيا الرذيلة ، وحاظا على ارتكابا إذا كانت سبيل النجاح ، وتوينه من شأن الفضيلة إذا كانت لا تؤدي

ف مكيافيل بأنه عبقرية و(لكنها عبقرية هدامة.)[31].

دان 1530 - 1596:

ن السادس عشر في أوربا " فرنسا "، ومن أنصار السلطان المطلق للحاكم، إنتهج بودان سياسة مضـمونا
، " فوق الأحزاب، وضرورة تركيز السلطة في يده ليحفظ الوحدة القومية للدولة، ويكون حكما عـدلا ،
الأحزاب المتصارعة .

عالج بودان كبريات المسائل السياسية التي أثيرت من قبل في الفلسفة اليونانية وغيرها مـن الفلسـفات ،
به المشهور في علم السياسة " **الجمهورية** " واصطلاح الجمهورية بالمعنى اللاتيني القديم يراد به ـ في الواقع

ى على ظهور مذهب مكيافيل أكثر من أربعة قرون ، فإن ذلك المذهب لا يزال الآن يتبع على نطاق واسع في السياسة الدوليـة ، ويحظـى
اضح ، وقد أشار إلى ذلك موسوليني إذ ربط بين الفاشية والمكيافيلية .
يوية الآن منها في وقت ظهورها .

- أنظر شوفالييه (مرجع سابق) .

لة ، (مرجع سابق) ، 471-476 . بالخصوص ويرجع إلى :
، رواد الفكر السياسي الحديث ، ص 45 –64 .
مرجع سابق) ، ج1 - ص286 وما بعدها .

لسياسي في مطلع العـ ـصور الـحديثة (ق 17 و 18) :

لسياسي في هذه الفترة التاريخية تطوّرا ملحوظا ، وظهر كثير من الفلاسفة وشادوا نظريات سياسية ، كان النظم السياسية ، التي ساد تطبيقها في أوربا في ذلك الحين ، ولا زالت آثارها باقية حـتى الآن . وكـان ن ظهروا في هذه الفترة من الداعين للحكم المطلق ، المؤّيدين له في فلسفتهم . وفريق آخر يناصر الحريـة ، راطية .

بإيجاز لأفكار ونظريات أئمة الفلاسفة في هذين القرنين المشار إليهما ، ولأنم كثر فسنقتصر على إيضـاح هؤلاء : هوبـز، لـوك، منتيسكيـه، وروسـو. تاركين عرض آراء غيرهم لضيق المقام عـن الإطالـة . ولأن مالا نعرضه من هذه الأفكار يدخل – ضمنا – في نطاق النظريات والأفكار الفلسفية ، التي نادى ون .

س هوبـز: (1679-1588):

سوف الإنجليزي في القرن السابع عشر ، الذي يوصف بأنه عصر السلطان المطلق.
افة ، وأحد مشاهير المفكرين في عصره ، وهو صاحب نظرية في الدولة ، والسلطة ، والقانون .
فكاره في كتابه المشهور المسمى " LEVIATHAN "[33].
د الاجتماعي وأنه واحد (وليس عقدين كما يقول رجال الدين) نشأت بمقتضاه الجماعـة السياسـية ، وقد تم التعاقد بين أفراد الجماعة، دون أن يكون الحاكم طرفا في هذا العقد ، وقد تنازل الأفراد للحـاكم اتم التي تؤدي في استخدامها إلى الإضرار بالأمن والسـلام ، وإذا التزموا بذا التنازل فـإن الحـاكم لم جهتهم ، وإن كان المفروض أنه يعمل لحفظ الأمن وكفالة الإستقرار في داخل الجماعة ، الأمر الذي يفيـد خيره ، ولئن كان الهدف من فكرة العقد هو تحديد سلطان الحاكم ، فإن هوبز التقط الفكرة وسخّـ ـرها ق للحاكم .
اكم فردا أو جماعة ، فذلك لا يهم ، إنما المهم أن تكون السيادة للحاكم وحده ، وأن تكون هذه السيادة قيود .
بز لا تقبل التجزئة ، لأن تجزئة السيادة يؤدي إلى هدمها والقضاء عليها .

عن وحش خيالي " كائن خيالي هائل " ورد في الكتب الدينية على أساس أنه من القوة بحيث لا تدانيه قوة ما على الأرض .
- أنظر : طه بدوي، رواد الفكر السياسي الحديث، ص478 .

الحاكم هو السلطة المطلقة التشريعية الوحيدة في الدولة ، فهو وحده صاحب الحق في وضـع القـوانين ،
ون يعتبر نتيجة لإرادة الحاكم ومشيئته .
، القول بأن القانون لا يلزم الحاكم ، لأن الحاكم لا يلزم نفسه بإرادته .
ه في تحليل نظرية العقد الاجتماعي، بحيث توصل إلى السلطان المطلق للحاكم أو الملك وغيرها من أفكاره

ذه التي كانت تؤيد الملكية المطلقة ، إن سلمت في بعض أجزائها فإنا منتقدة في مجموعها، ولم تكن موضع
أحرار ، ولم تصادف هوى لدى الشعوب لأنا لا تؤدي ـ بطبيعة الحال ـ إلى ما تصبو إليه من حريـة

ون أن هوبز أصيب في صغره بعقدة الخوف، ويذكرون أن السبب الدافع له نحو التشبث بالسلطة وتمجيده
ومن أجل هذا انصرف إلى البحث عن القوة التي تحميه من الخوف ، وهداه تفكيره إلى أن السلطة المطلقة
ان وترد عنه الإعتداء . لذلك كان لنشأة هوبز أثر ضخم في آرائه المتطرفة بل إننا نكاد نجزم أن هذه النشأة
كيره، وسيطرت عليه على نحو ما رأيناه [35].

ك .(1632 - 1704**)**[36]:

لوك ثورة فكرية ضد السلطان المطلق ، ووجّه له أولى الضربات القوية العنيفة، التي استطاعت أن تز كيانه
ح الـال لعصر جديد تسود فيه أفكار فلسفية تحررية تنادي بضرورة احترام الحرية الفردية ، والعمل علـى

دخل حاسم لـ " **لوك** " في ميدان الفكر السياسي أنه جعل احترام الحرية هدفا له ، وربـط بينـه وبـين

أفكاره في كتاب له شهير في عالم السياسة يسمى " **الحكومـة المدنيـة** " دحض في جزء منـه حجـج
طان المطلق ، وفي الجزء الثاني عرض لنظريته الخاصة بشأن الدولة والحكومة ، وتناول فكرة العقد الاجتماعي
ة عن مذهب هوبز ، وكان يهدف في تحليله إلى خدمة الحرية، بمنع الدولة من المساس بها أو محاولة الإعتداء

، (مرجع سابق)، ص477 - 485 . وانظر :
. الفكر السياسي الحديث ، ص 56 - 88 .
ع سابق)، ص 328 – 332 .
تاريخ الأفكار السياسية .. ص 334 ، ط 1961 .
، (مرجع سابق) ، ص491 وما بعدها .
رجع سابق) ، ص99 وما بعدها .
ع سابق) ، ج1 ، ص345 .

نه خطة بدأ فيها ببيان وضع الإنسان في حالة الفطرة ، ثم كيفية انتقال الجماعة البدائية إلى طـور التمـع جد الحكومة المدنية .
بسبب مذهبه في تقييد سيادة الدولة ، ونقده لمذهب السلطان المطلق الذي كان سائدا في عصره. ـ بـأبي
لأنه اهتم بالحرية الفردية ، ودافع بشدة عن ضرورة احترامها ، وحمايتها من محاولة الإعتداء عليها، وحرص
لتي تحقق هذا الغرض . وخلاصة مذهب لـ ـ ـوك :
فته على نظرية العقد الاجتماعي مثل " **هوبـز** " ولكنه يخالفه في تصويره لحالة الأفراد قبل التعاقـد ، وفي
قد.
إلى معارضة ومعاداة الملكية المطلقة ، وتأييد الملكية المقيدة ، حيث تحترم فيها حقوق الأفراد وحرياتم .
لإحترام نادى لوك بمبدأ فصل السلطات ، وبيّـن ـ بإفاضة ـ كيفية تطبيقه ومبرراته ، على نحو يؤدي إلى
ي حماية الحريات الفردية، ومعاداة السلطة المطلقة .

4 (montesquieu) 1689-1755:

ذ " **لـوك** " تأثر بالنظام الدستوري البريطاني، ولم يفقد مع ذلك صلته بالأرستقراطية السائدة في عهده ،
في بعض آرائه . وقد برزت كل هذه الاتجاهات في كتابه الشهير " **روح القوانيـ ـن** " الذي أصـدره في

واقعيا في تفكيره ، ومن أجل هذا عارض النظريات الخيالية والمذاهب الثيوقراطية. وكان ألد أعداء السلطة
هدا في سبيل تقييد السلطة عن طريق القوانين الأساسية المتعلقة بتحقيق الصالح العام والحرية الفردية ، وعن
ت والوظائف الأساسية في الدولة عن بعضها ، وذكر بأن ذاك هو الضمان لحماية الحرية الفردية .

سكييه قد اتفق مع روسو في الإتجاه إلى حماية الحرية الفردية ، إلا أنما اختلفا فيما يتعلق بالسبيل الموصل إلى
فروسو يرى أن في نـقل السلطة من الحكام إلى الشعوب تحقيقا للهدف الذي يرمي إليه، وهو حماية الحرية
لا يرى في نقل السلطة ضمانا أكيدا لتحقيق الهدف المنشود ، وإنما يرى الضمان في توزيع السلطة على عدة
ا بعضا ، وهذا التوزيع أو الفصل بين الهيئات يمنع تركيز السلطة في يد واحدة ، وبذلك لا تتاح لها فرصـة
. .

ة على عدة هيئات قد يتم بطريقة رأسية، ومعنى ذلك وجود عدة هيئات تتمتع كل منها بنصيب من السلطة
قب وتتدرج من القمة إلى القاعدة ، وتربط بين السلطة والأفراد . وقد يتم التوزيع بطريقة أفقية ، ومعـنى
متعددة لكل منها اختصاص محدد ، وتعمل بجوار بعضها . وهي إذ تمارس اختصاصاتا المقررة لها تراقـب
ت ، حتى لا تخرج عن نطاق الدائرة المرسومة لها. وقد حبّـذ منتسكييه الطريق الثاني.

ت في الدولة إلى ثلاث سلطات : ـ تشريعية ـ وقضائية ـ وتنفيذية [37].
يه ـ بفضل أفكاره التي صادفت نجاحا ورواجا كبيرا ـ الكاتب السياسي الذائع الصيت خـلال القـرن
ع القرن العشرين.

سكييه بدأت ملامح عصر جديد يطلق عليه العصر الدستوري ، حيث سيطرت على النفوس فكرة تقييـد
ح الـال للحقوق الفردية والحريات العامة، وذلك حتى يتسنى للأفراد ممارسة حقوقهم وحرياتم في جو من
قد نشأ على أساس أفكار منتسكييه نظامان للحكم هما أكثر النظم انتشارا في وقتنا الحاضر :

ـام البـ ـرلمانـ ـ ـ ـي:
بدإ الفصل المعتدل بين السلطات ، مع وجود تعاون ورقابة متبادلة فيما بينها ، ويسـود هـذا النظـام في
تورية ، وكذا في الجمهوريات .
ـام الـرئاسـ ـ ـ ـي :
مبدإ الفصل التام بين السلطات ، وبه تأخذ الولايات المتحدة الأمريكية متأثرة بأفكار منتسكييه.
بي منتسكييه، زعيم الكتاب السياسيين في القرن الثامن عشر .

إمتدادا لأرسطو وأفلاطون ، حيث كوّن هؤلاء الفلاسفة الكبار ثالوثا يشرف به الفكر السياسي في تطوره
والأجيال [38] .

منتسكييه لنظم الحكم ، فتكلم عن النظام الجمهوري والنظام الملكي، وأوضح أن كل نظام من هذين النظامين يتخذ صورتين ، فالبنسبة للنظام

:

ن السيادة بيد الشعب في مجموعة، وفي هذه الصورة يتقيد الحاكم بإرادة هيئة الناخبين ، وهذه الهيئة تطيع تصرفات ممثليها في البرلمان ، الـذين
الانتخاب ، وقد حبّـذ منتسكييه نظام الديمقراطية النيابية وفضلها عن الديمقراطية المباشرة ، ذلك أن الشعب لا يستطيع أن يفعل كل شـيء

ن هذه الصورة للنظام الجمهوري ترتكز على مبدإ الفضيلة، ولا يراد بالفضيلة هنا معناها الأخلاقي أو الديني، وإنما يقصد بها معـنى سياسـيا،
الح العام على الصالح الخاص، واحترام القوانين، وحب الوطن وإنكار الذات ، والعمل على تحقيق المساواة بين الناس .
ية :
السيادة بيد طائفة معينة من أبناء الشعب ، وعلى ذلك فإن جزءا من الشعب هو الذي تكون بيده مقاليد الأمور في الدولة والأجزاء الأخرى
ومين.
ـ ـي: ويتضمن بدوره صورتين :
دة: وفيها تكون السيادة بيد الحاكم الذي يسير بمضمون القوانين حتى لا تخرج على حدودها .
النظام يفتح الـال لنشوء امتيازات لبعض الطوائف ، وهذه الامتيازات تؤدي بدورها إلى انعدام فكرة المساواة بين الأفراد والطوائف.
ـدّة : تكون السلطة فيها بيد الحاكم الذي لا يخضع للقانون ، وإنما يتصرف وفق هواه ونزعاته، ولا يكترث بمصالح الشعب، وقـد انتقـد
م بعنف ، وأوضح ما ينجم من خطر جراء الأخذ به .
أنظر : محمد كامل ليلة ، (مرجع سابق) ، ص 498 – 506 .

جـاك روسـو :

سي من مشاهير فلاسفة القرن الثامن عشر ، وصاحب نظرات ثاقبة في الفكر السياسي وأحد الذين تعرضوا اعي ، وقد برزت على يديه في ثوب جديد ووصل بها إلى نتائج مغايرة لم يصل إليها أسلافه ، وقد كانت رض والتحليل ، وأسلوبه الثوري البليغ في الكتابة ، وتأثيره الواضح في عقليات الخاصة والعامة ، سـببا في ، ونسبتها إليه دون غيره ، إضافة إلى ما تيسر للنظرية من قدرة على تغيير الأوضاع السياسية فترة ظهورها مليا تطبيقيا بعد أن كانت مجرد أفكار فلسفية لا تمت إلى الواقع السياسي بصلة ظاهرة أو خفية .

مؤلفات : **" الإعترافـات " " وإميـل " و " العقـد الاجتماعي ."**

ى أن روسو لم يأت بجديد ـ بصدد نظرية العقد الاجتماعي – بعدما أفاض هوبز ولوك في بحثها، وكل ما دم في دراسته للنظرية أسلوبا يلتهب بالحماس، ويسهل التأثير بواسطته في القراء.

م ، ذلك أن روسو إن يكن قد تأثر بأسلافه من مكيافيل إلى منتسكييه وهوبز ولوك وغيرهم . فإنه لم يكن حدود الاجترار لآرائهم بل نراه قد صاغ آراءه السياسية بطريقة جديدة ، لا شك أنها مغايرة في مواضـع ومعاصريه، بحيث أنه احتل في ميدان الفكر السياسي مكانا خاصا به ، متميزا عن أقرانه من الفلاسفة .

ا ذكر فإن الجديد الذي أتى به روسو في كتابه العقد الاجتماعي أمر واضح إذ قد ركز على فكرتي الحرية بوضوح على أنهما كانتا موجودتين للفرد في حياته الفطرية الطبيعية السابقة على التعاقد. وأنهما اسـتمرتا عقد ، غاية الأمر أنهما خضعتا للتحول والتطور بسبب ظهور الجماعة السياسية المنظمة إذ نشأت للأفـراد قابل الحقوق الطبيعية التي تنازلوا عنها عند إبرام العقد.

في كتابات روسو نظرية جديدة فيما يتعلق بوضع الحاكم والسيادة في الدولة والقانون وأساسه كما تظهر صوص العلاقة بين الحاكم والمحكوم، وأشكال الحكومات والديانة المدنية.

وسو في أجزائها المتعددة بتقدير كبير، وحظيت بالتطبيق في معظم أجزائها، وتحولت من أفكار فلسفية إلى ن ثم فإن روسو يعد زعيما لفلاسفة القرن الثامن عشر الداعين إلى الديمقراطية .

ن نادى بمبدإ سيادة الدولة ، وفصّـل هذا المبدأ ووضع خصائصه. ومحور أفكاره يدور حول نظرية العقـد و فيها منحى يختلف عن هوبز ولوك، والثورة الفرنسية قد تأثرت بأفكاره وترجمتها إلى نصوص وقواعـد لهرت في إعلانات الحقوق والدساتير، التي صدرت في أعقاب الثورة ، واستمرت تتردد في الدساتير المختلفة الأخرى التي نقلت عنها إلى وقتنا الحاضر.

لثورة بكثير من آراء روسو، فقد تأثرت بأفكار فلاسفة آخرين أمثال لوك ومنتسـكييه، وكذلـك بفكـرة مزجت هذه الأفكار ببعضها، وكلها تؤيد الحرية وتحمل على الاستبداد، وخرجت منها بنظـام سياسـي

لآن بالنظام الديمقراطي السياسي ، وتعرف أحيانا بالديمقراطية الكلاسيكية أو الفردية [39].

، (مرجع سابق) ، ص 498 – 506 .

اسية ، ص 172 – 173 .

: مصدر سابق ، 506 – 528 .

. ـ ر السيـ اسي الإسـ ـلامي وخصائصه :

سـ ـلام في القرن السابع الميـ ـلادي في الجزيرة العربية، وحمـ ـل رسالته إلى الناس كافة النبي ρ .
، إيذانا بمشرق فجر جديد بزغ نوره في الجزيرة ، إذ وحّـ ـد أهلها وأخرجهم من الظلمـ ـات إلى النـ ـور ،
، الجاهلية وأدران الوثنية،وصقلهم وهذّب نفوسهم بما تضمنه من مبادئ أخلاقية سامية ، تعدّ أرقـ ـى مـ ـا
ادئ الأخلاق في قديمها وحديثها ...
سلام دولة مترامية الأطراف ، طبّـ ـقت فيها مبادئه وسادت أحكامه ، وتحقق في ربوعها العدل السياسـ ـي
ليس لها نظير في الدول الأخرى[40].

لام السياسيـ ـة ونظـ ـام الحكـ ـم فيه :

لا م في أحكامه على شؤون الدين ، وإنما وضع تنظيما شاملا لشؤون الدنيا بالإضافة لشؤون الدين فالإسلام
شريعة ، والعقيدة هي الجانب النظري ـ في الإسلام ـ الذي يطلب الإيمان به أولا وقبل كل شيء إيمانا لا
ؤثر فيه شبهة.
نصوص القرآنية الواضحة على تقريرها، وهي أول ما دعا إليه الرسول υ وقد أجمع المسلون عليهـ ـا وقـ ـد
الأحكام الأساسية لنظام الدولة في الإسلام ، فعرض لعلاقة الفرد بإخوانه في الإيمان والإنسانية ، ولعلاقـ ـة
ـ ـن حقوق كل فرد منها نحو الآخرين ، وأقام نظام الأسرة على قواعد واضحة ، وبيّـ ـن علاقـ ـة الأسـ ـرة
كم بالأمة عامة وبالأفراد خاصة ، ثم عرض لعلاقة الأمة بغيرها من الأمم في حالتي الحرب والسلم، وعرض
وضع له أصولا سليمة حكيمة ، وتناول كذلك النظام الاجتماعي ، فأقامه على أساس الاعتـ ـراف بـ ـالقيم
ير أولا، ثم تحكيم القانون ثانيا **[41]** .

ام السياسي نجد أن القرآن والسنة قد وضعا أصوله وأسسه العامة ومبادئه الكلية. ولم يتعرض الإسـ ـلام في
ت والجزئيات والفروع ـ مثلما فعل بالنسبة للعبادات ـ وإنما ترك هذا الأمر لعقول البشر تفكر فيه وتبدع
اة على ضوء المصالح العامة ، ومقتضيات تطور الزمن وتقدم الحضارة ، حتى يكون النظام متلائمـ ـا مـ ـع
اعها ، ويعبر عن هذا المعنى عبد الوهاب خلاف بقوله :
لأحكام في القرآن ، يتبين أن أحكامه تفصيلية في العبادات وما يلحق بها من الأحوال الشخصية والمواريث ،
ا النوع تعبدي ولا مجال للعقل فيه ، ولا يتطور بتطور البيئات وأما فيما عدا العبادات والأحوال الشخصية

---

1 وما بعدها .
، (مرجع سابق) ، ص424 – 425 .
، (مرجع سابق) ، ص424 وما بعدها .. وانظر :
دمة إبن خلدون ، مكتبة المثنى ، بغداد ، ص 33 – 34 .
الإسلام عقيدة وشريعة. ط5 ، القاهرة ، بيروت ، دار الشروق . ص445 وما بعدها
، مبادئ نظام الحكم في الإسلام ، ص443 وما بعدها .

، والجنائية، والدستورية، والدولية، والاقتصادية، فأحكامه فيها قواعد عامة ومبادئ أساسية ، ولم يتعـرض
ية إلا في النادر، لأن هذه الأحكام تتطور بتطور البيئات والمصالح ، فاقتصر القرآن فيها على القواعد العامة،
ليكون ولاة الأمر في كل عصر في سعة من أن يفصلوا قوانينهم فيها حسب مصالحهم، في حدود أسـس
دام حكم جزئي فيه .
هذه الخطة العامة حتى لا يقيد الناس بتفصيلات وأحكام جزئية ، قد لا تتفق مع ظروفهم .
رونة الإسلام في هذا الصدد ، فاقتصر على الأسس الكلية لتكون حالة صالحة لكل زمان ومكان ، وتـرك
، البشر ، وهم يخضعون فيها لظروف الزمان والمكان ، وما تقتضيه مصالحهم ، وما يتطلبه رقيهم وتقدمهم

النظرية السياسية في الإسلام :

، في الإسلام ترتكز على دعائم ثلاث هي :
الرسالة – والخلافة .]
، : هو اعتقاد أن الله خالق الكون ، ومن ومافيه ، وله وحده الحكم والسلطان والأمر والنهي...
ة حاكمية البشر ، الذي يختص بها الله وحده ، ويستأثر بها دون العباد فلا حاكم إلا هـو ولا حكـم إلا
إلا قانونه ، يقول تعالى :
أمر ألا تعبدوا إلا إياه، ذلك الدين القيم..] (يوسف : 40)
: فهي الوسيلة التي يصل بها إلينا القانون الإلهي ، وقد جاءنا عن طريقها كتاب الله **(القرآن)** وفيه تبيـان
ح لهذا الكتاب ، قدمه الرسول ε بقوله وفعله ، على أساس أنه نائب عن الله وخليفته في هذه الدنيا . ففي
، الدستور الأساسي ، الذي نص عليه صرح النظام الإسلامي.
ـة[43]**:** هي صورة الحكم في الإسلام – والحاكم يسمّى الخليفة يحكم نيابته عن الرسول ε – بما أنزل الله
على مصالح الرعية ، ويعمل على تحقيق نفع الناس ومافيه خيرهم في دنياهم وأخراهم، ولا ينوط الإسـلام
ـن أو طبقة محدودة ، وإنما يفوض أمرها إلى جميع أفراد المجتمع ، فهم الذين يختارون الخليفة من بينـهم ،
: في المجتمع الإسلامي له نصيب من الخلافة ، وحق في التمتع بها ، إذا ما توافرت فيه شـروطها وارتضـاه

ائم نظام الحكم الإسلامي. وللنظام الإسلام أصوله التي تستلزم وجود دولة على رأسها حـاكم ، يتمتـع
مصلحة الأمة ، في مختلف نواحي الحياة.

لاف : السياسة الشرعية أو نظام الدولة الإسلامية في الشئون الدستورية والخارجية والمالية ، القاهرة ، المطبعة السلفية ، 1350هـ ، ص 33 .
خلافة من حيث أنها صورة ونظام من أنظمة الحكم خاص بالإسلام . خلقته الضرورة وأوجده منطق الحوادث ، وتطـور بتأثير البيئة والظروف
د نظام سياسي سابق عند العرب ، بل كان الأول من نوعـه عندهم كما تناولناها من حيث أن الرئيس في الإسـلام يسمـى خليفـة
صـل : الخلافـة " الرئاسة "، ومبحث : "شكل الدولة " .

لامية وإن كانت تختلف في دوافع نشأتها عن أية دولة أخرى ، لكنها لا تخرج عن مفهوم الفقه الدسـتوري
ولة المتمثلة في :[الشعب ، والإقليم ، والسلطة أو السيادة.] [44].
ظرة الإسلامية للدولة وآدابها ، على أساس أن تكون نموذجا ظاهرا للدولة الفاضلة التي تتفق مبادئها مـع
أرقى طموحاته ، بحيث يكون للفرد الحق في أن يساس بالعدل ، وتعالج شؤونه العامة بطريق الشـورى ،
ن في الحقوق والواجبات ، ويقوم مجتمعه على الأخلاق والفضيلة.

ظام الإسلامي بمبدإ خضوع الحكام لسيادة القانون ، ووضع الضمانات الكفيلة لتحقيق هذا الغرض علـى
تكون سلطات الحاكم مقيدة بأحكام الشريعة، ويراعى مبدأ الفصل بين السلطات التشـريعية والتنفيذيـة
سؤولية الحاكم ، ويعترف للأفراد بالحقوق والحريات الإنسانية ، باعتبارها سدا منيعا أمام سلطان الحاكم ،
على تصرفات الحكّـام والمحكومين على حد سواء ، فدولة الإسلام بذلك أول دولة قانونية تسلك هـذا

ي الإسلامي للدولة لم يكتف باحترام الحقوق الإنسانية للجميع ، بل أفرد معاملة راقية لغير المسلمين مـن
لديانات السماوية ، وهذه المعاملة لا يمكن إدراك مستواها الحضاري إلا بالإطلاع على أوضاع هؤلاء ، في
ديمة والحديثة .

لهذا النظام كذلك فضل المبادرة في العناية بأمر معالجة العلاقات الدولية في حالتي السلم والحرب. (وقـد
م في عقلية العرب على مظهرين :
تعاليم الإسلامية جاءت مخالفة لعقائد العرب .
الثاني : فهو أن الإسلام قد مكّـن العرب من فتح بلاد فارس وبلاد الروم، ومن الثابـت أنهـا أمتـان
نية راقية في هذه الفترة. وقد قضت تعاليم الإسلام بأنه إذا أراد المسلمون غزو بلد وجـب علـيهم أولا :
في الإسلام ، فإن أسلموا كانوا وسائر المسلمين سواء ، وإن لم يسلموا فإن عليهم أن يسـلموا بلادهـم
، ويبقوا على دينهـم إن شاءوا ويدفعوا الجزية ، ضريبة على الرأس يدفعها الرجال غير العرب - ولـيس
ا ذلك كان لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم ، وكانوا في ذمة المسلمين يدافعون عنهم ويتعهدون بالحماية

الفكـر السياسـي الإسلامـي :

نلحظ جملة المميزات التالية في تاريخ الحضارة الإسلامية وخاصة فيما له علاقة بالنظام والفكر السياسي :

لدولة في فكر الغزالي ، وما أثبتناه هناك من الخطورة المترتبة عن محاولة حصر تعريف الدولة في الفكر السياسي الإسلامي من خلال هذه
لتي ينادي بها الفكر السياسي الغربي .
نصـر مهنـا ، الفتـوحات الإسلاميـة والعلاقات السياسية في آسيا ، الإسكنـدرية ، منشأة المعارف . 1990 ، ص7 – 12 .

نتشار الإسلام في العصور الوسطى يرجع إلى اتفاق الحركة الإسلامية سلوكيا مع مبادئ ومعتقدات الإسلام الإسلامية في ذلك الوقت حركة فعّـالة ذات أهداف تحررية متسامحة ، رحيمة ويقظة وخاشعة لله سبحانه

نسان على ظهر الأرض ملايين السنين ، غير أن أحداث التاريخ المسجلة لا تتعدى ثلاثة آلاف عام ، وحتى د غامضة من وجهة نظر المؤرخين ، وإيحاء القرآن الكريم وإتمام رسالة الإسلام من خلال النبي ε قد مضى عشر قرنا، وقد تغلب المسلمون من صحراء شبه الجزيرة العربية في الطور الأول من تاريخهم على المدنيات س وروما ، ثم انتشروا بعد ذلك وأقاموا حضارة مزدهرة بسماتها الإسلامية المتميزة شملت الجزء الأعظم من ك الوقت ، وسادت حضارة الإسلامي أكثر من ألف عام [46].

ندت دولة الإسلام مرهوبة الجانب حتى نهاية حكم الأمويين وبداية حكم العباسيين - لتشمل مسـاحات عدادا ضخمة من البشر - ربما لم تتوافر لدولة قبلها أو حتى بعدها - وقامت الدولة الإسلامية بفتوحـات لام والهداية والتعمير.

تك العرب عند امتداد دولتهم الكبرى بثقافات متنوعة ونجحوا في التعامل معها، ومن الثابت أن الغالبيـة عوب التي اعتنقت الإسلام بعد الفتح الإسلامي لبلادها قد شكلت جزءا من التيار الإسـلامي ، وامتـزج الأخرى ، كما امتزجت العادات الفارسية والرومانية بالعادات العربية ، وتأثرت الحياة والنظم السياسـية متزاج، وكان العرب هم العنصر القوي الفاتح فقاموا بتعديل هذه النظم بما يتواءم وعقليتـهم ، ولكنـهم لاجتماعية والحضارات الأقدم ، والواقع أن الامتزاج كان قويا ، فالموالى كان لهم أثر في المرافـق الحيـاة ، سلامية بعد فتوحات أبي بكر وعمر وعثمان- رضي الله عنهم – مجالا فسيحا لأنواع أخرى من الحـروب بية واللغات الأخرى ، والإسلام والديانات الأخرى ، والنظم الاجتماعية العربية البسيطة والنظم الفارسية العقلية هي الأخرى كان شأنها شأن هذه النظم ، وامتزج العقل العربي بالعقل الأجنبي ، وكما تضـاربت سية والرومية مع النظم الإسلامية ، إختفت أيضا القوانين الفارسية والرومية كلها إذ كانـت في حـروب دولة الإسلامية هي مسرح العمليات وموطن القتال [47].
ن الثابت أن العرب انتصروا في نشر الدين الإسلامي لهذه الأقطار ، وظل الانتصار حليفهم باعتناق الأقاليم لامي ، كما انتصرت لغة العرب ، وسادت الممالك المفتوحة ، وانزمت أمامها اللغات الأصـلية للأقـاليم اللغة العربية هي لغة السياسة والعلم معا ، حيث عني المسلمون بالتفكير المنظم من تشريع وتفسير وحديث تح المسلمون هذه الأقاليم كان العنصر العربي هو العنصر الحاكم فتعلم وقرأ وكتب، واضطر الـداخلون في

ليم العوا، في النظام السياسي للدولة الإسلامية ، القاهرة، مكتبة مدبولي، 1988. ص 72-73. وانظر: محمد ضياء الين الريس، النظريات بة ، ص 212 .

هر ، حضارة الإسلام وأثرها في الترقي العالمي ، القاهرة ، مكتبة الخانجي، 1974، ص 73-74 .

ب إلى تعلم العربية ، ورفع الإسلام المستوى العقلي للعرب ، من خلال نشر تاريخ وأحوال الأمم الأخرى

انتشرت الحركة التاريخية ـ وليس المقصود بها تأليف كتب التاريخ ـ وإنما انتشر في الدولة الإسلامية من والأحداث في فترة النبوة والخلافة الراشدة، وكانت حركة نشيطة ، فالرسول ع قد كتب إلى أمرائه وقادة وبلغ عدد كُتّـابه ما يزيد على الثلاثين ـ حسب ـ تقدير المصادر العربية ـ ومن أبـرزهم الصـديق كما كتب له علي ابن أبي طالب ، وخالد بن سعيد ، وشرحبيل بن حسنة ومعاويـة بـن أبي سـفيان

ع إلى جيرانه ، وتحفظ المصادر مراسلاته مع أهل نجران ، وكان معظمها بخط علي بن أبي طالب كـرّم الله ب الرسول صلوات الله وسلامه عليه إلى الملوك والحكام والأمراء يدعوهم إلى الإسلام ...وأرسـل إلـيهم سائل مكتوبة .

رسول الله ع العهود ، ومنها عهده إلى أهل اليمن الذي وجّهه مع عمرو بن حزم ، وصلح الحديبية الـذي بي طالب ، كما كتب لتميم الداري وإخوته بالشام ، وتذكر المصادر أن الزبير بن العـوام وجهـيم بـن لرسول الله ع أموال الصدقات، وأن حذيفة بن اليمان كان يكتب له خرص النخيل ، وأن المغيرة بن شعبة ا يكتبان له المداينات والمعاملات[49].

بالرغم من عوامل ازدهار فلسفة السياسة لدى المسلمين ، فإن هذه الفلسفة لم تكن موضع عناية علمـاء إنما لم تأخذ عندهم مكانا يذكر في حركتهم العلمية الكبيرة باستثناء مؤلفات تعد على أصابع اليد الواحدة الروح المنهجية .

ن العرب مولعين بفلسفة الإغريق ومعارفهم السياسية، ويرتبط بحركة معارضة الحكام التي لازمـت نشـأة ها، حتى لا يكاد يمضي جيل إسلامي لا يحدث من خلاله ثورة على دولة أو مصرع لخليفة ، وقـد عـني تباره أهم مصدر للدستور الإسلامي – بشئون السياسة قدر عنايته بالشؤون المدنيـة ، وذلـك بعكـس بين الدين والدولة فدعت منذ البداية إلى ترك ما لقيصر لقيصر وما لله لله[50].

معالم الخلافة في الفكر السياسي الإسلامي ، بيروت ، دار الجيل ، عمان – دار المحتسب ، 1984 .

رجع سابق ، ص 34-36 .

ص 35-36 .

: يرى البعض أن كتابات علماء المسلمين جاءت هزيلة في هذا المجال [51]، وأن معظم هذه الكتابات جاءت
سلاطين ، وبالتالي جاءت مخالفة للإسلام نصا وروحا، ويعني ذلك أنه طبقا لجوهر النظرية الإسلامية يمكن
ح السلطة السياسية في الدولة الإسلامية من أحكام الشريعة وقواعدها العامة ، ففي هذه الحالة تكون واجبة
يترتب على التزام السلطة العامة بقواعد المشروعية الإسلامية أن تكون واجبة الطاعة فيما تأمر به إلى
سلطة بمقتضى البيعة والأمانة ، وإنما يتعدى إلى الأقلية التي لم توافق على ذلك . ويرجع ذلك إلى أن طاعته
طاعة الحكام " لله ورسوله " وهو ما يستفاد من تكرير الأمر في وجوب طاعة الله وطاعة الرسول ε ويعني
ت واجبة إلا في حالة التزام السلطة العامة بقواعد المشروعية في الفقه الإسلامي ، ولا تكون واجبة الطاعة
ما يكون الواجب على المسلمين في هذه الحالة الرد والإنكار .

لنظرية السياسية في الإسلام، قوامها تحقيقُ العدل في المجتمع الإسلامي، وهي مع ذلك مصطبغة بالصبغة
المرونة وبالتفتّح، وبالقدرة الذاتية على التجدّد ومسايرة تطوّر الحياة على هذه الأرض.

جد التأصيلَ الإسلامي للنظرية السياسية في مؤلفات كثيرة سَبَقَ بها مصنّفوها العرب والمسلمون، نهضةَ
، من العلوم الإنسانية التي عرفتها أوروبا. ونذكر من هذه المؤلفات " الإمامة والسياسة " لابن قتيبة، و"
للماوردي، و" الأحكام السلطانية " أيضاً لأبي يعلي الفراء ، و" السياسة الشرعية في إصلاح الراعي
و" الطرق الحكمية في السياسة الشرعية " لابن قيم الجوزية، و " سراج الملوك " للطرطوشي[52]، و" التبر
لملوك " للغزالي، و" الفخري في الآداب السلطانية " لابن الطقطقي [53]، و" بدائع السلك في طبائع الملك "

ي عناية المسلمين وضعفه بعلم السياسة ، بين مسيرة التاريخ الإسلامي الطويل ، وقد اهتم العلماء فيه بالسياسة اهتماما كبيرا ، وإغفال
ن هذا الاهتمام وانسياق كثير منهم إلى أحكام عامة لا تقوم على منهج علمي سليم ، حتى زعموا أنه لا توجد سياسة في الإسلام ! والعجيب
روّج لهذه المقولة وهو " الإسلام وأصول الحكم " للشيخ علي عبد الرازق لم يرجع إلا لمصدرين فقط من مصادر التراث السياسي الإسلامي هما
دون ، والعقد الفريد لابن عبد ربه " – على اعتبار هذا الأخير مصدرا سياسيا – بالمعنى العلمي الدقيق إذ أنه ألّف ابتداء لغرض أدبي ... هذا
شابا هو الدكتور : نصر عارف استطاع ـ بجهد فردي ـ أن يتوصل إلى ثلاثمائة وسبعة (307) مصدرا تراثيا مباشرا في علم
والي 67 % من مصادر التراث السياسي الإسلامي .
م التعرف عليه ودراسته من مصادر التراث الإسلامي عند جميع المؤلفين المعاصرين ، لم يتجاوز خمسة عشر بالمائة (15 %) من هذه المصادر
صر عارف : في مصادر التراث السياسي الإسلامي دراسة في إشكالية التعميم قبل الاستقراء والتأصيل ، ص 59-65 . فيرجينا، المعهد العالمي
، (1994) .

يد بن محمد الفهري المالكي المعروف بالطرطوشي ويعرف بابن أبي زندقة أبو بكر، فقيه أصولي محدث مفسر، نشأ بطرطوش بالأندلس، ورحل
، بغداد والبصرة، وسكن الشام، ونزل بيت المقدس وتوفي بالإسكندرية . من تصانيفه : سراج الملوك ،
، والبدع ، مختصر تفسير الثعالبي. ـ معجم المؤلفين : رضا كحالة ، ج12 ، ص 96 .

ي بن محمد بن طباطبا العلوي المعروف بابن الطقطقي، مؤرخ من أهل الموصل، خلف أباه في نقابة العلويين بالحلة والنجف وكربلاء ، وزار
الموصل، من آثاره : الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية ـ معجم المؤلفين : رضا كحالة ، ج11 ، ص 51 .

رق (... ـ 896هـ/ ... ـ 1491م . محمد بن علي بن الأزرق الأصبحي الغرناطي الأندلسي المالكي، شمس الدين أبو عبد الله، فقيه من
ي بعض العلوم، تولى القضاء بغرناطة إلى أن استولى عليها الفرنج فانتقل إلى تلمسان ثم إلى المشرق، وحج ورجع إلى مصر، وتوفي بالقدس، من
لعليل في شرح مختصر خليل، بدائع السلك في طبائع الملك، وروضة الإعلام بمنزلة العربية من علومخ الإسلام .
، رضا كحالة ، ج11 ، ص 43 . وابن الأزرق هذا هو غير أبو عبد الله بن الأزرق الأندلسي العالم الفقيه الذي انتقا إلى تلمسان

ن خلدون في " المقدمة "، عن السياسة، ففيه من الدقة العلمية والحكمة العقلية وعمق الرؤية، ما يرقى به كر السياسي والاجتماعي والعمراني في العالم كله.

ر السياسي الإسلامي قد عرف غزارة في التأليف، فإنه عرف أيضاً تعدّد المدارس وتنوّع الاتجاهات ة فيما يتصل بموضوع الخلافة واختيار رئيس الدولة، وما يتفرع عن هذا الموضوع من قضايا كثُر فيها ل. ولكننا ننظر إلى هذه الظاهرة التي طبعت التاريخ الإسلامي، من زاوية تختلف عن تلك التي ينظر منها ـ من الباحثين ، سواء من العرب أو من المستشرقين، فنرى أن الاختلاف في الرأي في مجال الفكر السياسي، المذاهب السياسية في إطار الفكر الإسلامي، هو مظهرُ صحةٍ وعافيةٍ في الكيان الإسلامي، لأنه مسلك يعبّر سلم، وعن حركية المجتمع الإسلامي ، بأوضح صورة ، وهو الأمر الذي ينفي عن المجتمع المسلم صفةَ الجمود العقلي[55] .

ي عشـر: نجد من أبرز العلماء المسلمين في الفكر السياسي الإسلامي الوسيط كل من أبي نصر الفارابي ي الربيع والماوردي وأبي حامد الغزالي وابن تيميه ، وابـن القيـم .

ي عشـر : وفي عصرنا الحديث جدت كتابات شتى، مثل كتابات الشيخ الإمام محمد عبـده في مجلـة " ردوده على الذي تطاولوا على الإسلام ورسالته وحضارته ، مثل هانوتو وفرح أنطـون ، ومثل ما ذكره مه صاحب " المنار " .

لامة محمد رشيد رضا في مجلته " المنار " وفي تفسيره ، وفي كتبه مثل " الخلافة أو الإمامة العظمى " ومـن ي الكبير الدكتور عبد الرزاق السنهوري عن الخلافة.
صر وفي سائر بلاد العروبة والإسلام عن هذا الجانب تحت عناوين شتى منها تحت عنـوان : " السياسـة تحت عنوان : " نظام الحكم في الإسلام " [57] ، وعناوين أخرى متعددة لمؤلفين كثر [58] .

ب في سياسة الدين والدنيا سماه : الرياسة   أنظر : ـ معجم المؤلفين ، رضا
ص33 .
لإسلامية للتربية والعلوم والثقافة – إيسيسكو – مقال منشور في الأنترنيت .
ب خلاف (1932 م)، والشيخ علي الخفيف (1935 م)، والشيخ محمد البنا (1938 م)، والشيخ عبد الرحمن تاج ـ شيخ الأزهر ـ (

مد يوسف موسى ، والشيخ محمد صادق عرجون، ود : محمد عبد الله العربي ، ومحاضرات للشيخ أحمد هريدي ، والشيخ تقي الدين النبهاني ود الخالدي (قواعد نظام الحكم في الإسلام) وكتاب محمد فاروق النبهان الذي نشرته جامعة الكويت .
ب :   محمد سليم
سعدي حبيب، ومحمد أسد، وضياء الدين الريس، وسليمان الطماوي، وحسن البنا، وعبد القادر عودة، وخالد محمد خالد، وسيد قطب، رة، وفهمي هويدي، ومصطفى السباعي، ومحمد المبارك، ومحمد البهي، ومصطفى كمال وصفي، ومحمد سلام مدكور، ومحمد فتحي عثمان، إسماعيل، وعبد الحميد متولي، وتوفيق الشاوي، وعبد الحميد الأنصاري، وهاني الدرديـري، ورأفت عثمان، وعبد الكريم زيدان، وأبو شـد الغنوشي، ومحمـد أبو زهـرة، ووهبة الزحيلي ... إلخ .

الفصـــــــــل الأول.

الغـــزالي ، بيئته ، خصائص خطابه ، وسمات فكره السياسي.

الأول : البيئة السياسية الاجتماعية الاقتصادية والفكرية.

الثاني : حياة الغــزالي ، مواقفه ، وجهوده .

الثالــث : خصائص خطاب الغزالي السياسي.

رابع : سمات الفكر السياسي للغزالي .

لثقافية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية :

منا ما للبيئة من أثر واضح في تكوين شخصية الفرد وانجذابه نحو الجوانب والصـفات الإيجابيـة أو نحـو
لا يمكن تجاهل العلاقات الوطيدة بين الإنسان والجماعة التي يحيا فيها، ولا إنكار التفاعل المتبادل بين الفرد
ة لبني قومه ـ أحب أم كره ـ لبنة في بناء متماسك ، أو غصن في شجرة باسقة ، ولو كان مألوفـا في
يعيش منطويا على نفسه ، مقطـوعا على غيره لا يتأثر بأحد ولا يؤثر فيه أحد ، لجاء الدين يوصي الإنسان
نفسه ، والاهتمام بما يعنيه من شؤون ، غير آبه بعدئذ لما كان أو يكون .
كما يقرر علماء الاجتماع ـ حيوان اجتماعي ، مدني بطبعه .
لأخلاق على ما للوراثة والبيئة من آثار ضخمة في أحوال المرء وأعماله ، وإن اختلفوا أي العنصرين أعمـق
ا ، ونحن نعرف أن تكوين الخلق تدخل فيه عوامل شتى ، من بينها الطباع التي تقذف بها الوراثة ، وتتميـز
كل إنسان . ومن بينها كذلك ظروف البيئة التي تجمع البيت والمدرسة والأصدقاء وشئون الصحة والمرض ،
الأمن والقلق ، والحر والبرد ، وما نقرأ من صحف ، وما نسمع من أنباء ومعارف...إلخ .
- قوام كل سلوك ، وروح كل عمل)[59].
أن نوضح شيئا هو من الأهمية بمكان . وهو أننا إذ نبّيـن أن للبيئـة دورها المذكور ، فليس يعني ذلك أن
ق قالبها ، وتدفع بإرادته وأعماله ومواقفه بعصا الجبر والقهر. ـ فما من ريب في خطإ هـذه الفكـرة ـ
تماع لما تناولوا موضوع البيئة ، ومدى تأثيرها في صناعة الشخصية الإنسانية ، إنما تناولوها مـن جانـب
يعيش فيه الفرد كما بيّـنا سابقا ، إيجابا أو سلبا وذلك في جوانبه الثقافية والسياسية والاجتماعية وغيرها،
أو مصادرة للحرية والاختيار. ودليل ذلك وجود الصنفين من الناس جميعا ، فإنك لترى مـن ينمـاع في
يه كانمياع قطعة السكر ألقيتها في الماء الحار ، وإلى هؤلاء الإشارة بقوله ρ :π لا تكونوا إمّعة تقولـون :
سنا ، وإن ظلموا ظلمنا، ولكن وطّـنـوا أنفسكم ، إن أحسن الناس أن تحسـنوا ، وإن أسـاءوا فـلا

. من تؤرقه أوضاع أمته المتضعضعة ، وتستحثه للمضي قدما نحو التغيير، فتراه لا ينفك مكافحا صـامدا ،
لا يستهويه مدح أفيض عليه ، ولا يضيره قدح صوّب من ألسنة القادحين إليه ، كما أنك تلفيه غير قابـل
ورة ، وبأي ثمن ، فإما أن تكون كما يبغي ويريد ، وإما رفضها وله عند ربه خير منها وله المزيد.
ع متناثر هذه المعاني جميعا في سمط نضيد ، عبارة مختصرة رائقة لإمام نهضة هذه الديار العلامـة : " عبـد
1305 – 1359هـ ، 1887 – 1940 م ـ رحمه الله ـ وذلك لما قال :
أن تكيّـفنا ، ولكنها لا تستطيـع أن تغيّـرنا).

ود أن ننبه عليه فضلا عما ذكرناه ، وهو أن الذين كانوا يعرفون مزايا الغزالي ويقدرونا، أدركوا أن فاعلية
ب أضعافا كثيرة بوجوده في مصر ، أكثر من وجوده خارجها ، إذ أن هناك ارتباطا وثيقا ولحمـة قويـة ،

لام من الغرب ، دار الإعتصام ، الطبعـة الثالثة ، (1399هـ –1979 م)، ص225 .
ن حديث حذيفة وقال : حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه .

غزالي وشخصية مصر ، وعبقرية الرجل وعبقرية المكان ـ كما يقول عالم الجغرافيا المصري جمال حمـدان
وج ميدان دراسة البيئة المصرية ، مسقط رأس الشيخ ، والمكان الذي قضّى فيه زهرة عمره أمدا مديدا .

ثانية هي ما أثبته أهل العلم والعارفون بطرق المناهج والبحث ، من وجوب إتباع منهجية خاصة في العلوم
ما نتعرض لدراسة شخصية ما في جانبها الفكري السياسي- وبالأحرى إذا كان لهذه الشخصية أثر واضح
من مناحي الحياة المختلفة فالضرورة تفرض علينا ـ حينئذ ـ إتباع الخطوات التالية :
، البيئة الثقافية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية.
رافي (السيرة الذاتية) .
مة لا تستقيم لفهم الشخصية قيد الدراسة فهما حقيقيا إلا بإتباع هذه الخطوات.
موضوع البيئة التي نشأ فيها الغزالي من خلال جوانب أربعة :
. ـ الجانب الثقافي ـ الجانب الاقتصادي ـ الجانب الاجتماعي

ن حركة 23 يوليو كانت نتيجة عامة للتحوّلات الكبيرة التي حـدثت في الـال الثقـافي والاقتصـادي
نتيجة خاصة للتحوّلات التي حدثت في الال السياسي :
يمد نفوذه في كل مجال ، ولم يكن للخديوي أو للحكومة مع ممثل بريطاني أي نفوذ ، فلما انكمش نفـوذ
2 فبراير ، وزاد انكماشا بمعاهدة 1936 ظهر صراع مرير بين القصر ومعاونيه من جانب ، وبـين السـلطة
ب الوفد من جانب آخر، وكان القصر يريد أن يرث النفوذ الأجنبي ، ورأى ممثلو الشعب أنم أصـحاب
أن الملك يملك ولا يحكم ، ووجد الملك كثيرين من أعوان السوء يؤيدونه في موقفه الظالم ، واتخذ الجيش ،
ت كفته ، وأبعد ممثلوا الشعب عن السلطة إلا قليلا ، وكانت الفترة من تصريح 28 فبراير سـنة 1922 إلى
1952 ، مسرحا في غالب الأحيان لأحزاب الأقليات ، ولم يتولى حزب الأغلبية الحكم إلا فترات قصيرة ،
رغبة من الملك .
، الأغلبية كانت لديه دائما دراسات كاملة عن حالة مصر واحتياجاتا في الشئون المختلفة ، ولذلك كـان
ر ، يسرع بالقيام بإصلاحات كبيرة في الالات المختلفة، ومثل هذه الإصلاحات كانت تشمل التوسع في
يته في أكثر مراحله . وصدور قانون الشركات ، وخفض الضريبة على صغار الملاك ، ووضـع مشـروع
، واستصدار قانوني عقد العمل الفردي ونقابات العمال .

فدية تولت الحكم كانت سنة 1950 ، وقد جاءت إلى الحكم رغم إرادة الملك عقب كارثـة فلسـطين (ولها من تجارة الأسلحة الفاسدة ، التي كانت سببا في الهزيمة ، والتي كانت لصالح الملك وأعوانه من الخونة ، خسروا كل شيء [61] .

لوفد هذه في الحكم حوالي سنتين ، قامت خلالها بأجل الأعمـال وأبرزها ، ومن ذلك :

الحريات العامة واحترامها إلى أقصى حد :

لأحكام العرفية، وإلغاء الرقابة على الصحف ، وقد استغل طلاب الجامعـة هـذه الفرصـة ، فانطلقـت قوط الملك ، وتمزق صورته . كما انطلقت الصحف منددة ببعض المواقف الملكية ، ومن أجل ذلك طالب الأحكام العرفية ، ولكن وزارة الوفد رفضت ذلك تماما.

افف العدالة الاجتماعية :

ة الوفد إجراءات لتحقيق العدالة الاجتماعية تمثلت في الآتي :

بة نزلت إلى نسبة مئـوية كبيـرة ، ووصلت في ضرائب التركات إلى 90 % بالنسبة للفئات العالية .

وكانت حكومة الوفد قد قررت مجانية التعليم الابتدائي ومجانية التعليم الثانوي سنة 1950 ، وتوسـعت في حتى شمل جزءا من التعليم العالي، وكانت في واقع الحال تتجه لتحقيق الـانية الشاملة به .

عميم مياه الشرب في القرى خلال خمس سنوات .

وتحمّـل فروق الأسعار، وإطلاق العلاوات الموقوفة، وعمل كادر جديد للموظفين. وقد اتهمت حكومـة ا الاتجاه الاقتصادي بأنا حكومة شيوعية، وكان يقصد بذلك إثارة الملك على الوفد ليعـود كديدنـه إلى

ـ الجبهة الوطنية قد عقدت معاهدة 1936 ، برئاسة النّحّـاس باشا، ولما جاءت إلى الحكـم سـنة 1950 تعديل المعاهدة بما يضمن خروج الإنجليز تماما من مصر، وبما يضمن الوحدة بين مصر والسـودان ، ولمـا ، بسبب السودان ، ألغت حكومة الوفد هذه المعاهدة في أكتوبر سنة 1951 ، واتّـخذت إجراءات قويـة ن ذلك :

عاقبة كل عامل يعمل في القاعدة البريطانية ، وتعيين كل العمال المصريين في الوزارات ودفع مرتباتم .

ديدية من نقل حاجات الجيش البريطاني، وكذلك منع النقل النهري .

دائيين لاصطياد البريطانيين .

ل الإنجليز يطلبون إيقاف حركة الفدائيين ، وذكروا أنم مستعدون للعودة للمفاوضات بتيسـير كـبير ، ب لهم [62] .

ديث دون الإشارة إلى جماعة الإخوان المسلمين التي قضى فيها الغزالي معظم شبابه .

وسوعة التاريخ الإسلامي ، وفيه : (دراسة تفصيلية في تاريخ مصر المعاصر- ثورة 23 يوليو من يوم إلى يوم -) ، القاهرة ، مكتبة النهضة عة 1995 . ج9 ، ص : 57 – 59 .

شهود ثورة يوليو ، ص 295 - 298 .

ي كانت الأحوال السياسية في مصر تموج موجا، وكان الصراع شديدا بين القصر الملكي والأحزاب الـتي
لوفد المصري الذي يمثل الكثرة الكاثرة ، من جهة أخرى ظهر تيار آخر لم يكترث به المسؤولون أول الأمر
ن المسلمون .
، لا يثير قلقا ، ولا يخيف أحدا ، ثم تضاعف مائة مرة خلال بضع سنين لسببين:
طبيعة الدينية للشعب المصري ، وحنينه المثالي للإسلام ، وإلقاؤه مقاليده كلها لمن يثق في صلاحه وتقواه...
قرية حسن البنا الذي أوتي موهبة في البيان والشرح والتجميع والتنسيق، جعلته ينفذ إلى غرضه من خـلال

لك أن الغزو الثقافي كان قد كشف عن مقاصده ، فأدركت الجماهير أنا ستخسر دينها ودنياها إذا بقيت
بعد أن ينقد القرآن الكريم في كلية الآداب بالقاهرة ، ويهان الرسول في تمثيلية تعرض بدار الأوبرا ؟..
ة الإخوان ارتقت الخطابة الدينية في مصروفي أقطار أخرى ، وتحوّلت الكلمات الميّـتة التي كانت تسمع من
تتز بالحياة والحماس ، ويدرس فيها التاريخ الإسلامي والسيرة النبوية ، وتتأكد فيها رغبـة الإسـلام في
ناف سيره...
في القوانين الوضعية والتقاليد الأجنبية ، كما طلبت العودة صريحة إلى تعاليم الإسلام في كل شيء.
أنشئت فرق العمل ، أو ما سمّي بالنظام الخاص ، وأساس تكوينه مواجهة الوضع في فلسطين ، بعد عربدة
يها ، وإتمام تحرير مصر بالسلاح إذا لم يخرج الإنكليز طوعا...

أن يعرف الوضع الديني على صورته الكاملة ، إن جمهرة المنتمين للأحزاب السياسية الصحيحة والمـزورة،
. بينهم المفهوم الغربي لمعنى الدين ! الدين عندهم ليس إلا صلة بين المرء وربه ، تظهر في الصلاة والأخلاق
صة ! أما أنه تشريع كامل شامل يصوغ الروابط بين الإنسان والإنسان ، ويملي تعاليمه في شؤون الحكـم
يدرى ! .
على الدين كله ، عقائده وشرائعه ، وساروا وراء ملاحدة الغرب والشرق ، لا يلوون على أحد ، وكـلا
كة الإخوان ودعوتم، وقد يرفضها دون مبالاة ، أو يعلن الحرب عليها بقسوة ! [63]

لاقة بين الوفد والإخوان فقد كانت حسنة في بدايتها، حين كان وزراء الوفد يزورون المركز العام ، ويمنعون
بق الدعوة ، وتضاعفت أثناءها شعب الإخوان...
ن الفريقين انار لأسباب ـ يقول الغزالي ـ أرى أن كلا الفريقين مسؤول عنها ..
روا بالغيرة من اتساع نفوذ الإخوان، والترحيب الحار الذي يستقبل المصـريون بـه الـدعاة المسـلمين ،
شعور كلاما سفيها عن حسن البنا يصفونه بأنه موظف صغير، أو مدرس لغة عربية ، أو مدرس خط !
د كان همزة الوصل بينهم وبين الوفد الأستاذ أحمد السكري وكيل الجماعة، على حين كان هناك رجـل
جسور بين الإخوان من ناحية ، والقصر وأحزابه من ناحية أخرى ، هو الأستاذ منير الدلـة رحمه الله..

رفة ، (عدد خاص عن الشيخ محمد الغزالي) ، السنة 02 ، العدد 07 ، رمضان 1417هـ/ يناير 1997 م . مقال (قصة حياة ، مقتطفات
ص182 .

ان فصل الأستاذ السكّـري ، ولقحت بعد ذلك الحرب بين الفريقين..
ار على تيار ، أو قيام شخص على أنقاض آخر ، كان المهم عندي ألا يوصف الإسلام بأنه ظهير الاستبداد
ته غامضة عن الحريات الإنسانية !

ن الأحزاب المصرية ، صحيحها وسقيمها، لا تعرف الأصول الاجتماعية للإسلام ، ولا الطريقـة المثلـى
حضارة التي تغزونا.. وكان المنهج الذي نعرضه من خلال دعوة الإخوان هو في نظري خير ما يقال للناس ،
فيما رأيت منه – قائدا عابدا ، ومجاهدا صامدا ، ومربيا قديرا ، وداعيا متفانيا ، يضن باللحظة من عمـره
ل للإسلام ! [64]
سنوات الأربع التي سبقت الانقلاب العسكري الناصري ، كانت من أعمق السنوات أثرا في تاريخنا المصري
وان ـ في القدر المتاح من الحريات الدستورية ـ أن يجمعوا شملهم ، وينموا كيانهم، ويؤكدوا بقاءهم !...
من خلال تتبع الناحية السياسية في عهد الغزالي على وجه العموم .

فية :

أن اللغة العربية قبل ثورة 1919 كانت شبه غريبة بين المثقفين في مصر، فقد حاربها الاستعمار وقلـل مـن
فاضمحلت وضعفت ، وفي الوقت نفسه بذل جهودا كبيرة لخدمة لغته ، فكانت اللغة الإنجليزية هي لغـة
العلوم بالمدارس والمعاهد المصرية ، وبجانب اللغة الإنجليزية كانت اللغة الفرنسية لغة الحديث في كثير مـن

نائج ثورة 1919 وقيام الحكم الوطني أن بدأت اللغة العربية تستعيد مكانها خطوة إثر خطوة ، فأصبحت لغة
ة ، كما أصبحت لغة المراسلات ، ونشطت معاهد اللغة العربية من جديد ، وبدأ الأدب العربي يظهر بمظهر
بية ، ثم خطت حكومة الوفد خطوة مهمة عندما أصدرت القانون رقم 62 لسنة 1942 بضرورة اسـتعمال
ات الأفراد والهيئات بالحكومة ومصالحها ، ويوما بعد يوم أخذ نفوذ اللغات الأجنبية بمصر يتقلص، وظهر
، ولكنه يضع في حديثه بضع كلمات أوربية ولكن الـ عة الوطنية هاجمت هـؤلاء ، فبـدءوا
ون بلغة الوطن التي برهنت على قدرة فائقة في التعبير عن كل الأفكار والمشاعر .

ا قبل الثورة نهضة واسعة في مجال التعليم ، فكثرت المدارس كثرة هائلة ابتداء من رياض الأطفـال حـتى
ن مفاخر هذه الفترة ، أنـها قضت على الازدواج في التعليم الذي كان موجودا في المرحلـة الأولى ، وفي
سنة 1951 صدر قانون بجعل التعليم الثانوي بالمجان كذلك ، ومن مفاخر هذا العصر أيضـا أن الجامعـات
كيفا ، وإذا كانت الجامعة المصرية الأهلية قد أنشئت في العقد الأول من القرن العشرين فإنـها أصـبحت

، مرجع سابق ، ص183-184 ، (بتصرف) .

بة منذ سنة 1942 جامعة فاروق " الإسكندرية "، كما أنشأت حكومة الوفد الأخيرة جامعة إبراهيم " عين
د علي " أسيوط ".

ية كبري بعد نجاح ثورة 1919 وبخاصة عندما صدر قانون إصلاح الأزهر سنة 1930 ، والقوانين المكملة له
1936 و1937 و1938 وبمقتضاها أصبح للأزهر معاهده وكلياته ، ودخلت إصلاحات كبيرة في مناهجـه ،
لقيام بنهضة عظيمة في مجال الدراسات الإسلامية واللغة العربية ، وذلك على عكس قانون التطوير رقـم "
19 ، وهو ما يعرف في الأوساط الإسلامية بقانون " تدمير الأزهر " [65] .

لى هذه الفترة بالذات (إذ أن المنهج الذي ارتبط به – أثناء دراسته في الأزهر والذي كان مـن وضـع
، المراغي وهو من مدرسة الشيخ محمد عبده الإصلاحية ، لذلك لم يبق طويلا حتى عصف القصر الملكي به
دي الظواهري – كان من أزهى فترات التألق العلمي في الأزهر، لأن دراسة الطبيعة والكيمياء والأحيـاء
بر والهندسة ، والتوسع في دراسة التاريخ المحلي والعالمي ، ودراسة جغرافية العالم كله.. كانت لها أنصـبة
حسنة لا يجوز وصفها بأنا دينية خالصة لذلك لم يكن مستوانا في العلوم المدنية دون مستوى أندادنا مـن
إلا في اللغات الأجنبية فقد حرمنا منها ، وكنا نستطيع – لو قرّرت علينا – أن ننجح فيها ..) [66] .

لي على أن المناهج الموضوعة كانت تكفي وتشفي ، ولو وجدت الأستاذ الكفء لخرّجت دعاة ومدرّسين

يقة التي غدت منهجا في التعليم كان بإمكانا تفتيق الأذهان ، وتحرير المراد ، وضبط المفاهيم...
كانت هي المرحلة التي تمدرس فيها الشيخ الغزالي بالأزهر والتي كانت مع ما قضّاه في معهد الإسـكندرية
، أما بعد تلك الفترة فالأزهر – بحق – صار يحتاج إلى تجديد ثقافي وروحاني ، يقوم به رجال أولو عـزم
مطلوبا قبل ما عراه على يد الناصريين ، فكيف بعدما ما غاض رونقه وقاده المهازيل ؟؟

نون الصادر سنة 1961 المعروف في الأوساط بـ" قانون تدمير الأزهر " خطة محكمة لتخريب الأزهـر ،
لتعليم الديني كله ، وكجزء من تلك الخطة ما كان حينها من تعمد خلق الصعوبات في سـبيل حصـول
، فقد كان على ذلك العهد شيئا بعيد المنال[67].
د التي تلت ثورة 1919 نهضة صحفية كبرى، شملت الصحف اليومية والمجلات الأسبوعية العامة والمتخصصة
، الشهرية ، وكانت الصحافة مستقلة أحيانا وتابعة للأحزاب أحيانا أخري ، وقد تنافست هذه الصـحافة
ي والسياسي بين الجماهير ، ويمكن القـول إن مكانة الصحافة قبل ثورة 23 يوليو أعظم بكثير من مكانتها

سوعة التاريخ الإسلامي ، ص 51 – 53 .
مصدر سابق ، مقال : قصة حياة ، 160 (بتصرف).
ص 166 – 167 (بتصرف).

ي ناحية العدد أو الحرية أو روعة التحرير والأداء ، ومن صـحافة هـذا العصـر نـذكر صـحيفة : "
ء" وصحيفة " **الأخبـار** " التي أصدرها أمين الرافعي .
ـد الكثيـرة المتعددة كـ " **البـلاغ** " و" **المصـرى**" و" **الوفـد المصـرى** " و" **كوكـب**
حيفـة " **الأسـاس** " التـي كانت تابعة للحـزب السعدي ، وصحيفـة " **الكتلـة الوفدية** " .
الأهـرام " و" **المقطـم** " ، وإلى عدد كبير من المجلات الثقافية والسياسية .

نهضة الصحفية ظهرت أقلام عظيمة كانت تقوم بدور المعلم لجماهير الشعب ، وكـان في الإسـكندرية
سبعين صحيفة ومجلة .
هضة الثقافية التي برزت قبل الثورة ، النهضة الفنية التي تمثلت في السينما والمسرح ، والتي يمكن القول إنـا
الم العربي والإفريقي.

سادية :

النجاح السياسي الذي حققته بثورة 1919 لا يكتمل إلا بنجاح اقتصادي، فاتجهت من هنا إلى تأسـيس
، كما قامت أنواع من الصناعات التي ارتقت في كثير من الأحوال ، ونافست الصناعات الأجنبية ، وقد
ت عام 1937 الذي قامت به حكومة الوفد ، على مزيد من التطوير في الجانب الاقتصادي .

ءات الرسمية على التطور الهائل الذي حظي به الإنسان المصري في الجانب الاقتصادي بعد ثـورة 1919 :
ور من مقارنة ذلك العصر بعصر ما قبل هذه الثورة، وتدل البيانات الرسمية على أنه قبل ثورة 1919 كـان
رأس المال المستثمر في الاقتصاد المصري 91% ، فلما ظهر نشاط المصريين بعد هذه الثورة ، أخذت النسبة
عام إلى عام ، فقد أصبح نصيب المصريين في الشركات التي تأسست بين عام 1934 وعام 1939 هو: 47
تلك الشركات ، أما الشركات التي أسست بين عامي 1940 و1945 فقد كان نصيب المصريين فيها 66
المصـريين 84 % في الشركات التي أسست في الفترة بين 1946 و1948 ، وكان النشاط الاقتصـادي في
غالبا ، وقد استطاعت هذه الشركات أن تجذب مدخرات الأفراد ، وأن تدفع بها إلي ميدان هذا النشاط ،
لاقتصادي بمصر في هذه الفترة ، لم يكن في نطاق ما عرف بالقطاع العام ، وإنما كان نشاطا فرديا أو نشاط
ى هذا وذاك نجاحا هائلا للمستثمر وللشعب المصري .

ط المصري في مجال الشركات والاستثمار على حساب الأجانب قد حدث مثله أو أكثر منه بالنسـبة إلى
بل ثورة 1919 كان عدد الأجانب الذين يملكون أرضا زراعية بمصر 8242 وكانوا يملكـون أكثـر مـن
ا أعلن استقلال البلاد سنة 1922 بدأ عدد الملاك الأجانب يتناقصون وكذلك تناقصت مساحة ما يملكون .

كماش بتوقيع معاهدة سنة 1936 ، ثم إلغاء الامتيازات الأجنبية، ففي العقد الخامس من هذا القرن أصـبح
، 1604 وأصبحت مساحة ما يمتلكونه 172.368 فدانا ، ثم جاءت الضربة القاضية التي أعلنتها حكومـة
صدار القانون رقم37 لسنة 1951 ونصه:
صريين سواء أكانوا أشخاصا طبيعيين أو اعتباريين ، اكتساب ملكية الأراضي الزراعية ، والأراضي القابلـة
الصحراوية) .

ك الأجانب للأراضي الزراعية قد تقلص، فإن مصر كان بها عدد من كبار الملاك المصريين الـذين كـانوا
شاسعـة مثلت خطرا على النظام الطبقي بمصر ، وكان الملك والأسرة المالكة في قمة هؤلاء الملاك ، وقـد
دة قبل ثورة 1952 بتحديد ملكية الأراضي الزراعية حمل لواءها محمد خطاب وغيره، ولكن ما كان لها أن
ك والأسرة المالكة) [68] .

يحسن بنا أن نتعرض لما أثبتـه الغزالي في مقدمـة الطبعـة السابعة لكتابـه " الإسـلام
ادية "، وذلك لمّـا قـال :
أنتهز فرصة إعادتي لطبع هذا الكتاب ، بعد هذا المدى..المتطاول من الزمان فأقـول: ـ بصفة عامة حول
ب ـ إن بعض ما ورد مما قد يقرأه الناس فلا يحسون صداه كما كنا نحس به يوم كتبنا ما كتبنا ، يرجـع
ول يكتب بإحساسه وباجتهاده، وفق ما يصله من معلومات...

ات والخمسينات نتلقى المعلومات عن ظاهرة الإقطاع تلقيا مشوها مضخما.. وليس يعني هذا أن الإقطاع
ولكن الحقيقة أن الذين صوّروا الإقطاع لم يكونوا دعاة إصلاح ، وإلا لكان موقفهم من الإقطاع ورجاله
والمصادرة الكاملة وإبادة الكفايات النادرة ، وإنما كان الإلزام بالقانون وبخدمة المجتمع ، وبتطوير الاقتصاد
صادرة ما كان أصله حراما من غش أو وساطة أو احتكار..
صوّروا الإقطاع كانوا يريدون وراثة الإقطاع ، وقد ورثوه بالفعل وأصبحوا إقطاعيين يحملون أسماء ثورية ،
كثيرا من الإقطاعيين ! !) [69].

ي من بعض الصور الاجتماعية والاقتصادية كانت الموقف المتزن الذي أملاه عليه ضميره الإسلامي...لكن
كما وصله.. فقد كان هناك شطط في المصادر التي نقلت هذه الصور وبالغت في تشويهها، وهذا ما جعله
كثيرة أن الحركات الإصلاحية السليمة تخضع لتشويه كبير من قبل أجهزة راصدة مشبوهة .
ي حققها عصر ما قبل ثورة 23 يوليو معالجة الديون المصرية التي كانت تسمى الدين العام، وقـد كـان
.
ين نفسه.

صدر سابق) ص 53 – 56 .
إسلام والأوضاع الاقتصادية ، مكتبة رحاب الجزائر .(بدون تاريخ) ، ص 11 – 12 .

مو الإدارة التي كانت الدول الدائنة تمارس بها إشرافها على المالية المصرية لصالح هذا الدين .

هي التي كانت تسمى" صندوق الدين " وقد استطاعت حكومة الوفد في الفترات القصيرة التي تولت فيها
لى هاتين المشكلتين ، فقد دخلت عقب إلغاء الامتيازات في المفاوضات وانتهت بإلغاء صندوق الدين ، أما
، فقد أصدرت حكومة الوفد مشروع قرض وطني سددت به هذا الدين ، وقضت بذلك على أثر خطـير
جنبي في مصر .
العصر استصدار قانوني عقد العمل الفردي ونقابات العمال.

ماعية :

تعليم والمجانية في أكثر مراحله حقيقة هامة من الناحية الاجتماعية ، وهي كثرة الطبقة المتوسطة وقوتـها ،
وفد الأخيرة مياه الشرب النقي للقرى ، وخففت الضريبة على صغار الملاك ، وكان لجميع ذلك صـداه في

صريون يبرزون في محيط الحياة الاجتماعية من جميع النواحي ، كان الأجانب يختفون ، فإن ريح الحريـة لم
جانب ، فلما اختفى هذا وذاك ، بدأ الأجانب يرحلون .

ر عند اختفاء الأجانب من محيط التجارة والصناعة لتقاعسهم عن دفع الضرائب ومنافسة النشاط المصـري
لأجانب يختفون كذلك من الوظائف والدواوين عقب تصريح 28 فبراير وقيام البرلمان ، وكان دور سـعد
واسعا ، ثم أكملت معاهدة 1936 الشوط ، فبناء على هذه المعاهدة كان من الممكن إلغاء الوجود الأجنبي
والقضاء.
الاجتماعية المصرية على حساب المصالح الأجنبية [70].

مصدر سابق) ، ص 56 .

ـزالــي : [71]

ة " محمد الغزالي السقّـا " في قرية نكلا العنب مركز " إيتاي البارود" محافظ البحيرة ســنة 1917م " 22
ني إحدى المحافظات الكبرى بالوجه البحري بمصر ... وهذه القرية " نكلا العنب " لها تـاريخ طيـب ،
اهد الشاعر، محمود سامي البارودي كما أن منطقة إيتاي البارود تخرج منها عدد كـبير مـن الرجـال
خ سليم البشري، والشيخ إبراهيم حمروش، والشيخ محمد عبده، والشيخ محمود شلتوت، والشيخ حسـن
البهي ، والشيخ محمد المدني ، والشيخ عبد العزيز عيسى، والشيخ عبد الله مشد، وغيرهم .

الي بين سبعة إخوة كان هو أكبرهم ولهذا كان والده يعلق عليه أكبر آماله في رعاية الأسرة فكان الوالد إذا
وأولاده : لا تحزنوا تركت لكم بعد الله محمد الغزالي وكان الغزالي عند حسن ظن والده به ، فقام بواجبه
.

سيدة فاضلة بارة محسنة تحب تقديم الخير والعون للناس وكانت تحثه على تقديم الإحسان لأهـل القريـة
.

زالي في مراحل التعليم . . وكان " كتاب القرية " هو المرحلة الأولي في تعليمه، وفيه حفظ القرآن الكـريم
والكتابة، ثم تدرج فالتحق بمعهد الإسكندرية الديني الابتدائي، ثم حصل على شهادة الكفاءة " 3 سنوات
حصل على الثانوية " وهي سنتان بعد الكفاءة " ثم التحق بكلية أصول الدين في جامعة الأزهر سنة 1937م
19 وتخصص في التدريس وهي تعادل درجة الماجستير سنة 1943م من كلية اللغة العربية.
الغزالي قد وضع أقدامه على طريق الثقافة الإسلامية الرشيدة ، فكان نهم القراءة متعدد المواهب ، مطـلا
افية مع التعمق في الثقافة الإسلامية والآداب العربية .

بالشهيد حسن البّنـا (1324-1368هـ ـ/1906-1949م) في نهاية المرحلة الثانوية الأزهرية بالإسكندرية "
ك في مسجد عبد الرحمن بن هرمز " الراوي التابعي " بالإسكندرية ، لمّـا كان الإمام البّنـا يدعو فيه إلى
الشيخ الغزالي إلى الجامعة الأزهرية في القاهرة تعمقت علاقته بالشيخ البنا، وأصبح من أقـرب أعوانـه في
في مجلة " الأخوان المسلمين " بدعوة من الأستاذ البنا. وظهر أول مقال له وهو طالب في السنة الثالثـة في

ع البنا معجبا بكتابة الشيخ الغزالي ، وكان يشجعه ويقول له :
ع القدس يؤيدك والله معك) ، ثم أصبح الشيخ سكرتيرا لتحرير مجلة الدعوة .

زالي هذه بقلم الدكتور عبد الحليم عويس ، وقد اعتمدت عليها في التعريف بالشيخ الهيئات ووسائل الإعلام في كثير من المناسـبات ومنـها
زة الملك فيصل... يقول الدكتور : وكان ذلك عملا إحتسابيا لوجه الله ونسأله أن يبقى كذلك . وقد اعتمدنا عليها في هـذه الرسـالة لأن
المقربين للشيخ ومن أعرف الناس بسيرة حياته.

لي وجهوده في **مصر :**

الغزالي بمواقف جريئة . . ولعله الرجل الوحيد في مصر الذي خرجت من أجله المظاهرات العامّة في مصر "
رة " مرتين :

رة أيـام عبـد الناصـر: حين كان الميثاق الوطني يوضع، واعترض الغزالي علـى الجانـب العلمـاني
نبرى له الرسام الكاريكاتيري " صلاح جاهين " ورسم نصف صفحة في الأهرام ساخرا من الشيخ الغزالي
غد ذلك اليوم خطب الغزالي خطبة الجمعة ، وبعد الصلاة خرجت الجماهير المسلمة غاضبة ، وحطّـمت
ام ، واضطرّت الجريدة لكتابة اعتذار ، كما قدّم الرسّـام اعتذاره بتدخل من الدولة ، وخوفا على حياتـه
.

ة الثانية : في عهد السادات ومحاولته تغيير قوانين الأحوال الشخصية فخرجت الجماهير بتحريض الشـيخ
ادات وزوجته عن تغيير شريعة الله وتحريفها .

، الغزالي ضد الجماعات المتطرفة ، وحتى الدولة كانت تستشيره ، وكان ينصحها ، كمـا كـان ينصـح
ف ، وله فضل كبير في تصحيح كثير من المفاهيم عند الشباب .

لشيخ سلفي العقيدة ـ كما ذكر في كثير من كتبه ـ إلا أنه يرى أن بعض المحسـوبين علـى السـلفية
ظرة الجزئية والميل إلي التنفير، وهو ينصحهم بتغيير فقههم الجزئي ، وبتحقيق النظرة الشمولية للإسلام .

، كما ابتليت الحركة الإسلامية كلها بالعنت والجور وصبر على ما أوذي.

واقف عظيمة ضد الزحف الشيوعي والليبرالي ، وقد أصدر في ذلك عددا من الكتب..

، ضد الزحف التنصيري، ولهذا يضعه النصارى المتعصبون في قائمتهم السوداء . . (أنظر كتاب التعصـب
المسيحية والإسلام) .

لغزالي مواقفه في حقل الدعوة بوزارة الأوقاف بمصر ، إذ كوّن إطارات طّيبة .. ودفع ثمن ذلك منعه مـن
ي ، ومن تبوّء المناصب الكبيرة في الوزارة .

توسّط بعض الطيبين ، وعّين الشيخ وكيلا أول لوزارة الأوقاف وطلب منه ثمن ذلك مهادنة الفساد ، رفض
قدم استقالته .

لشيخ مع المخلصين لحماية الأزهر من التردي ، وكان يحاضر فيه شبه محتسب ، ووضع يده في يد الشـيخ
ود ـ رحمه الله ـ فتعاونا على إنقاذ الأزهر ، وعلى وضع صياغة لتطبيق الشريعة .

الأهرام في اليوم التالي للكلمة التي ألقاها الشيخ ، وقد صوّرته عاري الرأس ساقط العمامة على الأرض لأن قوانين الجاذبية شدتا وفق التطـور
زالي : ونظرت إلى الصورة وقد تملكني الغضب ، فإن العمامة ليست لباسا خاصا بي ، وإنما هي رمز العلماء المسلمين ! والرسام الشيوعي يريد
ن العلمية ستعصف بالإسلام...

حينها: (إن العمامة التي تتهكمون عليها قاومت الإقطاع والظلم ، وكتبت مثنى وثلاث من الكتب في الوقت الذي كان فيه أكثركم يعملـون
) ـ إسلامية المعرفة ، ص201 .

الغزالي في خطبته هذه حول الجدال وأدب الحوار والخلاف منطلقا من قوله تعالى : [إن الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضـحكون وإذا
سورة المطففين آية : 29 - 30 .

ـ مصر الحديث لم يحدث أن شهد تجمعات في المساجد مثلما شهد في تلك الفترات التي كان يخطب فيهـا
جد مصر الشهيرة ، وأبرزها :
رو مكرم " في ميدان التحرير في القاهرة " .
رو بن العاص " أول مساجد مصر في القاهرة " .
ر بالعباسية ، وهو المسجد الذي أغلق بأوامر سياسية .
امع بالأزهر " مسجد جامع الأزهر " . وغيرها من المساجد ، وقد ورد أن عدد المصلين خلفه في بعضـها
ألف . . كما صلى وراءه في بعض الأعياد أكثر من ربع مليون .

لامذة يمثلون مدرسة من المثقفين المنتمين للحركة الإسلامية ، وهم يمثلون طليعـة مثقفـة تـؤمن بالعمـل
اقل ، وتركز على ضرورة الإصلاح الشامل عن طريق التقديم الطيب للفكر الإسـلامي ، وعـن طريـق
ن طريق التعاون مع كل من يمكن التعاون معهم دونما عقد مسبقة أو تشنجات حزبية . .

الغزالي قد انتمى إلى " **الإخـوان المسلمـون** " وهو يدين للشيخ حسن البنـا ـ بعـد الله ـ
ـل الذي قال :(إذا تعارضت مصلحة الإسلام مع " الإخوان المسلمون " فليذهب الإخوان المسلمون إلى

ـ هذا تجريح أحد ، أو الإنتقاص من قدر الوشائج الفكرية والنفسية التي تربطه بالإخوان ، وإنما يريد تغليب
ـ كل النعرات الحزبية، وتحقيق الانفتاح عليهم والتعاون معهم [73].

لحق سواء كان ذلك أمام المتسلطين ، أو كان ذلك داخل شوارع الدعوة أو بين دهاليزها..أنى لنا بها؟ ! لكن المهم الذي أريد التنبيه إليه مـا
ـ متداخلا في أذهان من تجمع بينهم طرق التغيير ، وذلك حين يخلطون بين الجرأة في الحق ، وقلة الأدب ، أو الصدع بالحق ، والعداء الشخصي
في أذهان كثيرة الحواجز التي تمنع من هذا الخطأ في التقييم والتقدير، فتسلك الناصحين في سلك المتساقطين على طريق الدعوة ، وتعده خارجا
لعصا الطاعة ، واتهامه حتى في نيته ودخيلته ، في حين أن الدافع لهذا المنتقد ابتداء هو مصلحة الدعوة والمحافظة على السير في الخط الصحيح ،
في غير موضعه أيكون ذلك دافعا إلى أن نعين الشيطان عليه، أم أن العلاج الشافي والواقي هو مواجهة نصحه بنصح أبلغ ، وصدر رحب واسع،
ى أن لا يتخذ الناصح موقف رد الفعل والذي كثيرا ما يكون في غير مصلحة الجماعة. وأدنى الخسائر فقد أحد العناصر التي تبصرنا بالسـلوك
ـ لنا من العيوب المستور.
عروف بين الغزالي وجماعة الإخوان المسلمين ، أدى إلى فصله منها وقد كان عضوا في هيأتها التأسيسية ، وقد كتب الغزالي حينها مقـالات في
عة، وكان نقدا حارا جريئا، يجد الدارس هذه الصفحات في كتابه " من معالم الحق في كفاحنا الإسلامي الحديث " وفيها مرارة تبلـغ حـد
جب ألا يتأدى الغضب بصاحبها إلى هذا المدى ، بيد أن ذلك ـ للأسف ـ ما حدث ، وقد عاد المؤلف إلى نفسه يحاسـبها وتحاسـبه ، في
مؤلفه هذا .
تلك الفتنة التي وقعت داخل جماعة الإخوان ، كشفها للعلل في الفكر الديني في المرحلة المعاصرة ، ويعتقد أن العقلاء قد استفادوا منها...

في **الدعوة خارج مصر** :

يخ محمد الغزالي في السعودية سبع سنوات وهو ـ في أحاديثه وكتبه ـ وعلى رأسها الطبعـة الجديـدة ـلام والأوضـاع الاقتصادية " – وكتـاب: " المسلمون يستقبلون القرن الخامس عشـر " .. يشـيد لملك عبد العزيز، وبالأمن بالمملكة .

ى الحق عندما يتبين له ، فقد قام بنفسه بتصحيح المعلومات التي كان أعداء الإسلام يروّجونا عن المملكـة

ي المملكة ومعايشته لرجالها عن كثب ، الأثر الكبير في ذلك . وهو لم يعلن آثاره المنصفة إلا بعد أن تـرك ى للعمل في مواقع أخرى… وقال : (إنني كتبت في هذا الوقت حتى تكون آرائي لله وحده ، ومنطلقة من

مل الشيخ للدعوة الكثير، فقد كان له برنامج يومي في المذياع يحبه الناس ، كما كان يشارك في التلفاز ، عن جهوده في تربية طلاب الجامعـة " جامعة أم القرى " ولا سـيما طـلاب الدراسـات العليـا ، للمسئولين عن الجامعة وإسهاماته في مجالس الجامعات الأخرى ، مع أجهزة الدعوة المختلفة بالمملكة.

ضي نصف عام كل سنة ، فكان له دور كبير في تطوير كلية الشريعة ، وفي تخريج أجيال صـالحة منـها ، لامي في أجهزة الإعلام وفي المساجد والمنتديات ، وكان يعامل كضيف لدى حكومة دولة حكومة دولـة ام ، ويستشار في كثير من الأمور.

ت دولة الكويت على دعوته خلال شهر رمضان من كل سنة ، حيث كان يشـارك في بعـث الـوعي محاضرات ، ويشارك وزارة الأوقاف بالكويت في كل ما تطلبه منه.

يدعى دائما إلى المؤتمرات الشبابية والطلابية في أوربا وأمريكا ، وكان له دور رائد في أكثـر المـؤتمرات ، ى نجاح كثير من المؤتمرات ، ويمثّـل مواقع رئيسية في إدارتنا الفكرية.

ات بقي الغزالي يجاهد في الجزائر ، لدرجة أن كثيرا من الجزائريين يعتبرونه الرجل الذي وقف وراء تطوير " القادر الإسلامية بقسنطينة " متعاونا مع رئيس الدولة الشاذلي بن جديد . " جزاه الله عما قدم خير الجزاء " ى الجامعة رعاية مباشرة…

ف جل الجزائريين ـ هو الذي وسّـع دائرة الجامعة ، بعد أن كانت كلية واحدة في قسنطينة ، فأصبحت على المدن الجزائرية … وكان ذلك بفضل كياسته وحكمته وتواضعه وزهده وتعاونه مع المشرفين معـه ى رأسهم معالي وزير الشؤون الدينية ـ سابقا ـ " الأستاذ عبد الرحمن شيبان " ومعالي الأستاذ " بـوعلام

، الدينية ـ سابقا ـ والدكتور " عمار طالبي " والأستاذ " عبد الوهاب حمّودة " مدير الثقافة والملتقيـات
امها ، ونائب وزير الشؤون الدينية بعد ذلك.
يخ الغزالي جهود كبيرة في الدعوة في الجزائر، إذ كان له حديث تلفازي يشاهده الناس جميعا على اختلاف
لاثنين " ، وكانت له أحاديث إذاعية وصحفية ..

، بالشباب في المحاضرات وفي بيته بقسنطينة كلما سنحت الفرص ، حتى وهو مريض، وقد كان يعطي الفتاة
.عوة وفي رعايتها التربوية والفكرية والدعوية ، ويرى أن تجاهلنا لدور المرأة ولبنائها البناء الإسلامي الرشيد
وازنة بين الحقوق والواجبات ـ يساعد خصوم الإسلام على كسبها لصفوفهم ، ويخسر العمل الإسـلامي
كما يخسر البيت المسلم ضلعا أساسيا من ضلعيه اللذين لا قوام للحياة إلا بهما.

لي إلى جوار ربه يوم : 19 شوال 1416 الموافق لـ 9 مارس 1996 م .
، الجنادرية بالرياض ونقل إلى المدينة المنورة ، حيث دفن في مقابر البقيع [1] ، وكان لصاحب السمو الملكي
.د العزيز آل سعود دوره المشكور في تقدير الرجل ، وتكريمه في حياته وبعد مماته ومواساة أسرته .
يل الشيخ محمد الغزالي السقا وجزاه الله عن الإسلام والمسلمين خير ما يجزي عباده الصالحين ، وحشرنا الله
صديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً.

و أغلى شخصية لديه المصطفى صلى الله عليه وسلم ، ولعل هذا من البشريات التي يعجلها الله لعباده الصادقين في دار الدنيا قبل الآخرة .
ن كان لي من رصيد يشفع لي عند ربي فهو حب التراب الذي يمشي عليه محمد بن عبد الله .
رام المولى لعباده الصالحين ؟ أجل وإنني لأرى من نظير هذا القول ما كان من ذهاب موسى عليه السلام ليقتبس نار ، فعوضه ربنا عن ذلك

ن خطـــاب الغــزالـي السيـاسـي :

بة الإسلامية الحديثة والمعاصرة ـ في تركيبها النظري والعملي الشامل ـ ثلة مرموقة من الرجـال الـذين
غزير وبعمل دعوي وفير .
مد بن عبد الوهاب، والقاضي الشوكاني ، وجمال الدين الأفغاني ومحمد عبده، ومحمد رشيد رضا، وعبـد
وحسن البنا، والقاسمي ، والألوسيين ، والندوي ، والمودودي، وسيد قطب ، وكثيرين آخرين .
لإقرار بأن الشيخ الغزالي كان في تقدير جملة الناظرين ، من أبعدهم أثرا في الملإ منهم ..[75]
ة أو من الناحية الهدمية ..

يخ جهود مشكورة في مقاومة الجمود والتغريب معا ، لأن هذين الطرفين – معـا – ضـاران بالحقـائق فكره الثاقب وعرضه العلمي مقبولا لدى هؤلاء وأولئك ، محترما حتى مع الذين يختلفون معه ، فإشعاعات ات العقل الذكي ، والثقافة الشمولية ، كانت مبعث رضى وتقدير من جميع من يتعاملون مع الشـيخ في السياسي [76].

السياسية قد كانت من أقوى الأسلحة التي كسحت جناح التغريب ، إذ أن كتاباته السياسية هـذه وإن فاع حار عن الإسلام ، إلا أنها لم تكن مجرد هتاف أجوف، وإنما اشتملت على مادة علمية أولية اتخـذت ريب .

ر شفيق في كتابه " الإسلام وتحديات الإنحطاط المعاصر " الصادر في أوائل الثمانينات فقـد (كـان مـن ب قبل ثلاثين ، أو عشرين سنة، أو عشر سنوات، أن ينظم القصائد الطوال في مدح علمـه الاقتصـادي .[77]
، التجارب ونهوض البديل فقد كسدت تلك الإدعاءات .

الأسباب الرئيسة لنحاول من خلالها إعطاء تفسير علمي لظاهرة تأثير الغـزالي في التجمعـات الإسـلامية ه باستطاعتنا أن نعد المرجع الأساس في هذا الأثر الفعال هو الظاهرة الخطابية لديه وما تميزت به عن غيرها حث سيجد أنه قد اختص بسلطة نادرة إستطاع بواسطتها التأثير على عقول القراء ووجدانهم ـ أقصد : مستوى القناعة العقلية أو على مستوى القناعة الوجدانية ـ وهذه القدرة التأثيرية قل أن تعدلها سلطة فيما اث المتقدمين أو المتأخرين من الكتاب والمفكرين.

: مصدر سابق ، مقال (العالم بين حدين) لـ : فهمي جدعان ، ص71 .
ن ، الشيخ محمد الغزالي (تاريخه ، وجهوده ، وآراءه .) ، دار القلم دمشق ط1 ، 1421هـ - 2000 م ، ص 128 .
سلام وتحديات الإنحطاط المعاصر : دار طه للنشر ، لندن ، 1983 ، ص 112 .
، تجربة مثيرة للخلاص الفكري ، يقول الدكتور : محمد وقيع الله : وكم نتمنى أن يتفرغ لكتابة سيرته الذاتية ، ويسجل مراحل تطوره الفكري، العربية بمنقذ آخر من الضلال .

ن لفكر الغزالي على هذه المسألة ، وذلك بالنظر للتأثير العميق الذي تركه هذا الخطاب في حيـاة الأمـة[78] .

عبي في مؤلفه القيم " مسألة المعرفة ومنهج البحث عند الغزالي "[79]:
ن إجماع على أن لخطاب الغزالي سلطته البالغة ، بغض النظر عما إذا كانت هذه السلطة إيجابية أم سـلبية
طرح نفسه هنا :
الي هذه السلطة عفو الخاطر؟
شتغال صاحبه في القضايا الفكرية المتنوعة ...؟
خرى ، لعبت دورا في تشكله على النحو الذي جاء عليه فأضفت عليه سلطته المجمع عليها ؟

: مصطفى حلمي " الحاصل على جائزة فيصل العالمية في مجال العقيدة الإسلامية " في حوار أجرته معه مجلة المجتمع الكويتية، إذ سئل عن أهـم مارست تأثيرا على مسيرة الأمة الفكرية طوال هذا القرن ؟ فذكر في مقدمة من ذكر الشيخ الغزالي .
منه فيه تقديم رصد لأهم الشخصيات في القرن العشرين ، فذكر الشيخ محمد الغزالي والدكتور يوسف القرضاوي كرواد لمدرسة التجديد
ـ مجلة المجتمع العدد (1380) - السنة (30) - (06- 12 رمضان 1420هـ) - الموافق (14-20 ديسمبر م)

. الصبور شاهين :...وقد قرأت الدنيا له عشرات الكتب في الإسلام ودعوته ، وتلقت عنه مالم تتلق عن أحد من معاصريه ، حتى إن عصـرنا ق عليه في مجال الدعوة عصر الأستاذ الغزالي .
ير عبد الحليم محمود يُـقدّر الغزالي ويعرف له حقه وفضله ، ويفخر به ويعتز ويقول :
لي الإحياء وغزالي الأحياء يقصد أبا حامد صاحب الإحياء والغزالي المعاصر.
م أن الغزالي قد ظل على نصف قرن ونيّـف من جهاده الفكري ، يحارب في مختلف الجبهات الداخلية والخارجية، وقد هبت في وجهه مختلف في تفكيرها ، والمتحدة من حيث الاعتراض على أفكاره ، ومنطلقاته التجديدية .
ت إصطدامات عنيفة حقا إذ لم يكن الشيخ هو الآخر ممن ينحنون للعواصف ، أو يتلطفون في العراك الفاصل ، ودارت رحى جدال عنيـف الشيخ معارضيه من العلمانيين وأولياء الجمود والتبعية ، مثلما أصلوه من قارص القول وحديد الكلم ، ولكن المعركة انجلت في النهاية لصـالح المستقبلي الذي نافح عنه الشيخ ، وانكسار واضح لقواعد الجمود والتقليد وتيارات الغزو الفكري ، التي توطدت في بلادنا منذ زمن بعيـد ، لبلاء الفكري هو بعض ما أهله لأن تعده الدكتورة : إيفون حداد – إحدى خبيرات الفكر الإسلامي في الغرب - واحدا من أقوى العلمـاء وة الأفكار الغربية الحديثة ، التي كان من الممكن ـ كما قالت ـ أن تصيب الإسلام بمثل ما أصيبت به المسيحية واليهودية في أوربـا. وقـد أثر الذي تركته ثلاثة من كتب الشيخ هي :
ف في العالم الإسلامي ـ و كفاح دين ـ وقذائف الحق . أنظر:
ـ hadad. Yvonne y " muslim revivalist thought in the arabe world "
. the muslime world (october 1986) ; p ـ أنظر : إسلامية المعرفة ، ص 105 – 106 .

ى أثناء دراسة خطاب حجة الإسلام أبي حامد الغزالي ، وخطاب محمد الغزالي ـ وهذا من ناحية التأثير في الوسط الذي وجد فيه كل واحد ا إلى تطبيق رؤى مسألة مهمة ذكرها الدكتور: أنور الزعبي أثناء دراسته لإشكالية خطاب أبي حامد الغزالي على خطاب الغـزالي معاصـرنا ، مكمن السر في ذلكم التأثير الرابض وراء سلطته الخطابية المتميزة .

ا إنجازات المفكرين الإسلاميين قبل الغزالي وبعده، لبدا لنا بسهولة أن من بينهم ولا سيما البارزين منهم من
مثلا .. أو من هو أعلم منه في مجالات أخرى . بيد أن هذا لم يجعل من خطاب أي منهم خطابا ذا سـلطة
كخطاب الغزالي .
ه هذا البحث، فإن سلطة خطاب الغزالي قد نتجت عن مراعاته لمسألة مهمة هي : " مسألة : سياسة العلم
، أساسا بتدبر كيفية استيعاب الخطاب وتشغيله في الأوساط المختلفة التي نقدر أن الغزالي قد راعى أكثر من
كثافة في شتى مناحي خطابه) [80].

هذا الأمر من تقرير الغـزالي نفسه لـه في مقدمة كتاب " ليس من الإسلام" إذ أنه :
في على الأبحاث التي سيطرقها الطابع العام ، وأن يـ ل بها إلى جماهير القراء ، وأن يحررها ـ جهد الطاقة
، الفنية ، ولو تجوّز قليلا في التعبير والعرض مادام أنه يراعي الأمانة في سوق الحقائق الـردة .
أن الأبحاث المدروسة قد جرت التقاليد على دراستها في معاهد خاصة ، ولأصحاب ثقافة دينية عالية .
ك – توطين النفوس على قبولها حتى يعرف الدين على بصر ، وتجر الخرافات الدينية عن فقه ، وأن تقرّب
ألوانا من العلم حرموا منها ، وكان ينبغي أن تكون شائعة بينهم متداولة). [81]

طاب المعرفي باعتباره تدليلية تبليغية توجيهية ، يهدف إلى دفع متلقيه كي يتمثله ويعمل بمقتضاه ، ولا يحقق
ض إلا إذا استوفى صفاته أي أن يجيء تدليليا تبليغيا توجيهيا بمعنى الكلمة .
لاب على هذا النحو إلى الدرجة التي يكون معها ذا فاعلية بازاء متلقيه والوسط الذي يشتهر فيه ، ليصـبح
إلى درجة الإشتغال ، لابد أن يأخذ هذه المعايير بعين الاعتبار ، وأن تتحقق فيه تحققا مشبعا ، مما يتطلـب
صاحب الخطاب على هذه المعايير ، وأن يتمثلها ليصوغ خطابه على الوجه الذي تقتضيه .

ـاب الناجح :

لال عديدة ومتنوعة ، وقد يصعب حصرها ، بيد أنه من الممكن في هذا المقام الإشارة إليها إشارة عامة ،
رفة أبرز القضايا التي تجعل الخطاب باعتباره (فعالية، تدليلية، تبليغية) . متحققة فيـه والتمثيـل لكيفيـة
لاسيما الإسلاميين منهم هذا الأمر بدرجات متفاوتة ، تطلعنا على القيمة التي يتسنمها خطابه إن هو راعى
المثال في.
ة :
عرفي يتمتع بسوية جيدة ، لابد له أن ينطلق من .
ادة لأعمال سابقيه ، فضلا عن مراجعة الفكر السائد في عصره)[82].

سألة المعرفة ومنهج البحث عند الغزالي ، ص 34 (بتصرف).
يس من الإسلام ، الدار الشامية بيروت ، الطبعة الأولى ، 1420هـ – 1999م ، ص 5 – 6 .
جع السابق ، ص 36 – 37 .

جعات النقدية في أغلب آراء الشيخ الغزالي وأفكاره ، وان الدارس المتفحص ليجدها مبثوثة بارزة في جملة

ب " تراثنا الفكري في ميزان الشرع والعقل " إنما انطلق فيه والغاية الأساسية المهيمنة عليه هي: وجـوب
رامج العلوم النقلية الإسلامية ، وطرائق تدريسها ، وإصلاح مختلف الجوانب العملية التعليمية المتعلقة بـا ،
لامي لاستبقاء ما يوافق الأصليين ، واستبعاد ماعداه .
" السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث " فقد ضمّنه مراجعة الفكر السائد في بعض الأوساط الإسلامية
نهجه الأصولي المعتدل ، ليكفكف من غلواء تطرفه.

المراجعة النقدية ، فعلى صاحب الخطاب كذلك أن يدلل على **سلامة التوجهات البديلة أو المطورة** : التي
سويغها وبيان سلامتها المنطقية ، كي يحمل متلقي الخطاب على تمثله تمثلا جيدا ، ثم الاعتقاد به والانصياع
ك يتطلب صدور صاحب الخطاب عن منهجية متماسكة لها عناصرها ومقوماتا.
طاب علي هذا الوجه كذلك أن يحمل رؤى تبشيرية [83] لها جدتا وجديتها المتجاوزة للرؤى السـابقة ، أو
ا إن تطويرا أو تعديلا ، لترتقي الصورة المعرفية إلى المستوى الذي كانت عليه). [84]
غزالي أنه إذا كانت قاعدة الإعلام عندنا أن يعرف الناس من نحن ؟
ة ؟ فان ذلك يتقاضانا أن ننقد أنفسنا ، وأن ننبه إلى أخطاء وقع فيها الخاصة والعامة ، لا تعتبر ترجمة أمينة
. . . .
يجب أن ينتعش بين المسلمين فن النقد الذاتي، وهو فن يقوم على محاكمة الواقع الإسلامي إلى المثل المقررة في
مسافة القرب والبعد والصواب والخطأ في هذا الواقع المضطرب . . .
صاف الإسلام ذاته . . .
ن المسلمين منحرفون عن دينهم . وأن هذا الانحراف يشمل سلوك الفرد والمتمع ، وتكاد الدول الإسلامية
دول المتخلفة . .

يع أفكارا تيئيسية تدعو إلى الإحباط وتزعم أن الأمة لا أمل لها في النهوض مرة ثانية بعد هذا الموات يقول الغزالي :
عايات أعداء الإسلام ، فإن حاضر الإسلام موحش ومظلم ، ولكن الأمة الإسلامية تمرض ولا تموت) .(فنحن خبراء بأمتنا) .
ن يستدير الزمن كهيئته الأولى. وتعود للإسلام قوته وتخفق رايته ولكن دون ذلك أهوال لا نخشاها إن شاء الله .
، والأطلسي تتحرك طلائع التحرير وتشتبك مع أعداء الله ، وظني أن العراك طويل ليكن . . .
و خير الحاكمين ...) - الدعوة الإسلامية تستقبل قرنا الخامس عشر ، ص173 .
نجد قوله :(نحن نعتقد أن المستقبل لنا لا علينا ، وأن حكمنا الذي انار سيقوم مرة أخرى شامخا عزيزا ، وأن اليهود الذين يعربدون في منطقتنا
العرب صولة ، ستخمد نارهم وتذوب دولتهم ، وأن المد الصليبي والشيوعي والوثني ستتبدد قواه ، ويعقبه جزر عميق . نعم .. فللإسلام جولة
عة إلا وقد بلغت مداها ، ورفعت سناها ، وتالي القرآن الكريم المتدبر معانيه يلحظ ذلك في مواضع كثيرة ...
الإسلام في العالم متموج مضطرب ، قد يسمو فيصل إلى القمة ، وقد يهبط حتى يمس القاع ، وليس ذلك مستغربا عندما نلاحظ السنن الكونية
ان هذه السنن تقلب الناس بين السراء والضراء ، وتلك الأيام نداولها بين الناس .).
- الدعوة الإسلامية تستقبل قرنا الخامس عشر ، ص 193- 194 .

رجع السابق ، ص 39 .

ي سوف ينسحب على الإسلام ذاته شئنا أم كرهنا .
يكمن وراء قصورنا وتقصيرنا) [85].
خطاب الغزالي عن منهجية متماسكة ذات عناصر ومقوّمات معتبرة يتجلى في قوله بعد هذا :
نب ديننا هذا الظلم الشديد ، ينبغي أن نذكر الحقيقة مستقاة من مصادرها الدينية الوثيقة ثم نذكر العـوج وأفعالنا وبراءة الإسلام منه ، وهذا النقد الذاتي ينهض على دراسة عميقة للإسلام ، وتاريخه وحضارته ، ولا يع دائرته ، لتتناول أخطاء وقعت في الماضي ، فان المسلمين غير معصومين ، أما الإسلام نفسه فمعصـوم)

وقفات المراجعة والتقويم داخل العمل الإسلامي عموما ، والمتعلق بالجانب السياسي منه خصوصا ، كـان اجب . خاصة بعد أن اكتشفت الحركات الإسلامية أنا كانت عاطفية ومتسرعة في أحكامها وتقـديراتا في هذه المرحلة كان لإعادة النظر في كل ذلك وأكثر .
ذه المراجعات إلى تقبل متغيرات وتحولات ذاتية وموضوعية ، عند العديد من الحركات الإسلامية ، ومسار ير منها كان يتباين والتوجهات السابقة ، وقد تعززت أكثر مع ما حصل في العالم مـن انفـراج دولي ، في دول أوربية وإسلامية وعربية ، وتعاظم هذه الموجة عالميا [3].
لاحظة التي أبداها الدكتور أحمد زكي وهي :
من حقبة الثمانينات شهد تطورا ملحوظا في الدراسات والأبحاث النقدية للعمل الإسلامي ، بعد أن كانت ا بحيث أن الناظر في السوق الفكرية الإسلامية يرى الاهتمامات متباينة ، ولكنها تصب في النهاية في مديح وليس نقده وترشيده) [88] فإن باستطاعتنا استثناء قلة من المفكرين الإسلاميين الذين خرجوا عـن دائـرة تاب الزائف ، وكانت جل كتاباتم تكتسي روحا نقدية ، وتلقي ظلالا على جوانب تكاد تكون مخفيـة ومن جهة أخرى فان هذه الدراسات ساهمت في تعميق وتأصيل وتنضيج الوعي بمفهوم " النقـد والنقـد الحيوية حاضرا ومستقبلا ، ذاتيا وموضوعيا، فكريا وسياسيا، مما شجّـع على تكاثر هذه الأبحاث ومـن ع شك أو ريب .
يخ الغزالي ـ دون مزايدة أو مبالغة ـ في مقدمة هؤلاء ، ولعل الدارس لفكره في هذا الشأن خصوصـا ل أمرين مهمين :
ـ **أولهما:** أن الروح النقدية البنّـاءة لازمته منذ كتاباته الأولى ، فلم يكن الشأن معه كجماعـة مـن مل الإسلامي ، الذين تشددوا في الخطاب ابتداءا ، وكانوا يشعرون بنوع من الأنا المتضخم ، والإعجـاب ن أيديهم ذاتيا وموضوعيا ، فكريا وسياسيا ، وقد يتسم البعض منهم بالعصـاوة علـى النقـد ، وعـدم التي تقع فيها حركته أو حزبه أو مؤسسته . . الخ .

دعوة الإسلامية تستقبل قرنا الخامس عشر ، ص 169 - 170 ، دار الهدى ، الجزائر .
ص 170 .
لامية والديمقراطية ، ص 230
ص 231 . وانظر : خالص جلبي ، في النقد الذاتي للحركة الإسلامية ، ط 3 بيروت ، مؤسسة الرسالة 1985 ، ص18.

ـ **ثانيهما :** أن كثيرا من الأعلام والمفكرين الإسلاميين ، قد تبنى كتاباتهم وأفكـارهم طوائـف مـن
وأساءوا فهمها حينا ، ولوّوا أعناق نصوصها أحيانا ، لكي يبرروا بها أعمالهم المصنفة تحت خانة " العنـف
ب " وذلك كالجماعات التي تبنت فكر (الأخوين : سيد و محمد قطب . وكتابات أبي الأعلى المودودي و

هذا الأمر إلا الغزالي وثلة من المفكرين ، للطبيعة الفكرية المتميزة التي لا تسمح بتأويل يسند الفكر المتطرف
جه أو في وسائله وغاياته .
هذا الأمر فطبيعي أن أولئك الأعلام لا يتحمّلون وزر هؤلاء المتشددين ، فهناك ظروف قـد احتفّـت
م يصدر وعليه مسحة من الشدة الرافضة للواقع الجاهلي المشين، لذا اكتسى هذا الفكر مسحة من القسوة
قع المتردي . إضافة إلى أن تأويلا باطلا تجم به المتنطعون على كلام هؤلاء الأعلام يوضع في غير موضعه .
من تشدد وعوج.
كلام الله عز وجل وحديث رسولهε لم يسلما من التأويل الفاسد والانتحال الباطل فكيف بكلام غيرهمـا

نبه أخيرا أنه ضمن هذا المقام وفي إطار الثقافة العربية الإسلامية، فإننا نجد أن الخطابات التي تتحقق فيها هذه
مثل بها تمثلا جيدا على تفاوتها هي خطابات الفلاسفة ، وأبرز المتكلمين والفقهاء .
مثال نختم به في الناحية التدليلية ما ذكره الغزالي في مقال له بـعنوان :" في أطوار الدعوات ".
سفي والفكري العالي ، تحدث الشيخ فيه عن المبادئ المنتشرة يحتشد حولها معتنقوها ، والمذاهب الحاكمـة
بديها ، وتنفذ بالقوة ما تريد ، وكيف أنها تبدأ فكرة ، ثم ترتقي إلى عقيدة ، ثم تستحيل إلى نظام ، ثم يبين
ب يستقبل الإنسان العرض الذي يدعوه إلى اعتناق منهاج ما ...... (.. فإن أول ما يفعله أو ما يجـب أن
هذا العرض بقلبه ، فإما قبله وإما رفضه وهذا ما طلبه القرآن الكريم من المشركين : [قل إنمـا أعظكـم
لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا] [سبأ آية 46]
ب هو تفكير الدارس الممحص ، الذي يقلب ما أمامه على وجوهه الممكنة ، ليكشف الحق مـن الباطـل
طيب . ومرحلة التفكير هذه تعتمد على التأمل طال أو قصر ، وعلى افتراض الصدق والكـذب ـ ولهـا
ة قبـلا من الحكـم على ما تـرى ـ فإن تشككهـا فيـه حتى تستبينه أمــر طبيعي [89]) [90].

الفلسفي المعروف وهو: (الشك أول مراتب اليقين) . وقد نبّـه باحثون أجلاء إلى دور الإمام الغزالي (405-505هـ) في هذا الميدان ،
ن الضلال " هو ترجمة ذاتية رائعة لمفكر وقع فريسة للشك ، ثم تنقل عبر العلوم وطرق الإستدلال بحثا عن اليقين حتى وجد في طريق الصوفية
.فهو معلم من معالم التراث ، تراث الإنسانية في اتخاذ الشك سبيلا لليقين ..ولكن شك الغزالي ـ وكتابه الذي عرض فيه تجربته ـ كان
شكلة ذاتية ، ولم يكن منهجا دعا إليه الآخرين ، شأن المناهج العلمية التي يهندسها العلماء فيقدمونها للناس ..كما أن النهاية التي أثلجت صدر
وهي ذوق الصوفية وكشفهم ـ لا تجعل شكه هذا " الشك المنهجي " الذي يستخدمه العلماء في البحث بميادين الفلسفة والعلوم ، لأن "
الذي تعارف عليه العلماء والفلاسفة قلما يقود إلى مثل تلك النهايات ..
ـ أنظر: التراث والمستقبل لـ: محمد عمارة ، دار الرشاد ، ص382 .
هذا لأنه من مجموع آراء شاعت وعممت قبل القراءة والتأصيل ، ومن عرج على ذكرها وعالجها معالجة دقيقة شيخ الإسلام مصطفى صبري
، العلم والعقل والعالم .." .

ى أن الغزالي قد قدّم بمراجعاته النقدية للتراث الإسلامي ، وللأفكار السائدة ، معالم واضـحة لمشـروع
وفق منهجية شاملة . وقد تلمح امتزاجا في طروحاته الفكرية بين عناصر سياسية واجتماعية وأخلاقية وقلما
أفكاره لعنصر مستقل ، ذلك لأن عوامل التغيير هي عوامل مؤثرة في عوامل أخرى ، ومتأثرة بها في الوقت
ستحل وجود العامل المستقل.

ـ الناحية التبليغية: فإنك واجد أن أي خطاب يتمتع بمكانة جيدة لابد أن يراعـي أمـورا منـها :
والتوصيـل، بما يجعل متلقيه متمثلا له واعيا به وبمقاصده الأمر الذي يوجب مراعاة قدرات المخاطـب ،
وأسرارها، وقدر م لته ، والطبيعة التي هو عليها والظروف التي يمر بها ، فضلا عن التنبه لمراعاة نوع الوسيلة
داته ، والكافية في حقه وغير ذلك من مسائل [92] .
ن يتمتع صاحب الخطاب بثروة طائلة من علم النفس، وفن التربية وقواعد الاجتماع، وأن يكون ذا بصر
، وقيم الأفراد ، وميزان المواهب .

التنبيه إلى نقطة مهمة قد لا تؤخذ بعين الاعتبار في مثل هذه الدراسات وهي :
ـ صاحب الخطاب ـ أن يتخير موضوعه المناسب ، وأن يصوغه في الأسلوب الذي يلقى هوى في أفئـدة
ك أثره المنشود في نفوسهم وأفكارهم .
كاملة العناصر ، تامة القوة ، ولكنها تقع بعيدة عن مرماها فتذهب هدرا .
ين يرسلون من أفواههم حكما بالغة ، تنطلق هنا وهناك كما ينطلق الرصاص الطائش ، لا يصيب هـدفا
[93] .

ور : محمد عمارة ينبه إلى ذلك ، وهو يرى أن هذا المنهج العلمي أليق أن يكون ثمرة من ثمار أولئك الذين أعلوا من شـأن العقـل ، ف عـوا
باعات الأولية والملاحظات غير المؤكدة ، فضلا عن المأثورات.. والجاحظ واحد من أعلام هذا التيار في تراثنا وحضارتنا .. وهو يعرض لهـذا
اعتباره منهجه في كتاب " الحيوان " .
ـ أنظر : ص 382 – 388 من كتابه : التراث والمستقبل .

ي موكب الدعوة ، منشورات دار الكتب الجزائر (بدون تاريخ) ، ص149-150 .

، أغلب العلوم الشرعية لا بغرض إعادة إنتاج الفكر الإسلامي الموروث في هذا الميدان ، وإنما بغرض الاهتمام بمعالجة القضايا التي طرحها عصره
علوم . وقد عمل الشيخ منذ بواكير نشاطه الفكري على ترسيخ المبادئ الأساسية للفكر الإسلامي ، كي تكوّن انطلاقة قوية، وتخطو خطواتا
، وهو من استوعب مناهج الأصوليين، ومناهج الفقهاء، ومناهج المتصوفة، ومناهج اللغويين، ودقق ومحص وغربل وقارب واستخلص، فجاءت
عمق الركائز الإيمانية، وتجذر الأصول العقائدية ، وتعيد المسلم إلى المنابع الصافية من كتاب الله وسنة رسوله ε فالتوحيد مبدأ كل شيء وأساس
عليه يقوم بناء الكون ، والحياة ، والإنسان، والكائنات ، والخليقة فذاك كل متكامل ، والنظام الكوني تضبطه السنن والقوانين ، والوعي بـهذه
با شرط لازم للنظام المعرفي والعلمي ، وضمان لاستقامة الحياة وعمرانا ، ولاستقامة خلق المسلم وانضباط سلوكه اتساقا مع هـذه السـنن
قد ذهبت رؤيته المنهجية إلى تأكيد الوعي بالسنن القرآنية ، سنن الله وقوانينه في الـتمعات البشرية ، والأخذ با ....
- أنظر : العطاء الفكري للشيخ الغزالي ، ص 43 - 44 .

مصدر سابق) ، ص 43 .

ي موكب الدعوة ، ص 213 – 214 .

يقة – هو الوسيلة التي تعتبر طليعة غيرها . ولا يؤتي الخطاب ثماره كاملة إذا لم يتوفر فيه .
تعبير والوعاء اللغوي الأنيق الذي صاغ فيه الغزالي أفكاره ومعانيه فهو القمة السامقة التي كتب بها داعيـة عصرنا الحاضر إذ أننا سنجد أن يراعه قد دبج مقالات وكلمات حوت من النثر الجيد صورته ، ومن الشعر ه ، ولطالما كان يذكّـر – رحمه الله – بوجوب توفر البيان والنفس الشاعرة ، لمن يشتغل بخدمة الـدين بين ، فلا يخدم هذا الدين إلا صاحب نفس شاعرة .
ذه الميزة وتجرأ فاقتحم ميدان الدعوة فيقول : (وأنّى لرجل محروم من حاسة البلاغة أن يخدم دينـا كتابـه وله إمام للحكمة وفصل الخطاب.) [94]

بير وفصاحته ، كل من قرأ للغزالي كاتبا ، أو سمعه خطيبا ومحاضرا . يقول القرضاوي:
الي أيقن أنه أديب عظيم متميز له مذاقه الخاص وأسلوبه الأصيل ، لا يقلد أحدا ، ولا ينتمي إلى مدرسـة يحب أن ينتمي في الفكر أو الأدب إلا إلى مدرسة محمد بن عبد الله ε ، ولو قدر له أن يتفرغ إلى الأدب باء البارزين في العالم العربي ، ولسبق اسمه كثيرا من الأسماء المعروفة) [95]
ماله من الناحية اللغوية السامية التي تميز بها الغزالي فنشر من خلالها أفكاره وأصدر من تيار أسلاكها أنواره

ة **التوصيل** : فتجدر الإشارة إلى أن هذه الصفة التبليغية لم تستوف الاستيفاء الشامل عند الكثير من كبار ي وكتابه على الوجه الذي تقتضيه سياسة العلم أو ما سماه الدكتور طه عبد الرحمان بـ " التبليغ التداولي

القصور هذا إلى الخلل في فهم اللغة وأسرارها ، قدر ما يعود السبب إلى طبيعة المبلغ نفسـه – الطبيعـة التي تـ ع إلى توجيه الخطاب وآثار المزاج المنحرف بادية عليه وهم الذين عناهم الغزالي بقوله: (في تطوافي ت أناسا يتحدثون عن الإسلام حديثا تأباه الفطرة ويمجه العقل)[97].

السبب هو الطبيعة المتعلقة بصياغة الخطاب وفق قواعد برهانيـة وأسس منطقية ، هي غاية في الصرامة ، كها إلا المحققون ، وقد نجا الخطاب عند الغزالي من هذه التبعات والنقائص جميعا ، وأمكنه أن يعـالج أدق

ع الله دراسات في الدعوة والدعاة) ص 218 . دار القلم ، دمشق ، ط 4 ، 1421هـ – 2000م .
، داعية يشعر بغربة في ميدان الأدب أن يترك ميدان الدعوة لفوره ، فان الذي يحاول خدمة الرسالة الإسلامية دون أن يكون محيطا بأدب العربية ، إنما يحاول عبثا ، الداعية لابد أن يدرس آداب العربية القديمة والحديثة ، وأن يدرب نفسه على الأداء العالي والعبارة الرائقة ، وليس القصد أن اء ا منمقا ، كلا . فهذا مزلقة له ولرسالته ، وإنما القصد أن يحسن صوغ العلم النافع والحقائق الركينة ، في أسلوب يبرز ما فيها من نفع وقوة ط الحسن يزيد الحق وضوحا، وكذلك القول الحسن والخطاب الجميل) .
– مع الله دراسات في الدعوة والدعاة ، ص 218 - 219 ..
مقال : يوسف القرضاوي ، (نظرات في تراث الشيخ محمد الغزالي)، ص19 .
در سابق) ، ص 43 .
شكلات في طريق الحياة الإسلامية ، ص .

صوغة في الأسلوب الذي يتمكن الجميع من فهمه ، بل ويلقى هوى في أفئدتم حتى يترك أثره المنشـود في

المؤلفة التي التقت به .. أو التي أشرف عليها الرجل في مداره العتيد . وسل من قرءوا لـه ، أو سمعـوا من أحد منهم إلا وفي حياته ومشاعره وأفكاره أثر من توجيهات الشيخ الغزالي ، أثر يعتز به ويغالي بقيمته في دنياه. فالسبب الرئيسي كما يظهر هو ماكان الشيخ يتميز به من صدق في طروحاته الفكرية ، والـتي من مستمعيه .

الذي نذكره تقرره بحوث الاتصال التي تؤكد أن هناك علاقة طردية بين مصداقية المرسل ، وقدرته علـى يحملهـا أو يبثهـا، حيث تزداد درجة اقتناع المتلقـي ، كلما كان المرسل يتمتع بمصداقية عالية) [98].

غزالي صفة ـ المصداقية ـ طوال حياته ، وتأكدت من خلال تجربته ، فالصدق كان سمة أساسية في تكوينه ثل إلى جانب الغيرة على الإسلام والوقوف إلى جانب الحق مفتاح شخصيته ، ومواقفه عبر تجربته الطويلـة أثناء المؤتمر الوطني للقوى الشعبية عام 1962 ، وموقفه حين صدر قانون الأحوال الشخصية في منتصـف نودا اعتبرها علماء الدين مخالفة للشريعة " .

ون أمام وزير الأوقاف الدكتور عبد المنعم بري ، وفي خطبة الجمعة ، وترتب على هذا الموقـف أن منـع وتم نقله من جامع عمرو بن العاص إلى جامع صلاح الدين بالقاهرة.

ن هناك العديد من المواقف ناصعة البياض التي أسهمت في تأكيد المصداقية التي تحلّـى بها الغزالي ، وكانت ته كداعية ومجدّد ومفكـر أصيل ، واستطاع بهذا الصدق أن يلقى قبولا منقطع النظير على امتـداد أمتـه

قيقة من الصفوة المختارة ، الذين يحادثون الأمة وطلاب العلم بأعصابهم قبل أن ينطقوا بألسنتهم ، وإنّ في سانا آخر ينطق بأفصح بيان ، لسانا يقول لهم : إنه لقول فصل ، وما هو بالهزل ، لذلك ينشأ من التلاميـذ ن يهيمون بهم، ويعكفون على آثارهم .

هذا التأثير والنجاح ما كان من خطبه التي كانت مذياعا خطيرا يبشر به مستمعيه بآرائه الجريئة ، فأعـاد ة يوم الجمعة اعتبارها المفقود ، وأخذت الجموع تهرع إلى المسجد قبل الميعاد ، لتجد المكان المطمئن فـإذا جد تكتّل الناس في الطرقات من حوله، وقد بسطوا السجاد ليؤدوا الفريضة مستمعين إلى النقد الجريء الحر ، لا يعرف الجبن والخداع ، وحين كان الأستاذ خطيبا للجامع الأزهر حقبة من الدهر، أصبحت خطبـه ، جميعا ، وسجلتها الأشرطة لتتناقل في الربوع النائية فيعيدها خطباء المساجد في الأقاليم مرة ثانية .

راء الداخلية مع نفر من الصحفيين ليقول لهم : إنهم فقدوا التأثير الشعبي لأنهم يكتبون في مناصرة الحكومة ـد ، ومحمـد الغـزالـي يلقـي خطبه في مسجد " مصطفى محمود " يوم العيد فيرددها الخطبـاء في

تجديد الفكر الإسلامي ، (قراءة في تجربة الشيخ الغزالى)، دار القلم ، القاهرة ، ط 1، (1419هـ - 1999م) . ص

المساجد في القرى والمدن ولا يستطيع أحد أن يمنع خطيب الجمعة إذا استند إلى القرآن والحديث ونقـل
ته على الإقناع والإبداع ! !) [99].

الجديرة بالذكر في هذا المقام قوله يتحدث عن المظالم في المتمع : (إن للمظالم عمرا معّينا تقف عنده وتبيد
العنان لبعض الناس فيستبدون ويفسدون وليس يحدث هذا عن إهمال معيب .

هال مقصود يرتبط سره بسر الحياة نفسها .

ئم على الإختبار والتمحيص ، وتكليف البشر أن ينشدوا الكمال في أعمالهم و أنظمتهم ، وأن يدفعوا ثمرة
نهودهم . فإذا تظالمت أمة واضطربت أمورها ولم يرجع ظالمها عن غيه ، ولم ينتصف مظلومهـا لنفسـه.
مصير هذه الأمة بما يؤدب ظالمها ومظلومها على سواء ، وللقدر في ذلك أساليب شتى أما إذا نض المظلوم
: [إني مغلوب فانتصر]فان ميزان الحياة يعود إلى الاستقامة والاعتدال ، ويتخلص العالم مما عراه من توقف

ص ـ الناحية التوجيهية فيهمنا هنا التذكير بمسائل عدة تتعلق بالناحية العلمية التي يقصد الخطـاب إلى
لإضافة إلى قوة الخطاب التدليلية وقوته التبليغية عوامل أخرى .

، تتركها الأدوار التي تلعبها العلاقات التنازعية بين الخطابات المتزاحمة فيما بينها تاريخيا في كل حقبة على ما
لط خطابات عديدة نجملها في : الخطابات البائدة ، والخطابات السائدة ، والخطابات الوافدة [101].

ذي يملك سلطة واسعة في حنايا الأمة هو الإسلام بداهة ونعلم أنه يحمل في جنباتـه مـن قـوة الألفـة
ـ والناس يميلون إلى ما ألفوه من معتقدات ـ الشيء الكثير [102].

كره يكون في الحالات العادية التي يكون الإسلام محكّما بمرجعياته المعروفة والمتفق عليها ، والبيئة التي وجد
ة قد رمى فيها الغرب بخلافة الإسلام في البحر ، وهي بيئة اكتسح فيها الاستعمار العالمي بتفوقـه المـدني
، من أرض الإسلام ، وحاول أن يغيّـر معالمها جملة وتفصيلا لمصالحه الخاصة ، وهي بالإضافة إلى ذلك بيئة
؛ في الكيان الإسلامي نفسه ، نتيجة فساد عام في أحواله المادية والأدبية ، العلميـة والعمليـة ، الفرديـة
ية والسياسية [103].

الي. (حياة وآثار، شهادات ومواقف) ، جمع : نصر الدين لعرابة : شركة دار الأمة ، الجزائر ، الطبعة الأولى ، (1998 م) ص165.

الإسلام المفترى عليه بين الشيوعيين والرأسماليين ، دار الشهاب للطباعة والنشر، باتنة الجزائر، ص172 - 173 .

ِعة أو البائدة : التي كانت سائدة في فترة ما ثم انزاحت أو بادت لحساب خطاب استجد وساد .

، أو الوافدة : وهي الخطابات التي تحاول أن تـ ع السيادة لصالحها بشكل أو آخر .

ة : التي تغلبت ضمن الحقبة المعنية ، وأصبحت عرضة للتنازع بين الخطابات البائدة والخطابات الوافدة .

ـ أنظر : أنور الزعبي (مصدر سابق) ، ص 44 .

مصدر السابق ، ص 44 .

دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين ، دار القلم دمشق ، ط1 ، 1407هـ – 1987م . ص06 .

هاض الأمة للاشتغال بما يمليه الخطاب الوافد غالبا ما يترتب عليه أعباء كثيرة ، خاصـة في بيئـة كـالتي
يترتب مثل هذه الأعباء مرجعه الأساس لما للخطاب السائد من علاقة بالكيان السياسي والاجتماعي الذي
لوافد .
ا أن نولي هذا الكيان ودوره الأهمية التي يلعبانها في تشكل الخطاب من الناحية التوجيهيـة ، إذ أن التغـيير
د الدنيا بالنسبة لأنظمة الحكم المستقرة نسبيا .
ٍقة المثقف بالسلطة ، وتتحدد بعض ملامح الخطاب التوجيهية .
ل ذاك الذي يتفاعل مع مجتمعه وشعبه ، وسيضطرنا هذا إلى الحديث عن المثقف والسلطة ، لفهـم طبيعـة
هما في عالمنا العربي والإسلامي .
ي تأمل بسيط سيتجلى لنا أنها علاقة تصادمية في العالم الثالث ـ والعالم الإسلامي جزء من هذه الكوكبـة
ستاذ أحمد بهاء الدين:
الشك وعدم الثقة على الأقل ، وأحيانا يحكمها التناقض والعداء .
ه العلاقة القلقة تنطوي على خسارة كبيرة لكل بلد .. في حين أننا نجدها علاقة تكاملية في الدول المتطورة
لثقة ، حتى وإن كانت للمثقف آراء تخالف رأي وفلسفة السلطة .
ي أحيانا من أن الرئيس الأمريكي يستعين بمستشارين لهم آراء تخالف رأيه وفلسفة حزبـه ، ولكـن هـذا
أحيانا . فحين يأتي الحاكم بمستشارين ومفكرين من نفس مدرسته وتفكيره ، فكأنه يضع حوله مرايـا لا

هو أن توجد العناصر الأخرى التي تثير الجدل والنقاش ، ويجد من خلالها فرصة التعرف على شـتى الآراء

لاقة المثقف بالسلطة طالما كانت ـ وستبقى ـ ذات تأثير بعيد في تشكل الخطاب لينحو نحوا مواليـا أو
فيقا ، أو وسطا بين الأمرين . . .
ت البائدة دورا تلعبه في زعزعة الخطاب السائد ، و تجاذبه نحو اتجاهات أخرى ..) [105]

في تأليف الغزالي لبعض كتبه في ظروف عصيبة، نراه قد نحا فيها نحو المعارضة والحدة في الخطاب تجاه بعض
ة والوافدة على السواء .
ة السـابعة لأول كتاب ألفه الغزالي وهو :" الإسلام والأوضاع الاقتصادية ". يذكر : (أنه في سنة 1961
ن الضياع السياسي المقنع بشعارات لا تحمل أدنى رصيد من الشرف والحقيقة . تحت راية ما سمي بالقوانين
كانت شيوعية مغلفة زاحفة . وظهر أن ما كنا نظنه إصلاحا . إنما هو داء جديد ، أسوأ خطر مـن الـداء
يه في هذا الكتاب ...
في سنة 1947 م ضد الإقطاع والاستبداد. . دخلناها سنة1961 م ضد الأخطار الجديدة ، وأوذينـا في الله
. وأصدرنا في هذه الظروف كتابنا :

، المثقفون والسلطة في عالمنا العربي ، (كتاب العربي 38)، ص21 .
رجع السابق ، ص 44 .

ي العالم الإسلامي " . وتابعنا المعركة حتى أوصدت في وجوهنا كل أبواب العمل للإسلام من خطابة وتربية

ثلاث ألفها الشيخ برزت فيها مدافعة جلية لهذه الخطابات . فمن ذلك كتابه المزعج " الإسلام المفترى عليه
سماليين ".
' عن خبرة واعية بأثره البعيد . لأنه أزعج طائفتين متعارضتين كلتاهما تتمسح بالإسلام وهو منها بريء .
التي تعلن أن الإسلام يؤكد اكتناز الذهب والفضة والعقار ، عملا بمبدإ الحرية في الامتلاك ، وهي واهمـة

: التي تتمسح بنصوص قرآنية تفسّـرها على غير وجهها .
ذ ليعلن أن الإسلام ذو منهج عادل في تحقيق التكافل الاجتماعي ، ولم يبغ إرضاء المذاهب المغرضـة...)

: " الإسلام في وجه الزحف الأحمر " .
يجابه موجة الشيوعية التي اكتسحت بلادا عريضة من بلاد الإسلام ، وفرضت أفكارها علـى العمـوم .
ية لأقطاب وساسرة الدبّ الروسي ، ومن تبنّى الشيوعية من أنصار السلطان ، وذكر في مقدمة كتابه هذا
، هذه الصحائف بالحقائق العلمية والتاريخية ، وأودعتها صرخات قلب غيور على دينه ، مشفق على أمتـه
تا سأتعرض لعدوات مميتة .
أن نبقى ويفنى الإسلام .) [108].
الغزالي " أن والده في حوار شفهي قال دامعا :
زملاء والمحبين أن أصرف النظر عن كتاب " الإسلام في وجه الزحف الأحمر" لأنه سيثير الزوابع الفتاكة عليّ
سائلها . هل هذه هي الحياة ؟
' أخشى منه ؟ بئست حياة أدفن فيها في جلدي ، ويتنطع الظالمون صائلين بالأقدام علينا . لموت في هـذه
، ولا يفنى الدين أبدا .) [109].
النقاد والراصدين لحركة الأفكار ، وآثارها في المتمع على أثر الشيخ الغزالي البيّـن في استنهاض الأمة بما
جاه تلك الخطابات التي أتينا على ذكرها ، مدافعة وردا أو تقويما ونقدا ، وأن ما خطه قلمه كان من أقوى
ة والتغيير والإصلاح ، وأن كتبه تعتبر الطليعة العقلية للزلازل التي هدمت صرح الطاغوت ، والتصـدي
ي ، والغزو الموجه نحو الصميم .

لإسلام والاستبداد السياسي " [110] يذكر الأثر الذي تركه هذا الكتاب في الأوساط لما يقول :

الإسلام والأوضاع الاقتصادية ، ص07 .
الغزالي حياة وآثار شهادات ومواقف) مقال : محمد رجب البيومي ، ص165 .
الإسلام في وجه الزحف الأحمر ، ص 04 .
ي للشيخ محمد الغزالي ، (حلقة دراسية) الطبعة الأولى (1417هـ -1996م) المعهد العالمي للفكر الإسلامي/ مكتب الأردن ، المجمع الملكي
الإسلامية / مؤسسة آل البيت ، جمعية الدراسات والبحوث الإسلامية . مقالة السيرة الشخصية للشيخ محمد الغزالي ، لـ : علاء محمد الغزالي

ئف من بضع عشرة سنة وكان دويّـها بعيد المدى في إقلاق الظلمة .
در لها أسرع مما يتصوره الكثيرون ، فدكّـت عروش طالما عنت لها من دون الله الوجوه ، وزالت مآس
ها يستولي على الأفئدة .) [111] .

الغزالي قد كانت من حيث التحفيز وإنهاض همة الملتقي للإقتداء بالخطاب، والاشتغال به زاخرة عـامرة ،
على مبدإ هام هو : ضرورة ربط الفكر بالعمل، وأن لا تبقى الآراء والأفكار حبيسة عقول سماوية وأبراج
يقول ـ مثلا ـ :

ية لن تبلغ تمامها ، ولن تستقيم على نهجها إلا إذا خرجت بأصحابها من الصومعة التي يتحنثـون فيهـا ،
وجه مع مشكلات المجتمع ، ومفاتن الدنيا) [112] .

..ولا أدري لماذا لا نؤثر العمل الصامت ، بدل ذلك الجدل العميق) [113] .

سالات الكبرى إذا تطلعت إلى الحكم وسلطانه فلكي تضمن تنشئة الجماهير على ما تقر من مبادئ ، ومن
م وسيلة لا غاية ، إنه وسيلة إلى إقرار الفضائل وإقصاء الرذائل ، وتربية النفوس على الحق والخير ، والنظر
، على ضوء هذه الحقيقة وحدها ، وليس يتصور في دعوة إلى الله ورسوله أن تتخلى عـن هـذا الميـزان
لأصناف الناس .) [114] .

أن خطاب الغزالي يحفز الناس تحفيزا للسير بكل جهد وهمة في مجالات الترقي ، والتحلي بأسس الأخـلاق
تده دافعا لرفع مستوى العناصر الذاتية الفردية وتفعيلها ، وذلك حتى تتحقـق في المجتمعـات والشـعوب
اقية .

ية نستطيع فهم سر السلطة والتأثير في هذا الخطاب ، ذلك أنه قد استوفى المعايير والصفات الواجبة كاملة ،
ة تدليلية تبليغية توجيهية بمعنى الكلمة .

حمان حين خلق الإنسان وعلمه البيان ، ثم خص بفضله بعض الأنام من كل أمم تترى ، فجعل فعل بيانهم
ذا وسحرا ، فارتفع الخلق بذلك حتى بلغوا الشأو البعيد ، وتفننوا فسطرت أقلامهم روائع النثر ، ونظمت
روا بذا عن العجماوات غاية البيان ، وعبّـروا به عما يجيش في صدورهم غاية التبيان .

، الثالث الذي مثلنا به من جملة كتب ثلاث للشيخ ، والتي برزت فيها مدافعة جلية لهذه الخطابات .

الإسلام والاستبداد السياسي ، دار ريحانة ، الجزائر 1420 – 1999 م، ص21 .

في موكب الدعوة ، ص 224 .

هموم داعية ، ص 16 .

هموم داعية ، ص 119.

لفـكـر السياسـي عنـد الغزالـي :

، إلى مدرسة تجديد الفكر الإسلامي الحديثة ، ويعتبر أحد أجيالها في هذا العصر . هذه المدرسة التي بدأت في د جمال الدين الأفغاني وتلاه جيل الإمام محمد عبده. واستمرت من خلال الجهود الفكرية لرشيد رضا عبر د الإصلاحية لمصطفى المراغي في الأزهر الشريف ، فقد سلكت هذه المدرسة رؤية تجديديـة وإصـلاحية رواد جيلا بعد جيل ، فأثمرت التكوين الفكري للشيخ محمد الغزالي والذي مثل الجيل الخـامس في هـذه أيّ باحث منصف شك في كون الغزالي واحدا من أبرز أعلام المدرسة الفكرية التي يطلق عليها " مدرسـة حديثة للفكر الإسلامي " وخاصّة فصيلها الذي انتقل بقضايا الفكـر الإسلامـي من إطـار " الصـفوة " هد محمد عبده – إلى إطار " الأمة وجماهيرها " وهي المرحلة التي بدأت بالشيخ حسـن البنـا . وتعـد سياسية الثمرة الناضجة لجهود المدرسة الإصلاحية التي بدأت بوجه سياسي سافر على يـد الأفغـاني ، ثم ا تعليميا تكوينيا متأنيا على يد محمد عبده، ثم عادت على يد رشيد رضا ومدرسة المنار لتشتغل في إطـار لإهتمام بقضايا العالم الإسلامي السياسية وقد كان لمدرسة المنار فضل تعميق الخطين معا : الخط السياسـي خط التربوي التكويني لمحمد عبده، وذلك مع تصحيح أطر التفكير التي أرساها كل من هذين الرائدين [115].

يع الله انتقاد المستشرق هاملتون جب لرشيد رضا واصفا هذا الانتقاد بأنه طريف مثلما كان ثاقبا، وذلك لاستبداله ابن تيمية بأبي حامد الغزالي سلفية الحديثة ، فيقول: (صحيح أن أبا حامد انتقد الفلسفة اليونانية وأبان عن تافتها وعوارها، إلا أنه ظل – بسبب استمرار تأثره با – لمستشرقين من منطق الأصالة الصارم لابن تيمية، كما كانت تعاليم إبن تيميه أقرب إلى تحريك الحركات السياسية وتعبئتها من تعاليم الغزالي ، ، أن كان الغزالي ومحمد عبده أقرب إلى عقل جب وقلبه من ابن تيميه ورشيد رضا. يراجع كتابه: modern trends in islam
- (Chicago univ. Press ;

لرح بالذي يؤخذ على علاته ، لأننا نعتقده مما عُـمّـم ، ولم يأخذ حظه من الدراسة الحقيقية والتـأصيل الواعي الدقيق، وهـذه الفكـرة ، عن الغزالي وذلك من مثل قولهم (أن أبا حامد بلع الفلاسفة لكنه لم يستطع أن يتقيأهم)، وقولهم: (بأنه كان يسبح في غمـرة تصـوفه، نزو بلاد الإسلام ويدوخ أطرافه.)

الشائعات وغيرها لم تأخذ قطها من التمحيص والغربلة، ولو علم الناس الحق فيها لرجعوا عن القول با أو الاعتقاد فيها كلا أو جزء ، ولسنا ه الحق هنا لما مثّـلنا به فله مقام آخر، وإنما يهمنا ما نحن بصدد ذكره الآن وهو دعوى أن الغزالي لم تكن تعاليمه بالتي ترقى إلى مقام تعـاليم ، الحركات السياسية وتحريكها، فمثل هذا القول سببه التفكير الجزئي والنظر الظاهري اللذان لا يحيطان بمكونات الأحداث ، ولا ينفـذان إلى ا . وهو جهل بالمنهج الذي اختاره الغزالي وبنى عليه عمله ودليل ذلك أسباب :

ن منهجه في تطبيق مبدإ الانسحاب والعودة أصبح مثلا إحتذاه جمع غفير من مختلف المذاهب والجماعات الإسلامية ، حيث توقف هؤلاء عـن فات المذهبية ، وانصرفوا إلى خاصة أنفسهم ، حتى إذا زكت نفوسهم عادوا إلى التمع من جديد ، ليسهموا فيه متعاونين متـوادين لبنائـه

ي ما ترويه المصادر عن عزم الغزالي على المضي إلى يوسف بن تاشفين سلطان المغرب المرابطي لما بلغه من عدله ، وذلك بغية أن يحضه على سلام ، ولما بلغه موته في الإسكندرية قطع رحلته وعاد . كما نقل ذلك السبكي في طبقاته . ج04 ، ص105 .
هو أثره في محمد بن تومرت مؤسس دولة الموحدين في المغرب الذي سافر إلى بغداد ، وتتلمذ على الغزالي وغيره ، فتأثر بأفكاره وعاد ليطبقها يذكر ذلك ابن خلدون. ج06 ، ص226 ، بيروت ، مؤسسة الأعلمي . بلا تاريخ .
جوانب الأثر الذي تركه الغزالي ، وهو ما ترتب على جهوده من انحسار للتيارات الفكرية المنحرفة التي تمثلها الباطنية والفلاسفة فركدت سوقها أمرها فيما بعد إلى البوار والسقوط . وهكذا فجّر الغزالي حركات الإصلاح التي تتابعت حلقاتا بعده ، حتى انتهت بدحر الغزاة الصليبيين ، ى والمقدسات .

ِضا كان أقل " راديكالية " ، وأكثر دأبـا من سابقيـه ، فقد أدّت مثابرته في عالم الكتابـة والنشـر إلى
ما يعرف وفق التسمية الفضفاضة غير الدقيقة بالمدرسة السلفية .
ات تلك المدرسة في إنضاج أفكار عدد من أعلام الفكر والعمل السياسي الإسلامي أمثال :
ن ، وعبد الكريم الخطابي، وحسن البنا .

جاع الفضل إلى جهود الشيخ رضا في تنقية فكر الشيخين الأفغاني وعبده، وترشيحه عبر منظوره السـلفي
ا من شطحاته وشوائبه، ليكون أساسا لفكر عصر اليقظة الإسلامية.
اني ومحمد عبده في صورتا الأولى ، قد أنجبت عددا من التلاميذ ممن لا يمكن وضعهم في سـياق فكـري
أن سعد زغلول ولطفي السيد ، وكلاهما كان يعتز بتتلمذه على خط محمد عبده ، ويظن أنه كان الامتداد
.

كان يستنكر بحنق واضح جهود الشيخ رضا في تصحيحه خط الإمام كما يستكثر عليه أن يكون الوارث
ة السلفية بزعم أنه كان مقلدا أكثر منه حاملا للواء التجديد[116].
كرين الذين ورثوا خط السيد رشيد رضا النابض بالإيقاعات السياسية ، وقد استطاع بجـدارة أن يعطـي
ة، استقاء من دراساته الشرعية النظامية، ومن انخراطه في قيادة العمل السياسي التنظيمي في جماعة الإخوان
في خطها إلى أواسط الخمسينات ، ثم تخلى عنها تنظيميا، من دون أن يتباعد عنها فكريا أو سياسيا.
يخ الغزالي إذا لم ننبه إلى تميّـزه في الفصيل الذي كان إمامه في مدرسة الجامعة الإسلامية .. فلقـد كـان
روعه الفكري سنة 1947م بكتابه الأول " الإسلام والأوضاع الاقتصادية " ..
ت به التجربة وامتد به الجهاد بعد استشهاد حسن البنا، أكثر من أربعين عاما .. فواجه مالم يواجه هـذا
لأول من القرن العشرين .. ومن ثم فقد أبدع الجديد الذي أضافه إلى رؤية هذا الفصيل[117].
وإن اعتمدت الأثر والرأي معا، وسلكت سبيل الموازنة والترجيح بينهما فإنا تميزت عن مدرسة ابن تيمية
وتقديم دليله ، واعتبارها العقل أصلا للنقل .
على السنة ، وتجعل إيماءات الكتاب أولى بالأخذ من أحاديث الآحاد.
سخ ، وتنكر إنكارا حاسما أن يكون في القرآن نص انتهى أمده .
إسلاميا قد ينتفع به ، ولكنه غير ملزم ، ومن ثم فهي تنكر التقليد المذهبي ، وتحترم علم الأئمة ، وتعمـل
م العالم بعقائده وقيمه الأساسية ، ولا تلقي بالا إلى مقولات الفرق والمذاهب القديمة والحديثة) [118].

ـ أنظر : ماجد عرسان الكيلاني ، هكذا ظهر جيل صلاح الدين وهكذا عاد القـدس ، ص 115
ن 196 – 197 ، الدار العالمية للكتاب الإسلامي و المعهد العالمي للفكر الإسلامي . 1416هـ ـ 1995م .
الدكتور: طه حسين الذي كان يميل لإعطاء تلك الوراثة للشيخ مصطفى عبد الرازق 1885 - 1947.
خ عبد الرازق ، واجتهاداته فيما يتصل بمناهج البحث وتأصيل الفلسفة الإسلامية ، إلا أن جهوده لم تكن تتصل مباشـرة بـالخط السياسـي
ا ظلت حبيسة أطر الأبراج الأكاديمية. ـ أنظر إسلامية المعرفة ، ص 106 - 107 .
رة : الشيـخ الغـزالي الموقع الفكري والمعارك الفكرية ، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1992 ، ص36-40 .

مـات المميـزة لفكـر الغزالـي السياسـي .

تهـادي تجديـدي:

التجديد والسياسة ارتباطا وثيقا ، فإذا كان التجديد في جوهره ليس إلا إصلاحا وتقويما فإن السياسـة في ـر عن القيام بما يصلحه ، وقد شغل الجانب السياسي حيّـزا كبيرا من اهتمام الغزالي ومشروعه الفكري مائه إلى مدرسة التجديد والإحياء الحديثة ، التي تأسست على يد الأفغاني ومحمد عبده ، فكل أجيال هذه عن الهم السياسي .

مد لحركة الإسلام ومسار أمته ، على رأس القرن الرابع عشر الهجري أن الشيخ أحد أعمـدة التجديـد ي هذا العصر .

زالي عمرا مديدا أنفق قسطا وافرا منه في الكتابة ، وخلف ما يفوق تعداده الستين كتابا في شـتى قضـايا فيها الأبعاد الاجتماعية والسياسية للإسلام ...

ت سمة الاجتهاد والتجديد حاضرة واضحة سواء في تركيبه للأفكار ، أو في أسلوبه في الطرح والحوار ، أو نيق الذي استخدمه لبث تلك الأفكار.

تركيب وتحليل الأفكار فإن الدارس ليرى وكأنه قد استبطن أساس قاعدة التحليل الديكارتية ، التي تحلل الأولية البسيطة ـ مع عمق واضح في المعنى ـ ويتضح ذلك من خلال دعوته إلى فهم الدين على طريقـة رق الإسلامية ، التي ذهبت با المذاهب، ونأى با التطرف عن روح الدين، ونادى بـالعودة إلى بسـاطة ي حيث غمر الإيمان العقول والقلوب، وتزودت منه بالنور الفطري، وقادها إلى العمل المثمر الجاد.

لانتباه أن هذا التركيب المنطقي والتحليل الفكري الرصين لكثير من آراء وأفكاره القديمة لم يتغير ، رغم أن لى مضيّـها يقـول الغزالي في كتابـــه : " ظلام من الغرب ":

قرائنا أن هذا الكتاب طبع لأول مرة من نيـّف وعشرين عاما، ومع مرور هذه السنين ، فإن أحكامنا لم ى الأمور لم تزدها الأيام إلا صدقا..) [119].

تحليل والتركيب جليا حين عرض الغزالي ـ وهو يرد دعوى الأستاذ خالد محمد خالد ـ للمنهج الذي بنى ب حق الإسلام في الحكم ، فقال الغزالي بأنه منهج مقلوب إذ: (..نحن نعلم أن الناس يغيّـرون بتـركهم لى أحكامه... بيد أن الشيخ خالدا يُعيّر الإسلام بخروج البعض عليه ، ويريد تحميله تبعة أعمالهم. فإذا ضل ره أن التشريع غامض ، لا أن الحجّـاج حاكم ساقط...

ي استدلالاته على هذا النحو التداعي ، حتى يخرج منها في النهاية بأن الدين ليس أهلا لأن يحكم ، ولـو صوص الحكم سببا لإهدار العمل با ، فلم لا يكون عبث العامة بسائر الأحكام في العقائد والآداب ، سببا) [120].

ظلام من الغرب ، ص 104 .

ب بشكل مثير، فقد كان على خالد محمد خالد ـ كما ذكر الغزالي ـ أن يميّـز بـين المثـال والواقـع
م الوقائع التاريخية الشاذة في ضوء المثال الإسلامي العام ، لا أن يحمّـل الدين آصار تلك الوقـائع ، أو أن
التي قضت بحرمان الدين من سلطته ، على إساءة إستخدام بعض الحكام لها.
عمد إلى شرح وتحليل الناحيتين الأخريين من جانب التجديد وأعني :
ة للطرح والحوار .
لذي استعمله لبث تلك الأفكار ، لأننا قد أتينا على ذكر أكثرها أثناء حديثنا عن خصائص خطاب الغزالي
إلى الإعادة والتطويل .

كليـة والرؤية الشاملـة (المدخـل الكلي في السياسـة) :

الغزالي الفكري للجذور العريقة " المدرسة الإصلاحية . ومدرسة الإخوان المسلمين " هو ما أعطى فكـره
د أن فكره هذا قد اتسم بالنظرة الكلية الشاملة، وربط الجزئيات بالكليات، ورد المسائل المتفرعة إلى أصولها

ي العقلي في تفكيره من خلال مناقشته لكثير من الأفكار والدعاوى في ميدان العلم والسياسة. ليستشـف
قة البحث، ولطف الفهم، وحسن الاستدلال، ومراعاة النظام المنطقي.
ديدة التي ألفها يمكن اعتبار عشرة منها سياسية خالصة، أما بقية أفكار الشيخ السياسية فقد توزعت علـى
أن تجد له كتابا لا يتعرض لموضوع السياسة.

ءة واسعة في تراثه يتعذر على القارئ أن يجمع خيوط تلك الأفكار ، وأن يضعها في نسق منتظم ، إذ بقدر
الفكري ، بقدر ما كانت أفكاره السياسية تتناثر وتتوزع وتتداخل مع موضوعات أخرى،محققة بذلك نوعا
بين الشأن السياسي والاقتصادي والثقافي والتربوي والروحي ، وقد كان طبيعيا أن تأتي أفكـاره بـهذه
إنا منبثقة عن إطار عقائدي ومعرفي أشمل هو الإطار الإسلامي .

زالي فصلا حاسما ما بين النظامين الاجتماعي والسياسي ، فربما يركز على الجانب الاجتماعي كمـا هـو
ب العاطفي من الإسلامي وجدد حياتك، لكنه لا يخلي مثل تلك الكتب من إشارات إلى أثر الدولـة، أو
حياة الناس .
جانب السياسي الخالص ، فإنه يصله بخيوط قوية بمفاهيم الإسلامي الاجتماعية ، ولذلك فإنـك تعثـر في
سية على تصورات أخلاقية خالصة.

من هنا نعلم ، (الجزائر : دار الكتب) ، ص39 .

أن يعثر على كلمة "عفاف" مثلا في كتاب من كتب علم السياسية، ولكنك واجد مثل ذلك وبكثـرة في ـه السياسية ، وواجد ربطا قويا لمفاهيم الدين المركزية مثل " الورع "و" التقوى "و " الجزاء الأخـروي " عمل السياسي.)[121].

ن إذا أن حديث الغزالي في الفكر السياسي ـ حتى وهو يعالج قضايا سياسية ـ لم ينفصل عن الجوانـب عية ، فضلا عن الجوانب الإيمانية والروحية والأخلاقية... وهذا المنهج شيء طبيعي، إذ أنه يتكلم عن نظام ن صادر عن الوحي الكريم ، وليس حديثه مجرد طرح سياسي قائم بذاته ، مستغن عن مناخـه وأرضـيته وهذا المنهج ينسحب على شتى المعالجات التي تتصل بشؤون القلب والضمير في صعيد واحد .

نهج العام ، يتضح أن ما يذكره الدكتور" محمد وقيع الله " ، يحتاج إلى تعليق وذلك حين يقول :
غزالي يحاول دائما رفع المعالجة السياسية إلى أفق الوضاءة الروحية ، وهذا هو المنهج الأسـدّ لأن النظـام لا يؤتي ثماره ناضجة إلا في هذا الأفق .
ابن نبي بحق ، فإن الحضارات الإنسانية كافة ما كانت سوى حلقات متشابة في أطوار نموها ، تبدأ الحلقة الدينية ، ثم تتغلب جاذبية الأرض والمادة عليها فتفنى قوة الروح والعقل[122].

غاية في الأهمية ينبغي أن يتفطن إليها المتهدون في علم السياسة الإسلامي، في نضته المرتجاة ، فلا يحدوا من جردوه من المضامين الروحية والأخلاقية.
إلى عالم الوجود كتب سياسية إسلامية اختار أصحابا ـ بتعمد ـ أن يتخذوا منحى دستوريا جافا مجردا خاليا ولو من إشارات عابرة إلى جوانب الروح، وضمانات الإسلام الاجتماعية والتربوية الكـثيرة ، الـتي ستقيم نظام الحكم الإسلامي.[123]
أن لا تكون نموذجا يُحتذى في الاجتهاد السياسي الإسلامي المنشود، إذ أنا تجزئ الإسلام بالطريقة نفسها م السلوكية الحديثة مفهوم الإنسان، وعملت على معالجة مشكلاته من منظورات جزئية اقتصـرت علـى ، كعلم الاقتصاد أو علم النفس أو الأنثروبولوجيا أو الاجتماع..إلخ، غير واضعة في الحسبان ضرورة النظر ة في أبعادها كافة.)[124].

، (مصدر سابق) ، ص 107- 108 .

شروط النهضة (دمشق: دار الفكر، 1401)، ص53 .

لكتب دراسات الدكتور عبد الحميد متولي، وقلما تجد في مطولاته :

حكم في الإسلام) أدنى إشارة إلى الإطار الكلي الإسلامي ، أو إلى روح الدين التي تصوغ الحكم والرعية ، وتشكل ضمانة فعالية النظـام

سليم بضرورة التخصص في إطار بحثي ضيق لاستخراج نتائج علمية محددة ، ولكن من الخطل الفكري والمنهجي الفادح أن ينظر إلى الإنسـان لتجزيئية ، التي تعامل با حيوانات المعامل أثناء البحث ، وفي هذا الذي عرضنا لذكره يمكن مراجعة الكتاب القيّـم الـ :

- floyd w. matson / the broken image. Man, science and societey, (New York l George b

ى نقد لتجربة العلوم الاجتماعية عن النظرة الشاملة ، واستبعادها للقضايا الميتافيزيقية ، واستعراض لمغبة ذلك على حياة الإنسان المعاصر. وبلغة كن أن يقال أن عوامل التغيير هي دوما عوامل متفاعلة ، بمعنى أنا عوامل مؤثرة في عوامل أخرى ومتأثرة با في الوقت ذاتـه ، ويـندر إن لم عامل المستقل ، وإن كانت العلوم الاجتماعية الحديثة توهم بإمكان وجود مثل ذلك العامل . وإن أمكن وجود مثل ذلك العامل بالفعل ، فإنه

إن الغزالي كان ينطلق من المنهج الإسلامي الصحيح، وهو بالتالي لم يرتفع بالمعالجـة السياسـية إلى أفـق
أن المعالجة السياسية الإسلامية لا تتم إلا في مناخ هذه الوضاءة ، وبالتشابك معها ، والامتزاج بـا ، وفق
ن محكم، تعانق فيه الشريعة الروح والضمير !!

في علم السياسة الإسلامي ممّـن أظهروا في عالم الفكر كتبا سياسية إسلامية ذات منحى دستوري جـاف
، ومن ضمانات الإسلام الاجتماعية والتربوية... فهؤلاء المتهدون لا يمثلون – أصلا – المنهج الإسلامي ،
ديميين محترفين قادرين على التجزئة والتفريع، لكنهم عاجزون عن تمثيل تكاملية المنهج ، سـواء في عـالم
ي عالم الكينونة الإسلامية التي جاء الإسلام ليصبغها بصبغته ، ويتفاعل معها تفاعل الروح الشفاف والـدم
نساني الطهور، وليس الأمر مجرد تجزئة للإسلام ، إذ ربما كان ذلك مقبولا في النطاق البحثي ، لكن هؤلاء
هذا في شيء ، فمعظمهم أقل شأنا من أن يصلوا إلى هذا الأفق الواعي بفلسفة الإسلام وطبيعته العضـوية

وله لعله يعالج الأسلوب نفسه الذي استطرد إليه الباحث حين ذكر أن الشيخ الغزالي وهو يصـوغ فكـره
ل من ناحية أخرى في سبيل جذب السياسة إلى إطار الدين، فالحق أن كل ذلك مجذوب إلى بعضه أصلا ،
ضه في مصنع النسيج الإلهي بالصبغة الإلهية التي تتقاطع فيها وتتشابك الخيوط كلها. فما دامت السياسـة "
.بد أن تكون كذلك موصولـة بكل جوانب الصياغـة الإسلامية للحياة ، وبطبيعة عمل هذا الدين فيها)

الغزالي هذه الفكرة التي بّينها بعبارة وجيزة في مبناها، عميقة في معناها ، وذلك لما قام بالرد على الأسـتاذ
مرحلة انحرافه الفكري ، قبل أن يتوب إلى الله ويثوب إلى رشده ، عندما كتب كتابه: " من هنا نبـدأ "
ـدين عن السياسة ، فتصدى له الغزالي بكتابه " من هنا نعلم " ، وفي رده يقول:

ـ في إطار علم اجتماعي محدد ، ولكنه يبدو متأثرا بعوامل أخرى حين فتح مجال الدراسة على تخصصات علمية أخرى . ولذلك يتحتم علـى
صات الضيقة مثل علم النفس والاقتصاد والتاريخ أن يتـفتحوا كثيرا على العلوم الأخرى المجاورة لتخصصاتم ، فضلا عن التمكن في الفكـر
بعه وأصوله ، وذلك بالطبع لكي يتبلور إجتهاد إسلامي صلب وأصيل في مجالات العلوم الاجتماعية ، ولكي تضم أجزاء الإسلام بعضـها إلى
ـ ـتى لا يبتـ ـر أي جـ ـزء منـ ـها بحجـ ـة عـ ـدم ملاءمتـ ـه لأوضـ ـاع النـ ـاس اليـ ـوم ـ
ص: 108 ـ 109

الغزالي حريصا على التذكير بوجوب تبحر علماء الإسلام في المعارف كلها ، وأن تتضمن مناهج دراساتم إلى جانب العلوم التقليدية الدراسة
في شتى عصورها ، والتوسع في علم النفس والأخلاق والطبيعة والكيمياء والأحياء وعلوم الحساب والجبر والهندسة ، والتـوسع في دراسـة
لإسلامي والعالمي ، ودراسة جغرافية العلم كله ، وذلك لسببين رئيسيين .
كر والإعانة على تكوين الأحكام الصائبة ، لأن الحقائق الشرعية لا تفهم على واقعها الصحيح إلا بذه المعرفة..
رحابة الفكر تكون رحابة الصدر ، وإدراك وجهات النظر الأخرى ، بغير تضخيم ولا توين ، وينتهي الأمر حينئذ ألا يثور المرء إلا لأمور ذات
والأصول .
يس، الشيخ محمد الغزالي (تاريخه، وجهوده، وآراءه)، دار القلم دمشق ط1 ، 1421هـ - 200 م، ص124-126 (بتصرف).

سلامي ليس نظاما من سائر الأنظمة المعروضة ليختار منها المسلم ما يشاء ويهمل ما يشاء ، وإنما هو نظام
.ة التوحيد ، ومعبر عنها في الحياة الاجتماعية) [126] .

ملية ورب ط الفك ر بالعم ل :

ة للغزالي تذهب إلى ضرورة الربط بين العلم والسياسة ، بين الثقافة والسلطة، حتى يكتسب الق رار قوّت ه
أمة بمتانة نسيجها وتماسكها.

فكرة الترابط والقرن بين العلم والعمل في فكره ، هو حرصه على إبراز الكليات وعدم الانشغال بالتفاصيل
إلى المستقبل ، والعمل ما وسعه الجهد باتجاه الأهداف الإستراتيجية للأمة الإسلامية. فنجده يقول :
ن إذا تحدثت في أمر ما ، أن أستوفي عناصره العلمية ، وأن أربطه بالمناسبات العابرة على نحو معقول ، وأن
ي زلفى للحاكمين، وأن أضمّ نه تصريحا أو تلميحا ما أنصف به ديني وأسترضي به ربي... وهي خط ة
سلطة ، ولكنهم لم يتحاملوا عليها !) [127] .

ذه الأفكار قد كان ممتدا ليشمل مع الدعوة إلى الأفكار السليمة ، دعوته إلى هدم غيرها من أفكار الج ور
يقول الغزالي: (إنه من فضل الله علينا أن رفضنا السير في موكب العبيد ، وأننا شننا حربا ض ارية عل ى
شيه وذيوله ، وظاهره وباطنه ، وجرّأنا العامة على النيل منه ، والتهجّم عليه ، ولئن كانت ثورة الجيش قد
هذه المساخر فبتوفيق الله، ثم بما نشرنا في طول البلاد وعرضها من أفكار حرة ضد الاستبداد والفوض ى.)

، ذلك – رحمه الله – بحرارة العاطفة التي تصل الفكر بالعمل في ظلال إيمان عميق بما يعلم، وبقيمة العم ل
لنظر إلى العلم ليس كمهنة ولكن كرسالة.

الي أن تتزاحم أفكارنا ، وأن تكثر حصيلتها في الذهن ، وأن يحلق تفكيرنا في سماء التجري د ، وأن ن ؤمن
ن نتشدق بجدل لفظي عقيم ، ولكن المهم هو أن نوائم بين أفكارنا وعملنا وتديه ، وكأنه بلسان الح ال
ك : " أعوذ بالله من قول ليس تحته عمل " .

نزعته العملية وكرهه للجدل العقيم الذي لا طائل تحته في جل ما كتب .

(..ازدياد قتام المأساة الهائلة ـ مأساة تخلفنا الفقهي والعلمي في الشؤون الاجتماعية والاقتصادية والسياسية
هاء ـ أعني ناسا منسوبين إلى الفقه ـ يذرفون الدمع لأن التصوير الشمسي انتش ر ، أو لأن التلفزي ون
ناسموا بالله لا يظهرون أبدا في هذا الجهاز ! .

من هنا نعلم .

، مقال : (قصة حياة) ، ص187.

في موكب الدعوة ، ص125-126 .

و حدّثت من هو أنظف فكرا عن الدساتير التي تقيّـد الحاكمين ، والقوانين التي تطمئـن العاملين ، نظـر
وأشعرك أنك تتحدث معه في غير الإسلام...
اء كله لنضع أمتنا على طريق النهوض الصحيح ، واحتاج ذلك بداهة إلى دعم مؤسسات الشورى ونـزع
فرض رقابة صارمة على تداول المال بين الأيدي. ولم يكن بد من الانتفاع من تجارب غيرنا لأن فقهنا الـمد
اجات الطارئة..) [129].

لي سيره الدائم وفق هذه الخطة وذلك حين يقول :
ى هذا السنن الرشيد في إنصاف الدين من مستغليه ، وتخليص الدنيا من المستحـوذيـن عليها بالباطـل ،
الأحـرار الذين يؤمنون بالله وحده ، ويكفرون بالطواغيت .) [130]

ب نستطيع أن نذكر ما كان ينتقده الشيخ في سياسة الإخوان المسلمين وقتئذ من إهمالهم لعنصر البر والخدمة
عد من أهم الأسباب التي تنهض بالأمة ، وتدفع بها حثيثا نحو التقدم ـ فقال:
سم " البر والخدمة الاجتماعية "، والمفروض في منهاج هذا القسم، أنه ينظم أعمالا استطاع إخواننا الأقباط
ينهضوا بطائفتهم ، وأن يدفعوا بها إلى الأمام.
درك ما فاتنا ، وأن نلحق من سبقنا ؟؟
ن طرق شتى لإصدار جريدة كنـا في غنية عنها. وظنّنـا بأي قدر من المال- مهما زهد – على أعمـال
عية.
وز والنجاح ؟؟
ذيلة والتفكك والجهالة من جهد وسهر ؟ ومن تجميع وتنسيق ؟.
دارس التي ترفرف عليها روح القرآن والمستشفيات والملاجئ والأندية المبرأة ، ولجان الخـدمات العامـة ،
شباب ؟ كم نحن فقراء إلى مؤسسات تشد أعصاب أمتنا ؟ هذه الأعصاب التي استرخت من طول ما عراها
.
الأبواب ، لا يعترضه أحد ، ولا يتوقع منه إلا أطيب النتائج ...
ة وحدها هي التي تخدم الإسلام.) [131].

ي يجعلنا نركز على ضرورة قرن الفكر بالعمل ، هو أن جميع ما مـرّ بنا وذاك فيما يخص هـذه الفكـرة
التشريع السياسي الإسلامي لا يستعصي على التطبيق واقعا، أو يحول دون الفكر السياسي المـتفهم لهـذا
ل بتلك المفاهيم المجردة، على يد المجتهدين، إلى الواقع ليحكم عليه، أو يرسم المناهج العملية ليصوغ هـذا
ى ضوء تلك المفاهيم، بعد تحليله ودراسته، بفضل ما أوتي هذا التشريع من معايير يمكن أن تصيّـر القـيم
ني العام المجرد وضعا قائما، وأبين دليل على هذا فقه الأئمة ذوي التجارب والخبرات السياسية التي أغنوا بها

دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين ، ص196-197 .
الإسلام المفترى عليه بين الشيوعيين والرأسماليين ، ص10 .
من معالم الحق في كفاحنا الإسلامي الحديث ، دار الشهاب للطباعة والنشر، (باتنة- الجزائر) ط2 ، بدون تاريخ ، ص 184 .

ما بين أيدينا من مصنفاتم القيّمة، إذ كان أحدهم عالما فقيها مجتهدا لا يشق له غبار، وهو في الوقت نفسه
ز الأول.) [132].

أى بنفسه عن سبيل هؤلاء الأعلام ، إذ نراه قد اتخذ لنفسه طريقا مميّـزة تمثلت في خدمة الإسلام بأساليب
لوقت الذي كان يظن فيه فريق من الناس أن هذه الخدمة ممكنة بالكهانة الجامـدة ، والـروح البـاردة ،
لفقه ، و...الأفكار التي سادت عهد المماليك .
: الغزالي وممن كان يحمل بين جنبتيه هذه الفكرة حملة افتراءات لئيمة ، تتخذ من عملهم للخير دليلا عليهم،
. فنراه يقول في أحد أقدم مؤلفاته:
طعام المحروم، وتشغيل العاطل قالوا : شيوعيون
الحر قالوا : متصلون بكذا وكذا.
قالوا: خطرون على الأمن.
ا إليه منذ سنين ، أصبح اليوم منهاجا تنادي به أحزاب وهيئات.
ن ، وأننا بذلنا حيث يبخل غيرنا ...وتقدمنا عندما نكص كثيرون...) [133].

زالي جهده في سبيل إخضاع سياسة الحكم والمال لتعاليم الدين خضوعا لا فكاك منه، ونعى على المسلمين
نه مجرد تراث عقلي نظري بحت ، لا علاقة له بتغيير واقع الحياة المأساوي ... وساق من تاريخنا الرشيد نبذا
رين . ولمعا مشرقة من تاريخ الرجلين اللذين فهما الإسلام خير فهم ، وطبّـقاه في حكمهما خير تطبيق ،
هذه الأيام أمثلة حية لطرائق الاشتراكية الإسلامية السديدة في تنظيم المجتمع ، على أساس بيّن من محاربـة
لاستبداد السياسي والاقتصادي....
ت الشرق العظام دفنوا في تاريخه المضطرب كما يدفن الذهب في التراب .
، أبرزنا أعمالهم في المؤلفات ، ولم نقتد بها في فك إسار الشعوب المعذبة وإنصاف شتى الطبقـات. وهـل
لا في أنه صاحب فلسفة عملية ، أخذ يحلم بها أمثال روسو وميرابو؟ [134] فكان الرجل الرباني المنفذ لهـا.
هزيلة للثورة المضطربة الساعية على غير هدى إلى الحرية والإنصاف والعدالة ، والتي كان خيرها وشـرها

. خصائص التشريع الإسلامي في السياسة والحكم ، مؤسسـة الرسالة ، بيـروت ، الطبعة الثانية (1407هـ -1987 م) ، ص250
الإسلام المفترى عليه بين الشيوعيين والرأسماليين ، ص4 .
ت دي هونوريه ـ غابرييل روكيتي ـ 1749-1891 .) : سياسي فرنسي وخطيب الثورة الفرنسية ، رغم قبح منظره كان شديد الجاذبيـة،
ضر البديهة ، سجن لأسباب نسائية ، وفي السجن اطلع على الأفكار الثورية، أنتخب بعد الثورة عضوا في الجمعية الوطنية واستطاع ببلاغتـه
عليها، لمع بين أعضاء نادي اليعاقبة خطيبا وداعية ومحرضا، يقال أنه كان يلعب لعبة مزدوجة، وأنه كان يعمل مستشارا سريا للويس السادس

م ، من شدة الإرهاق (اللذائذ والعمل)، ودفن في البانتون – مقبرة العظماء – ثم سحب جثمانه 1792 حين اكتشفت مذكرات سرية كان
. – موسوعة السياسة، ج6 ، ص 510 .
(المصدر السابق) ، ص 78-79 (بتصرف) .

ب وعوامل المشكلة الفكرية وأزمتها الحاضرة إلى بدايتها المبكرة عقب الخلافة الراشدة ، عندما أخذ العلـم فقد ترتب على ذلك تجمد الفقه السياسي والدستوري، وتجمد فقه العلاقات الاقتصادية والمالية، ثم تجمـد ة، وما تلاه من إغفال للفروع الأخرى من فقه الحياة: كفقه العمل والعمال وسواه...وتعمقت الهوة بـين اد التخلف وباتت المشكلة الفكرية تتعامل مع النصوص من واقع التخلف ، وتشكلت الأزمات وتشعبت ، ي اتسعت هوته ، وأضحى هذا التراث الموروث عاجزا عن تلبية متطلبـات العصـر ، فكـان التغريـب أحد الأبدال الانفعالية المحدثة [136] .

ا يجب التنويه به في هذه المقام وتتمة لما سبق بيانه فإننا نرى : (أن الفقه والفكر السياسي الإسلامي فضلا جتهاد التشريعي من أهله ، ومنبثقا أساسا عن مبادئ الإسلام وأصوله العامة ، اللفظية والمعنوية، ومقاصده كلها أصول نظرية ، ومفاهيم ذهنية مجردة – هذا الفقه فضلا عن كونه كذلك، فقد أنضـجته التجربـة ي عاناها معظـم فقهائه المتهدين ، بحكم مناصبهم السياسية ، فالدارس سيتوضح لديه واقعية هذا الفكـر لفقه الاجتهادي في التدبير السياسي عملا. بل وساعدت على إنضاجه التجربة السياسية التي عاناها الأئمـة : كانوا رجال دولة من الطراز الأول وذلك كـ: " الم ـ ـاوردي ، وأبي حام ـ ـد الغزال ـ ـي ، ـن أبـي الربيـع ، وابـن خلـدون ، وابـن تيمية...إلخ " [137] .

ة السياسة من غير المسلمين من مثل أفلاطون وتلميذه أرسطو من اليونان.
ياسة من الإنكليز من مثل " هوبـز، ولـ ـوك "، ومن الفرنسيي ـ ـن من مثل " جان جاك روسـو " تجربة سياسية واقعية ، لذا جاءت فلسفتهم تجريدية محضة كفلسفة أفلاطون ، إذ لم يكتب لها التطبيق لبعدها تحليقها في أفق من الوهم والخيال أحيانا، مما ساق إلى الاعتقاد بأن رئيس الدولة ينبغي أن يكون " فيلسوفا " عد غير إنسانية لقيامها على التمييز العنصري والرق ، وكفلسفة جان جـاك روسـو في نظريـة العقـد ي الموهوم.) [138]

تجربة رائدة في العمل السياسي داخل السلطة أو خارجها، موافقا ليصنع الواجب أو معارضـا ليصـحح ي وزارة الأوقاف مديرا للمساجد فمديرا للأوقاف فوكيلا للوزارة وتعد هذه مناصب سياسية ، و كـان

، (مصدر سابق) ، ص44 .

ردي فقد كان وزيرا لدى الخليفة القادر بالله العباسي ، وأثناء ذلك ألف كتابه المعروف: " قوانين الوزارة وسياسة الملك " فضلا عـن كتابـه ة . وأما الطوسي فكان وزيرا لدى السلاجقة وكان له من قوة الأثر في الحكم - بفضل علمه الواسع وتجربته السياسية – ما جعله هو الحاكم دولة ، فاكتسب بذلك تجربة أو حنكة سياسية فضلا عن غزارة علمه ، مما كان له أثر في فقهه السياسي . والعلامة ابن خلدون الـذي تـولى ، وفي غرناطة عينه محمد بن يوسف بن إسماعيل بن الأحمر عضوا في مجلسه، وبعثه سفيرا ممثلا عند الأذفونش ملك قشتالة، حيث أدى مهمتـه السلطان بإقطاعه قرية البيرة ، ، وفي مصر 786هـ /1374م . تولى قاضي قضاة المالكية حين عينه السلطان برقوق ، وكذلك الإمام أبو حامد مية . فكانت هذه (المشاركة السياسية) سببا في إثراء فقههم ، وبحوثهم النظرية بالخبرة السياسية العملية.

. خصائص التشريع الإسلامي في السياسة والحكم ، ص348-350 (بتصرف) .

ـر رسمي في الجزائر ومصر وقطر ، وذلك لما كانت هذه الدول تستشيره وتستنصحه في شؤون ذات علاقـة
ياسة العامة في المجتمع...

ج السلطة فتجربته السياسيـة قد تمثلت في انضمامه المبكـر لأكبـر الحركات الإسلامية ـ الإخوان
ادتها ونخبة رجالها ، وكان عضوا في هيأتها التأسيسية ، وعضوا في مكتب الإرشاد ، وتجمع في نفسه وعقله
خلوص لله على سياسة الأمة وخدمة مصالحها ، ووجد في هذه الوجهة صدى لملكاته المؤسسة ، وبدأ يؤدي
ضلا عن الإسلام ، وعارضا لأحكامه وقضاياه، وباحثا عن حقيقة أمته والكشف عن وسائل ترابطها بعد
ركا لسواكن الحس ، ليشعر الأخ بحال أخيه ، فيقاسمه مشاعره ويشد من أزره إحياء لسنن التكافل ، وبعثا
لروابط الأخوة [139].

بقيمـــة الإنســـان:

ن أهـم ميزة تنبع منها بقية الخلال ، فهي لها كأصل الشجرة لبقية فروعها ، ولا غرو إذا عدها الشيخ نفسه
ي يجب أن يتحلى بها الدعاة إلى الله، وضرورة أن يكون لهم شعور مضاعف تجاه بني الإنسانية جميعـا لمـا
ت وكوارث مادية أو معنوية، فقد شعر الغزالي بأن أهل الأديان تلاحقهم تهمة خطيرة، أنهـم لا يهتمـون
م قد يدفعون المظالم عن أنفسهم، لكنهم لا يدفعونها عن غيرهم ! وأن طقوس العبادات أرجح لديهم مـن
بـن له ذلك منذ أن اشتغل في الإمامة فكان يرى ما تعانيه الطبقات الكادحة من الفقر والأزمات الخانقة ،
ن بعدما جاءته رسالة من الأمين العام لمؤسسة كبرى تعمل على دعم الفضائل والقيم بين الناس ، عقـدت
يكاغو" وتستعد لعقد مؤتمرها الثاني بمناسبة مرور 50 عاما على تأسيس هيئة الأمم المتحدة ، وقيل له بعـد

تضم رجالا من كل دين سماوي أو أرضي ، بل تضم أعضاء لا يؤمنون بأي دين .
الأخلاق الفاضلة ، ويحترمون المثل العليا التي يجب أن تحكم العالم..[140]
مطولة شرح فيها دينه ومما جاء فيها مايلي:
رضا وأنا أقرأ عن إنشاء جهاز عالمي لدعم الأخلاق والتسامي بالبشر، وقلت إن الفطرة الإنسانية لا تـزال
وتسعى إليه ، وتقاوم السعار المادي الذي يربط المرء بنفسه ومآربه وشهواته ، ومعروف أن العالم تقاربت
، أبعاده وأنشئت ـ لأول مرة في تاريخه المديد ـ هيئة لأممه كلها، أي أن أبناء آدم أمسوا أسرة تسـتطيع
دراسة ما يثور من مشكلات ، والتعاون على حلها ، لكنها ستعجز عن بلوغ أهدافها إلا في ظل الاكتمال
ئز الأثرة والكبرياء ، فهل نقصر في توفير الوسائل المنشودة لتحقيق ما نصبوا إليه ؟....

للشيخ محمد الغزالي ، مصدر سابق ، ص13 .
، مقال : (قصة حياة) ، ص150 (بتصرف) .

لإنسانية في تاريخها الطويل احتالت على ارتكاب المظالم ورأت في اختلاف البشر ـ قوة وضـعفا، وغـنى
ـ ثغرة تنفذ منها إلى اقتراف ما تريد ، وقد رفض القرآن الكريم أن يعترض العدالة شيء مادّيـًا كان أو
بين بالقسط شهداء لله ولوْ على أنفسكم أو الوالدين والأقربين] [النساء:135].
أن يموت نبيّ الإسلام ، ودرعه مرهونة عند يهودي في طعام اشتراه لأهله ! ما أثر اختلاف الدين هنا ؟
عاش قرير العين موفور الدم والعرض والمال في عاصمة الإسلام، هل كانت غربته سببا في أن يجور عليـه
كم الإسلامي حقوقه فعاش ومات لم يشك شيئا .
أي الآخر. وإذا كنا – نحن المسلمين – نشكو شيئا فمواريث الضغائن التي نعامل بها في ميـادين شـتى،
استقرار حقوق الإنسان...) [141].

غزالي في بيئة ريفية يطحنها الإقطاع ويستغلها الملاك من أرباب الباشوات والأمراء آنذاك، قد سـاهمت في
ختزنت تلك المشاهد في ذاكرته، وذلك لما أبصر المظالم عن قرب ، وأحس بالآلام عن معايشة ومكابـدة ،
سور الفلاحين والمزارعين ، وهم لا يأخذون من جهدهم وكدحهم إلا القليل ، لذلك نشأ مرهف الحس ،
الضمير ، مشدودا بفكره ونفسه وطاقته إلى رفع المعاناة عن الكادحين والمظلومين ، وما أن التقى بالإمـام
ضى معه في تربية الجيل المؤمن حتى أطلق الصيحات تلو الصيحات مطالبا بالعدل والإنصاف ، وممهّـدا
دل الإسلام وتحرير المستضعفين.
ه الأولى بهذه العبارة: " في سبيل الله والمستضعفين " [142].
وأجله من شعار ينبغي أن يكون دائما هدفا لأي كاتب أو مفكر ، لأن الدعوة إنما جاءت لتخرج النـاس
عبادة رب العباد ، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام ، ومن ضيق الدنيا إلى سـعة الـدنيا والآخـرة.
حس بآلام البؤساء ، ومواجع الضعفاء، مكتوب عليها الخيبة المنكرة والفشل البالغ ، وإن استقام لها الأمـر
لمتنا تجارب التاريخ القريبة والبعيدة[2].
الغزالي كانت مرتبطة بواقع الحياة، غير محلقة في أفق من الخيال والتجريد ، وهذا حتى يتسنى لهـا معالجـة
. وقد كان ممن يتألم ـ بحق ـ لآلام الأمة وويلاتها ، ويعيش محنتها .
ون منه وهو ينشد :

قـد جننت فقلت كلا & وربـي مـا جنـنت وما انتشيـت
ت فكدت أبكـي & مـن الظلم المبين وقد بكيـت
ماء أبي وجـدي & وبئـري ذو حفـرت وذو طـويت

نزعة إنسانية ، تؤمن بالإنسان وقدراته ، وتعلي من مكانته ، ولقد كان فكره وعمله مثالا لمـا ينبغـي أن
كامل الفاضل ، وكل ما قدمه كان نابعا من إيمانه بقيمة الإنسان .

ص151-153 .
للشيخ محمد الغزالي ، (مصدر سابق) ص28 .
.

والاعتـدال :

غزالي في طروحاته السياسية الواقعية والاعتدال .
في فكره ، حملته على الآراء النظرية التي تساق مقطوعة الصلة بمن تعرضت لهم هذه الآراء بالخير و الشر –
قد تتضمن شيئا من الصحة أو تحتمل أن تكون صحيحة – لكن الفقه الصحيح يقول الغـزالي : (لا
واهنه بل لابد له من أمرين :
ضية التي تعرض عليه تمحيصا يستشف جوهرها ويستكشف خبيئها..
تطبيق النصوص الواردة عليها أو ردّها إلى القواعد العامة لتحكم فيها إن لم تكن هناك نصوص حاسمة.)

ته في أسلوب دعوته والإلقاء بأفكاره للناس ، فهو يذكر (أنه مضطر أحيانا كداعية للإسلام إلى التحدث
مدة طويلة ، لأنه لا يمكن أن أنقل إلى الملإ الأعلى رجالا نسوا كل شيء تماما ، من طول ما استخدموا في
أصحابا..) [144] .
الي بعد تجارب عدة أنه لا يستطيع أن يجد بين الطبقات البائسة ، الجو الملائم لغرس العقائـد العظيمـة ،
والأخلاق الفاضلة !
أن تملأ قلب إنسان بالهدى ، إذا كانت معدته خالية ، أو أن تكسوه بلباس التقوى ، إذا كان بدنه عاريا.
ى ضروراته التي تقيم أَوَدَه كإنسان ، ثم ينتظر بعدئذ أن تستمسك في نفسه مبادئ الإيمان.
لج وعظ الناس في بيئات صرعها الفقر والمرض والجهل ، فكنت أحار ماذا أقول لهم ؟
دنيا ، كما يظن أنه مفروض على علماء الدين ؟
قبح مما عليه في أعين هؤلاء التعساء . وحاجتهم إلى من يعرفهم أركان الحياة ، أمسّ من حاجتهم إلى مـن
لم .
ي الأساليب الصحيحة للزراعة والصناعة والتجارة ، فضلا عن أن يعرف كيـف يعامـل ربـه وإخوانـه

ن ؟
ن إليها إلا بعد معرفة النفس فإن من عرف نفسه عرف ربه...
اقتصادي الواسع، والإصلاح العمراني الشامل، إذا كنا مخلصين حقا، في محاربة الرذائل والمعاصي والجـرائم
ين في هداية الناس لرب العالمين .) [145]

لام المفترى عليه ، ص 137 (بتصرف) .
منا نعلم ، ص 188 .

الإسلام والأوضاع الاقتصادية ، ص61 – 62 .

ي نتاج الفكر الإنسانــي:

واسع الصدر في البحث عن الحقيقة ، وفي التعامل مع المفاهيم والآفاق الإنسانية الأخرى ... لا يرفض أي ض الاقتباس والمقارنة والاعتراف بالآخرين، والبحث عن جواهر الحكمة مهما كان مصدرها... وكــان م مشتركة بين الإسلام والفكر الإنساني العام على أساس تلاقي الوحي مع الفطرة السليمة ، بل كان يؤمن البريئة من العلل والعقد والخرافات والجهالات هي الإسلام نفسه ، وهذا معنى أن الإسلام دين الفطرة .[2] فكره البعد عن التعصب للرأي والجنس، فهو لا يتعصب لفكر معين يردده أو يدافع عنه دون إقامة دليل ، ى جنس على آخر بل كان يؤمن بالموضوعية والإنصاف، وإعطاء كل فكر حقــه، والإذعــان للحقيقــة ذا كان يحرص على الاستفادة من الغير ـ مهما كان مذهبه ـ ويطلب الحقيقة من أي وعاء خرجــت ،

أكره العنف والتحامل على الآخرين ، وبقدر ذلك أكره العدوان على ديني ...والإفتيات على حقي ، من أي مجتمع أدعو فيه ، ولم أستوحش من الأسماء السائدة أو العنــاوين الشــائعة للمــذاهب الاجتماعيــة ، بل من نقطة التلاقي بين الفطرة التي عرفتها بالوحي وعرفها غيري بالتجربة أو بالفلسفة أو بالعلم ، من ل لديني وأنا متمكن ومستريح.
رفضه غيري من كلمات الديمقراطية والاشتراكية – مثلا -[146] وعن طريق الكراهية الفطرية للاســتبداد أسمالي ، أخذت أعرض من ديني النواحي المقابلة أو المماثلة، فإذا نجحت في إبراز الحقيقة ـ ويجب أن أنجح لا ـ انتقلت بالفرد الذي أحدثه أو المجتمع الذي أخاطبه ، إلى آفاق أوسع ونواح تمس العقيدة والعبــادة .)[147] .

ام الله – يقول الغزالي – أن نخترع الوسائل التي نعلي بها شعائرنا سواء هدي إليها غيرنا أم لم يهتد ، فإذا فمن العجز أن ندع هذه الوسائل لأننا وصلنا إليها مسبوقين..[148].
س من نتاج الفكر الإنساني ما يمشي طيّــعا في ضوء الوحي الإلهي..[149].
إلى تعاليم الإسلام في مجال الحكم، وإن كان بعيدا عنه في مجال الاعتقاد[150].

ديد الموقف من المصطلحات الحديثة في الفقه الدستوري من هذه الرسالة أطلنا الحديث عن تجربة الاستفادة من المصطلحات الغربية في الفقه ضنا لوجهة نظر كل من الموافقين والمخالفين في مبحث : إستخدام المصطلحات الغربية عند المفكرين الإسلاميين بين القبول والرفض .
، مصدر سابق ، ص201 .
دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين ، ص202.
الإسلام المفترى عليه ، ص93 .
الطريق من هنا . دار القلم ، دمشق، ط3 ، ص131 .

ج النقدي والاستفادة من الأخطاء التاريخية :

لى نقد الفكرة من قبل قبولها والإيمان بها ، فإنه يخضعها لحكم العقل ونقده ويخضعها لموازينه ومقاييسه، ي تسبق عملية التصديق ، فمن غير الممكن أن نؤمن بالفكرة من قبل إثبات صلاحيتها أمام العقل.

هذا أن العقل والإسلام شيئان مختلفان عن بعضهما، ولسنا الآن بصدد البحث في إشكالية موافقة العقل سومة بالأساس عند الغزالي . بل إنه – على غرار جمهرة العلماء والمحققين – كان ممن يرى أن العقل لا يوافق النقل الصحيح ، وفي ضرورة تزاوج العقل والإيمان واحتياج كل منهما إلى الثاني كان الغزالي

ويقظة الفكر، واستنارة الرأي ، عناصر لابد منها في تكوين الإيمان الصحيح، فإن الإيمان معرفة بلغت حد ها الريبة ... والعقول الذكية وحدها، هي التي تميز الحق من الباطل، وتعرف حقائق الوحي من نزعات ل[أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى إنما يتذكر أولو الألباب] [الرعد : 19] دها هي التي تستفيد من عبر الماضي ، وتنتفع بتاريخ الإنسانية الطويل، وقصص الأبطال أو الأنذال ، من ن :
صهم عبرة لأولي الألباب] [يوسف: 111]) [151].

، تضاد أو اختلاف بين الإسلام الصافي الصحيح ، والعقل الراجح الصريح ، وحين يعمل ميزان النقد بين عنده هو الإسلام ، الذي يمثل العقل السوي والفطرة الصحيحة ،وطالما كان يقرر بأنه إذا كان :
ن يقدّرون بها الأمور ، ويتعرفون الخطأ والصواب ، والنقص والتمام ، فإن تقويمنا نحن لا يعتمد إلا مقياسا [152].

تلك القاعدة تتجلى بوضوح في دعوته لتطهير الدين من الشوائب التي ألصقها البعض به ، وتخليص العقول دم الخضوع أو الإذعان العقلي لفكرة لمجرد شيوعها وذيوعها ، بل حتى وإن وقفت جميع أجهزة الكذب ثير بها على الرأي العام ، فلابد أن تمحّص وتمتحن صلاحيتها من قبل الإيمان بها وتصديقها..
راء مقولة (جيش إسرائيل لا يقهر) بالتفنيد وينسفها من قواعدها ، حين طفق يحلل محتواها

وته واضحة في وجوب الاستفادة من عبر التاريخ وأخطائه فـ(لابد من الاعتبار بأحداث التاريخ حياة ، وانتقال الأمم كلها إلى أحوال تغاير ما كانت عليه منذ أربعة عشر قرنا ، إننا في مدى أربعة عشر

الإسلام والأوضاع الاقتصادية ، ص 194 - 195 .

من معالم الحق في كفاحنا الإسلامي الحديث ، ص81 .

كتبه : حصاد الغرور ، اليهود المعتدون ودولتهم إسرائيل . هموم داعية . جهاد الدعوة ، ص 151 – 163 تحت عنوان : الجيش الذي لا يقهر . دار القلم ، دمشق ، الطبعة الثانية ، (1420هـ - 1999م).

الأرباح ، وكثيرا من الخسائر ، وجدير بنا أن نتعرف سر ربحنا وخسارتنا ، ومقدار ما بقي لنا أو علينا !)

، الغزالي من هنات الأتباع، وأخطاء الحاكمين في تاريخنا ، ما يبرز جوانب معتكرة ، بيد أنه لا يفعل ذلـك
ريخ ، ولا تضخيما لسيئات مضت ، ومضى أصحابا وإنما يريد من ذلك :
الإسلام وتبرئته من شبهات يجتهد أعداؤه في إلصاقها به .
أن الأخطاء تبدو محتملة ،غير أنا تستفحل وتتنامى على مر الأيام.. [155].

الــي:

الغزالي تمتاز بعمق الفكرة وجدتا وطرافتها، ودلالتها القوية، ومعناها وقوة تأثيرها، وقد كانت تحمل بجانب الأسلوب وبلاغته، الصدق والثراء الروحي، والمعاني السامية، بحيث ستبقى تلك الكتب ذخيرة، للبـاحثين لافتة الأنظار إلى كثير من الموضوعات .

دا أول العهد بالتأليف في سبيل تقديم الإسلام متجاوبا مع آمال الشعوب ...يقـول:
شرح والاستنتاج ، لكن هذه الكتابات إذا جردناها من حرارة الشباب، وسكبنا عليها قليلا مـن بـرودة خلاص المادة التي تسن منها قوانين تشرف الأمة.) [156]

يخلص المرء إليها بعد مطالعة مكتبة الغزالي والتي تربو على الستين كتابا، أنا استوعبت حقائق الإسـلام في وّرت بأمانة إتجاه الإسلام الاجتماعي من الناحيتين السياسية والاقتصادية. وخاصة في الكتب الخمسة الـتي ي 1952 .
كتب الخمسة عيب فهو حماس الشباب وغلوه في تشخيص الداء وتركيب الدواء ، وهو عيب تتطاول بـه ه مجدها التالد.

الغزالـي تمثل مواجهة حقيقية ضد الفوضى الفكرية التي عمّت الأمة ، وإنقاذا لوعيهـا ، وتزويـدا لهـا من دينها العظيم ، الذي يرفض كل فوضى سياسية أو اجتماعية كتب الغزالي للأمة في هذه الفترة الكلوح
يف نفهم الإسلام. ـ معركة المصحف في العالم الإسلامي. ـ ليس من الإسلام .
الإسلام المفترى عليه بين الشيوعيين والرأسماليين . ـ الإسلام والطاقات المعطلة .
الزحف الأحمر . – قذائف الحق. ـ حقيقة القومية العربية وأسطورة البعث العربي.

ظلام من الغرب ، دار الاعتصام ، ط 3 ، (1399هـ – 1979 م)، ص 276-277 .
المحاور الخمسة للقرآن الكريم ، دار القلم دمشق ، 1421هـ -2000 م. ص138-139 (بتصرف).
قذائف الحق ، شركة الشهاب للنشر والتوزيع ، باب الواد الجزائر ، بدون تاريخ ، ص158 .

ـت كفاحا ضد موجات القهر والإلحاد والانحلال ، التي زحفت على المسلمين في عصر الاستقلال الأعور،
، ـ قانونيا ـ على الأمة للأسف الشديد ، حكموها في مرحلة ما بعد الاستعمار العسـكري ، لكنـهم
نا بالشلل والتآكل الداخلي ! !

تربية للأمة على أن تستعيد الثقة في دينها وتراثها وذاتنا ، وأن تعرف حقهـا في الحيـ ـاة الإنسانيـ ـة
.ي أننا ليست أقل من بني إسرائيـل الذين يعيشون ـ متبجحين ـ بدينهم. وأن قرآننا ليس أقـل مـن
وجه للمقارنة بين الكتابين ، إلا كمـا يقارن ما أنـزل الله بما صنعه هوى الإنسـان ، وأن قـدرتـ ـنا
بعث ـ بالإسلام ـ لا تقل عن قدرة اليهود أو الكوريين أو اليابانيين أو الأوربيين لو لم يكبّـلها بعـض
عالمي الذين يحكموننا بقوانين الغاب ، ويقيمون وزارات ضعيفة " شكلية " للبحث العلمي، ووزارات قوية
ورصد أنفاس الناس !...

كتب ، رسالة وعي ، وخطابا إسلاميا تنويريا، " بالمعنى الإيماني وليس الإلحادي المستورد للتنوير " وكانت
، تغذّت على موائده أجيال من المسلمين، إفتقدت مثل مذاقه فيما يوجد بين أيديها في الدراسات الأزهرية
الجامدة الساكنة ـ من جانب ـ ...

ـ أيضا ـ في كتابات أخرى على النقيض، راحت تدعو إلى الاستسلام الجماعي للمنظومـة الحضـارية
لى التخلي عن دينها إذا شاءت أن تفوز بدنياها ! " وكأن دينها دون اليهودية والنصـرانية والهندوسـية
الوحيد المعارض للعلم والمدنية " ! مع أنه ـ وحده ـ هو الدين الذي يجل الإنسان والعلم والحضارة أعظم

ن هذه المؤلفات إلى العديد من اللغات كالإنجليزية والتركية والفارسية والأوردية والإندونوسية وغيرها...
بذه التراجم من تلامذة الغزالي ومحبيه وعارفي فضله[157].

ة من رحلة الشيخ ـ رحمه الله ـ توهجت ملكاته، وظهرت في إنتاجه العلمي لمحات شديدة الوضـوح
لاث [158] :

: السعي نحو إيجاد وحـدة ثقافية بين المسلميـن . وفي هذا ـ بخاصة ـ ألف كتابه: " دستور الوحـدة
."

ي المعاني : عبد الحليم عويس ، الشيخ محمد الغزالي ، مصدر سابق ، ص 123 - 124 .
زالي (حياة وآثار، شهادات ومواقف.) ، نص أحمد كمال أبو المجد ، ص121 . (بتصرف).

: ضرورة الاهتمام بالجانب العقلي في العلوم الإسلامية ، وبصفة خاصة ضرورة تمحيص الأحاديث النبويـة
الكريم ، وعلى ما عرف من الدين بالضرورة، والاهتمام بما يسمى بالدراية، إلى جانب الإهتمام بالروايـة
ألف كتابه: " السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث ".

الثالثـة : ـ وهي محور رسالتنا ـ فهي تختص بدفاع الغزالي بطريقة مستميتة عن الشورى والديمقراطية
في هذه القضية الأخيرة كتب الغزالي عن المرأة محاولا تبديد الغيوم التقليدية التي حاصرتا متعللة بأحاديـث
، فكان من رأيه أنه لا يوجد دليل واحد على منعها من العمل أو التعليم أو المشاركة في الحياة السياسـية

المسائل ألف كتبه : " الإسلام والاستبداد السياسي" ، " معركة المصحف في العالم الإسلامي" " من هنا
سورى في المجتمعات العربية والإسلامية " ، " الفساد السياسي في المجتمعات العربية والإسلامية " و"حقـوق
لإسلام وإعلان الأمم المتحدة "...إلخ

الفصل الثاني .

أســس نظــام الحــكـــــم .

لأول : الخلافة = [الرئاسة] .

لمطلب الأول : كيفية انتخاب [الخليفة = الرئيس] .
لمطلب الثاني : مقاييس الترشيح لمنصب الخلافة .

لثاني : الديمقــــراطيــــــــــة و الشــورى.

المطلب الأول : الديمقراطية .
لمطلب الثاني : الشورى .

لثالث : الحريــات وحقــــوق الإنســان .

المطلب الأول : الحريات السياسية .
لمطلب الثاني : حقوق الإنسان .

الخــلافـــــة " الرئاسـة ".

اللغة: هي النيابة عن الغير . والخليفة هو من يخلف غيره ويقوم مقامه ، وهو السلطان الأعظم وجمع اللفظ : 159

صطلاح : فهي رئاسة عامة في أمور الدين والدنيا نيابة عن الرسولρ .
قوله :
ة تعني - في الفقه الإسلامي – الإشراف الدقيق على مصالح الدين وشؤون الدنيا ، والإسهام بنصيب كبير
حقيق رسالتها ـ إن كانت لها رسالة ـ ثم تحمّـل تبعات ذلكم الإشراف والتوجيه أمـام الله والنـاس)

لفظ الخليفة توجد ألفاظ أخرى كـــ :
، الرئيس ، الملك ، الحاكم ، ولي الأمر ، الإمام .
كلها حول محور واحـد وهــو : " ولايـة ".
ألفاظ في القرآن الكريم معبّـرة عن ذلك . كقوله تعالى : [ياداوود إنا جعلناك خليفة في الأرض
وله:[إن الله قد بعث لكم طالوت ملكا..] [البقرة:247] .
أئمة يهدون بأمرنا..] [السجدة : 24]

ب الخليفة (الرئيس) :

ئيس الدولة عقد سياسي عام ، هو منشأ الالتزامات المتبادلة بينه وبين الأمة ، فضلا عن مسئوليته الدينيـة

، كون الأمة هي صاحبة المصلحة الحقيقية ، لتعلق الحق على النحو الذي بيّـنا مايلي:
ـ أن رضاها أساس في صحة الولاية العامة ، فمصدر سلطة الحاكم الأعلى في الدولـة مسـتمدة مـن "
، أو الانتخاب الحر.
سلطة هنا، تنفيذ شرع الله فيهم بما يستلزم ذلك من الاجتهاد التشريعي ، فيما لا نص فيه بـالتفريع علـى
بة الحقيقية المعتبرة ، تلبية لحاجاتم ومطالبهم الحيوية وما يقتضيه تسيير شؤون الدولة.
ـ أن هذا العقد السياسي الذي تمّ بين طرفيه ، هو منشأ الالتزام بالنسبة للحاكم والمحكوم على السـواء.)

لسان العرب ، مادة (خ ل ف) ، ص 883 ، دار الجيل ، بيروت ، 1408ه – 1988 م .
في موكب الدعوة ، ص 136 .
: خصائص التشريع الإسلامي في السياسة والحكم .

أن علماء الإسلام قد فهموا أن انتخاب الإمام الأعظم [= الخليفة = الرئيس] عقد بين طـرفين يلتـزم
ب بتحقيق آمال الأمة وطموحاتا ، وأنه في هذا المنصب صاحب مسؤولية عظمى ، وهي له تكليف قبل

الفقه الصيغة القانونية لما قالوا:(إن الإمامة عقد له مدلوله الخاص) .
السنهوري طبيعة عقد الإمامة بصفة خاصة ، كما عرفه علماء الشريعة الإسلامية فقال عنه: (إنه عقـد

وف للشروط ، ثم أشار في مواضع أخرى إلى أن مفكري الإسلام قد أدركـوا جوهر نظرية روسو . وهي
كم أو رئيس الدولة يتولى سلطانه من الأمة نائبا عنها) وأنم عرفوا نظرية السيادة كما عبّـر عنها روسو
ت نظرياتم احتوت على عنصر زائد خاص با .

كلم عنه رو سو [163] قد كان مجرد افتراض . لأنه بناه على حالة تخيّـلها في عصور ماضية سـحيقة ، ولا
اريخي ، بينما نظرية العقد الإسلامي تستند إلى ماض تاريخي ثابت، هو تجربة الأمة من خلال العصر الذهبي
الخلفاء الراشدين . "

ة = الرئاسة " :
أو وكالة عن الأمة ". فالأمة من الوجهة السياسية هي مصدر السلطات [164] في النطاق المقرر شرعا فهـي
ه بعينها هي الفكرة التي تتداول في أبحاث علماء السياسة الحديثة ، وهي التي يسمّونا التمثيل.
أعدل الآراء وأصوبا حديثا هو طريقة التمثيل، لذلك يجب السعي في سبيل أن تكون هذه النظـرة هـي
لفكر السياسي لدى المسلمين ، وأن ينبذ بغيرها من الآراء عرض الحائط ، لأن الأمر الأساسي أن لا تفقـد
ر حاكمها، وأن تمارس حقها في الشورى في ظل مختلف الظروف.) [165]

ينادي به الغزالي منذ ألف في بداية مشروعه الفكري أول كتاب له يتحدث عن فلسفة النظـام الإسـلامي
لك بحديثه الجاد حول الأوضاع السياسية ، ونقده للسياسة المصرية ، وسياسة الملك فاروق حينها، ودحضه
سير الأمور ، من تداول على السلطة ، وتسيير شؤون الأمة على غير هدى من مبدأي الشورى والديمقراطية

نهوري ، الخلافة ، ص 24 .
هو بز) و (لوك) من الإنجليز .
ى عن مصدر السلطات مبحث (الشورى والديمقراطية) من هذه الرسالة .
ا ، في النظام السياسي للدولة الإسلامية ، ص87 .

ـن [= انتخاب] الرئيس ـ في فكر الغزالي ـ :

تهاء إلى أمر نافع وتقديم خدمة جلى إلى الإسلام وأمته في هذه الأيام ، وفي إطار التحدث عـن المبـادئ كم الإسلامي المنشود . أفاض الغزالي ـ في معرض مناقشة علمية جرت بينه وبين الأستاذ محـب الـدين في الإجابة عن مجموع أسئلة كان الشيخ قد طرحها ، ليجيب عنها في مقال له نشره في مجلة الدعوة .

ه في قوله :

الدولة ؟ بالملك المتوارث ، أم بالاختيار الحر ؟.أتستشار الأمة في تنصيب رئيسها ؟. وهل ذلك واجـب أم ختار الحاكم المسؤول ؟. وكم ؟.

يتحدث عن طريقة التوريث في تنصيب الخليفة، وهي التي شاعت في تاريخنا الإسلامي أمدا مديدا فقال :(و الخلافة أو القيادة أو الحكم أو الملك ، إن ذلك كله جرى على عادة المخرّفين في تقديس الأساطير، وكما صنعون بأيديهم صنما ثم يعبدونه ـ وهذه هي الوثنية الدينية ـ كذلك صنع المغفـّـلون رجلا أو طفلا قدّسوه وهو يبول في لفائفه ـ وهذه هي الوثنية السياسية ـ وليس يهمّـنا متى ولا على يد من تسرّبت لسياسيّـة إلى بلاد الإسلام[166].

دين ومثله الفاضلة ، وأمّـته المنهوكة من سيطرة هذه الوثنيات ، التي لا تزال لها سدنة ومريدون وأتباع . باندنيت نرو[167] الزعيم البرهمي الذي اختاره الهنود رئيسا لهم ، ويسمع إلى كلماته باهتمام وبصر ، ولكنه رب والمسلمين ـ وهم السلالات التي تتوارث الملك والحكم ـ رمقهم بازدراء وسخرية ، وازدرى معهم عروبة كلها.

بمعرفة متى ولا على يد من جاءتنا جراثيم هذه الوثنية السياسية في موضوعه هذا بالخصوص لأنه ليس بصدد التأريخ لحوادث مضت وإنما صب أفكار فجة وأوضاع معوجة – ولا يفهم من هذا نقص اهتمام بدراسة التاريخ والاستفادة من عبره – فالشيخ قد كان دارسا للتاريخ خـبيرا رتفاع التي أصابت أمتنا . وما انفك يدعو إلى وجوب الاستفادة من دروس الماضي، وما وقعت الأمة فيه من أخطاء فالذين لا يدرسون التاريخ ادته.

وهو يتحدث عن بدعة التوريث : (أن أئمة المسلمين أجمعوا على أن تقاليد الإسلام في الحكم قد تحولت عن مجراها الرشيد على عهد معاوية أمر الدين واضطربت مصالح الناس ، ووجد من حكام المسلمين من سبق ملوك الكفر في كفرهم وعمايتهم ، وذلك من سوء حظ البشـر ، سوء حظ المسلمين أنفسهم .) محمد الغزالي ، الإسلام والاستبداد السياسي ، ص 64 .

لال 1889 ـ 1964 م : قائد وطني ، وأول رئيس وزراء للهند المستقلة، وقطب حركة عدم الانحياز، نجل محامي كشميري من طبقة البراهما ووالد أنديرا غاندي . من أبرز قادة حركة الوطنية ، ومن المقربين إلى المهاتما غاندي ومن المتأثرين بأفكاره . لعب دورا مرموقا على صعيد ، واكتسب مكانة دولية كبيرة من خلال سياسة عدم الانحياز بين الشرق والغرب، وأيد بقوة استقلال أندونيسيا ، أصدر مع شوان لاي عام الخمسة عشر للتعايش السلمي . وفي مؤتمر باندونغ 1955 لمع نجمه كقطب للدول غير المنحازة . وفي العام التالي تضامن مع مصر أثناء ليها . حاول حل مشكلة كشمير التي كانت مصدر التأزم مع الباكستان ، إلا أن المنية عاجلته قبل أن يتمكن من ذلك . ولنهرو مواقف ن القضايا العربية، فقد أيد الحق العربي في فلسطين فترات ما بين الحربين العالميتين، وبعد إقامة الدولة الصهيونية .

ي كان نرو من أعمق الزعماء الدوليين ثقافة، وأوسعهم إطلاعا . وقد ألف كتبا في التاريخ تاريخ الهند ، ومنها مذكرات خطابات إلى ابنتي منها تأملاته وأفكاره .. موسوعة السياسة ج6، ص726 ـ 727 .

مثل لا شذوذ فيه ، وكذلك أضرابه من ورّاث الحكم في بلاد الإسلام المنكوب ـ وما بد ـ من إقصـاء
بية ، ورد الأمر إلى جمهور المسلمين ليختار الأرشد لقيادته ، بعيدا عن هذه الأسر المتنبلة الكذوب ..) [168].

م كتابات الغزالي التي تعرّضت لهذا الشأن سيرى أنا قد حملت على هذه الأفكار حملة لا هوادة ولا مهادنة
من أمرين اثنين :
فظيعة واكتواء المسلمين بنيران الاستبداد في الدماء والأموال .
ن هؤلاء الذين اكتووا بتلك المآسي والنيران ـ فكـره من وراء ذلك الفتاوى التي تزعم أن الشـورى لا
مبدأ توريث الحكم آلية من الآليات الانتخابية .
انطلاق من رؤية تجديدية للفكر والفقه السياسي ، يتمشى ومعطيات الإسلام الصحيحة ، وكذا ما وصـل
دى الغرب في مجال الفقه الدستوري ، وآليات تطبيق الشورى والديمقراطية .

ه الرؤية التجديدية لم ينشغل الغزالي كثيرا بإعادة إنتاج الفكر الإسلامي الموروث في هذا الميـدان ، وإنمـا
التي طرحها عصره ، وعلى هذا المنهج استمر يقاوم الاستبداد السياسي بكل صوره وينتصر لحرية الجماهير

خلافة في الإسلام: (نيابة عن النبوة في رعاية شؤون الدين والدنيا . فهي زعامة روحية ومدنية ، لا تتـوفر
ة من الرجال الموهوبين الممتازين ، ولم يثبت عقلا ولا نقلا أن جنسا من الأجناس ـ بله أسرة من الأسر ـ
هذه المواهب والميزات ، حتى تحبس زعامة الأمم فيه ، وتوقف عليه ، والنبوة نفسها ـ وهي الأصل ـ لم
ف تنتقل الخلافة وهي الفرع بالمواريث ؟) [170].

زالي قاسيا وهو ينتقد بعض مراحل التاريخ الإسلامي لأنه رأى الشورى ـ وهي أولى معالم الحكم الصالح
الخلافة تنتقل بحكم الوراثة إلى صبيّ لم يبلغ الحلم .
بكر بن العربي في كتابه العواصم من القواصم [171] قوله :
ين أو بواحد) واعتبر هذا القول كلاما فارغا .
ي وجّهه الغزالي لإحدى مقولات الفقه السياسي التقليدي يدعونا إلى :
ض المقولات الشائعة في هذا الفقه ، خاصة وأن انهيار نظام الخلافة قد أظهر ثغراتٍ وشـروخًا عميقـة في
[17].

في موكب الدعوة ، ص 136 – 137 .
تجديد الفكر الإسلامي ، (قراءة في تجربة الشيخ الغزالي)، دار القلم ، القاهرة ، ط 1،(1419هـ - 1999م) ص 55 .
الإسلام والاستبداد السياسي ، ص 219 .
القواصم " كتاب لأبي بكر بن العربي (486 ـ 543 هـ) . يعتبر من التراث الفلسفي النادر الذي اتسم بـ عة نقدية للفلسـفة اليونانيـة
لردة . نشره شيخ النهضة الجزائرية – عبد الحميد بن باديس (1889 – 1940) في جزئين ، ثم نشر جزءا منه الأديب الصدر محب الدين
نشره كاملا ومحققا الدكتور: عمار طالبي .

زالي في إرساء الرؤية الصحيحة لاختيار الحاكم فإنه يذكر أن الصورة التي تتجه إليها الفطرة ابتداء لانتخاب
مهور المسلمين إنما تتم حقيقة عبر وسيلتين :
الاختيار المباشر " كما يحدث الآن في الولايات المتحدة " .
لهيئات التشريعية المنتخبة " كما يحدث في فرنسا ـ مثلا ـ " [173].
ر الأول لا ينقض هذه القاعدة .) [174].

(أن الفقه الصحيح أن نتعرف المصلحة حيث لا نصّ ، وأن نجتهد في تفهمها ثم تحقيقها ، ناشدين إرضاء

ا محددا لأسلوب الحكم ، وإنما وضع له أخلاقا شرعية ، وقيما تصان .
وكيف نعزله ؟ أو كيف نحاسبه ونراقبه ؟ ما هي أجهزة الشورى ؟ وكيف نستوثق من التقاء الآراء
ف تمضي في مجراها دون إرهاب أو إغراء ؟
ن أن تجتهد في وضع النظام الذي يحقق مصلحتها دون قيد) [175].

بذ القول الموحي بأن رد الأمر إلى جمهور الأمّة نافلة يتبرع بآدائها ، إذ الشورى ودساتير الحكم
نحة من حاكم ما يهبها إذا شاء ، بل هي حكم الله ومنطق الفطرة ، ولا يفهم أبدا سلطان للبشر ـ حاشا
به إرادته على الناس. والأنبياء أنفسهم خارج دائرة الوحي لا سلطان لهم على غيرهم إلا بالعقل والإقناع
ا الذي يعطي لنفسه حق المضيّ بأمور الناس دون الرجوع إليهم ؟
ذلون لهذا الوهم ؟.) [176].

عقيدة والسياسة ، فيرجينيا ، المعهد العلمي للفكر الإسلامي ، (1996م) ، ص 15 وما بعدها .
ق الانتخابية لاختيار الحاكم ، ونظرة خاطفة إلى أنظمة الحكم الحديثة نجدها تتبع أربع طرق عند اختيار رؤسائها :
بطريق الاقتراع العام المباشر .
عن طريق البرلمان .
ن طريق جمعية أو هيئة خاصة ، مكونة من مندوبين ينتخبون ليقوموا بدورهم بانتخاب رئيس الدولة ، كما هو الشأن في الولايات المتحدة

هؤلاء المندوبون إلى أعضاء الجمعية التشريعية ، وينتخبون جميعا رئيس الدولة .
سبق عليها مآخذ في الوصول إلى الشخص الذي يجب فعلا اختياره لمزاياه الحقيقية .
تقوم بعض الدول بعمل تزاوج فيه بين طريقة وأخرى . إلا أن ثمة طريقة تتبعها دولة بولندا في اختيار رئيس الدولة ، قد تتشابه مع الطريقة
نصّ دستور بولندا على أن يجري انتخاب رئيس الدولة الجمهورية بواسطة هيئة خاصة مكونة من : رئيس مجلس الشيوخ ، ورئيس مجلس
مجلس الوزراء ، والرئيس الأول للمحكمة القضائية العليا . ومفتش عام الجيش ، وسبعون شخصا يختار مجلس النواب ثلثيهم ، ومجلس الشيوخ
كبار الموظفين المشهود لهم بالفضل .
لفكر الإسلامي بالجانب الأخلاقي في القائمين على عملية الإختيار ، فضلا عن المختار نفسه تجعل الطريقة الإسلامية لها ميزة خاصة .

- الدولة والدساتير للأستاذ فتحي رضوان ص91 وما بعدها .

في موكب الدعوة ، ص 137
ص 137

" محب الدين الخطيب " أن ننكر على ابن العربي قوله: (بأن العدول عن الشورى عدول عن الأفضل .
إلى توريث الخلافة ، على أنها مسألة لا ريبة فيها .. مع أنها خروج على سنة الخلافة الراشدة ، ينـدرج في

، الأمور ، فان كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار ι [177]) [178].

التشريع السياسي الإسلامي لم يعيّن نظاما محدداً للشورى السياسية في انتخاب رئيس الدولة ، وما رسمـه
مون من أشكال لها ، وطرائق لتنفيذها ، إنما كان بمحض الاجتهاد بالرأي ، أي لم يقيّـدها بنظام محـدد ،
، وترك طرائق تنفيذها للاجتهاد ، يستخلصها في ضوء الظروف التي يجري فيها تطبيقها [179].
ى ـ اجتهادا منه ـ أن هذا الانتخاب " البيعة " يجري على أحد شكلين :
بل رجال الدولة ، وقادة الجيش ، والفقهاء ، والزعماء ، وغيرهم من أصحاب النفوذ في الأمـة . وهـذه

تكون عامـّة وتتـم في المسجد ، حيث يبايعه الشعب بأكمله ، ويعلن ولاءه للخليفـة الجديـد ، ولا
، فرد ، لأن الانتخاب فرض على الكفاية [180].

الماوردي يرى أنه لابد لكل فرد مكلف في الأمة أن يعرف رئيس الدولة ولو بصفاته ، إن لم يعرفه عينـا ،
الإمام الماوردي:
نقلدها إما بعهد أو اختيار ، لزم كافة الأمة أن يعرفوا إفضاء الخلافة إلى مستحقها بصفاته ، ولا يلـزم أن
إلا أهل الاختيار الذين تقوم بهم الحجة، وببيعتهم تنعقد الخلافة) [181].

ه ρ : π من مات ولم يعرف إمام زمانه ، مات ميتة جاهلية ι [182].
فإن من تقوم بهم الحجة في الاختيار هم أهل الحل والعقد .
ورى المنتخب أيضا وكيلا عن الأمة وممثلا لها، ورضا هؤلاء إنما هو تعبير عن رضا الأمة واختيارها لأنها هي
لحة الحقيقية .) [183].

ص 137 – 138 ..
ـدرك قال : هذا إسناد صحيح على شرطهما جميعا ولا أعرف له علة . وابن حبان : باب ذكر وصف الفرقة الناجية من بين الفرق الناجية التي
ρ . ج10 ، ص 104 . دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط2 ، 1417 ه – 1996 م .
في موكب الدعوة ، ص 138 .
، خصائص التشريع الإسلامي في السياسة والحكم ، ص 427 .
حكام السلطانية ، ص 12 و ما يليها ..
انين الوزارة وسياسة الملك ، ص 34 .
فظ ، وقد أخرج قريبا منه مسلم بلفظ :
ات ميتة جاهلية ، ومن نزع يده من طاعة جاء يوم القيامة لا حجة له)، ورواه الطبراني وجاء فيه (من مات وليس في عنقه بيعة، مات ميتـة
ـ أنظر مجمع الزوائد ، ج5 ، ص223 .
ريشي ، المرجع السابق ، ص 428 .

ث في عصرنا قد تبدو ـ إذا لم تعرف ملابساتا ـ غامضة متناقضة، والرائي لها سيظن أن مبدأ الشـورى
الدول ذات النظام الديمقراطي خرجت على دساتيرها المعروفة ، ويضرب الغزالي لذلك مثلا مـن أحـوال
يا في الحرب الأخيرة .

أنتخب رئيسا لألمانيا عن طريق الشعب ، استخلف بعده جور نج .

ي اختاره الأمريكان رئيسا لهم جاء بعده ترومان [186] بالطريق الآلي .

حاكما لإنجلترا دورتين برلمانيتين، وعطل في إطالة حكمه الانتخابات العامة .

ن هو ما يعتقده الناظر لأول وهلة، كلا كلا .

دول كانت تخوض حروبا طاحنة، عبّـأت لها كافة ما تملك من أنفس وأموال ، فمن السـفه أن تشـتغل
تديد حكومات ، وهي مشتبكة في حرب حياة أو فناء ، وعلى ضوء الملابسات التي أحاطت دولة الخلافـة
ام الأولين ..) [188].

: (1889 –1945 م)، زعيم ألماني ورئيس دولة ، يعرف كذلك بلقبه " **الفوهرر** " " **الفيرر** " أي : الزعيم باستيلاء هتلر على الحكم
م الاشتراكي الوطني ، والقضاء على خصوم النازية من الشيوعيين والاشتراكيين واليهود مستخدما وسائل مبتكرة في الدعاية تولاها د : "
د معاهدات الصلح وقوانين عدم التسلح .

" جمع هتلر بين منصب المستشارية " رياسة الحكومة " ورياسة الجمهورية .

تحار بقبو مبنى المستشارية ببرلين وأحرق جثمانه بناء على وصيته في تاريخ 1 ماي 1945 أو حوله .

ر سقطت برلين وفي السابع استسلمت ألمانيا .

ـ موسوعة السياسة : المؤلف الرئيسي : رئيس التحرير: د عبد الوهاب الكيالي وآخرون، المؤسسة العربية
الثالثة 1990. ج 7 ، ص 63 .

نكلن (هايدبارك سبرينغ) (1882 ـ 1945) رجل دولة أمريكي، ورئيس الولايات المتحدة الأمريكية ، كانت فترة حكمه الأولى مثمرة،
ت وتغييرات مصرفية ومالية هامة ، وجدد الحياة السياسية ، انتخب ثلاث مرات ، ولأول مرة في تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية رئيسا .
11ديسمبر 1941 . ولما انتهت ولايته الرئاسية الثالثة لم يشأ أن يترك الحرب فانتخب للمرة الرابعة . إلا أنه مات قبل أن يكملها في 12 أبريـل
رهاق الشديد . ـ موسوعة السياسة . ج 2 ، ص 843 .

/ (1884 ـ 1972) الرئيس 33 للولايات المتحدة الأمريكية ، من المؤيدين لفكرة عدم الانحياز، قرر استخدام القنبلة الذرية ضد اليابـان في
وفي عهده تبنت بلاده خطة مارشال لإعادة بناء اقتصاد أوربا . وكـذا حلف الأطلسي (الناتو 1949)، لمقاومة الشيوعية في غرب أوربـا،
د الحركة الصهيونية . وفي دعم قيام إسرائيل بكل الوسائل وكان أول من اعترف با، وقد ذكر في مذكراته طيعة الضغط الصهيوني على البيت
ـ موسوعة السياسة . ج1 . ص 724.

ستون ليونارد سبنسر) (1847 ـ 1965)، سياسي ورجل بريطاني مخضرم . ينتمي إلى أسرة "**مارلبورو**" البريطانيـة العريقـة المحافظـة
عدة مناصب وتقلب في الوزارات وأهمها وزيرا للمستعمرات في عام 1922 عندما استقال من حزب الأحرار . قاد بريطانيـا طيلـة الحـرب
دوره الفعال فيها ، وكان واثقا من نصر الحلفاء على ألمانيا ، عارض استقلال المستعمرات البريطانية ، وكان يكره الشيوعية . كان صـهيونيا
ورا خطيرا في دعم مشروع إقامة دولة صهيونية على حساب العرب في فلسطين . وعلى الرغم من فشله في العديد من القضايا الرئيسية في حياته
الأوربيين يعتبرونه من أعظم رجال التاريخ الحديث .
أهم مؤلفاته – تاريخ الشعوب الناطقة بالإنكليزية 4 مجلدات . ومذكراته عن الحرب العالمية 2 في 6 مجلدات .
- موسوعة السياسة ج ص 741 – 742 .

في موكب الدعوة ، ص 138 - 139 .

ر ما حدث في الصدر الأول حول طريقة اختيار الحكام الأولين ، خاصة وأن الرأي النقيض يستشهد بتلك
كم با رأيه الذي يجيز من خلاله أن تنعقد البيعة بواحد أو باثنين .
ه الوقائع دون إغفال للملابسات والظروف المحيطة با ، جعل من ذلك ترجيحا قويا لما مال إليه من رأي :
أبي بكر [189] صاحب رسول الله ρ خليفة له بدا إعطاء الأصوات له في السقيفة على نحو كريم واضح ، لا
، ولم يوجد أمامه منافس تلتف حوله الجموع ، وينخرق به الإجماع ، فصـح اسـتخلاف أبي بكـر ـ
اصة وإيثار الأمة له ـ على السير بالإسلام قدما ، فكان عصره امتدادا لشعاع النبوة .ثم اندلعت الحـرب
روم والفرس جميعا . أي بين المسلمين وحدهم وبين قوى الدنيا كلها، ففعل أبو بكر مـا تفعلـه الـدول
ذا ، إذ جمع الأمة على رجل معروف يتولى قيادها في أعقد الأزمات وأخطر الجبهات ، وصدف عن إنشاء
ثاني ، لا ليهدم مبدأ الشورى، ولا ليضع قاعدة تقول: إن اختيار الخليفة يمكن أن يتم بصوت واحد كمـا
يسمون بقولهم هذا فقهاء ، وأبو بكر لم يختر ابنه ، ولم يمل إلى رجل مغموس ، ولم يفاجئ المسلمين بمـن
أ له الأكناف ، ويسّـر له القبول وما صنعه عمر من بعده قريب من صنيـع أبي بكر. فقد تـرك أمانـة
ة نفر ـ هم خيرة أصحاب رسول الله ρ ـ .
ياء على الخلافة المسؤولون على توجيهها إلى أهلها ليسوا جماعة من سواد الناس حتى يقـال إن اجتمـاع
واحد يرشحه للخلافة العظمى [190].
كلية بخمسة أصوات نفهم منه أن عمادة كلية ما ، تتم بخمسة رجال ولو من عرض الطريق .
، بعشرين كرد ينالا ، يفهم منه أن عشرين نصرانيا ينتخبون رئيسهم .

ننسى أن عمر [191] لم يدع العامة إلى انتخاب رئيس لهم للملابسات التي ذكرنا لـك، وهـي اشـتباك
تسعت مساحته حتى شمل المشرق والمغرب .

ق (51 ق هـ ـ 13هـ / 573 – 734م) : هو عبد الله بن أبي قحافة من تيم من قريش ، ولد ونشأ بمكة سيدا من سيداتا ، وواحدا من
في العلم بأنسابا ، وكان عضوا في حكومتها ، التي قادت المجتمع المكي قبل الإسلام ، وهي الحكومة التي كانت تمثل البطون العشرة الرئيسـية
وكانت مسؤوليته فيها " الأشناق " أي : المغارم والديات التي تلزم قريشا لسواها من القبائل . كان من السابقين الذين آمنوا بدعوة المصـطفى
نفر من سراة قريش وذوي النفوذ فيها كانوا معه فيما بعده من أركان هيئة " المهاجرين الأولين "
فيق الرسول ρ في الرحلة من مكة إلى المدينة ، وفيها كان من المقربين إليه الحاضرين معه المشاهد كلها الباذلين أموالهم في دعم الدعوة ودولتها

سول ρ بويع بالخلافة في سقيفة بني ساعدة ، فكان أول خلفاء دولة الخلافة الراشدة ، وكانت أبرز إنجازاته تلك الحرب التي أعاد با وحـدة
نت القبائل خارج المدينة ومكة والطائف سلطة دولة الخلافة ، وهي الحرب التي عرفت بحروب الردة ، كما واصل فتوحات الشام وقسم كبير
وكانت وقفته ضد تمزيق الدولة بعد وفاة الرسول المنعطف التاريخي الذي ضمن الإستقرار ثم الرسوخ لهذه الوحدة السياسية التي بنت للعـرب
ونشرت عقائد الدين الجديد، كانت خلافته في الفترة من 12 ربيع الأول سنة 11 هـ حتى 22 جمادى الآخرة سنة 13 هـ الموافقة لـ 632 –
- أنظر : موسوعة السياسة ، ج 1 ، ص 23 .
ـة هم / ـ علي بن أبي طالب . - وعثمان بن عفان - وطلحة بن عبيد الله . - وسعد بن أبي وقاص . - وعبد الرحمن بن عوف - والزبير
رهط الشورى الذين قال فيهم عمر بعد أن أحس دنـوّ أجله . وقد قيل له أوص يا أمير المؤمنين استخلف فقال : (ما أجد أحق بذا الأمـر
الذين توفي رسول الله ρ وهو عنهم راض فسمى عليا وعثمان وطلحة وسعدا وعبد الرحمن والزبير ..)
- البخاري (باب . قصة البيعة والاتفاق على عثمان رضي الله عنه)، ج3 ، ص1138، رقم الحديث : 3700 .

جه إلى توريث ابنه ، ولم يصنع إلا ما تصنع الدول العريقة في ديمقراطيتها حين تواجه أمثال هذه الأزمـات

محب الدين الخطيب عن ابن حزم من قوله : (..أما من قال أن الإمامة لا تصح إلا بعقد فضلاء الأمـة في لأنه تكليف بما لا يطاق ، وما ليس في الوسع وما هو أعظم الحرج) [193].

الي بأن هذا الحرج يجيء من اتساع رقعة البلاد، وصعوبة التنقل فيها لتعرف آراء أهلها ، وهذا الكـلام إن فلا يجوز النظر فيه الآن ، فإن الولايات المتحدة وروسيا والصين ، تقيم نظمها على انتخاب رئيس الدولة ، ن السكان مثل العرب والمسلمين أو أكثر .

هذا بدعوته إلى أن نكون أكثر صراحة . (لأن عرض الحكم الإسلامي في هذه الصورة ، صـورة حـاكم يوم والغد ، هي خطأ مزدوج في فهم الإسلام والدعاية له ، وهي نقض لقاعدة الشورى التي شرعها الله ، دما آذته كوارث الماضي البعيد والقريب .. وخير للإسلام أن تدفن هذه الآراء الشاردة .) [194].

سياق يمكننا القول أن المعالم الرئيسية للنموذج الذي يمكن استخلاصه من مرحلة الدعوة المحمديـة عـن " ، إسلام عهد النبوة والخلافة الراشدة أنه نموذج مفتوح بدون شك ، بمعنى أنه يقبل إضافات كثيرة مختلفـة فإن اعتبار هذه المعالم الأربعة والتي يمكننا أن نلخصهـا في :

ينهم] ، [وشاورهم في الأمر] ، π أنتم أدرى بشؤون دنيـاكم ι [195] ، و π كلكـم راع وكلكـم .) [196]

ه المعالم كضوابط موجهة أو كأصول تأسيسية يسدّ الباب أمام جميع أنواع التسلط والاستبداد . وهذا مـا ساعدة فلقد توفي النبيρ ولم يعيّـن من يخلفه ، وكان الدين قد أكمل [اليوم أكملت لكم ديـنكم] [الدنيا فمتواصلة ولذلك تركهم ولسان حاله يقول : π أنتم أدرى بشؤون دنياكم ι فيما ليس فيه نص .

ب : (40 ق هـ -23 هـ / 584 – 644 م) : عمر بن الخطاب بن نفيل بن عدي ، من قريش نشأ بمكة واحدا من سادتا وذوي النفوذ با تجارة بين الحجاز والشام ، كما كان ممثلا لعدي في حكومة ملإ قريش الجاهلية بمكة حيث تولى منصب السفارة فيها، ..وعندما أسلم اعتز به لمين . وعقب وفاة أبي بكر بويع عمر بالخلافة سنة 13 هـ ، فكان ثاني الخلفاء الراشدين ، وأول من تلقب منهم بأمير المؤمنين . وفي عهـد لة إلى إمبراطورية ضمّت العراق وفارس والشام ومصر والجزيرة ، وبنيت فيها مدن جديدة ، وأرسيت أسس نظمهـا السياسـية والإداريـة سكرية الجديدة فأصبح لها جيش محترف ، ولثغورها حاميات متخصصة ، ولماليتها ديوان ولأرضها خراج معلوم القدر محددة له أوقات الجباية ، اجتهاده في التشريع المالي والسياسي النموذج الذي جعل من حاجات الأمة ومصالحها المتجددة والمتطورة المصدر والمعيار في التشريع.. ولقب

ه أدرك المضار التي نشأت عن حيازة البعض لثروات تفيض عن حاجاتم فعزم على إنجاز إصلاحات أساسية في توزيع الثروات بأخذ فضول دها على الفقراء ، والتسوية بين الناس في العطاء ، ولكن غلاما فارسيا هو أبو لؤلؤة فيروز اغتاله بخنجر بينما هو يصلي صلاة الصبح . ثلاثة التي عاشها بعد طعنه وقبل وفاته ، حدد لمن بقي من هيئة المهاجرين الأولين وكانوا ستة ، ثلاثة أيام يتمّون فيها اختيار أحدهم لإمارة ت إمارة عمر للمؤمنين من 22 جمادى الآخرة سنة 13 هـ حتى 27 ذي الحجة سنة 23 هـ .

ـ موسوعة السياسة ، ج04 ، ص221 .

في موكب الدعوة ، ص 139 - 140 .

، ص143 .

، ص 144 .

ب الفضائل ، باب وجوب امتثال ما قاله شرعا، دون ما ذكره ρ من معايش الدنيا على سبيل الرأي . ـ 6081 ، 03/141.

من حديث عبد الله بن عمر رقم " 4892 " باب : قوا أنفسكم وأهليكم نارا .

ة بخبر وفاته حتى بادروا إلى الاجتماع في سقيفة بني ساعدة [وأمرهم شورى بينهم] فتداولوا في " الأمر "
من كل قيد .

مشادّات كلامية انتهت إلى ُبروز رأي عام تبلور كأغلبيةٍ بايعت أبا بكر . ولم يستبد أبو بكـر في شـأن
عمل بمبـدأ [وشاورهم في الأمر] بل عمل بكامل مضمون الآية التي ورد فيها هذا المبدأ [فبما رحمة من
ت فضا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر] وذلك ما فعل مع
ثم علي بن أبي طالب [197] وجماعته ثانيا . ليس هذا وحسب بل إن أبا بكر قد عّبر عن مضمون المعلم الرابع
كم مسؤول عن رعيته ι تعبيراً سياسيًا دستوريًـًا واضحًـا فقال في خطبته التي ألقاها بعد مبايعة الناس له :
وليت عليكم ولست بخيركم ، فإن رأيتموني على حق فأعينوني وإن رأيتموني على باطل فسددوني. أطيعوني
فإذا عصيته فلا طاعة لي عليكم .
، الضعيف حتى آخذ الحق له ، وأضعفكم عندي القوي حتى آخذ الحق منه) .

بكر بدنوّ أجله استشار الناس (جعل الأمر شورى بينهم ، وشاورهم فيه) فكان الاتفاق على عمر بـن
، انتخاب عام على الطريقة الحديثة لما نال أغلبية الأصوات غيره، وعندما طعن وشعر بأن أيـامه معـدودة
، ثم أسند الأمر إلى ستة عرفوا بـ " أهل الشورى " ، ليختاروا واحدا منه بينـهم لقـد طّبقـت "
بكر وعمر بالكيفية التي كانت تتناسب مع ذلك العصر ولكن دائما في إطار مضمون الضـوابط الأربعـة
عهد النبوة ، الضوابط التي تسدّ الباب سدّا أمام " الاستبداد بالأمر "
ه فقد بقي " النموذج " الذي يمكن استخلاصه من عهد النبوة والذي طّبـق في عهد أبي بكر وعمر ، بقي
لم يكن هناك نص تشريعي من القرآن والسنة ، يشرّع لمسألة الحكم كما هو الشأن في العبادات وبعض
عليها .
لغالب في مسألة الحكم هو مضمون الحديث الذي اتخذنا منه ضابـطا ثالثا ، حديث " أنتم أدرى بشؤون
عت هذه المسألة في الإسلام لـ " دراية " الناس التي لم تتوافق دائما مع الضوابط الأخرى ولذلك كانت
خلاف .

الب (23 ق هـ – 40 هـ / 600 – 661 م)، هو علي بن أبي طالب بن عبد المطلب هاشمي قرشي ، ولد ونشأ بمكة ، وفي قتال أعداء
وبناء دولتها كان علي واحدا من أبرز المقاتلين .. كما كان خطيبا بليغا ، وأكثر صحابة الرسول ρ علما بالقضاء . وكان علي ومعه نفر من
ن بني هاشم يرى أنه الأولى بخلافة الرسول ρ في دولته ، ولكنه لم يتقلد هذا المنصب إلا بعد مقتل عثمان ، ولقد رفض الأمويون مبايعته
عندئذ إلى فريقين عظيمين : أنصار علي الذين بايعوه وجمهرتم وقوتم المقاتلة الممثلة في العراق ، وخصومه الذين تجمعوا خلف معاوية وقوتم
ام .
ى يد الخارجي عبد الرحمن بن ملجم المرادي ، فانتهت بمقتله دولة الخلفاء الراشدين .
ي للمؤمنين في المدة من 17 ذي الحجة سنة 35 هـ حتى 17 رمضان 40 هـ .
ـ موسوعة السياسة ، ج 4 ، ص 182 .

تلاف زمن أبي بكر وعمر قد فُصل فيه بصورة سلمية إيجابية ، فإن الخلاف الذي نشب على عهد عثمان
يرة منه خاصة ، قد تفاقم ليتطور إلى قتال وصدام مما كشف عن ثغرات واسعة كان عدم المبادرة إلى سدها
فيما حدث من فتنة انتهت بانقلاب الخلافة إلى " ملك عضوض " [199]

ى واضحا أن إعادة بناء الفكر السياسي في الإسلام يجب أن تنطلق من إعادة تأصيل الأصول التي تؤسّـس
استخلاصه من مرحلة الدعوة المحمدية ([وأمرهم شورى بينهم] و [وشاورهم في الأمـر] و π أنـتم
م ι ، π كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته ι) .
، هذه الأصول يتطلب كخطوة أولى إقرار المبادئ الدستورية ، التي تجعل حدّاً لمثل ذلك الفراغ السياسـي
، أواخر عهد عثمان والذي جسّمته الثغرات الثلاث التي تحدثنا عن بعضها ، وسنتحدث عن بعضها الآخر
وتتمثل هذه الثغرات في : (= 1 ـ عدم تحديد طريقة مضبوطة لاختيار الخليفة ، 2 ـ عدم تحديـد مـدة
حديد اختصاصاته) [200].

ه مجسّداً في كتابات الشيـخ الغزالي الذي نادى بوجوب إقرار فكر سياسي أصيل يستمد من هذه الأصول
، في معالجة القضايا السياسية العالقة التي لم تأخذ حظها من الدراسة الواعية ، وذلك حتى تصير واضحة في
في وسائلها وغاياتا .
الغزالي يلحّ على ضرورة التجديد الفكري في هذه القضايا والمساهمة في طرحها بقوة في ميـدان الفكـر
ـ والتي أصبحت من بديهيـات الفقه الدستـوري المعاصـر ـ فليس ذلك إلا لأننا نرى بعض الكتاب
" الفكر " مازالت نظرتم إلى الأمور واقعة تحت تأثير نظريات الماوردي وغيره من الفقهاء ، الذين نظّـروا
لهم ، والذين كانوا في الوقت نفسه مشغولين بالرد على الشيعة الرافضة .
وردي وغيره من الفقهاء والمتكلمين ليست ملزمـة لنا ، لأنها مجرّد آراء سياسية أملتها ظروف سياسية معينة
فقهاء مسلمون ضمن سياق تطور الحضارة الإسلامية ، هذا صحيح ، ولكن صحيح أيضـا أنـا لا تمثـل
م " ، وقد تتعارض مع الخلفية الإسلامية وقد لا تتعارض " . إنا لا تمثل رأي الإسلام لسبب بسيط هو أنه
يعي من القرآن أو السنة ينظم مسألة الحكم ، بل المسألة مسألة اجتهادية يجب أن تخضع لظروف كل عصر
ورى فيه .

ن : (47 ق هـ – 35هـ /577 – 656 م) ، هو عثمان بن عفان بن أبي العاصي أموي من قريش..
احدا من أغنيائها وكان من السابقين إلى الإسلام . وكان مبرزا في الجود بماله في سبيل نشر الإسلام وتأمين دولته ، وعقب وفاة عمر بن
هيئة المهاجرين الأولين عثمان أميرا للمؤمنين .. وفي عهده امتدت فتوحات الدولة فشملت أرمينية والقوقاز وخراسان وكرمان وسجستان
إفريقيا " . وأضاف عثمان جهاز الشرطة إلى أجهزة الدولة ، كما أفرد للقضاء دارا خاصة بعد أن كان المسجد هو مكان التقاضي .
ع القرآن وكان قد بدأه أبو بكر .. في السنوات الست الأخيرة من حكمه وضحت سيطرة الأمويين على إدارة الدولة وأقاليمها الغنية ..
لى المدينة فحاصروها ثم احتلوها ، وبعد حصار لبيت الخليفة تسوروه وقتلوه وهو يقرأ القرآن ..
ان بن عفان للمؤمنين في الفترة من 29 ذي الحجة سنة 23 هـ حتى 10 ذي الحجة سنة 35 هـ .
ـ موسوعة السياسة : ج 4 ، ص 13 .
ابري، العقل السياسي العربي محدداته وتجلياته ، مركز دراسات الوحدة العربية ، الطبعـة الثالثـة ـ أكتوبر ص 367 – 368 .
ص 372 –373 ، بتصرف .

حاضر ليس هناك غير أساليب الديمقراطية الحديثة، التي هي إرث للإنسانية كلها .
الشورى بالانتخاب الديمقراطي الحر ، وإن تحديد مدة ولاية رئيس الدولة في حال النظام الجمهوري ، مع التنفيذية لحكومات مسؤولة أمام البرلمان في حال النظام الملكي والنظام الجمهـوري معـا ، وإن تحديـد رئيس الدولة والحكومة ومجلس الأمة بصورة تجعل هذا الأخير وحده مصدر السلطة ، تلك ثلاث مبـادئ ورى في العصر الحاضر بدون إقرارها ، والعمل على ضوئها .

بعض الحركات السياسية التي ترفع شعار الإسلام ، هو موقف لا مبرر له .
م بأن الخليفة في الإسـلام يمكـن أن يعيّـن بمبايعة فرد واحد أو أفراد معينين ..إلخ ، وبكون مدة ولايته مبايعته تقتضي تفويض الأمر له ، وبكون اختصاصاته لا يحدها إلا كتاب الله وسـنة رسـوله ، إن هـذه لى أي أساس ، لا من النقل ولا من العقل ، وإنما تنقل آراء فقهاء السياسة كالماوردي وغيره ، أولئك الذين بمثل هذه الآراء استجابة لحاجات أملتها عليهم ظروفهم :
الرافضة ودعاواها .
الواقع الذي كان قد فرضه حكام زمانهم بالقوة والغلبة [201].

، المعاني : محمد عابد الجابري ، مرجع سابق ، ص 372 – 373 . بتصرف .

ـرشيـح لمنصـب الخلافـة :

إسلام الصفات التي يجب توافرها فيمن يرشح نفسه للخلافة أو يرشحه المسلمون.
حدود للرسالة إلى ذكرها مجملة دون تفصيل، إلا فيما يخص شرطي (الذكورة . والقرشية) فإن قلم الغزالي
نفيس ، ورؤية ثاقبة فكان لابد من التعريج عليهما والإفاضة ـ نوعا ما ـ في شرحهما وبيانهما.

الغزالي لم يهتم بالصياغة الأكاديمية لفكره ، وهذا إذ استثنينا المرحلة الأخيرة ، أثناء ترأسه المجلس العلمـي
للفكر الإسلامي في القاهرة ، ففكره في هذه المرحلة قد أصبح كثيرا ما يتعرض للحوار والمناقشة الجماعية ،
معهد وندواته ومجالسه، قبل أن يصوغه الشيخ ويضعه في قالبه الأخير ، وهذه ميزة لم تتوافر لفكره في كتبه
لسيرة ، وما ورد فيه من الأحاديث، ودراسات محدودة أخرى جرى إعدادها أثناء التعليم والتدريس ، سواء
جزائر أو في زياراته لقطر [202].
باحث الدارس الذي يريد الإحاطة برأي من آراء الغزالي الكلية والشاملة في موضوع ما ، أن يلم بتراثه عبر
، شامل ليستخلص ما يبغي استخلاصه.

تاباته وأحاديثه التي تعرّضت لموضوع الخلافة، والشروط الأساسية الواجب توافرها فيمن يتولاها، نجد قوله
، المقاييس أو الصفات التي ترشح الإنسان لهذا المنصب ـ (.. يعتبر الحاكم في نظر الإسلام، رجلا تختاره
ر بقيادتها وزعامتها، ولأنها ترى في صفاته الموروثة والمكتسبة ضمانا لولاية أمرها، على وجه يحقق مصالحها
الحكم كأي وظيفة لا يرشح لها نسب خاص، ولا لون معين . إنما يرشح لها من يسد فراغها ويحمل أمانتها
صب الإمامة والوزارة وأشباهها يجب أن ينتقى لها العمالقة والأبطال ، والويل لأمة تسلم زمامها للسـفهاء

وبة منها أو المكتسبة قد حصرها علماء السياسة الشرعية في [204]:
ـاد * الثقافـة السياسيـة والإداريـة والحربيـة * الكفايـة النفسيـة والجسميـة * العدالـة
لـة .
ـة : بأن يكون مسلما حرا ذكرا بالغا .
أن يكون ذا نسب في قريش .
العلماء في الشرطين الأخيرين أعني **:** ـ الذكورة ، والقرشية ـ مما يقتضينا أن نفصل فيهمـا ـ كمـا
ر ما يسمح به المقام في المباحث التالية .

، ص 11 .
في موكب الدعوة، ص 123
محمد القاضي : السياسة الشرعية مصدر للتقنين بين النظرية والتطبيق ، مطبعة دار الكتب الجامعية الحديثة – طنطا – الطبعة الأولى ، 1410هـ
، 460 - 471 (بتصرف)،
. عويضة ، النظم الإسلامية والمذاهب المعاصرة ، ص 196 – 197 .

ـّـي المناصب السياسية :

ض بحر الكلام لنتحدث عن شـرط الذكوريـة ، والذي يُعنى في المقابل بمسـألة : " المـرأة وتـولي
، يجدر بنا أن نقرر ابتداء جملة النقاط التالية :
ة إنسان مكلف مثل الرجل ، مطالبة بعبادة الله عز وجل وإقامة دينه ، وأداء فرائضه ، واجتناب محارمـه ،
ده، والدعوة إليه ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكل خطابات الشارع تشملها إلا ما دل دليل على
إذا قال تعالى [يا أيها الناس]. و [يا أيها الذين آمنوا]. فالمرأة داخلة فيه بلا نزاع .) [205]
الكريم يحمّـل الجنسين الرجال والنساء جميعا مسؤولية تقويم المتمع وإصلاحه وهو ما يعبر عنه بعنـوان
هي عن المنكر .
والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ، ويؤتـون
له ورسوله أولئك سيرحمهم الله ..] التوبة : 71) [206].

مسألة ممارسة المرأة ـ ومازالت ـ للحق السياسي محل خلاف بين الفقهاء ، وقد تبلور هذا الخـلاف في

لأول : ويذهب إلى القول بحرمان النساء من الحق السياسي إجمالا ، مع ما يتضمنه من انتخاب وترشـيح
، بالإضافة إلى الحق في المراقبة والمعارضة للسلطة السياسية . وقد استند هذا الإتجاه فيما ذهب إليه إلى قوله
مون على النساء]
ما استند إلى قول الرسول ρ : π لن يفلح قوم ولـوا أمرهم إمرأة ι .
ن بأن المناصب الرئيسية في الدولة الإسلامية ـ رئاسة كانت أو وزارة ، أو عضوية مجلس شـورى ، أو
الحكومة ـ لا تفوّض إلى النساء .
ا الرأي بأن ذلك لا يعد انتقاصا من إنسانية المرأة ، ولكنه التخصص الذي أراده الله لنـوعي الإنسـانية ،
وللنساء ميادينهن ، وأفضل ميادين النساء هي البيوت وتربية الأبناء .
ب الفقهاء المتقدمين ، وثلة من الفقهاء المحدثين .

ي : ويذهب إلى القول بأحقية المرأة ، وأهليتها لممارسة الحرية السياسية في شتى مظاهرها ، ماعدا الإمامـة
ث المتقدم ذكره لا ينصرف إلا إلى هذه الحالة فقط . وقد استند هذا الاتجاه فيما ذهب إليـه إلى عمـوم
المتعلقة بتكريم الله للجنس البشري بنوعيه كقوله تعالى : [ولقد كرمنا بني آدم] [الإسراء آية : 70] ...
لنصوص القرآنية تكون المرأة قد تساوت مع الرجل في الإنسانية ومن ثم يجب أن تعطـى مـن الحقـوق
ه هذه الإنسانية ، لأن مناط التكليف في الشرع هو العقل الإنساني ، وليس الجنس البشري[207].
زالي بغية معالجة قضايا المرأة عموما ، وتطرق إلى موضوع توليها الوظائف العامة خصوصا .

وي ، من فقه الدولة في الإسلام ، دار الشروق ، الطبعة الأولى، 1417هـ / 1997 م ، ص 161 .
ص 161.
يل راجع : د عبد الحميد الأنصاري ، الشورى وأثرها في الديمقراطية ، ص 266 – 308 .

نبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث " يقول ـ بعد أن ذكر رأي ابن حزم القائل فيه (أن الإسلام لم يحظـر
ب، حاشا الخلافة العظمى...) .
لام ابن حزم بأنه مخالف لقــوله تعالــى [الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض
م ..] [النســاء: 34] فالآيــة تفيــد ـ في فهمه ـ أنه لا يجوز أن تكون المرأة رئيسة رجــل في
مرفوض ، والذي يقرأ بقية الآية يدرك أن القوامة المذكورة هي للرجل داخل بيته وداخل أسرته[208].
عمر قضاء الحسبة في سوق المدينة للشفاء كانت حقوقها مطلقة على أهل السوق رجالا و نســاءا ، تحــل
وتقيم العدالة، وتمنع المخالفات[209].
جل زوجة طبيبة في المستشفى فلا دخل له في عملها الفني ، ولا سلطان له على وظيفتها في مستشــفاها)

غزالي حديث π خاب قوم ولّــوا أمرهم إمرة ι [211] على ضــوء الملابسات التي سيق فيها الحديث
لابسات كفيل بأن يهدينا إلي فهم المراد حقيقة .
ا في كتــابه " ليس من الإسلام " إلى هذا المنهج السديد في فهــم السنّــة لمّــا قــال بأنه
ن الملابسات التي سيق فيها الحديث ، فإننا تلقي ضوءا كاشفا على المراد منه ، وكما راعت السنن أحوال
ي الأحوال العامة للجماعة . . .
ن لا يتم إلا بمعرفة السنة . وفهم السنة لا يصــح إلا بمعرفة الملابسات التي سيق من أجلها التوجيه النبوي
إحاطة شاملة بالأزمنة والأمكنة ، والوقائع التي أرسلت فيها هذه الأحاديث ، فقد تكون بالإحاطة بجملــة
ذا النقص .
ثرة المرويات وتعدد معانيها، لا ترى بدا من تنسيقها وترتيبها، ووضع كل حديث بازاء ما يوافقــه مــن
أن هناك مؤلفات في " أسباب الحديث " [212] طبعت في الشام ، على غرار أسباب النزول التي امتلأت
ونحن نأسف لبعد هذه المؤلفات عن متناولنا فإن إشاعتها ضرورة لخدمة السنة وصد الهــاجمين عليهــا ..)

ء هذه المفاهيم فسر الغزالي حديث:π خاب قوم ولّــوا أمرهم امرأة ι فقال:

السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث ، منشورات دار الكتب ، الجزائر، ط8 ، ص 58 .
بة أنه ربما ولاها أمور تتعلق بالنساء .
الي ، السنة النبوية بين أهل الفقه والحديث ، ص 58 ـ 59 .
ولّــوا أمرهم امرأة ι، لم أجده بذا اللفظ ، وقد ورد بلفظ قريب منه في صحيح البخاري باب الفتن والمغازي عن أبي بكرة أنه قال : لقــد
أيام الجمل قالها النبيρ لما بلغهم أنم ملكوا ابنة كسرى π لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة ι ورواه الحاكم وأحمد وابن حبان مطولا ، ولفــظ
ي الله بشيء لما بلغه أن ملك ذي يزن توفي فولوا أمرهم امرأة...ι

رحمه الله - كتاب " البيان والتعريف في أسباب ورود الحديث الشريف " . للسيد إبراهيم بن محمد المشهور بابن حمزة الدمشقي المتوفى ســنة

وع أيضا " اللمع في أسباب الحديث " ، طبع بتحقيق د : يحي إسماعيل .
ليس من الإسلام ، الدار الشامية – بيروت - ، 1420هـ – 1999 م ، ص 32 ـ 33 .

الحديث مع أنه صحيح سندا ومتنا ولكن ما معناه ؟.
تتهاوى تحت مطارق الفتح الإسلامي ، كانت تحكمها ملكية مستبدة مشؤومة، الدين وثـنيّ ، والأسـرة
رى ، ولا تحترم رأيا مخالفا ، والعلاقات بين أفرادها بالغة السوء ، قد يقتل الرجل أباه أو اخوته في سـبيل
انع منقاد .
مكان وقد انزمت الجيوش الفارسية أمام الرومان الذين أحرزوا نصرا مبينا ، بعد هزيمة كبرى ، وأخـذت
ن ، أن يتولى الأمر قائد عسكري يقف سبيل الهزائم، لكن الوثنية السياسية جعلت الأمة والدولة ميراثا لفتاة
ـان ذلك إيذانـا بأن الدولـة كلهـا إلى ذهاب .

ى ذلك كلـّـه قال النبيّ الحكيم كلمته الصادقة ، فكانت وصفا للأوضاع كلها ، ولو أن الأمر في فارس
رأة الحاكمة تشبه جولدا مائير اليهودية [214] التي حكمت إسرائيل واستبقت دفة الشؤون العسكرية في أيدي
ليق آخر على الأوضاع كلها . ولك أن تسأل ماذا تعني ؟.

النبي عليه الصلاة والسلام قرأ على الناس في مكة سورة النمل ، وقصّ عليهم في هذه السورة قصة ملكـة
مها إلى الإيمان والفلاح بحكمتها وذكائها ، ويستحيل أن يرسل حكما في حديث يناقض ما نزل عليه مـن

بعد أن أوضح كيف دعاها سليمان إلى الإسلام ، ونهاها عن الاستكبار والعناد، وكيف تلقـت كتابـه
، واستشارت رجال الدولة ثم التقته وقررت طرح وثنيتها الأولى والدخول في دين الله يتساءل :
ا أمرهم من هذا الصنف النفيس ؟..) [216].

1898 – 1978 م)، سياسية صهيونية ، تولت رئاسة الوزراء 1969 – 1974 م . ولدت في روسيا ، وهاجرت مع عائلتها عام 1906 م إلى
إلى حزب عمال صهيون عام 1915 وفي عام 1921 هاجرت إلى فلسطين حيث نشطت للعمل في حركة الكيبوتز – وهي كلمة عبرية تعني
ر هذا المعنى فأصبح يشير إلى مجموعة من الناس ، يعيشون بشكل مشترك في مزرعة تعاونية زراعية ، وهو أداة للاستيطان الصهيوني لا غير .
رون من المقاتلين – وانتخبت عام 1934 عضوا في قيادة الهستدروت – الإتحاد العام للعمال اليهودي في أرض إسرائيل – وتولت في مرحلة
ولة السياسية في الوكالة اليهودية .
1948 بجمع 500 مليون دولار من يهود أمريكا لشراء أسلحة ومعدات قتالية للتنظيمات العسكرية الصهيونية .
ياسية هامة كان آخرها رئاسة الوزراء بعد موت " اشكول " عام 1969 وشكلت بعد ذلك حكومة "الوحدة القومية"
شددها مع العرب ، والتمسك بالأراضي العربية المحتلة عام 1967 ، وبإنكارها وجود الشعب الفلسطيني ، ولقلقها الشديد إزاء تزايد
لى الرغم من تمتعها بشعبية واضحة في صفوف المستوطنين الصهاينة فإن حرب أكتوبر 1973 زعزعت مكانتها ، وأدت في النهاية إلى استقالتها

ـ موسوعة السياسة ، ج 5 ، ص 618 (بتصرف) .

السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث ، ص 59 ـ 60 .
ص 61 .

فة من العلماء قد استدلت بذا الحديث لتمنع المرأة من تولي الوظائف العامة والوظائف السياسية ، ولنا مع
لال رؤية الغزالي للموضوع الذي امتزجت فيه النظرة المتبصرة للواقع ، والفهم الراسخ للشرع الحنيف .
ا ملاحظات هامة ، لمن يريد ولوج الموضوع ومناقشته باستفاضة على ضوء المفاهيم التي نادى با الغزالي ،
، في النقاط التالية:
، :
الغزالي بأن هناك حواجز نفسية ، ورواسب تاريخية واجتماعية ، لعبت ـ ومازالت ـ دورا كبيرا في فهم
ّوعت النصوص للواقع الاجتماعي الذي أنزل المرأة منـزلـة " الدونية " من الرجل ، والفرض أن الواقـع
، يجب أن يرفع إلى مستوى النصوص .
الحقيقة قصرا على بلاد العرب والمسلمين ، بل كانت تشكل ظاهرة عامة في الكثير من البلدان ، فـبعض
يتساءل: هل المرأة من الجنس البشري العـادي كالرجل ؟ كما أن القوانين الأوربية كانت تكرّم الرجـل
وجدت في التاريخ نماذج وحشية لإنكار حق المرأة في الحياة :
ند كان الزوج إذا مات وجب على زوجته أن تموت هي الأخرى ، مهما كانت صحيحة البدن.
لية لم يكونوا أحسن حالا من الشعوب الأخرى في نظرتم لهذه المسألة : فقد كانوا ينظرون إلى المرأة على
أعرابي هذا " العار" بأن " نصرها بكاء وبرّها سرقة " بمعنى أنا لا تحسن القتال ، فتنصر عشيرتا ، وأنا لا
، فتبرّ أهلها من مالها ، وإنمّـا هي تأخذ من مال زوجها لتعطي أهلها إن كانوا فقراء .

ذا الواقع الجاهلي يسحب بظلاله ، ويلقيها على العصور التالية ، فينتفش أحيانا ، ويخفت أحيانا أخـرى ،
يزال ـ يصارع النموذج الإسلامي الذي ساوى بين الجنس البشري في التكريم . فمنذ بدء الخليقة والجنس
بالزوجين : الذكر والأنثى . وللنوعين كليهما خصائصه التي فطره الله عليها . ويمكن القول : بأن الذكورة
لأنوثة ، وأن الأنوثة أصبر وألين من الذكورة ، ولكن كليهما يكمل الآخر ، فهذه من تلـك ، وأواصـر
دة ، أو كما قال تعالى : [لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض] [آل عمـران :

اعدة العامة في هذه المسألة [217].

الأولى قد أبانت الخلط الواقع بين النص الشرعي والواقع الاجتماعي وأوضحت المبدأ الشرعي العام في هذه
لحجة نلفت النظر إلى أن الجدل الفقهي الذي دار بين الفقهاء والمتقدمين منهم والمتأخرين يستوجب التمييز
لنص الظني :
طعي في هذه المسألة ، فهو نص واحد ، ولأنه قطعي فلا يجوز الخروج عليه ، أو تأويلا يفرغه من مضمونه
ل الرسول ρ :π لن يفلح قوم ولّـ ـ ـوا أمرهم إمرأة ι. وهذا لا ينطبق إلا على الإمامة العظمى .
وص الظنية فيحكمها أمران :

سر تأخر العرب والمسلمين، دار البعث للنشر، قسنطينة – الجزائر، 1406هـ ـ 1986 م، ص 39 –40 وانظر : - صالح حسن سميع ، أزمة
ي الوطن العربي ، ، ط 1 (1409هـ – 1988) ، الزهراء للإعلام العربي ، ص 251 – 252 .

ول :

الفقهي بحر لجي ، وأن فقهائنا عملوا الكثير الجدير بالاحترام في خدمته ، ونفع الناس به ، ولكن الزعم بأن مذهب بعينه ، وأن الخطأ حكر على الآخرين ، هو زعم بعيد عن الحق .

.ي :

حقنا الموازنة بين الأقوال المروية، واختيار ما نراه أرجح دليلا، وأجدى على الناس .) [218].

ن هذا من الأصول الدعوية الهامة التي ركز عليها الغزالي وأوجب من خلال تطرقه لها على الفقهاء مراعاتا

للفائدة في هذا المقام فبإمكاننا أن نتساءل : هل يؤخذ الحديث على عمومه أو يوقف به عند سبب وروده الحديث يجب أن يرجع إليه في فهم النص . ولا يؤخذ عموم اللفظ قاعدة مسلمة، فقد ورد عن ابن عباس ضرورة رعاية أسباب النـ ول ، وإلا حدث التخبط ووقع سوء التفسير ، وهذا في سبب نزول الآية فمن باب حديث .

لحديث لو أخذ على عمومه لعارض ظاهر القرآن والمقصود تحديدا الملكة بلقيس التي كانت حاكمة علـى

كد صرف الحديث كذلك الواقع الذي نشهده . وهو أن كثيرا من النساء قد كنّ لأوطانهن خيرا من كـثير ض هؤلاء النساء هـنّ أرجح في ميزان الكفاية والمقدرة السياسية والإدارية من كثير من حكام العـ ـرب لذكور" ولا أقـول : " الرجال ") [220]

إنجلترا بلغت عصرها الذهبي أيام الملكة فكتوريا ، وهي الآن بقيادة ملكة ورئيسة وزراء ، وتعـد في قمـة والإستقرار السياسي ، فأين الخيبة المتوقعة ؟)

ت القاصمة التي أصابت المسلمين في القارة الهندية على أيدي أنديرا غاندي ، وشطرت الكيان الإسـلامي ومها ما يصبون على حين عاد المارشال يحي خان يجر أذيال الخيبة . ومصائب العرب التي لحقت بم يـوم ومها ليذكر بعد سرده لهذه الأمثال قولته الحكيمة :

صة أنوثة وذكورة ، إنا قصة أخلاق ومواهب نفيسة .) [221].

علماء الأمة قد اتفقوا على منع المرأة من الولاية الكبرى أو الإمامة العظمى وهي التي ورد في شأنا الحديث وده ، كما دل عليها لفظة :

وفي رواية π ..تملكهم امرأة .ι .

أة إذا أصبحت خليفة لعموم المسلمين ، وهو مالا يوجد اليوم بعد أن هدّمت قلعة الخلافة على يد أتاتورك

(المصدر السابق) ، ص 48 . – صالح حسن سميع ، (المصدر السابق) ، ص 252 .

وي ، من فقه الدولة في الإسلام ، 174 - 175 .

ص 175 .

السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث ، ص 61 - 62 .

:

رأة أن تتولى الوظائف العامة ، فينبغي الأخذ بالتدرج في هذا وفق ظروف الـتمع ، ودرجة نمّوه وتطوّره ، يها من الوزارات وتقضي في مجال الأسرة أولا ، ثم في الأمور المدنية وهكذا ..) [223].

:

عاصر في ظل النظم الديمقراطية حين يولي المرأة منصبا عاما كالوزارة أو الإدارة أو النيابة أو نحو ذلك ، فلا أمرها بالفعل وقلدها المسؤولية عنه كاملة ، فالواقع المشاهد أن المسؤولية جماعية ، والولاية مشتركة تقـوم المؤسسات والأجهزة ، والمرأة تحمل جزءا منها مع من يحملها ، وبذا نعلم أن حكم " **تاتشـــر**"[224] في ا "[225] في الهند أو " **جولــدا مائيــر**" في فلسطين المحتلة ليس هو عند التحقيق والتأمـّـل حكم المرأة في ـم المؤسسات والأنظمة المحكمة وإن كان فوق القمة امرأة

هو مجلس الوزراء بصفته الجماعية ، وليست رئيسة مجلس الوزراء " ومثل ذلك: مجلس الشورى ، أو مجلس " فليست هي الحاكمة المطلقة التي لا يعصى لها أمر ولا يرفض لها طلب فهي إنما تترأس حزبا يعارضه غيره خابات فتسقط فيها بجدارة كما حدث " لأنديرا " في الهند وهي في حزبا لا تملـك إلا صـوتا ، فـإذا ا رأيها كـرأي أي إنسان في عرض الطـريق .)[226].

:

سيفهم مما سقناه أن الغزالي ممن يدعون إلى تولية النساء وتأميرهن ونسارع لتصحيح هذا المفهوم بقلم الشيخ : (..وأؤكد أنني لست من هواة توليـة النساء المناصب الضخمة فإن الكملة من النساء قلائل، وتكـاد

اوي ، المصدر السابق ، ص 175 .

، ص176 .

ت : (1925 ـ ؟) : نائبة وزعيمة بريطانية محافظة، درست القانون في أكسفورد، ومارست المحاماة، وشغلت مناصب منها : نائبة عن ووزيرة برلمانية، ووزيرة للتربية والعلوم ، ثم زعيمة لحزب المحافظين، خلفا لإدوارد هيث ، أثارت في وجه الحكومة العمالية عددا من القضايا ، الملونين في بريطانيا ، إعتبرها البعض شبه عنصرية، تميل إلى تأييد الكيان الصهيوني .
ت رئيسة لوزراء بريطانيا ، فكانت أول امرأة تتولى هذا المنصب الهام في بلادها وفي أوربا..
ـ موسوعة السياسة ج1، ص667 .

: (1917 ـ 1984) : قائدة وامرأة دولة هندية بارزة، تركت بصماتها على تاريخ الهند المعاصر، التي عملت كل حياتها على إدخالها في وزعيمة فذة من زعماء حركة عدم الانحياز وفي العالم . إستلهمت تعاليم المهاتما غاندي ـ التي لا تربطها به أية قرابة عائلية ـ وتتلمذت على نرو ، فجاءت تجربتها في الحكم مزيجا معقدا من روحانية النساك وواقعية رجال الدولة، وبعد نظر المتنبئين، وكبرياء الأنوثة، وعاطفة الأمومة كلها لخدمة الهند، حتى قيل : **"** أنديرا هي الهند والهند هي أنديرا. **"**جهدت دائما لإخراج الهند من مستنقع التخلف والتشرذم والطائفية، ب كانت أقوى منها، فسقطت صريعة رصاصات قاتلة، أطلقها عليها ثلاثة من حراسه السيخ في أكتوبر 1984 .انتقاما من موقفها المتشدد الدينيين المتطرفين الذين كانوا اعتصموا في معبد الشمس متحدية سلطة الدولة، مما دفعها إلى إعطاء الأوامر للجيش باقتحام المعبد المقدس، تحصمين فيه، وعلى رأسهم سانت بيندرا نول ، الملقب بخميني السيخ .... ـ

، ج04، ص311 .

، ص176.

تكشفهن . وكل ما أبغي تفسيره هو تفسير حديث ورد ، ومنع التناقض بين الكتاب وبعض الآثار الواردة
ـجهها ، ثم منع التناقض بين الحديث والواقع التاريخي)[227].

لا تفصل عن عصرها وبيئتها ومثلها قابل للتغيير بتغير موجباته، ولهذا قرر المحققون أن الفتوى تـتغير بـتغير
والحال والعرف . وكثير مما يتصل بالمرأة من هذا النوع قد أصابه التشدد والتغليظ ، وإذا كـان الفقهـاء
ن وجهات نظرهم في تقرير حكم ما فإنه يجب علينا أن نختار للناس أقرب الأحكام إلى تقاليـدهم فـإذا
ـ مثلا ـ تباشر زواجها بنفسها ، [229] ولها شخصيتها التي لا تتنازل عنها ، فليست مهمتنا أن نفـرض
ـكان الإسلام ، رأي مالك أو ابن حنبل ، إذا كان رأي أبي حنيفة أقرب إلى مشاربهم ، فإن هذا تنطع أو

ن المرأة حاكمة أو قاضية أو وزيرة أو سفيرة فلهم ما يشاءون ، ولدينا وجهات نظر فقهية تجيز ذلك كله ،
ي ما.
، أن يغلقوا أفواههم ، لئلا يسيئوا إلى الإسلام بحديث لم يفهموه ، أو فهموه وكان ظاهر القرآن ضـده ..

الواقع قد لعبا دورا في هذا المقترح الذي طرحه الغزالي فيما يخص المرأة وتوليها الوظائف العامة ، وهو حين
ـرأة المسلمة في الحياة العامة تبدو قوة حجته ، وتتضح في رؤيته المرأة المسلمة العفيفة أهلا للنهوض بأمتـها،
ين جنبا إلى جنب مع الرجال ، على العكس مما كان عليه الأمر في الستينات، حيث كان يؤكـد أولويـة
ها، فنحن نجده في الثمانينات بعد طول خبرة واطلاع على أحوال المرأة ، وتقديرا للمهمات التي نض بـا
يسعى إلى إيجاد توازن بين مسؤولية المرأة داخل أسرتا ومسئوليتها تجاه قضايا الأمة) [231].
ن وضعها في دار الإسلام ووضع النساء في مجتمعات أخرى ، فإن حال المرأة يدعو إلى الأسى .
ـافي ولا سياسي ولا دخل لها في برامج التعليم ، ولا نظم الـتمع ، ولا مكان لها في صحون المساجد ولا في
ـر اسمها عيب ورؤية وجهها حرام ، وصوتا عورة ، ووظيفتها الأولى والأخيرة إعداد الطعام والشـراب ،

السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث ، ص 61 .
ـتاب " **البعد الزماني والمكاني وأثرهما في الفتوى** " من تأليف الأستاذ : يوسف بلمهدي ، قدمه الدكتور: مصطفى سعيد الخن .
: إن القرآن أسند عقد الزواج إلى المرأة وقال :[.. حتى تنكح زوجا غيره] [البقرة 230] . وقال :[ولا جناح عليكم فيما فعلن في أنفسهن
البقرة 234] . فعقدها المباشر صحيح وإذا اعترض الولي تولى القاضي الحكم في الـ اع وردوا حديث π أيما امرأة أنكحت نفسـها بنفسـها
ـطل باطل ι رواه مسلم . لأنه يخالف ظاهر القرآن .
ـ مذهب أبي حنيفة وقال أن لفظة [تنكح زوجا غيره] حقيقة في الوطئ وحده، وهذا اعتراض فاحش مدهش .
ـود يقع عن زنا أو زواج ؟ لا أظن عاقلا يزعم أن الزنا يحلل المرأة لزوجها الأول فلم يبق إلا أن كلمة [تنكح] حقيقة في العقد والوطء معـا
ـذهبي يجر أصحابه إلى الغرائب ..) - السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث ، ص63 .
السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث ، ص 61 .
، مقال : " الحق المر الشيخ محمد الغزالي وقضايا المرأة " ، لـ : هبة رؤوف عزت ، ص 95 .

ـ مدنيا وعسكريا في قيام إسرائيل ، وهاهي ذي توشك أن تكون في البيت الأبيض تضع اللمسات الأخيرة
ولا يزال نفـر من أدعياء التدين ، يجادلـون في حق المرأة أن تذهب إلى المسجد ، وتحضر الجماعات ، إننا
علينا غيرنا بالموت فهل نعي ونرشد؟) [232].

اليوم يتاجرون بقضية المرأة ، ويحاولون أن يلصقوا بالإسلام ما هو براء منه ، وهو أنه جار على المـرأة ،
قدراتا ، ويحتجون لذلك بممارسات بعض العصور المتأخرة ، وبأقوال بعض المتشددين من المعاصرين[233].(
في سنة رسوله ρ ما يبعث على هذه التهمة ؟
لم يتغير منه حرف.وهو قاطع في أن الإنسانية تطير بجناحين، الرجل والمرأة معـا ، وأن انكسـار أحـد
ـ والهبوط ، فللنظر إلى السنة ولنستبعد ما التصق با من الواهيات والمتروكات .
في المتحدثين عنه لا في الأحاديث نفسها ..) [234].
ة عشـر: (في ضوء الرؤية السياسية الناضجة ، التي تلتزم بتحقيق المصالح العليا للأمة انطلاقا مـن أن
د بين الحاكم والمحكومين . كان من حق الغزالي وهو رجل يمتلئ حكمة وذكاء وثقافة ، أن يفضّـل على
وحكمن بالديمقراطية ، من أمثال رئيسة وزراء الهنـد : " **أنديرا غاندي** " ، التي أذلت العسكري المسـلم
" **يحـي خان** " ، وشطرت بلده باكستان شطرين ، وأسرت مائتي ألف من جنوده.
" **جولـدا مائيـر** " التي لم تخطب كما خطب أشاوس العرب الثائرون، ولم ترفع شعارات مدوية مثلمـا
ون بالاشتراكية والشيوعية ، والذين حكموا شعوبم المسلمة بالقهر والذل والاستبداد ، لكنها نجحت في أن
نشئة هي إسـرائيـل دولة عظمى، لا يزيد عددهـا عن خمسـة ملاييـن " مستورد "، لكنها قادرة –
هزيمة دول يعد سكانا بالملايين ، حُكموا بالقهر والإذلال والكذب والاستعباد ، ولم يتورع حكامهم عن
التعذيب لأبناء وطنهم ، الذين زعموا أنم جاءوا يحررونم من الاستعمار الأجنبي ، فكانوا أكثـر علـى
ـار الأجنبي ، وكانوا التمهيد الطبيعي لمزيد من صور الهزيمة والاستسلام ، وقد قدّموا لإسـرائيل الفرصـة
كي تنمو وتزدهر ، وتصبح دولة نووية وعلمية واقتصادية ذات امتداد عالمي ، بينما فشلوا هـم في تـوفير
اعة سيارات صغيرة لشعوبم ، فضلا عن إقامة حكومة عادلة تصل إلى الحكم بإرادة شعبية صحيحة !

رجريت تاتشر " **المرأة الحديدية** " التي حرّكت شعبها في ساعات ليستولي على جزر "**فوكلاند** " محققـة
ـها ، كما أنا – بذكاء شديد – تركت أمريكا تتورط في أشياء كثيرة ، متنازلة لها عن كل ما فيه إنـاك
، منصرفة لرفع مستوى شعبها !...
كما قال الشاعر:

ولو كان النساء كمن عرفنا & لفضلت النساء على الرجال

قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة ، القاهرة ، دار الشروق ، 1990 ، ص 06 .
وي ، المرجع السابق ، ص163 .
المرجع السابق ، ص 06 .

أصحاب أصوات عالية ، وشعارات تقدمية كاذبة ، أسود على إخوانم وأوطانم، ونعاج أمام أعدائهم ،
ك ، ويحوّلون – بالكذب – الهزائم والنكبات إلى أفراح وانتصارات ، ماداموا هم وأتباعهم باقين في سدّة
م عانت الأمة أسوء صور القهر والخوف والظلم.

، معجبا بؤلاء النسوة لأشخاصهن ، فهن جميعا أعداء دينه وحضارته وأمته المسلمة...لكنه أعجب بن لأنه
لإنسان ، ويحترم العظمة الإنسانية ، ويعترف بالحق حتى ولو كان مع أعدائه ، ويتألم لواقع أمته في ظل قادة
ذوا بيدها لانتزاع حقوقها، وفرض مكانتها، لكنهم...؟؟؟) [235].
، مدى تعضيده للدستور المصري [236]، فقد أيـده تأييدا حارا لاحتوائه على بنود رآها ضرورية لحفـظ
م فضلا عن إنسانيته ، وتحقيق الحريات والحقوق العامة في المتمع .
مذا موقفه من تأييد المودودي ، دعم ترشيح فاطمة علي جناح لرئاسة الجمهورية الباكستانية ضد يحي خان

م الله المودودي وأجزل مثوبته، ما أظنني اختلفت معه في شيء طائل، ولكن الملابسات التي أحاطت بالرجل
فهم إلا في ضوء هذه الملابسات ...
ة أخت محمد علي جناح [237] لتحكم الباكستان ، وفي ذلك ما فيه .
ن تحكم الباكستان امرأة من نوع أنديرا غاندي ، من أن تحكمها عساكر من طراز يحي خان الذي ما كان
.[238]

الي أن لو (أن امرأة حكمت العرب من هذا الطراز لكان أجدى على العرب من عسكر وضـعوا علـى
سمة ، فلما جدّ الجدّ تحول عمالقة الاستعراض إلى معز وضأن ... إن امرأة على رأس حكم شوري ، أفضل
، سلطة مغتصبة) [239].
، على ذلك باحتراس قائلا : (وبديهي أن ذلك ليس هو النظام الأمثل) [240].
قلاء لخير الشرين .

، هذه المفاهيم فإننا نذهب مع الغزالي إلى القول بأن للمرأة ذات الكفاية العلمية والإدارية والسياسـية ، أن
دا الخلافة العظمى ، وأن تستشار وتشير ولرأيها وزنه بقدر ما فيه من حق [241] .

س ، الشيخ محمد الغزالي " تاريخه ، وجهوده ، وآرءه " ، ص 120 –122 .
رؤية الغزالي للدستور المصري من هذه الرسالة .
ح 1867 – 1948 م . زعيم سياسي باكستاني ، ومؤسس دولة باكستان الحديثة .
ـ موسوعة السياسة ، ج 02 ، ص 97 – 98 .
أزمة الشورى في المتمعات العربية والإسلامية ص 44 . دار الشرق الأوسط للنشر، (1990) .
ص 44 .
، ص 44 .
سر تأخر العرب والمسلمين ، ص 48 .

ساس يجب أن ينظر في موضوع المرأة وتسنمها الوظائف العامة ، وفي دخولها مجلس الشعب أو الشورى ، وانتخابا لهذه المهمات ، في ضوء الأدلة الشرعية .

ـة :

ذا الشرط .
أن الأحاديث الواردة في شرط النسب هذا ، وردت على سبيل الإخبار بالغيب لا الأمر.
الأحاديث وردت مورد الأمر لا الخبر . وهذا الاتجاه يشمل عدة آراء :
ي الأول : يقوم على أساس أن هذا الأمر مقيّـد ببقاء العصبية والغلبة في قريش ، فإن زالـت العصـبية د هذا الأمر قيمته " وهذا رأي ابن خلدون " الذي قرّر من خلاله أن الحكمة في اشتراط النسب القرشـي (اعتبار العصبية التي تكون بـا الحماية والمطالبة) [242].

ير من التأييد في عصرنا . وممن أيّـده أو مال إليه د ـ محمد يوسف موسى في كتابه " نظام الحكـم في . أحمد شلبي في كتابه : " السياسة والاقتصاد في التفكير الإسلامي " وفيه يشير إلى الأستاذين . محمد رشيد ـ وعباس محمود العقاد في " الديمقراطية في الإسلام " . كما مال إليه الأستاذ فتحي عثمـان . والمفـتي دي .

فقيه المالكي إبن العربي قبلهم يسقطه تماما مستندا إلى قوله تعالى [ياداوود إنا جعلناك خليفة في الأرض] [ل الله داوود خليفة وهو غير قرشي، فلماذا اشتراط القرشية إذن ؟ بل إن ابن العربي يذهب إلى أبعد مـن يرى من بعض الفرق أنه (لو استوى قريشي ونبطي في شروط الإمامة لرجح النبطي لقربه من عدم الجور

ي الثانـي: أن هذه الأحاديث تتضمن أمرا باشتراط النسب القرشي مرهونا بإقامة قريش لأحكام الله ، ند هذا الشرط ، وذلك لما ورد في حديث معاوية: π إن هذا الأمر في قريش .. ما أقاموا الدين ι [244].

لمقدمة ، ص 194 - 196 .
لكية في النهاية " الكلام " عن الإمامة في كلمة واحدة هي : (من اشتدت وطأته وجبت طاعته) .
ة " في المغرب بلهجتهم وبصيغة لا تخلو من تكّـم ، عن هذا المبدأ فقالوا : " الله ينصر من أصبح " .
ي من حديث معاوية ، وعن أبي هريرة متفق عليه بلفظ: (الناس تبع لقريش) وعن جابر لمسلم مثله، وعن ابن عمر متفق عليه، بلفـظ: (لا ، قريش ما بقي منهم اثنان) - التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير : ابن حجر العسقلاني ، منشـورات محمـد علـي ب العلمية ، بيروت ، لبنان ط01 ، 1419هـ – 1998 م ، ج 4 ، ص 117 - 118 .

ي الثالـث: أن هذه الأحاديث وإن تضمنت أمرا يفيد حصر الخلافة في قريش فإنّ مفهوم هذا الأمر قـد
جوب الطاعة لكل من يتولى أمر المسلمين، أو على حد تعبير الإمام الشوكاني (لا ريب أن في بعض هـذه
الحصر، ولكن قد خصّص مفهوم هذا الحصر أحاديث وجوب الطاعة على العموم ، وبذلك صرّح القرآن
يدل على وجوب الطاعة لغير القرشي على الخصوص كحديث π أطيعوا السلطان وإن كان عبدا حبشيـا
ولا فرق بين الإمام والسلطان .) .[24]

رأي الرابـع : أن هذه الأحاديث تتضمن أمرا باشتراط النسب القرشي، دون تقييد هذا الأمـر بجماعـة
ن ، أو بوقت معين ، أو بشرط معين .
ور الفقهاء [246].

غزالي بفكره إلى الرأي الأول ، فإنه حين تحدث عن توريث الزعامة والخلافة اسـتنكر علـى المسـلمين
الغة حدها الأعلى سخافة وعيا ، وذلك حين حسبوا أن الملك يمكن وراثته أبا عن جد في أسرة ما ، وأنـا
ثنية تسري إلى الأمم في إبّان ضعفها وسقمها، وليس لأمتنا أي عذر في هذا التخبط . والشرق الإسـلامي
تنتمي إلى آدم أبي البشر المعروف ، فهو مخلوق من تراب ، أما هم فسلالات من عنصر آخر لا يدرى كنهه
هذه الأسر يعرفه من يطلبه عند تمحيص الأسباب الحقيقة لتدهور الإسلام والمسلمين منذ بدأ طور الانحلال

وء المفاهيم التي تدعو إلى فهم الأحاديث في إطار من الملابسات التي سيقت فيها . ومحاولة الإحاطة الشاملة
لوقائع التي أرسلت فيها ، لأن ذلك يلقي ضوءا كاشفا على المراد من الأحاديث يقول الغزالي في حديثπ
ι [247]:(إن النبي ρ كان من قريش . وكانت مكانة قريش في العـرب تشبه مكانـة إنجلتـرا في دول "
أو مكانة روسيا في الدول الشيوعية ، وهذه المكانة لا تعطي للدول الكبيرة أفرادها امتيازا خاصا ، ولكن
ماعة الكبيرة من ترشحهم عبقريتهم أولا للتقدم ويؤهلهم نبوغهم للرئاسة، فإن مكانـة الشـعب الـذي
على أخذ الولاية العامة.

سر ما ورد عن النبي ρ : π الأئمة من قريـش ι . فقد كان في قريش يومئذ أهل السبق في الدين والبلاء
الرائعة في حمايته.

ستدرك قال: هذا إسناد صحيح على شرطهما جميعا ولا أعرف له علة .

سة الشرعية ، عبد الله محمد محمد القاضي ، ص 464 ـ 467 .

ميد حسن عويضة ، النظم الإسلامية والمذاهب المعاصرة ، ص

ن حديث أنس ، ورواه الطبراني في الدعاء ، والبزار والبيهقي من طرق عن أنس قال في التلخيص الحبير: وقد جمعت طرقه في جزء مفرد عـن
حابيا ، ورواه الحاكم والطبراني والبيهقي من حديث علي ، واختلـف في وقفـه ورفعـه ، ورجـح الـدار قطـني في العلـل الوقـف .
ر، ج 4 ، ص116 - 117 .

ن .dominion - اصطلاح " صفة " يطلق على كل الدول الأعضاء في الكومنولث - باستثناء المملكة المتحدة الإنكليزية – التي لم تتبـع
في تسيير شؤونا ، ولم يعد هذا الاصطلاح متداولا في السنوات الأخيرة . – موسوعة السياسة ، ج02 ، ص731 .

صف حين يقرأ سير المهاجرين الأولين ، ويلمس الدرجة التي كانوا عليها من اليقين، ويشهد أثر الصـحبة شركة في حمل أعباء الرسالة الضخمة مع الرسول نفسه ليوقن بأن هؤلاء الرجال ـ قبل أيّ مخلوق ـ أحق ذا انضم إلي هذه الكفاية الشخصية عامل آخر من م لة القبيلة في الـتمع ، كان معنى ذلك أن القوة المعنوية المادي ، وأن الإيمان قد دعّـم بالسلطان وتلك هي أسس الحكم الناجح.

ل هو : الجدارة الخاصة للفرد .

د هو : المكانة العامة للأمة . فإذا فقد المرجع الأول لاختيار الزعيم المطلوب فلا مكان لقريش ولا لغيرهما . كترث للأنساب والألوان والأجناس ، وعلى المسلمين أن يبحثوا عن أكفأ رجل فيهم ليضعوا بـين يديـه ن في تقويمه إلا إلى المبدأ الشامل الجامع المانع في كتاب الله [إن أكرمكم عند الله أتقاكم] [الحجرات: 13]

إلي أسرة ما ، أو قبيلة ما ، فهي العصبية التي قال فيها الرسول ρ :

، عمّـيّـة ، يدعو لعصبية ، أو ينصر عصبيّـة ، فقتلته جاهليـة ι [249].

اب غيره لأنه ينتسب إلى فلان أو فلان ، ظلم لصاحب الامتياز بإهدار حقه ، وظلم للمحظوظ بتكليفـه للأمّة إذا فوّتنا عليها الانتفاع بخيرات بنيهما وعرضناها لشرور عجزتا و سفلتها ، ولم ذلك ؟ لإرضاء نزعة

كن أن ننتهي إليها أن شرط النسب لقريش قد فسّر تفسيرا عاما ، بأنه يعني أن يكون مؤيدا من الكثـرة ، ا ، وعلى العموم فإنه لم يعد له وجود ، أو صار غير ذي موضوع منذ عهود طويلة .

ي السنن الكبرى عن أبي هريرة رقم (16388) وتمام الحديث : (من خرج من الطاعة وفارق الجماعة فمات ، مات ميتة جاهلية ، ومن قتل غضب للعصبية أو يدعو إلى عصبية أو ينصر عصبية فقتل فقتلته جاهلية ومن خرج عن أمتي ، يضرب برها وفاجرها ، لا يتحاشى من مؤمنها ، دها ، فليس مني ولست منه) ورواه مسلم بألفاظ متقاربة ، والطبراني في المعجم الأوسط .

الإسلام والاستبداد السياسي ، ص 222 - 226 .

الديمـقـ ـراطيـة والشورى في فكـ ـ ـر الغـ ـ ـزالي

ـراطيـة:

ت الشائكة والساخنة والمتجددة في الفكر السياسي الإسلامي الحديث وفي الخطاب الإسـلامي المعاصـر
في العقل الغربي والعقل الإسلامي .
ا الآراء والاتجاهات بصورة متباينة نتيجة التنوع الإيديولوجي ـ الفكري والسياسي ـ في العالم العـربي
دد في الرأي حصل حتى في داخل التيار الواحد ، باتجاهاته السياسية والحركية المختلفة ، وهذا التعدد ليس
بقدر ما هو حق في الإجتهاد الفكري في إطار الضوابط العامة ، والقواعد الكلية ، والأصول الثابتة للشرع
.[2]

أن نتعـرض لمفهوم الديمقراطية كما يعرّفها أهلها الذين طوّروها وعمّقوا مفاهيمها ، بعـد أن نشـأت
سير ، وحتى يكون الحكم عليها مجانبا للتجني والخلط بين المفاهيم المتقاربة ، ذلك أن الحكم عـن الشـيء
ولأن منطق العلم ومنهجية البحث، يقتضيان وجوب دراسة الظاهرة في منبتها ومنشئها الأصلي قبل طـروّ
ير السلبيين عليها بعوامل الزمان والمكان ، فمصطلح الديمقراطية مصطلح غربي مرتبط بنشأة المجتمع وتطوره
لا ينفصل عن فلسفة الفكر الأوربي ومذهبه السياسي والاجتماعي.
سية الفكر الإسلامية في التعامل مع المصطلحات الوافدة من الغرب .

قـراطيـة :

اسي اجتماعي يقيم العلاقة بين أفراد المجتمع والدولة وفق مبدأي المساواة بين المواطنين ، ومشاركتهم الحرة
التي تنظم الحياة العامة .
ذه النظرية فيعود إلى المبدإ القائل بأن الشعب هو صاحب السيادة " مونتسكيو" ومصدر الشرعية ، وبالتالي
ة أمام ممثلي المواطنين وهي رهن إرادته، وتتضمن مبادئ الديمقراطية ممارسة المواطنين لحقهم في مراقبة تنفيذ
مون حقوقهم العامة وحرياتهم المدنية ، وقيام حكم الدولة وفق مثال " حكم الشعب لصالح الشعب بواسطة

تعبير فيعود إلى كلمة يونانية بنفس اللفظ وتعني حرفيا:" حكم الشعب" تمييزا لهذا النوع من الحكم القـائم
أكثرية عن أنظمة الحكم الأخرى، كالحكم الفردي الاحتكاري " الديكتاتوري "، وأنظمة حكم الأقليـة "
الأرستقراطية " .

لديمقراطية في الخطاب الإسلامي الحديث والمعاصر ، مقال نشر في: المستقبل العربي، السنة 15 العـدد124 .(تشرين الأول/أكتـوبر 1992)
ن كتاب : الحركات الإسلامية والديمقراطية ، ص 63 .

ن سياسية واتجاهات عقائدية واجتماعية متباينة ومتصارعة ، تدعي كل منها تمتعها والتزامها بالصفة
ما في نفس الوقت لخصومها ، وبالتالي فإن التعريف بحاجة إلى دراسة أوفى توضح مختلف الجوانب ، وتبيّن
ي المختلفة ، مع الأخذ بعين الاعتبار بأن الديمقراطية في التطبيق تقترب بشكل نسبي وحسب من المثال
[252] .

زالي للديمقراطية وموقفه منها :

مفكرين المعاصرين (أن الإسلام يظلم مرتين ، مرة عندما يقارن بالديمقراطية ، ومرة عندما يقال أنه ضد
ن المقارنة بين الاثنين خاطئة ، وادعاء التنافي خطيئة ، الأمر الذي يحتاج إلى تحرير أولا واستجلاء ثانيا.) [253]
ذا أن هناك مواطن يمكن أن تلتقي فيها الديمقراطية والشورى ، وأن الأمر لا يحتاج سوى مزيدا من البحث
ي لمعرفة أين تلتقي الديمقراطية مع الإسلام ؟

ن الباحث المنصف حين تتبعه لأدبيات الحالة الإسلامية في مصر والوطن العربي، منذ بداية القرن على الأقل ،
ير تماما ، ليس فيه أثر يذكر للاشتباك مع الديمقراطية ولا عموم المشروع الليبرالي الغربي. [254]

الفرق بين التجربة الديمقراطية في الغرب ، والسياسة الاستعمارية للدول الغربية، فسوف نلاحظ أن
ا في الدائرة الثانية دون الأولى .
فكر الغزالي سنجد أن ما كتبه كان منطلقا في الأساس من التصالح مع التجربة الديمقراطية .

ن ، موسوعة السياسة ، ج2، ص 751.
وي‍دي ، بحث نشر في : المستقبل العربي، السنة 15 ، العدد 166 ، (كانون الأول / ديسمبر 1992) ، ص 4 – 37 ، وهو في الأصل
عوة من مركز دراسات الوحدة العربية في دار الندوة ، في بيروت بتاريخ :
و 1992 . موجود ضمن كتاب : " الحركات الإسلامية والديمقراطية " ص17 – 61 .

فقهاء من لدن محمد عبده ورشيد رضا إلى الشيخ محمود شلتوت ، في موضوع نظام الحكم أو رؤية الإسلام السياسية ، يتفق في إطاره العام مع
راطية ، وما قاله الشيخان عبده ورضا عن الشورى في تفسير المنار، " محمد عبده ورشيد رضا ، تفسير المنار ، ج4 ، ص 162 - 163 " .
شلتوت بصدد " المبادئ الأساسية في الحكم " في كتابه: " من توجيهات الإسلام " ص567 . يزيل كل التباس في الموضوع .
لى صعيد الحركة الإسلامية ، وما كتبه حسن البنا بذا الصدد في الأربعينيات موجها إلى جماهير الإخوان المسلمين أنه :(ليس في قواعد النظام
ع القواعد التي وضعها الإسلام لنظام الحكم ، ومن ثم فهو ليس بعيدا عن النظام الإسلامي، ولا غريبا عنه بذا الإعتبار أيضا نقول في اطمئنان
سية التي قام عليها الدستور المصري لا تتنافى مع قواعد الإسلام، وليست بعيدة عن النظام الإسلامي ولا غريبة عنه)
ـ حسن البنا : " مجموعة الرسائل " مشكلاتنا في ضوء النظام الإسلامي ، ص398 .
وقف مؤسس حركة الإخوان ، فلم يستغرب منه أن يلقي محاضرة في الاتجاه ذاته ، في مقر جمعية الشبان المسلمين سنة 1948 ، بعنوان "
مية ".
ما كتب تحت ذلك العنوان آنذاك ، هو مؤلف عباس محمود العقاد بعنوان " الديمقراطية في الإسلام "
19 "، حيث قرر في مقدمته : (أن الديمقراطية أنشأها الإسلام لأول مرة في تاريخ العالم) .
ـ أنظر: موسوعة عباس محمود العقاد الإسلامية، ج 4 : " القرآن والإنسان " ، ص 687 .

لر أن ذلك ما كان ينادي به و المرحلة وقتها هي قمة الاشتباك مع الغـرب الاسـتعماري ، المتمثـل في

ن استجلاؤه في هذه النقطة تحرير دقيق وفصم جلي بين موقف المسـلمين - ولـيس الإسـلام - مـن يمثّـل بؤرة مهمة مسكونة بالالتباس ذلك أننا نجده مثقلا بعبء التاريخ إلى حد كبير ، وتلعب الذاكرة الشكوك أو الهواجس ، وربما الرفض والاتهام.

عند البعض في زماننا لا ينظر إليها كنظام للحكم يقوم على الحرية والمشاركة السياسية والتعددية وغـير كرمز لمشروع غربي مارس القهر والذل بحق العرب والمسلمين ، ويعكس خطابه الإسلامي علـى الأقـل .

ديمقراطية من جانب هؤلاء لا ينبغي أن يحمل باعتباره رفضا لذاتها ، ولكنه في حقيقة الأمر رفض للمشروع خيط الرفيع لا يلاحظه كثيرون في تقييم توجس بعض الإسلاميين من الديمقراطية[255].

غزالي قد كان تصرفا واعيا وحكيما، وذلك حين بيّن ما هو حضاري في الغرب ، وما هو سياسي ولم يبدأ مخاصمة كل ما هو غربي ، كما هو شائع في مناخ الخمسينات التي تصاعدت في ظله المواجهة بين الحركة لاستعمار البريطاني، الأمر الذي انتهى بقيام ثورة تموز/ يوليو1952 وكان الظرف مساعدا على بروز نظرة بة الليبرالية الغربية. وهي النظرة التي تبلورت بعد الثورة في الدعوة إلى مشروع عربي مسـتقل ، اشـتبك لغربي .

المقارنة متعذرة بين الإسلام الذي هو دين ورسالة تتضمن مبادئ تنظم عبادات الناس وأخلاقهم ومعاملاتهم ني نظام للحكم وآلية للمشاركة وعنوان محمل بالعديد من القيم الإيجابية .

يمكن أن يقال في صدد تلك المقابلة لكن البعد الحضاري للقضية ينبغي أن يكـون واضـحا، باعتبـار أن تضاري الخاص ، بينما الديمقراطية جزء من مشروع حضاري مغاير، وهذا الاختلاف لا يمكن أن يحمـل

لنقطة اثنان من الباحثين الغربيين هما: " **جون إسبوزيتو-** johnl esposito "، و " **جيمس بيسكارتوري –** James **p.** Piscartori " ، في ما تحت عنوان: " **الديمقراطية والإسلام** "، إذ ذكرا في البحث (أن بعض الجماعات الإسلامية شجبت الأسلوب الغربي للديمقراطيـة ونظـام له البريطانيون في بلادهم، وكان رد فعلهم السلبي هو في حقيقة الأمر تعبير عن رفض عام للنفوذ الاستعماري الأوربي ، ودفاعا عن الإسـلام اد على الغرب)

- أنظر فهمي هويدي (مرجع سابق) 18ص ، بتصرف .

ى حد كبير – كما نبه الأستاذ هويدي - موقف قطاعات عريضة من عوام المسلمين خصوصا ذلك الذي برز بقوة أثناء الانتخابات البرلمانيـة رفع البعض لافتات ترفض الديمقراطية ، وتندد بالميثاق والدستور ، بينما كان هؤلاء يطالبون بالشورى والاحتكام إلى القرآن ، وقد تجلى ذلك ع حينها " لا ميثاق لا دستور قال الله قال الرسول " ذلك أنم كانوا يعتبرون الديمقراطية ضمن بضاعة المشروع الغربي ، الذي رأوه متجسدا في لال الفرنسي ، بينما كان الرفض للدستور والميثاق ، لأنما يتحدثان عن الاشتراكية ولا يشيران إلى الإسلام .

مومة، حيث يظل مجال الاتفاق قائما في بعض القيم الأساسية ، والمثل العليا ، لكنه ينبغي أن يفهم في إطار [25] .

نذه النقاط ابتداء عن فكر الغزالي وهو يكتب ويناقش ويدافع عن القيمة الديمقراطية ، هذه المدافعـة الـتي سي لما لا حصر له من الباحثين الإسلاميين ، الذين تزايدت منذ بداية السـبعينات دراسـاتم في النظـام .

معروفا بدفاعه عن الديمقراطية منذ أصدر في سنة 1949 كتابه " الإسلام والاسـتبداد السياسـي "، وفي ، متصديا بالرد على من ينتقدون الأخذ والاستفادة من الآخر، ومن هؤلاء فريق كان يستقي ثقافتـه مـن اعت أيام الاضمحلال الفكري في تاريخنا ، أو أيام الموالاة للظلمة ، أو على أحسن وصف أيام البعد عنهم عن لا ونعم يقول الغزالي :

دما أدافع عن الحق لا أفضل العصا الوطنية ، على المدفع الأجنبي ، فإن التعصب للجهل والقصـور بلاهـة ، هواي أبدا مع كتاب الله وسنة رسوله ، أما فكر الرجال بعد ذلك فلا قداسة لأحد.

ت بشيء من التوقف لما قال الأستاذ محمد قطب في الجزء الثاني من كتاب التربية الإسلامية :

ائفة التي تلتهم الناس في الجاهلية – والشباب بصفة خاصة - لا اعتبار لها ولا وزن عند المسلم الذي يتربى سلامية لأنه يزنا بميزان الله – أعني الإسلام – فلا يجدها ذات وزن ، وحتى حين تلتبس هـذه الـدعوات خدع المسلم الحق - أو لا ينبغي أن تخدعه – لأن كتاب الله يحمل إليه توعية كاملة في هذا الشأن .. شأنه الحياة الأساسية [وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل ا فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبم وإن كثيرا من الناس لفاسقون ، أفحكم الجاهلية يبغون ومن ا لقوم يوقنون] [المائدة:49]

ولون في دعاواهم نأخذ من الإسلام كذا ، ومن الديمقراطية كذا ، ومن الاشتراكية كذا... ونظل مسلمين : [أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض ؟ فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ، إلى أشد العذاب ، وما الله بغافل عما تعملون] [سورة البقرة .85]

ر المسلم وعواطفه ، وتنضبط حركته كذلك في خضم التيارات ") [257].

زالـي ليرده بقوة وذلك لما قال في كتابـ ـ ـه: "دستـور الوحدة الثقافيـة بين المسلميـن":

ع احترامي الكبير للأخ الداعية المخلص محمد قطب ، أرى أن هذا الكلام يحتاج إلى ضوابط ، فالديمقراطية نع في صف الإسلام ، إنا تنظيم للعلاقة بين الحاكم والمحكوم، ننظر إليه لنطالع كيف تـوفرت الكرامـة رض على سواء ، وكيف شيدت أسوارا قانونية لمنع الفرد أن يطغى ، ولتشجيع المخالف أن يقول بملء فيه جنا ولا اعتقالا.

يجعل إعلان الحروب مسلاة حاكم متفرعن ، يطلب الـد لشخصه ، أو إنفاق المال العام هواية مـتلاف شى حسابا إن ديننا يقول: π لا تقـدس أمة لا يقضى فيها بالحـق ، ولا يأخذ الضعيف فيها حقـ ـه

(مصدر سابق) ، ص 17 .

نهج التربية الإسلامية ، ج 2 ، ص .

ـ ـع ι [258] فكيف يتحوّل هذا الكلام النبيل إلى نصوص قانونية ملزمة ، تجعل رجل الشـارع يقاضـي
، ؟.
، الفول الذي أكل ديننا ودنيانا ، فهل يحرم على ناشدي الخير للمسلمين ، أن يقتبسوا بعض الإجراءات التي
، ، لمّـا بليت بمثل ما ابتلينا به ؟!
م با عقائدنا وفضائلنا هي جزء من الفكر الإنساني العام ، لا علاقة له بالغاية المنشودة ، وقد رأينا أصحاب
يتناقلون الكثير في هذا المجال دون حرج ، الحرج كله أن ندع ديننا وأن نزهد في أصوله وقيمه، إيثارا لوجهة
مرق أو الغرب..) [259].
ن الرفيع الذي ذكرناه آنفا ، ونعيا على الرافضين للاستفادة من الآخر يقول الغزالي:
ت في جنوب اليمن، تجعل الحياة الصينية أو الروسية مثلها الأعلى أتكون هذه الثورة نهضة إسلامية، أم تكون
ي العالمي؟

ن الإسلام وارتدت غيره يقينا ، ووجودها نصر للشيوعية وهزيمة للإسلام، إن الشعوب الإسلامية لا تبـدأ
ن امتدادا لتاريخها ، وإبرازا لشخصيتها أو نماء لأصلها وتثبيتا لملامحها، إلا إذا جعلـت الإسـلام هـدفها
لط تصور أنني أحرم الاستفادة من تجارب الآخرين ومعارفهم ، كيف وهؤلاء الآخرون ما تقدموا إلا بمـا
ن فكر وخلق ووعي وتجربة .
شدة اقتبست في بناء النظام الإسلامي من مواريث الروم والفرس دون غضاضة. وعندما آكل أطعمة أنا في
الذي نما هو جسمي، والقوى التي انسابت في أوصاله هي قواي. المهم عندي أن أبقى أنـا بمشخّصـاتي

في كياني جميع المبادئ التي أمثلها، والتي ترتبط بي وأرتبط بها لأنها رسالتي في الحياة، ووظيفتي في الأرض ،
مة ، وآية صدقها أو زيفها .
لامي نهضات جادة تجعل الإسلام الحنيف وجهتها، والرسول الكريم أسوتها؟ نعم توجد جماعـات تسـعى
ما أوتينا من قوة ، إننا هنا شديدو الحرص على جعل البناء الجديد ينهض على هاتيك الدعائم .
ن الخارج ثمرات التقدم الصناعي، وننتفع من خبرات غيرنا في آفاق الحياة العامة، فليكن ذلك في إطار صلب
ا..) [260].

مستـدرك من حديث عبد بن أبي سفيـان بن الحارث بن عبد المطلب ، والمنذري في الترغيب والترهيب (ج2، ص380) وقال : رواه أبـو
الصحيح ورواه إبن ماجة ، وورد في بعض هذه الروايات بلفظ :π ما قدس أو قال: لا يرحم الله أمة لا يأخذون لضعيفهم حقهι ، والقصـة
، أعرابيا – روايات – جاء يتقاضى النبـي υ فأغلظ له ، فهم به أصحابه فقال لهم النبي υ ذلك .
.ستور الوحدة الثقافية بين المسلمين، طبعة دار القلم الأولى، 1407هـ / 1997 م ، دمشق ، ص 200 .
حصاد الغرور ، دار الشهاب ، باتنة الجزائر ، بدون تاريخ ، ص 77 .

؛ وعبر سياحة في تراث الغزالي، والذي عمدنا من خلال طرقنا له إلى الحديث عن الديمقراطية ، ستتضح لنا
ساهم في تبيين وتوضيح ما سلف ، وهي عـون ظاهر لفهم موضوع الديمقراطية عنده ، وأرى أنا واجبـة
، المتعلق بمدى إمكانية الاستفادة وضوابطها لديه :

واعية من قيم الديمقراطية (الضوابط والمحاذير):

خلال تحريرنا لهذا المبحث ، توضيح بعض المعالم المهمة التي يجب أن تجلى حتى نفهم بوضوح دعوة الغزالي
ديمقراطية ، ومدى حدود هذه الاستفادة .
لقول شيء أردنا التعريج على ذكره والتنبيه إليه ، من دون أن يشغل منا مساحة تفكير كبرى ، أو التوقف
حمار بالشيخ في العقبة . ذلك هو عتاب البعض اللاذع والمتجني علـى الغـزالي بسـبب دعوتـه إلى
دعيـن أنـه يستخدم مفاهيـم غربيـة على حساب المفاهيـم الإسلاميـة " الشورى " وفيما نقرر من
، ترد دعوى هؤلاء الذين لم يحرروا مواضع الاشتباك أو المصادمة .

ليـة (وسائـل وغايـات):

يدعو إليه الغزالي ليس الديمقراطية كبديل للشورى ، وإنما قدمه كوسيلة لتحقيق الشورى ، فهو - في الواقع
مؤسسات التي أفرزتا تجربة الديمقراطية في الغرب " مثل: البرلمان والأحزاب " للاستفادة منها في تطبيـق
ـا، باعتبار أن (الديمقراطيات الغربية إجمالا وضعت ضوابط محترمة للحياة السياسية الصحيحة ، وينبغي أن
الأقطار لتسد النقص الناشئ عن جمودنا الفقهي قرونا طويلة…
ي في خدمة مبادئ مقررة عندنا ابتداء ، أي أننا ما خرجنا عن خطنا العتيد، ولا ارتضينا أهدافا أخـرى)

، التطبيقات السياسية للديمقراطية في المجتمعات الغربية ، والتي تخلو من تزوير إرادة الشعوب فيما عـرف في
ير الانتخابات "، وتخلو ـ أيضا ـ من إطلاق يد الحاكم في بيع مستقبل الأمة وثوابتها كيف يشاء…
ات الديمقراطية السياسية يراها الغزالي تلتقي مع الإسلام في حدود ما أحل الله وحرم، فلـيس لأصـوات
ر إلى معروف ، ولا إباحة الحرام ولا العكس !
ة السياسية الناضجة ، التي تلتزم بتحقيق المصالح العليا للأمة ، يجب أن نفهم دعوته تلك.
لط البيّـن أيضا أن نعتبر هذا منه احتكاما إلى المرجعية الغربية ، واعتبارها المصدر الذي يقاس بـه معيـار
لعموم أبناء الجنس البشري ، والجهة المختصة بإصدار واعتماد شهادات حسن السيرة والسلوك لدول العالم

عتبر مستحقا للتحفظ والحذر والمراجعة ، ليس اختصاما للتجربة الغربية، ولكن احتراما للـذات والتماسـا
ة ، حيث لا يتمنى المرء أن يقاس مقدار صواب أمته فقط بمدى احتذائها والتحاقها ـ بل انسـحاقها ـ

أزمة الشورى في المجتمعات العربية والإسلامية ، ص69 .

هو موقف يختلف بالضرورة عن تأكيد الإحترام للقيم الإنسانية المشتركة، وكذلك المثل العليا التي هي نتاج ي عليها الناس كافة ، باعتبارهم نظراء في الخلق ، وليس بحسبانا دروسا في الأدب ، وشـروطا للتمـدن ، ضعيف، أو من قاهر على مقهور.)[262] .
ا الغزالي إلى وجوب أن نستفيد من الغرب لا في شؤون الزراعة والصناعة فحسب، بل في ميدان العلائـق التي وكّـل الله إلى الناس تنظيمها وتحسينها، وناط بعقولهم اختيار الوسائل الناجعة فيها، فإن الحق في هذا لى أحد.
قوله (أننا إذ كنا نستورد من الخارج ثمرات التقدم الصناعي، وننتفع بغيرنا في آفاق الحياة العامة، فلـيكن من شرائعنا وشعائرنا) وهذا المذكور هو مقصود الغزالي تحديدا من قوله ـ كما مر بنا ـ (...إن الوسائل وفضائلنا هي جزء من الفكر الإنساني العام ، لا علاقة له بالغاية المنشودة ، وقد رأينا أصحاب الفلسفات كثير في هذا المجال.)[263].

معات والبيئات وعلاقتها بالتطبيقات الديمقراطية :

ن هناك مشابه كثيرة بين الديمقراطية وأسس الشورى التي حضّ على التزامهـا الإسـلام والعمـل وفـق بين علينا أن نطّبـق النموذج الغربي للديمقراطية بشكله المتبع في بلاده و(ذلك لوجود الاختلاف المحتمـل وتركيبها. والأمر يفترض أن ثمّة فرقا بين القيم الديمقراطية و" المشاركة والمساءلة وغيرها.."، والنموذج أو ه هذه القيم على صعيد الواقع " أحزاب ومجلس عموم أو شيوخ أو خلافة " .
ش الالتزام بالقيمة، باعتبار أن ذلك محل اتفاق ولا جدال فيه، ولكن المناقشة تنصب على الأسلوب الواجب ك الالتزام، حيث يفترض في هذه الحالة أن يتغير بتغير طبيعة النسيج الاجتماعي. فإذا كانت أوضاع مصـر حزاب سياسية ، فإن إنشاء مثل تلك الأحزاب في بلد آخر تتجذّر فيه الأوضاع القبلية والعرقية أو الطائفية، مزيق وحدة الوطن وتفتيته ، ولعل لبنان نموذج لذلك وترشح اليمن نموذجا آخر[264].

للتقاليد والأعراف السائدة دورا بالغا في تقـبّـل الأفكار الواردة ، ويجب أن تؤخذ بعين الاعتبار في أي ول والسلطات في بلدانا، وما نريده بالتقاليد هي مجموع الأخلاقيات والعادات والأعراف، وكل ما تختزنه تاريخ وقيم ... تعتبر بمجموعها مكّبـلا ـ في أحيان كثيرة ـ نحو تقّبـل الوافد الجديد ، بله الإنفعـال أو ترشد إليه أو تفرضه تلك الأفكار الجديدة في ذلك المجتمع المغلق.
لي على ما ذكرناه آنفا، يبرز جليا أثناء حديثه عن السلطة والديمقراطية ، ومستوى الشعب والسلطة معا في ل الحقيقي مع الأفكار الديمقراطية المستوردة من الغرب فقال:(...إن فن الحكم في العلم المعاصر قد ارتقى إنجلترا مثلا يستطيع عامل في أحد المناجم أن يجابه الحكومة دون أن تخالجه ذرة من قلق، وقـد ينتصـر أو

، (مصدر سابق) ، ص 20 .
دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين ، ص 200 .
، مرجع سابق ، ص 21 .

ِ ولا تنقصه هزيمة. ولو وقع ذلك في بعض الدول الإسلامية ، لأمر الحاكم بقطع عنقه ، ولمرّت الدهْـماء
قولون : ما دخلك يا صعلوك في سياسة الملوك ؟
ِالحكومة معـًا دون مستوى الإسلام الذي ينتمون إليه، بل هم والحق يقال عار عليه. ! لقد اختفت تحت
الخلافة الراشدة، وبقيت في العقل الباطن للدهماء تقاليد السلاطين الذين هم ظل الله في الأرض ، وفتـاوى
ا بقبول الأمر الواقع، أو بالتعبير الفقهي ، الخضوع لمن نالوا الحكم بالغلبة والقهر.
حتكاك المسلمين بغيرهم من أهل الأرض أن ظهرت وطّبقت فلسفة الديمقراطية ، ورأى من لهم فقه وتقوى
رى الإسلامية " .
ديمقراطية الغرب ؟
ِدي صالح بينها وبين رغبته، ويستطيع الحاكم" الملهم " في بلاد الإسلام أن يظل عشرات السنين، ينتخـب
شر مرات أو أكثر مادام حيا ! ويقول هذا الحاكم للمتدينين: هذه هي الشورى التي تنادون بـا، ويقـول
ود : أنا وليد انتخابات حرة وإرادة شعبية.
سماء يعلمان أن هذا كذب وزور. والأمر يحتاج إلى تغيير جذري ـ كما قلنا ـ في كيان الأمة وعقلـها
ر هذه المهازل أبدا، ويضحك أولوا الألباب ومن حقهم أن يبكوا عندما يسمعون متحدثا باسم الإسـلام
ع...)[265].

د اقتباس هذه المؤسسات أو وسائل الديمقراطية الغربية لا يكفـي ـ في رأيه ـ وإنما يجب أن يسبق ذلك
داث تغييرات جذرية في الطريقة التي نحييها با، ومن المستحيل أن تصلح الأوضاع السياسية للمسـلمين في
ة البالية وأفكارهم السقيمة المعوجة.

شيخ متمما ولصيقا بالفكرة الآنفة ، ضرورة أن يتم هذا النقل والاقتباس مع وجود عقائـد وأخـلاق
، التي سننقل إليها مثل هذه التجارب ، إذ في غيبتها سيستحيل كل ما نريده من نجاح بغية تطبيـق تلـك
قول ـ رحمه الله ـ :
شرق الإسلامي صورة الديمقراطيات الغربيـة في مرحلة هابطة من تاريخه ، صرعته فيها مواريث جاهلية ،
مارية سفيهة ، فماذا حدث ؟
لإنتخابات على نحو مذهل ، وشقّـت الوثنيات السياسية طريقها وسط هالة من تأييد شعبي مكذوب !)

والمستقى من البيئة المصرية ذاتا قد وضح به الغزالي كيف أن النظام الديمقراطي الذي نقل حينها ، قد فسد
ح حظ البلاد منه صورة ميتة لا روح فيها ولاغناء (والعلة الأصيلة في ذلك : العصبيات المقيتة التي سطت
لة الوانية وأجبرتا على اختيار ممثليها في البرلمان من رجال الطبقات العليا وحـدهم، ومـن ثم تسـابقت
هذه العصبيات إلى جانبها لتضمن نجاح مرشحيها في انتخاب ، والانتخابات في مصر وفي أشباهها تدور ـ

الطريق من هنا ، ص 124 – 125 .
السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث ، ص 168 .

. على هذه الاعتبارات القاسية ، فصاحب الأرض يستولي على أصوات أجرائه ، وتنـهزم أمامـه أعظـم
يستطيع بما يبذل للجائعين ، ويعد المتطلعين ، أن يكتسح أمامه أفضل الرجال علما وأدبا..) [267].

، وإشكالية الحاكمية (مصدرية السيادة):

ى أن الديمقراطية تعني حكم الشعب بالشعب ، ويلزم بها رفض المبدإ القائل : إن الحاكمية لله قـول غـير
زم من المناداة بالديمقراطية رفض حاكمية الله للبشر، فأكثر الذين ينادون بالديمقراطية لا يخطر هذا ببـالهم،
رصون عليه هو رفض الدكتاتورية المتسلطة ، رفض حكم المستبدين بأمر الشعوب ، من سـلاطين الجـور

ؤلاء من الديمقراطية أن يختار الشعب حكامه كما يريد ، وأن يحاسبهم على تصرفاتهم ، وأن يرفض أوامرهم
لأمة. وبعبارة إسلامية: إذا أمروا بمعصية، وأن يكون له الحق في عزلهم إذا انحرفوا وجاروا، قبل أن يستجيبوا
2

أن مما يطرح من إشكالات ونحن نتحدث عن موضوع الديمقراطية ،" الحاكمية " أو ما يسمى بمصـدرية
سلامية ومن صاحبها ؟ الله أم الأمة ؟
لامي قد انقسم فيها إلى قسمين:
ى أن صاحب السيادة هو الله .
يرى أن الأمة هي وحدها صاحبة السيادة. والأمر كذلك ، فالأمة هي صاحبة الرئاسة العامة ، وحدها لهـا
ها عزله ، أي إنهاء العقد وفسخه ـ فهي المبتدئة له ـ وهي المشرفة عليه وصاحبة الحق الأول فيه [269].

الإسلام المفترى عليه بين الشيوعيين والرأسماليين ، ص 111 – 112 .
، على أن مبدأ " الحاكمية " مبدأ إسلامي أصيل، قرره جميع الأصوليين في مباحثهم عن " الحكم " الشرعي وعن " الحاكم "، فقد اتفقوا علـى
، تعالى ، والنبي ρ مبلغ عنه، فالله تعالى هو الذي يأمر وينهى، ويحلل ويحرم، ويحكم ويشرع وقول الخوارج : " لا حكم إلا لله " قول صـادق
ي ذاته ، ولكن الذي أنكر عليهم هو وضعهم الكلمة في غير موضعها ، واستدلالهم بها على رفض تحكيم البشر في الن اع ، وهو مخالف لـنص
التحكيم بين الزوجين إن وقع الشقاق بينهما . ولهذا رد أمير المؤمنين علي رضي الله عنه على الخوارج بقوله : " كلمة حق أريد بها باطـل "
بأنه: " كلمة حق " ، ولكن عابهم بأنهم أرادوا بها باطلا.
كلمة حق وهي مأخوذة من صريح القرآن : [إن الحكم إلا لله] [يوسف:40] .
ى للخلق ثابتة بيقين ....
وا إلى الديموقراطية إنما يدعوا إليها باعتبارها شكلا للحكم ، يجسد مبادئ الإسلام السياسية في اختيار الحاكم ، وإقرار الشورى والنصـيحة ،
والنهي عن المنكر ، ومقاومة الجور ، ورفض المعصية ، وخصوصا إذا وصلت إلى" كفر بواح " فيه من الله برهان .
لك ، أن الدستور ينص ـ مع التمسك بالديمقراطية ـ على أن دين الدولة هو الإسلام ، وأن الشريعة الإسلامية هي مصدر القوانين ، وهـذا
ه ، أي حاكمية شريعته ، وأن لها الكلمة العليا، ويمكن إضافة مادة في الدستور صريحة واضحة :
م يخالف قطعيات الشرع فهو باطل ، وهي في الواقع تأكيد لا تأسيس .
. من الدعوة إلى الديموقراطية اعتبار حكم الشعب بديلا من حكم الله إذ لا تناقض بينهما . وإن كان ذلك لازما من لوازم الديمقراطية ، فالقول
ققين من علماء الإسلام : أن لازم المذهب ليس بمذهب ، وأنه لا يجوز أن يكفّر الناس أو يفسقوا أخذا لهم بلوازم ، بل قد لا يكفرون فيهـا

ـ أنظر : يوسف القرضاوي ، من فقه الدولة في الإسلام ، ص 130 –146 .
ن الريس ، النظريات السياسية الإسلامية مكتبة دار التراث ، القاهرة ط السابعة ، ص217 .

كده أبرز علماء الأصول المعاصرين ، وما كتبه محمد يوسف موسى في هذا الصدد: (إن مصدر السيادة هو
بفة، لأنه وكيل في أمور الدين وفي إدارة شؤونها بحسب شريعة الله ورسوله، ولهذا يستمد سلطانه منها، ولها
، وتقويمه إن أساء، بل حق عزله من منصبه الذي وليه عنها باختيارها إن جد ما يوجب عزله.
، يكون مصدر السيادة هو الموكّـل الأصيل، لا النائب الوكيل) [270].
عثمان خليل ـ أستاذ القانون الدستوري ـ في هذا الصدد أن الفقه الإسلامي لم يعتبر الوالي صاحب حق
ر تلك السيادة حقا للأمة وحدها ، يمارسه الوالي كأجير أو وكيل عنها ، فيمكنها بذا عزله إن وجـدت

كذلك ، فقد ذهب الشيخ عبد الوهاب خلاف إلى أن :
تها من الحكومة الإسلامية مكان الرياسة العليا من أي حكومة دستورية، لأن الخليفة يستمد سلطانه مـن
الحل والعقد.
السلطان على ثقتهم به ونظره في مصالحهم ، ولذلك قرر علماء المسلمين أن للأمة خلع الخليفـة لسـبب

لغزالي هذا الأمر بوضوح وذلك لما سئل عن نظام الحكم في الإسلام وهل الأمـة مصدر السـلطة فيـه ؟
ة الإسلامية مصدر السلطات التي تنشأ بين ظهرانيها ، أعني: أنها وحدها صاحبة الحق في اختيار الرجـال
وفي محاسبتهم على ما يقومون به من أعمال، وفي ذمهم أو الثناء عليهم ، وفي معاقبتهـم إن أساءوا ، وفي
...وكلمة "مصدر السلطة " من مصطلحات العصر الحاضر ونحن لا نهتم بالاسم وإنمـا نهـتم بالحقيقـة
نرفض التلاعب بالألفاظ. ...
تاريخ الإسلام والخلافة الراشدة، ما يتساوق مع ما بيّـنه إلى أن قال:
صده بكلمة " الأمة مصدر السلطة "! ولا يجرؤ أحد على إنكار ما نقرره هنا ، وما نقرره هو هو ما تزعمه
ا، شتى الأنظمة الإنسانية الحديثة...
دينين قلقا من هذه الكلمة ، وربما أنكرها ؟... لماذا ؟ أحسن هؤلاء المنكرين حالا من يقول: إن الكلمـة
حريم والتحليل وهو لله وحده !
هذا الحق له وحده، ولكن ما علاقة هذا الحق المقرر لرب العالمين بمبدإ اختيار الأمة لحكامها وإخضـاعهم
! فالأمة الإسلامية المؤمنة بكتاب ربها وسنة نبيها لن تخرج عنهما أبدا، بل إنها هي الـتي تحاسـب مـن
. وفي السياق نفسه يقول الغزالي : (إن الشورى لا علاقة لها بالعقائد والعبادات والحلال والحـرام ....

ف موسـى ، نظام الحكـم في الإسـلام ، العصـر الحديـث للنشر والتوزيع ، الطبعـة الثالثـة، 1408-1987،ص124.
ص126.
لاف ، السياسة الشرعية ، ص58.
مائة سؤال في الإسلام ، دار رحاب للنشر والفنون المطبعية الجزائر، الطبعة الثانية 1421هـ/2001م . ص238 - 241 .

لدارسي أصول الفقه فإن من هواة الكلام في الإسلام جماعة رفضت أن تكون الأمة مصدر السلطات ، لماذا
لا للشعب ، وظاهر أن ذلك لعب بالألفاظ ، أو جهل بالتشريع ، أو خدمة للاستبداد السياسي ..) [274].

أدلي برأي يعد بمثابة توجيه وإيضاح لعبارة وردت في حديث الغزالي الذي نقلناه عنه آنفا وذلـك فيمـا
رية السيادة حين ذكـر بأن :

و ما تزعمه ، إن صدقا وإن كذبا ، شتى الأنظمة الإنسانية الحديثة...) .

م مما لا يمكن أن يؤخذ على إطلاقه ، لأن كثيرا من هذه الأنظمة تأخذ بمضمون التعريـف الـذي يجعـل
كم الشعب بالشعب للشعب .

هذا الذي تزعمه شتى الأنظمة الإنسانية هو ما يقرره الفكر السياسي الإسلامي بخصوص مصدرية السيادة
ق الجوهري الذي يمايز بين الرؤية الغربية والرؤية الإسلامية في هذا الموضوع . وحتى في كلام الشيخ السابق
فريق .

لتعريفات الأشهر للديمقراطية هي تلك التي تثير الإشكالات لدى القارئ المسلم وتستحضـر لديه مفهـوم
اغه المـودودي ونظّـر له وأشاعه سيد قطب [275] ذلك المفهوم القاضي بأن هناك تعارضا بين الإسلام
يفات الأحدث لا تثير ذلك الإشكال ، لأنها لا تنحو ذلك النحو الذي يثيره تعريف أبراهام لنكولن القائل
(حكم الشعب بالشعب للشعب) [276] وإنما تتحدث عن آليات الحكم والتأثير في القرار السياسي .

عتبار هي :

ياسي الذي يتيح فرصا دستورية منتظمة لتغيير الفئة الحاكمة، وكذلك تهيئ تنظيمات اجتماعية تسمح بأن
م من السكان تأثير في القرارات الهامة ، وذلك عن طريق الاختيار بين المتنافسين على المراكز السياسـية)

ى هو الذي يركز عليه الغزالي في فكره السياسي، ويحاول أن يؤصله إسلاميا، ويبلوره بحسبانه قناعة راسخة
.

أزمة الشورى في المجتمعات العربية والإسلامية ، ص 45 .

ال بها المودودي وقطب ، وجعلاها لله وحده ، لا تعني أن الله هو الذي يولي العلماء والأمراء ، يحكمون باسمه ، بل المقصود بـها الحاكميـة
، أما سند السلطة السياسية فمرجعه إلى الأمة، هي التي تختار حكامها، وهي التي تحاسبهم وتراقبهم، بل تعزلهم، والتفريق بين الأمرين مهـم
وهم ومضلل، كما أشار إلى ذلك د: أحمد كمال أبو المجد بحق. فليس معنى الحاكمية الدعوة إلى دولة ثيوقراطية ، بل هذا ما نفاه كل من سيد
– رحمها الله – ـ أنظر : يوسف القرضاوي ، من فقه الدولة ، ص 62 .

إن الريس ليقول : وهو بصدد تحديد أوجه الاتفاق والاختلاف بين الإسلام والديمقراطية ، إن ما تحتوي عليه الديمقراطية من عناصر ، أو أفضل
صفات ، يشتمل عليه الإسلام ، وفي شرح ذلك يقول :
الديمقراطية أنها :حكم الشعب بواسطة الشعب من أجل الشعب ـ كما قال لنكولن ـ فهذا المعنى متمثل – ولا شك – في نظـام الدولـة
، أن الشعب ينبغي أن يفهم في الإسلام على نحو معين شامل)
- الريس : النظريات السياسية الإسلامية ، ص378 – 386 .

تعريف هو: المفكر النمساوي جوز يف شمبيتر وقد ورد في كتاب " رجل السياسة " لسيمور مارتن ليبست (بيروت: دار الآفاق الجديـدة)

ن إسبوزيتو يعتقد أن ذلك التأصيل من قبيل إعادة التفسير والإصلاح الذي جرى لليهودية والمسيحية ، التي
مؤيدة للاستبداد السياسي ، لكي تتوافق مع الفكر الديمقراطي الأوربي ، وفي ذلك يقول : (وكذلك قـد
ا لتفسيرات متعددة ، فقد استخدم لتأييد الديمقراطية، والديكتاتورية، الجماهيرية والملكية) .
ن قياس التجربة الغربية في هذا الشأن ، مع التجربة الإسلامية قياس مع الفارق، إذ أن النصوص الإسلامية لم
والتحريف ما لحق بالنصوص اليهودية والنصرانية . وكل ما حدث في التجربة الإسلامية لا يتعدى إمـا :
و الإقتصار على بعضها دون البعض الآخر ، أو سوء التفسير والاستنتاج ، لذلك فإن محاولـة الإصـلاح
لإسلامي لا تواجه بتلك العقبات ، ذات الطابع المرجعي والمنهجي الخطير في التجربة الغربية مع الدين [278] .

تعامل = [الكيل بمكيالين]:

لغزالي على الغرب ادعاءهم الفضفاض، وأقوالهم العريضة التي يزعمون من ورائها أنهم أصحاب الديمقراطية
أما غيرهم فعراة من هذه المبادئ العظيمة .
من الغرب مفارقات عجيبة ، ولافتة للنظر في التعامل مع مسألة الديمقراطية،(حيث نعيش في ظل ازدواجية
القبول بالديمقراطية على المستوى الوطني أو القطري ، بينما يتم الإنقلاب على الديمقراطية في المحيط الدولي،
م أموره إلى القوة دون غيره ، فالقرار للأقوى والويل للضعفاء ، وإن كانوا أغلبية البلدان أو أغلبية البشـر
ديمقراطيين في بلدانهم هم أنفسهم عتاة المستبدين في الساحة الدولية ، يرفعون شعارات التعدد والتسامح في
ون بأعلام السلام الروماني في الخارج ! الأمر الذي يعني بوضوح أن التعامل مع الديمقراطية يتم على أساس
، وليس على أساس أخلاقي .) [279] .
بأن هذه الديمقراطية الغربية ، وبخاصة بعد ظهور النظام الدولي الشمولي الاستبدادي الاستعماري المسمى "
تضح بعد أن أصبح أقطابها يلغون المنظمات الدولية، ويعبثون بحقوق الإنسان ، ويكيلون بكـيلين: كيـل
وربا..يعتمد المحاباة مهما كانت ظالمة ... وكيل آخر للمسلمين يعتمد على الظلم الثابت... مهما كـان

فرضون التدخل في شؤون الآخرين ، تحت دعاوى مزيفة ، ويفرضون الفقر على المستضـعفين باتفاقيـة "

من حق العلم والمعرفة تحت دعوى: " حقوق الملكية الفكرية الخاصة " !

جعل الغزالي يرفع عقيرته مستنكرا على هذه الدول كيلها بمكيالين ، تجاه الأمم المستضعفة وذلك لما قـال:(
في سياساتها العالمية مجتمعة هزأت بكافة ما تواضعت عليه الدنيا من مبادئ العدالة والشرف... وحركتـها
ضحة بما يكمن فيها من شهوات ومآرب ، ولم يحدث في تاريخ المؤسسات الـتي كوّنتـها هـذه الأمـم
درت قرارا يوصف في بواعثه وأهدافه بأنه نزيه...

وان: " الإسلام والتحول للديمقراطية " ، ترجمة عبير مصلح ومعاذ جابر ، مجلة السياسي، 17 يناير، 1991، ص28 وما بعدها . وأنظر: إسلامية
سابق) ، مقال: محمد وقيع الله ، ص114-115 .
(مرجع سابق)، ص 21 .

الدول في محافلها الكبرى بالمروءات والفضائل ، سخرت في علاقاتنا الفردية بالأمم المستضعفة ، من كـل
شودة) [280].

ياسية في تجربة الاقتباس من قيم الديمقراطية :

ن رأي الشيخ الغزالي في أن الديمقراطية ـ ولا سيما البريطانية في رأيه ـ تلتقي مع الإسلام بدرجة كـبيرة
يعية ـ إلا أننا نؤمن بأن ثمة فروقا جوهرية بين الشورى الإسلامية ، والديمقراطية الأوربية بعامة .
ليه الغزالي بفكره السياسي من أن الإسلام يلتقي في كثير من مبادئه مع الديمقراطية، يقابله في الجانب الآخر
ي الاختلاف الجوهرية بين الإسلام وبعض مفاهيم الديمقراطية، ولا سيما مصطلح " الحرية " ومصـطلح "
يعطيها حق التصرف في جسدها فيقول الغزالي:
راطية الحديثة مثالب ، في أنها توفر الحرية للطاعة والفسق ، والإيمان والكفر ! ولكن هذه المثالـب تختفـي
ب الدستور : أن الإسلام دين الدولة ، وأن الشريعة المصدر الأوحد للقوانين ، وأن ما خالفها يسقط مـن

خر فإن مما حذّر منه الغزالي وانتقده في الديمقراطيات الغربية، ما هو ملاحظ من وجود علاقة ذات طبيعـة
ت و شعوبا عموديا ، تتجلى هذه العلاقة في قدرة تلك السلطات الفائقة هناك على التأثير السلبي بسـبب
ائل الاتصال ، مما أصبح يثير جدلا في أوربا ، وبخاصة حول جدوى الأحزاب السياسية ، ودور التلفزيـون
ربما تزييفه، الأمر الذي أصبح يمكن من اصطناع رأي عام، قد يعبّـر عن مصالح معينة، ولا يعكس حقيقة
م [282] وهو تطور يشكـّـك في صدقية الشعب مـثلا ، ويسـتدعي إعـادة النظـر في العديـد مـن
الديمقراطية .
ارة إليه في مجال ـ المحاذير في الاقتباس من قيم الديمقراطية ـ أنك تعثر في خضم البحث والدراسة علـى
كر السياسي الإسلامي اكتسبت ملامح دخيلة في العقود الأخيرة ، أدت إلى تشويه معالمها ووسمتها بسمات
بح النظام السياسي الإسلامي قرينا للتعصب الديني ، عندما كان خصومه منهمكين في إنشاء محاكم تفتيش
هير " عرقي وديني كما أضحى الفكر السياسي الإسلامي رديفا للاستبداد والتسلط السياسي ، وهو الفكر
خ على حصر سلطات رأس الدولة ضمن الدائرة التنفيذية ، وإسناد مهمة التشـريع إلى الـدوائر العلميـة
ملوك وأمراء الأمم الشرقية والغربية ، يمتلكون سلطات تشريعية مطلقة.
، اعتقادنا أن الفكر العلماني يتحمل مسؤولية التشويه الذي طرأ على معالم النظام الإسـلامي ، نظـرا إلى
ياسية الغربية على الواقع التاريخي الإسلامي، فإننا نحمّل الفكر الإسلامي المعاصر قـدراً مساويـًا مـن
[283]

من هنا نعلم ، ص 87 – 88 .
السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث ، ص 170 .
ب المهم بخصوص هذه الفكرة : " المتلاعبون بالعقول " لـ : **هربرت تشيللر** ، ترجمة : عبد السلام رضـوان ، الكويـت : عـالم المعرفـة ،
19 . 272 صفحة .
ت الإسلامية والديمقراطية. مقال " الدولة الإسلامية بين الإطلاق المبدئي والتقييد النموذجي " لـ : لؤي صافي ، ص115 .

؛: أن الفكر الإسلامي المعاصر حاول إعادة تشكيل المحتوى المعرفي الموروث باسـتخدام قوالـب فكريـة غايرة [284].

: التشويه الحاصل في فهم طبيعة الحياة السياسية ضمن الدولة الإسلامية، فيعود إلى قبول النموذج السياسي إخضاعه لعملية نقد وتمحيص .

[2] يشدد على حق القيادة الرسمية بقبول أو رفض قرار الشورى، إتباعا لموقف الفقهاء المتقدمين، وتعـويلا ة. ففي سياق بحث أسس الحكم الإسلامي، يوجب اعتماد الرئيس الشورى في قراراته، لكنه لا يلزمه إتباع ـره بين رفضه وقبوله، فيكتب:(الأمير محتوم عليه المشاورة في الأمر، ومجلس الشورى لابد من أن يكـون المسلمين، وليس من المحظور أن ينتخب هذا الملس بأصوات المسلمين وآرائهم، وإن لم يكن له نظـير في).

، تفصيل أسس الحكم الإسلامي ، وتحديد العلاقة بين مجلس الشورى والرئيس أو الأمير .

ني تقضى في هذا الال بكثرة آراء أعضائه في عامة الأحوال، إلا أن الإسلام لا يجعل كثرة العـدد ميزانـا قل لا يستوي الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث] [المائدة:100]، فإنه من الممكن في نظر الإسلام ب رأيا وأحدّ بصرا في المسائل من سائر أعضاء الملس ، فإن كان الأمر كذلك ، فليس من الحق أن يرمى مع غفير. فالأمير له الحق أن يوافق الأغلبية في رأيها ، وكذلك له أن يخالف أعضاء الملس كلهم ويقضـي

لأعلى المودودي يصف الدولة الإسلامية بالشمول فيكتب (فمن الظاهر أنه لا يمكن لمثل هذا النوع من الدولة أن تحد دائرة عملها، لأنا دولـة باة الإنسانية بأسرها، وتطبع كل فرع من فروع الحياة الإنسانية بطابع نظريتها الخلقية الخاصة، وبرنامجها الإصلاحي الخاص، فليس لأحـد أن ويستثني أمرا من أموره قائلا :

صي لكيلا لا تتعرض له الدولة، وبالجملة إن الدولة تحيط بالحياة الإنسانية وبكل فرع من فروع الحضارة وفق نظريتـها الخلقيـة وبرنامجهـا هي تشبه الحكومات الفاشية والشيوعية بعض الشبه . ولكن مع هذه الهيمنة لا يوجد في الدولة الإسلامية تلك الصبغة الـتي اصـطبغت بـا نة " والاستبدادية " في عصرنا هذا ، فلا يوجد في الدولة الإسلامية شيء من سلب الحرية الفردية ، ولا أثـر للسـيطرة " الديكتاتوريـة ") - نظرية الإسلام وهديه ، ص47 .

لف السابق يعكس حالة تخليط بينة، ففي فقرة واحدة يسمي المؤلف الدولة الإسلامية بالشمولية، ويشبهها " بالفاشية والشيوعية ، ويشدد على يقوم في وجهها... " ليعود فينفي بعد جملتين أن يكون " في الدولة الإسلامية شيء من سلب الحرية الفردية، " أو " أثر للسيطرة الديكتاتورية لقة "

المودودي إشارة إلى كونه واحدا من أكثر المفكرين الإسلاميين ، تأثيرا في تشكيل الفكر السياسي الإسلامي المعاصر . ورغم بروز توجهـات الآونة الأخيرة ، كتلك التي تمثلها كتابات الغنوشي والترابي، فإن طروحات المودودي لازالت تستأثر بتفكير التيار الإسلامي العام .

صدر نفسه ، ص56 .

ة حق القيادة في قبول أو رفض قرار الشورى بناء على مقولة أن " الحق لا يتبع الأغلبية بالضرورة "، ينطوي على تخليط واضح بيْـن آليـات وآليات التقرير السياسي . لا شك في أن الحق لا يتبع الأغلبية بالضرورة ، بل قد يظهر على لسان القلة القليلة . لكن اتباع الـرأي الأصـوب يتم من خلال الحوار وتبادل الأفكار والآراء وإقناع جمهور المواطنين، لا من خلال الاستبداد بالرأي وحمل الجمهور على اتباع رجل فـرد أو ص .

ياسية الحق في الضرب بآراء الآخرين عرض الحائط ، قد يؤدي إلى حمل الأغلبية المخطئة على رأي القلة المصيبة حينا، ولكنه يؤدي أيضـا إلى على رأي أقلية خاطئة أحيانا. فالقضية في جوهرها ليست قضية مقابلة بين معياري الحق والعدد، والخلوص إلى أن الحق هو المعيـار الـذي ة المسلم وقيمه . القضية في تقديرنا قضية تعيين الآلية التي يتم عبرها قبول أو رفض الخطط السياسية التي تعتمدها القيادة التنفيذية .

كانا منبوذين في فكر الغزالي لولا ظروف صعبة من تاريخ المسلمين المعاصر احتفت بالسبب الأول جعلته ومفاهيم في الفكر السياسي الغربي ـ بحدود وضوابط محددة طبعا ـ وهو الذي كان يؤكد بأنه ليس من كلمات الأجنبية الأصل للتعبير عن معان إسلامية [287].

ـ الذي ترى فئتين من خلاله على طرفي نقيض في النقل عن الآخر فإما القبول المطلق وإما الرفض المطلق ـ فقد دعا الغزالي العلماء والدعاة أن يكشفوا أسباب التفضيل والترجيح ذاكرا :

لية الغربية يقول : ـ وأنا أكره الاستيراد ـ إمتدت في الفراغ الذي صنعه بعض من المحافظين أولي الغيرة ، ا لأن تصورهم للحقائق الدينية والمدنية بالغ التشويه ، وملاحظتهم لطبائع البشر وتاريخ الأمم وهي تنشد تكون معدومة...إنهم يحسنون الإماتة ولا يحسنون الإحياء ، يقولون باسم الله هذا حـرام ، ولا يجيئـون النهمة ، ويسد طريق المعصية...

هد في جلب العناوين الأجنبية لنظمنا الإسلامية ، فالواجب أن نكشف للناس ما لدينا ، ونقول لهم هـذا

يل ، ونقدم بدله هذا الأصيل !

دل الديمقراطية الغربية.) [288].

ابية للديمقراطية :

أنه تأمل في حيـاة الأوربيين فوجدها ـ على ما يشينها أحيانا من انحرافات فردية ـ قـد وفـّـرت ظلال ، وعيشا وطيد الأمان ، وأنا قلمت أظافر الفراعنة والقوارين ، وأنصـفت السـوقة والضـعفاء ، ي مناجم الفحم أن يخاصم الحكومة ويحرجها وهو آمن مستقر ، ومثل ذلك لا تعرفه أمتنـا إلا في تـاريخ

ح يمكن أن يصاغ على النحو التالي: هل يتم التعويل على الأقلية في تبني القرارات العامة، أم تعتمد آراء جمهور المسلمين؟ وتتأكد أهمية هـذا طة ارتباط القرارات السياسية للدولة بنوعين من القضايا:

المصلحة العامة للأمة . ـ وقضايا تتعلق بالمبادئ الشرعية . وفي كلتا الحالتين نجد أن اعتماد رأي الجمهور أقرب إلى المقاصد الإسلامية العامة ، لى بالاتباع من رأي الأقلية ، لأن المصلحة العامة بطبيعتها مرتبطة بالكل لا بالجزء ، ورأي الجمهور أولى بالإتباع في القضايا المتعلقة باستخراج ثرة الغالبة أقرب إلى الإجماع الذي يشكل القاعدة التي تقوم عليها شرعية القرار السياسي ومصداقية الاجتهاد الفقهي .

- أنظر : الحركات الإسلامية والديمقراطية. مقال " الدولة الإسلامية بين الإطلاق المبدئي والتقييد النموذجي " لـ : لؤي صافي ،

سألة " استيراد المصطلحات الغربية وتوظيفها في المشروع السياسي في الفكر الإسلامي " . أنظر في ذلك مبحث : تحديد الموقف من يئة في الفقه الدستوري .

الدعوة الإسلامية تستقبل قرنا الخامس عشر ، دار الهدى ، الجزائر . ص107-108 (بتصرف)

استخلاص جملة أمور تتحقق من جراء تطبيق حقيقي لأحسن المبادئ الديمقراطية ، وننبه إلى أن هذه المبادئ دها في هذه الفقرات هي نفسها المبادئ التي جاء الإسلام ليرسيها في المجتمعات والشعوب عـبر الأسـس شورى وجملة الحقوق والحريات التي عرفت تطبيقا باهرا في فترة النبوة والخلافة الراشدة ، واستخلاصنا لهذا لال استقراء عام لآراء الغزالي وفكره ، وتتمثل جملة هذه الإيجابيات في النقاط التالية :

ت والأمان من جور المسؤولين واستبدادهم :

نزالي بأن الاستبداد هو سر انحطاط المجتمعات المسلمة ، وانكماش حركة الدعوة الإسلامية ، سبب ثورتـه طريقة الإسلام في إدارة دفة الحكم بالشورى هي التي جعلت الشعوب تفتح ذراعيها له) [289].
اد التسلط فقد فقدت حركة الدعوة جاذبيتها إلى حد بعيد ، كما تعطلت طاقات الأمة ، وتبددت مواهبها بوء [290].

الي عن الحريات يعد أنصع الأدلة وأقواها على إيمان الرجل بالفكر الديمقراطي الذي كان في عصره أكثـر ، عن الحرية تقدما ، وملائمة للقوى الصاعدة التقدمية .

ء بسيط لتاريخنا القريب نرى أن فقه القانون العربي قد وضع تحت تأثير بعض الشعارات المضللة التي رفعها – بحسن نية أو بخبث طوية – وتمحورت حول الدعوة إلى تأجيل النظر والبحث في مسألة توسيع دائـرة كانت الحجة الرئيسية في هذا الإدعاء هي : أن البحث في هذه المسألة لا يستقيم مع خطط التنمية الشـاملة وض معركة المصير مع إسرائيل .
، اللاحقة عدم صحة هذا الزعم ، وأن الحرية السياسية في إطار منظومة القيم الحضارية لأمتنا ، هي الشرط ة السوية القادرة على النهوض من الكبوة الحضارية التي يحياها المواطن) [291].

لمعنى المهم يقول الغزالي : (...غالطت نفسي يوما وقلت لها : صحيح أن الحريات لابد منـها لضـمان بية ، أما يمكن أن يكون تولي العسكر الحكم ضرورة مقبولة لمواجهة إسرائيل ؟
ويوجهون مواردنا كلها لكسب الحرب ، وهذا ميدانهم الذي تخصصوا فيه .
قول : إن الحكم الفردي الجائر لا يكسب حربا أبدا ، بل الغريب أن أعظم هزائمه كانت في الميدان الذي
[29
.

أزمة الشورى ، ص 36 .
، ص 119 .
نسن سميع ، أزمة الحريات السياسية ، ص 08 ـ 09 .
: ص 221 .

لأخوة السليمة :

روثنا الحضاري الذي نجد فيه الدعوة إلى التعاون والتآخي قوية جلية، وقد تنسحب دلالـة كـثير مـن
فهوما محددا يفرز في المجتمع روحا خاصة ومعاني سلبية أو إيجابية، ومن ثم وجب التنبه إلى معاني شائعة من
رة في المجتمع ، لنطرح منها ما كان يخدم المفاهيم السيئة ، ونقبل ما كان منها في خدمة المعاني السـامية ،

ل الغزالي : (إن الأخوة التي ينادي بها الإسلام بما تجعل الأمة جمعاء أسرة واحدة تربط بين بنيها أواصـر
المشتركة ، وأعباء الواجبات الموزعة على الكبار والصغار ، وهذه الأخوة لا تسمح أبدا بوجـود سـادة
نذلين، ولا توسم أبدا بأي اختلال اقتصادي يؤدي إلى هذه الحال المنكرة. وكلمة " **الأخ** " حسين هيكـل
صطفى النحاس يجب إسلاميا أن تكون أصدق في دلالتها على الديمقراطية المطلقـة من كلمة " الرفيق "
" مولوتوف في الاتحاد السوفيتي. أو كلمة " **مستـر** " تشر شل و" **مستـر** " إيـدن [293] في الجزائـر
م الشعبي العريق .
حقا أن نجعل من الأخوة الإسلامية برنامجا واسع النطاق لمحو الفساد الاجتماعي ، والفوارق الاقتصادية التي

ة الاقتصادية :

ضرورة إيجاد هذا الأمر في المجتمعات نجده يصدر كتابه " الإسلام والأوضاع الاقتصادية " ليقول كلمة الحق
والطبقات البائسة، ورأي الإسلام فيهما .
ول في إيضاح الأسباب الاقتصادية للرذائل المنتشرة في المجتمع الإسلامي ومردها إلى الفقر الكاسح والجهـل
وغل، متحدثا عن أوباء الزنا والسرقة والبطالة، ومنتقلا إلى ما تسببه المعيشة الكريمة من ترفع وإباء ، معيشة
يشة الترف العاطل المبيد .
، صريحا عن الاستعمار الداخلي المنكفئ على لذاته وأنانيته حين كان السبب في الاستعمار الخـارجي، ولم
في البطش والقهر [295].

روبرت 1897 ـ 1977م ، سياسي ورجل دولة بريطاني استعماري ، عينه تشرشل وزيرا للخارجية 1940 ـ 1945 م ، كان له دور في
ول العربية سنة 1943م ، وحين استقال تشرشل أصبح رئيسا للوزراء ، إشترك في العدوان الثلاثي على مصر ، وبفشل هذا العدوان إنسحب
ة تماما ، أصبح بح بعد ذلك عضوا في مجلس اللوردات تحت لقب اللورد أفون
ـ موسوعة السياسة ، ج ، ص .

الإسلام المفترى عليه بين الشيوعيين والرأسماليين ص 128.

أستاذ والمفكر مالك بن نبي " معامل القابلية للاستعمار "، فيلاحظ التوافق الكبير في هذه الحقيقة العلمية التي اهتدى إليها الرجلان الفاضلان ،
استفاد من الآخر أو اقتبس منه الفكرة ، فمنطق البحثين لا يوحي باطلاع أحدهما على ما قال صاحبه ، ولكن حقائق الإسلام ودراساتم

أول من ألف في محاربة المذاهب الاقتصادية التي يتشدق بها المأجورون، حاربها بالدليل القاطع الذي يثبت أن
لاقتصادي ما يدفع إلى الثروة والنماء ، والتكافل الاجتماعي ، شريطة أن تكون هناك ديمقراطية حقيقية في

سريعة سنشيـر إلى ما تبقى من مزايا الديمقراطية كما وردت في كتب الغزالي دون تفصيـل أو شرح فمن

اعنة والقوارين .
والضعفاء.
صيحة للرؤساء والملوك.
ط، وكثرة وجهات النظر التي تثري الفكرة وتؤدي إلى الصواب.
ر في شتى الجوانب (السياسية ، والاقتصادية ، والاجتماعية ، والعلمية ، والثقافية...) .

الحياتية ، وحدها كانت من الرسوخ لديهما بحيث استطاعا أن يتحدثا عنها حديث الرجل الواحد ، وهذا ما يؤيد فكرة أن الحق أبلج لا مرية
طل لجلج لا ثبات ولا أنوار عليه ، وأن النفوس إذا خلت من الأغراض الجانبية اتضح لها وجه الحق .

مبـدأ الشـورى

شورى، والمشاورة، والمشورة، **لغة :** مصادر للفعل شاوره ويقال شـاورته في الأمـر أي طلبـت رأيـه
ه وأظهرته . فأصل المشاورة الاستخراج والإظهار .

ستطلاع الرأي من ذوي الخبرة فيه للتوصل إلى أقرب الأمور للحق [296].

م إلى أن هذا التعريف قاصر نوعا ما ، إذ يقصر فيه الشورى في المسائل الفنية الخاصة التي يتطلب فيها رأي
ب أن الشورى أعم من ذلك ، إذ أن الرسولρ والصحابة كانوا يستشيرون الأمة في الأمور العامة المتعلقة
ورى هي: (إستطلاع رأي الأمة أو من ينوب عنها في الأمور العامة المتعلقة بها) [297] .

ن للأمة الحق في مناقشة سياسة الدولة، وحقها في تنصيب الحاكم وعزله، ولها أن تحكم حسب مصلحتها،
ها الحق في الرقابة والنقد والتقويم.

كم يعتمد التشاور والانتخاب في مجال تعيين الحاكم الأعلى للدولة الإسلامية، ومجال عمل هـذا الحـاكم،
ري العام .

ين فهو مرن إلى أبعد حدود المرونة ، ولذلك كان صالحا لكل زمان ومكان.)

سة الحكم ـ ابتداء من تعيين الحاكم نفسه إلى التشريع والسياسة والإدارة ـ يشترك فيها الشعب وجمهور
أهل الرأي والمعرفة، كما يشترك فيها الحاكم بعد اختياره وتعيينه عن طريق الشورى، وبـذلك تتحقـق
والرعية أو الشعب ، ويتم بذلك تقييد الحاكم بقيدين :
أي بحكم الله ورأي الأمة) [298] .

رة:
سلام نظاما للشورى لأن النظام يختلف باختلاف الأقاليم، إنما دعا إليها باعتبارها مبدأ يجـب تحققـه في

د الخالق : الشورى في ظل نظام الحكم الإسلامي، الكويت . دار القلم 1982 ، ص23 .
صاري ، الشورى وأثرها في الديمقراطية ، الطبعة الثانية ، بيروت ، المكتبة العصرية ، ص
نظام الإسلام الدولة والحكم ، دار الفكر ، ط4 ، (1401هـ –1981م).
، المجتمع الإنساني في ظل الإسلام ، ص164.

، : (..الشورى مبدأ إسلامي عظيم ، لكن وسائل تحقيق الشورى وضبط أجهزتها لم يتقرر لدينا ، ويظهر
تلاف البيئات والمستويات الحضارية ، بل إننا لاحظنا أن أمة وحيدة رفيعة الحضـارة غُـيّرت وسـائل
رات حسب تجاربا ومنافعها.
خلال أقل من نصف قرن نموذج لذلك التغيير...
ولة الخلافة برزت في صور شتى ، وليس المهم أي طراز نستمسك به؟ بـل المهـم أن نـوفر الضـمانات
، الشورى حقيقة مرعية، فيختفي الفرد المستبد، وتموت الوثنيات السياسية، ويترجح الرأي الصـحيح دون
ل الكفء دون أحقاد...) [300].

، يؤمن إيمانا جازما لا تأويل فيه بجناحي النظام السياسي الإسلامي الأساسيان وهما : العدل والشورى .

ه إذا كان العدل واجبا ولا يقبل الجدال ولا يماري فيه أحد فكذلك يجب أن تكون الشورى ، كذلك فهي
للحكام ـ وبخاصة ـ في القضايا المصيرية ...
التفريط في ثوابت الأمة عن طريق التحكم الفردي التسلطي الاستبدادي ...

ق لمقاومة خيانة الحاكم للإسلام ، ولثوابت الأمة وأهدافها القومية والإسلامية العليا ...
كان العقل يستوحي أحكامه من بديهيات الأشياء التي أكدها التاريخ في مساره الطويل ، فإننا ـ من واقع
، الاستبداد سرطان خطير تبتلى به الأمم ، وأن الشورى روح كريمة تسعد بها الأمم .
سيرة العالم الإسلامي في القديم والحديث ، نرى أن التقدم الحق ارتبط بالشـورى ، وأن الهزيمـة النفسـية
، ارتبطت بالاستبداد ، وفيما أرى من تاريخ أمتنا أن الشورى من ألزم الضرورات لها ، فالعالم الإسلامي لا
ضمان لكرامته ، بل لا ضمان لوجوده إلا بالشورى ...
، العقول .... [301]

السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث ، ص 168 .
معنى راجـع : عبد الحليم عويس ، الشيخ محمد الغزالي ، ص 134.

م رؤيــة الغزالــي للشــورى :

استخلاصه من استقراء آراء الغزالي فيما يخص موضوع الشورى ، وما يناط بها من دور عــبر تطبيقهــا
لتها في الدولة الإسلامية ، وذلك حتى تغدو وسيلة فعّــالة ، وأداة حقيقيــة للتعبير عن مشروع الإســلام

لشــورى:

إلى الرأي المنادي بوجوبية الشورى، وأن على الحاكم أن يلتزم باتباع طريق المشاورة في أمور الأمة وفي كل
لى هذا الرأي إنما كان نتيجة استقراء منه لأدلة القرآن والسنة ووقائع السيرة العطرة. التي تســاوقت مــع
ارب الإنسانية الناجحة في هذا المجال.

كره - وهو المظهر الأساسي للحرية السياسية في الإسلام - فريضة شرعية في جانب مهم مــن جوانــب
لامية ، وهو الجانب السياسي والدستوري، وليست مجرد حق أو وظيفة كما هو الحال في الفكر السياسي
[302]
.

لامية المثلى ليس ما يردده البعض من أن الشورى إنما وردت في القرآن والفقه الإسلامي على سبيل الندب
جوب. وأن الأمر فيه حرية كبيرة للحاكم إن أراد لجأ إلى المشاورة وإن أراد أمسك عنها، لأنه مخّيــر في
لى تركها .

من أن أمر الله لرسوله بالشورى إنما جاء لتطييب قلوب المسلمين فقط حتى ينشطوا أكثر ويعملوا أكثــر
شة والعجب .

شورى وجبة وضرورة دينية ، وهي تقلم أظافر المستبدين ، وتمنع طغيانهم ؟ إنها ضرورة دينية ومدنية على
ي وجوبها تجاهل لوقائع التاريخ ، والأحكام الإ سلامية المرتبطة بالشورى

غزالي في وقت مبكر يؤكد من خلال ذلك أن التوجيه بضرورة لزوم الشورى ووجوبها جاء حتى قبل قيــام
دما نزلت آية الشورى المكية[وأمرهم شورى بينهم] [الشورى:38] تؤكد أن الشورى صــفة لازمــة
لل حياته كلها، لا حياته السياسية فقط ، ثم توالت آيات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهي آيات لم
ضوع للأمر أو النهي.

ة المطّردة أكّدت أن النبي ρ كان يستشير صحابته في كل القضايا السياسية، ويقطع فيها على أمر المشورة
الموقع الإستراتيجي في موقعة بدر ، وقرار الخروج للقتال في أحد ، وقرار حفر الخندق في غزوة الأحــزاب
ان الرجل الذي تكلؤه السماء ، ويؤيده الملأ الأعلى ، وتصلي عليه الملائكة، ويبلــغ رســالته بعــين الله،

لمعنى راجــع : محمد عمارة : الإسلام وحقوق الإنسان ، ضرورات لا حقوق ، سلسلة عالم المعرفة ، رقم 89 ، المجلس الوطني للثقافة والفنون
ت ، 1985 م ، ص 45 .

رآن الكريم قول الله له: [إنا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا] [البقرة:119] لم يمنعه هذا من أن يلتقط الحكمة
حث عن الحق مع أولي الفطنة والفقه من صحابته) [303].
ورى هو المظهر الأساسي للحرية السياسية في المذهبية الإسلامية ، وهو فريضة إلهية وضـرورة شـرعية ،
لطة ، وانتقالها وتداولها ، وبعد قيامها واستقرارها .
وانتقالها وتداولها : يكون المبدأ لازم ابتداء ، وملزم انتهاء ، فتكون الجماعة هـي صـاحبة الكلمـة الأولى
شكل الدولة ، ورسم أطرها وهياكلها ، وبيان السلطات فيها ، وحدود كل منها، والعلاقة بينها، كما أنا
السلطة، وغايتها وطبيعة اقتصادها ونظام تعليمها، وكل ذلك مؤطر بالمذهبيـة الإسـلامية ، ومنظومتـها
منه من تصور شامل عن الله والكون والحياة والإنسان .
ة واستقرارها فتكون الوظائف قد وصّفت توصيفا محكما ، والمسؤوليات تحددت تحديدا دقيقا ، فتكـون
كل من يملك اختصاصا ، فيتخذ قرارا ، إلا أنه في النهاية مخيّـر بين الأخذ برأيه هو ، وبين الأخذ بـرأي
المسؤول عن نتيجة ذلك القرار [304].

الفكرة الأخيرة التي ذكرها الدكتور : صالح حسن سميع ، وهي أن الحاكم أو المسؤول مخيّر بين الأخذ برأيه
مستشاريه ، لأنه هو المسؤول عن نتيجة ذلك القرار، نعده نوعا من الاستخفاف بعقول الناس ـ حـتى
ظائف توصيفا محكما، وحددت تلكم المسؤوليات تحديدا دقيقـا ـ ، إذ كيـف يسـألون ثم يضـرب
حائط ، وكيف يجوز لنا أن ندعي أنه هو المسؤول وحده عن نتيجة ذلك القرار ؟
الشورى [= نواب الشعب = أهل الحل والعقد] المنتخب والممثل للشعب ، المتكلم باسمه ؟ أيـن مـن
يتولوا شؤونا العامة ، وأن يبتوا في قضاياها المصيرية ؟.

كيف تتفق جميع الأمم بفطرتا وتتدي بتجاربا إلى حكم ظاهر، مفاده أن أي امرئ مهما كانت عبقريته ،
هب ، يستحيل أن يحيط بجميع القضايا استيعابا واهتداء إلى الحل الأسلم والأمثل [305] ونجد في أمة الإسلام
دعوة يصوّرون الحكم الإسلامي تصويرا يثير الإشمئزاز كله...يقولون: إن للحاكم أن يأخذ برأي الكثرة أو
إلى رأي عنده وحده !...
ررها الإسلام ؟ فما الاستبداد إذن ؟) [306] .

الإسلام والاستبداد السياسي ، ص 75 .

ميع : أزمة الحريات السياسية في الوطن العربي ، ص 250.

صين وروسيا شكوا من تحكم الفرد ، ومع أن نظمهم بطبيعتها إستبدادية فقد قرروا أن تدور شؤونم في وسط جماعي ، يتم فيه تبـادل الآراء
واب...

ربية تأبى أن ينتسب إليها إلا الحكام الديمقراطيون.

الم العربي والإسلامي الذي يعيش وحده في ضباب من الدعاوى والترهات ، إنه وحده دون أقطار الأرض كلها هو الذي يقول فيه حاكم: أنا
هو وحده الذي يسمع فيه أن الحاكم لا يسأل عما يفعل ! !

ختفي إلى الأبد أولئك الساسة العرب ... الواقع أنم ثرثروا أكثر مما يطاق ، وطال بقاؤهم أكثر مما ينبغي...

ـ محمد الغزالي : مائة سؤال في الإسلام ، ص114 .

هموم داعية ، ص 112 .

ام – رؤية تاريخية نقدية - :

وضع الطبيعي لاختيار الحكام في المجتمع المسلم هو الوضع الشوري أي الوضع الذي يختـار فيـه النـاس كتفين بمجرد مبايعتهم أئمة نافذين أو متغلبين، مستنتجا ذلك من وقائع اختيار الخلفـاء الراشـدين،الذين ب التصاقا بتوجيهات النصوص ، وبروح الدين ، وبتجربة الرسول ρ في الحكم.

مبحث " طريقة تعيين الرئيس " مناقشة الغزالي لمن كانوا يستدلون بتلك الوقائع محاولة منهم لتبرير أن خطة جوز ، مع وجود كراهية من جانب الجماهير، وما تكنه المجتمعات في أنفسها من السخط البالغ نحو ذلـك برى أنه لا يعقل أن يفرض على الأمة شخص لا تريده.

، (..أن ردّ الأمر في اختيار الحاكم إلى جمهور المسلمين ليس نافلة يتبرع بأدائها .

الفطرة اللذين يجب المصير إليهما .

أمر المسلمين شورى بينهم ليبحثوا في صفوفهم عن الكفء لإمامتهم فإذا وجدوه بايعوه عن رضا ومحبة ، فيهم وجب عليه ألا يقطع دونهم أمرا ، ووجب عليهم ألا يحجبوا عنه نصحا ، وبذلك تسير القافلة . وقد لراشدة على هذه الأسس وكان نظامها فريدا في العالم يومئذ . إذ كان الروم والفرس وأمثالهم من الأمـم ث الحكم بين أفرادها، كلما هلك ملك ورثه على نواصي العباد ملك آخر، وتوريث الملك والحكم سواء الجاهلية الأولى بيد أن الإسلام – وهو دين الفطرة النظيفة والعقل الرشيد – شرع لأمته معالم الشـورى قها الكامل في اختيار الحكام ، وأسقط قيم الدماء والعناصر في ميزان التفاضل ، فلم يبق في أرضه مكان لمن ق بذا الزعم ملكا وهذا الذي قرره الإسلام قديما ... هو ما قامت من أجله ثورات الحريـة في المشـرق ؤساء الدول يختارون من صميم الشعب في صورة مكبرة للبيعة التي جاءت بالخليفـة الأول في الإسـلام)

ب البعد التاريخي ، ودوره في تعويق وتكبيل عملية الإصلاح السياسي الشاملة، وكذا الدور نفسه الذي يقوم إلى أحكام يتسترونا من بعض الأحاديث ويشيعونا بين الناس لتترك آثارها المـدمرة مـن الاسـتكانة لك لما يقول:

صلاح الحكم عندنا تأثرت بعقدة صفين أولا ... وتأثرت ثانيا بما شاع من أحاديـث وأحكـام كـثيرة ل الخروج على الحكم كأنه الكفر أو دونه الكفر .

ثيرة في تاريخنا بينما وجدت الإنجليز صححـوا مسـار الحكـم عندهـم بقتـل الملـك، وعملـوا " واستقرت الديمقراطية عندهم . الفرنسيون فعلوا الشيء نفسه : قتلوا لويس [309].

في موكب الدعوة ، ص 124/123 .

جليز بـ : MAGNA CARTA أو GREAT CHARTE أي : الدستور العظيم الذي منحه الملك جون للإنجليز عام 1215 متضـمنا الكنيسة والمواطنين والأحرار .

عشر : ملك فرنسا ، ولد عام 1754 م ، حكم من عام 1774 حتى عام 1792 م .

ورة الفرنسية عام 1789 ، واعدم عام 1793 م .

إنما عندما تكون الشعوب في السجن وضعها فيه الحاكم فمن حقها أن تكسر السجن وتقتل السـجّان .)

الحكم وتأثرها بـ :
ين وتحول الخلافة إلى ملك عضوض :

الغزالي " عقدة صفين " وتأثر محاولة إصلاح الحكم عندنا بها ، فإنه يحق لنا أن نقف معها وقفة متأنية وأن اقدة ما تلاها ـ بالخصوص ـ أعني : ما أعقبها من انقلاب الخلافة إلى ملك عضوض لا لنجتر التـاريخ ن ونخطّـئ الآخر، وإنما محاولة منّـا لفهم الأمر بموضوعية وحياد ، بعيدا عن العاطفة والميل القلبي ، ولكي برا ومعالم نستفيد منها في عصرنا الحاضر.

يقا لما قال ـ وهو يتحدث عن الإنحراف في شكل الحكم هذا ـ :
الدولة أيام معاوية بن أبي سفيـان فاختفى النظام الجمهوري الرفيع ، وحلّ مكانه ما يشبه النظم الملكيـة رض الأخرى .
فق على تخطئة معاوية فيما صنع .
لافة بيعة حرة يختار لها أكفأ المسلمين لمنصب الرياسة .
لمين وعامتهم في هذا الرأي .

في شكل الدولة السياسي للدولة الإسلامية لا يعني تغيرا ما في الإسلام نفسه ، عقائده وشرائعه ، وكتابه ، وسنته

ذي احتل مقعد الرياسة ، أراد أن يثبت جدارته به ـ وإن جاء بطريق مفتعل ـ فتبنى المثل الإسـلامية ، والخارج أن يقيم أحكام الإسلام ويحترم معالمه كلها .
الإسلامي ينساح في المشارق والمغارب .
مية تقدم حضارة مشرقة يكون الإسلام لحمتها وسداها .
كراهية هؤلاء الرؤساء وصفهم بأنهم ملوك .

ون أنفسهم خلفاء عن صاحب الرسالة في إبلاغ الدعوة وسياسة الناس بالإسلام وتوجيه مصالح الدنيا إلى .

فهم في الحكم كانوا يجيئون بطريق ولاية العهد ، فإن هؤلاء الخلفاء كانوا يحرصـون علـى تصـحيح " " بتوفيـر بيعـة للخليفة الجديـد ، تجعل وجـوده نابعا من إرادة الأمة.) [311].

كيف نتعامل مع القرآن ، ص 95 .
معركة المصحف في العالم الإسلامي ، ص 56 ـ 57 .

طالعتي لكتاب الجابري " العقل السياسي العربي " أنه من أحسن من تناول هذه المسألة بالتحليل والنقـد ، ، عنه ما سطره ـ على طوله ـ وذلك لأنني رأيته تأصيلا وتعميقا لرؤية الغزالي في الموضوع ، إضـافة إلى حوى جملة من النقاط المهمة والتي لها صلة وثيقة بما نحن بصدد ذكره .

: (تروي المصادر السنية بكثرة حديثا نبويا شهيرا نصه : π الخلافة في أمتي ثلاثون سنة ، ثم تكون ملكـا

الحديث تجعل منه وصفا نقديا لتطور الحكم في الإسلام من الخلافة القائمة على الشورى ، إلى الملك القائم فإن المعنى السياسي الذي أراد أهل السنة ـ أو بعضهم على الأقل ـ تقريره من خلال هذا الحديث لـيس ذم، كما يتبادر إلى الذهن لأول مرة، بل هم يريدون إضفاء الشرعية على حكم معاوية ، المؤسـس الأول ومن خلال إضفاء الشرعية كذلك على الخلفاء الذين جاءوا بعده، أمويين وعباسيين وغيرهم، ومع أن هذا ث التي يسهل الشك فيها – وكثير من الفقهاء والمحدثين يعتبرون الأحاديث المتعلقة بالسياسـة أحاديـث – فإن من المثير للانتباه حقا أن نجد بعض المصادر السنية لا تكتفي بقبول هذا الحديث كحديث يقرر واقعا ه في إطار " دلائل النبوة " متخذة منه دليلا من الأدلة التي تثبت نبوتهρ باعتبار أن فيها إخبارا بالغيب، وهو ك بعد ثلاثين سنة ، وقد تحقق.

العضوض " الذي أقامه معاوية يكتسب شرعيته الدينية ، ليس فقط من " البيعة " التي كانت بـ " الإجماع " ته وتنازل الحسن له بـ " عام الجماعة "، بل من كونه أيضا تصديقـا لما سبق أن أخبر به النبي ρ .

يطرح نفسه في هذا الصدد ، بقطع النظر عن صحة أو عدم صحة هذا الحديث هو التالي : لماذا تحاول بعض ص ، إثبات شرعية " الملك " الذي أقامه معاوية بالرغم من أننا تجمع على أنه كان " انحرافا " عن " الخلافة لراشدين ؟

: إن ذلك يمثل الإيديولوجيا الرسمية لدولة معاوية والدولة السنية عموما ، وأن أهل السنة إنما قالوا بـذلك الخوارج ، الذين لم يعترفوا بشرعية حكم معاوية ، و حكم الذين جاءوا بعده " فضلا عن أن الخـوارج الست الأخيرة من خلافة عثمان وفي خلافة علي بعد التحكيم ، كما تطعن " الرافضة " مـن الشـيعة في كر وعمر وعثمان " .

عترض فيقول : وإذا لم نعترف بالشرعية للحكم الذي أقامه معاوية الذين من بعده إلى اليوم ، وقد كان من حكم بعدم الشرعية على الحكم في الإسلام منذ الخلفاء الراشدين إلى اليوم ؟ وماذا سيبقى بعد ذلك ؟.

ه التساؤلات والاعتراضات واردة كلها، ولكن هناك في الحقيقة ما هو أعمق من ذلك. فالضمير السـنّي معاوية ، أولا وقبل كل شيء بوصفه البديل الذي جاء ليضع حدا للفتنة التي كانت تدد وجود الأمة ككل

سنده ، ج4 ، ص 185 .

كدين، والتي اشتعلت في السنين الأخيرة من عهد عثمان لتتطور إلى حرب أهلية دموية قاسية، بين علي من
من جهة أخرى أولا ، ثم بين علي ومعاوية ثانيا .
و ملك معاوية كـ" إنقاذ " وكتجاوز لوضعية متفسخة تدد الإسلام ودولته بالانقراض .
ا نظر بموضوعية إلى ما حدث ، فإنه لابد أن يرى في " ملك " معاوية تأسيسا جديدا للدولة في الإسـلام

سيس الأول على يد النبيρ على أثر الهجرة إلى المدينة ، وكان التأسيس الثاني على يد أبي بكر من خـلال
ة أهل الردة وعدم التنازل لهم عن أي مظهر من مظاهر الإسلام كدين ودولة .
مان لتتحول إلى حرب أهلية مهددة بوضع اللادولة ، فجاء " ملك " معاوية لينهي هـذه الحـرب ويعيـد

مؤلفات السنية بتدبر وإمعان يشعر بأن هناك بين سطورها إحساسا بالارتياح إزاء معاوية، لا لأنـه كـان
ي طالب [313] بل لأنه برهن أو برهنت الأحداث على أنه كان أقدر منه ، إذ استطاع إنقاذ دولة الإسـلام
، إنه جدّد شبابا باستئناف الفتوحات ...إلخ .
لفات السنية على علي بن أبي طالب كبيرا وعميقا، ليس فقط لأنه ابن عم النبي ρ وزوج ابنته، بل أيضـا
خلقيته الإسلامية النادرة المثيل ، فإن " العقل السياسي " عند أهل السنة عموما لا يخفي امتعاضه وتألمه مـن
وكه السياسي، خصوصا زمن الفتنة وحين التحكيم.

مثال على ذلك ما قاله الحسن البصري " عميد أهل السنة والجماعة " عن علي ابـن أبي طالـب وقبولـه
لم يزل أمير المؤمنين علي رحمه الله يتعرّف النصر ويساعده الظفر حتى حكّم، فلم تحكّم والحق معـك ؟ ألا
ك وأنت على الحق " [314]
ضمير السني لا يتردد في " الاعتذار " لعلي ولغيره من الصحابة الذين تركوا الأمور تتطور إلى تلك الحالة من
ها مقتل عثمان وما تلاه من حروب أهلية .

: تعامل أهل السنة مع النتيجة التي أسفر عنها الصراع بين علي ومعاوية على أساس المبدإ القائـل : " إذا لم
ا يكون " ومن هنا نظروا إلى ملك معاوية من الجوانب الإيجابية فيه : فلقد استطاع معاوية أن يلم " شمـل
ي دولة قوية، وأكثر من ذلك " كان حليما وقورا ورئيسا سيّـداً في الناس كريما عادلا شهما "
ك فإن العقل السياسي السنّي عندما يمدح معاوية بهذا الشكل إنما يفعل ذلك قياسا مع بعض الملوك والحكام
وليس قياسا على سلوك أبي بكر وعمر .) [315].

ة يقولون بأفضلية علي بن أبي طالب على معاوية بن أبي سفيان رضي الله عن الجميع ، ولا معنى لهذا الذي يثبته الجابري ، ويحاول من وراء
عناق النصوص قسرا ، فالأحاديث الصحيحة التي وردت تخبرنا عن فضل الإمام علي كرم الله وجهه أكثر من أن تحصى ، فلتراجع في مظانها ـ
نن وغيرها من كتب السير ـ .

د بن يزيد المبرد ، الكامل (القاهرة: [د.ن]، 1937) ، ج2 ، ص 136 .

ابد الجابري ، العقل السياسي العربي محدداته وتجلياته ، ص 231 – 233 .

اديث المسوّغة للظلم والصبر على أذى الحكام ... :

ن في هذه المسألة – أعني - تأثر محاولة إصلاح الحكم عندنا بعقدة صفين أولا ... فكيف تأثرت ثانيا بمـا أحكام كثيرة تسوّغ الظلم وتجعل الخروج على الحكم كأنه الكفر أو دونه الكفر ، وهذه مسألة خطيرة في عليه الغزالي ـ

نه السياسة " كجميع فروع الفقه الأخرى بدأ بالحديث النبوي. ففي عصر الراشدين والعصر الأموي كان س الحكم من القرآن و " الأثر " عموما : وهو ما يروى من حديث وأخبار عن الرسول ، والصحابة كانوا النبي ρ في هذه المسائل بالذات واستفحل الخلاف في زمن الفتنة استفحالا هدد كيان المجتمع الإسلامي ، ة التي كانت تلتمس منها الشرعية الدينية لقضايا السياسة هي " الحديث " . كل فرقة وكل حزب وكـل حديث ما يضفي به الشرعية على موقفه السياسي . وهكذا راجت أحاديث ظاهرة الوضع تمدح أو تذم هذا هذه الفرقة أو تلك ...

ن الرجال الحديث قد نقدوا الروايات ، وميزوا بين السند الصحيح وغير الصحيح حسب مقاييس وضعوها ث إلى صحيح وغير صحيح ، وتحديد الدرجة بينها مسألة تم المختصين وحدهم .

ة والدعاة والخطباء والوعاظ والقصاص فهم يروّجون للحديث بسند أو بغير سند، والمهم عنـدهم هـو السياسية .

الحديث الموضوع لا يقل تأثيرا عن الحديث الصحيح ، بل ربما كان الأول أكثر تأثيرا لأن واضعه يصـوغه قضيته مباشرة ، هذا فضلا عن توظيف ما صح من سنده من الحديث توظيفا يخرج به عن نطـاق دلالتـه ' أسباب نزوله " إلى نطاق آخر ومجال آخر ، وذلك من خلال التعميم والتأويل والمماثلة...إلخ .

ا جانبا الأحاديث التي تروى في حق الأشخاص والفرق ، سواء على سبيل المدح أو على سبيل الذم ، لأن ي في الغالب ، وحصرنا انتباهنا في الأحاديث الأخرى التي تعالج المسألة السياسية في عمومها، وبدون تحزب تلك، فإننا سنجدها تتمحور حول موضوعين : ضرورة وجود الإمام ، ولزوم الطاعة له [316].

من الأحاديث التي تروى في هذين الموضوعين يمكن أن تكون قد وضعت لتخدم هذا الحـاكم أو ذاك ، في فإن هذا النوع من الأحاديث يعكس نزوع الضمير الإسلامي والسني منه خاصا إلى قبول " الأمير" كيفما

يث الصحيحة قوله ρ فيما رواه البخاري :

أميره شيئا فليصبر فإنه من خرج عن السلطان شبرا مات ميتة جاهلية ι وفي صحيح مسلم أن النبي ρ قال : π إنه سيكون هنات وهنات ، ن أمر هذه الأمة وهي جميع ، فاضربوه بالسيف كائنا من كان ι ، وفيه أيضا عن النبي ρ π سيكون أمراء تعرفون منهم وتنكرون، فمن عرف سلم ، ولكن من رضي وتابع ، قالوا : أفلا ننابذهم ؟ قال: لا، ما صلوا ι وفيه أيضا أنه قال : π من ولي عليه وال فرآه يأتي شيئا من معصية ي معصية الله ، ولا ي عن يدا من يده ι .

يظهـر الإسلام ـ حفاظـا على " الدولة "، لأنه بدون " الدولة " لا يستقيم الدين ، فكثير من الفرائض
أداؤها وتنفيذها على وجود الإمام : " صلاة الجمعة ، الحج، الحدود ، حماية الثغور ، الجهاد...إلخ " وفي
نضع الأحاديث التي تدعو إلى طاعة الإمام وعدم الخروج عن الجماعة بقطع النظر عن صحة الأحاديث أو

حث على ما يماثـل هذا الطرح في فكر الغزالـي فإننا نـجده يتجلى في التنبيه ـ وبحرص ـ على مـا
ذلك وبشكل أوضح حين نرى في كثير من كتاباته تقريعا ولوما قاسيا على كثيـر من المتحدثين في هذا
مـوا برسـم صورة مشوّهة للإسلام في ميدان " الحكم " عبر استدلالهم بأحاديث ظاهرة الوضع والشذوذ
أن (الداهية الدهياء في عصرنا هذا متحدثون هم بفكرهم وسلوكهم امتداد لزاويـة الإنحـراف الثقـافي
القريب والبعيد ، وبعضهم له إخلاص الدّبـة التي قتلت صاحبها ، وللبعض الآخر باع طويل في الإرتزاق
الحاكمين ...
نم يرسمون صورة الإسلام من أحاديث شاذة أو منكرة أو متروكة ؟
يدان الحكم أو لمظاهرة فرد مستبد .

هذا الحديث الضعيف ، نذكر نصّه ثم نعلق عليه .
أن النبيρ قال : π السلطان ظل الله في الأرض ، يأوي إليه كل مظلوم من عباده، فإن عدل كـان لـه
رعية الشكر ، وإن جار أو حاف أو ظلم كان عليه الوزر، وعلى الرعية الصبر ι [318]

ضعيف مخالف لسنن صحيحة كثيرة منها π لتأخذن على يد الظالم ، ولتأطرنه على الحق أطرا ، ولتقصـرنه
ليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض ، ثم ليلعنكم كما لعنهم ι [319].
إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهـم الله بعقاب منه ι [320].
ير المنكر بمراتبه الثلاث... [321].

مرفوض من ناحيتي الشكل والموضوع ، وهو إما منكر أو متروك ، ومع ذلك فقد نقله وروّج له بعـض
عن الإسلام .) [322].

ابد الجابري : (مصدر سابق)، ص356 – 366 .
ي الأوسط ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد : فيه الفيض بن وثيق وهو كذاب .
لمنذري وقال : رواه الترمذي من حديث ابن عباس وحسنه .
حديث عبد الله بن مسعود ، والترمذي بألفاظ متقاربة .
من حديث أبي بكر الصديق . وقال : حديث حسن صحيح ، باب : ما جاء في نزول العذاب إذا لم يغير المنكر . رقم : 2168 . ورواه أحمد
ماجة في سننهما .
ث أبي سعيد ، باب : بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان ، وأن الإيمان يزيد وينقص ، وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان .
داود والبيهقي .

ة ومسألة الخروج على الحكام :

السمع والطاعة وما يتبعها من فروع كمسألة الخروج على الحكام قد تحتاج إلى الشرح والتحليل الدقيق من قضية أحدثت ما أحدثت في التاريخ الإسلامي .

م موقفه من خلال النقاط التالية ـ والتي كان الشيخ يحرص على ذكرها وهو يخوض في قضـايا السـمع روج على الحكام [323]:

ع والطاعة التي سنّها الإسلام ، بل التي وضعتها نظم أخرى وطبقتها بصرامة ، لم يقصـد بـها إلا حفـظ اعة ، فكأنما أملت بها غريزة البقاء وضرورة الحياة. ولا مجال البتة لجعلها متنفس هوى جـامح أو شـهوة

ون السمع والطاعة لم يفترض في الأطراف التي تمثله إلا قيادة راشدة تنطق بالحكمة وتصدع بالحق وتـأمر ون النداء ويمنعون العوائق ويتممون الخطة . وبذلك تنتظم دورة القانون في الأمة كما تنتظم دورة الـدم في وتستقر الأوضاع .

لا لشيء إلا لأن القائد أمر ، وأمره واجب الإنفاذ ، منكر كبير وجهالة فاحشة لا يقرها شرع ولا عقل .

وردت في الصبر على أذى الحكام وعدم مفارقة الجماعة ، وردت في منع الفتـوق الجسيمة الـتي يحـدثها ولة ، الخارجون على الحكام .

وعانت خلافتهم الكبرى أقسى الآلام من ثورات الحانقين والناقمين ، وربما كان سقوط الحكم الإسـلامي ذه الانتفاضات الهائلة ...

عبد الرحمن بن عبد رب الكعبة قال : دخلت المسجد فإذا عبد الله ابن عمرو بن العاص جـالس في ظـل ون عليه فأتيتهم فجلست إليه فقال : .... قال رسول الله ρ π ...ومن بايع إماما فأعطاه صفقة يـده ، استطاع ، فإن جاء آخر ينازعه فاضربوا عنق الآخر ...ι قال : فدنوت منه فقلت : أنشدك بالله ، أنـت ل الله ρ ، فأهوى إلى أذنيه وقلبه بيديه وقال : سمعته أذناي ووعاه قلبي . فقلت هذا ابن عمـك معاويـة نا بالباطل ونقتل أنفسنا ، والله تعالى يقول :

منوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كـان ساء : 29] قال : فسكت ساعة ـ لحظة ـ ثم قال : أطعه في طاعة الله ، واعصه في معصية الله ... سياق

مائة سؤال في الإسلام ، ص 257 – 258 .

ص هذه النقاط : محمد الغزالي ، الفساد السياسي في المجتمعات العربية والإسلامية ، ص 58 – 67 . دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع .

.

ي توفير الأمن لحكم قائم ، وخليفة مبايع ، ومع ذلك فإن عبد الله رأى التمرّد على الحاكم فريضة إذا أمـر

تعاليم الإسلام ـ ونحن بصدد الكلام عن تغيير الحكام ـ أن نذكر القاعدة القائلة " إذا كان تغيير المنكـر
ظم ، فالإبقاء عليه أولى " . وذلك مصداق قوله تعـالى : [واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا مـنكم
، الله شديـد العقاب] [الأنفال : 25] .
زل التي تتبع إسقاط الحكومات قسرا بعيدة المدى . ومن ثم لم يرض الإسلام أن يشهر السـيف في وجـه
رات ملجئة . أبانا هو ولم يترك بيانا لتقدير أحد . بل إنه حبّب إلى المؤمن التضحية ببعض حقوقه الخاصة
أنحاء البلاد ، وإغلاقا لمنافذ الفتن .
بن الصامت قال : π بايعنا رسول الله ρ على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا وأثرة
لأمر أهله ـ أي نطلب الحكم من ولاته ـ إلا أن تروا كفرا بواحا عندكم من الله فيه برهان ι .
ون داعية لحاكم ما ، وأستعيذ بالله أن أعين بكلمة على بقاء وال جائر . غاية ما أبغي شرح قانون السـمع

موع النقاط هذه تحتاج إلى زيادة في الشرح والتفصيل ، وقد يتبين للقارئ أننا قد أطلنا في تحليل مسـألة "
م عندنا " ومدى تأثرها بعقدة صفين وشيوع الأحاديث المسوغة للظلم والصبر على أذى الحكام ، بيد أننا
ننا نعتبر بحق أنها مسألة هي من الأهمية والخطورة بمكان ، لذا فإنني لم أشأ أن أمر عليها مرور الكرام ، بـل
تلى بشكل واضح في أذهان المسلمين ، وتأخذ مكانها وبعدها الحقيقي في برامجهم السياسية المستقبلية .

وري للحاكم :

بمهمة الشعب في صنع القرار ، وقد نوقش في إطار تنظيري بحت ..
رعاجه من الطريقة المغرضة التي حشدت بها مرويات الفتن ، والتي كرّست دائما لأمـر طاعـة القائـد
تى بدا أن ذلك الوضع الذي يمكن أن يسمى " وضع الطوارئ " ، هو الحالة الأصلية التي تصـادر علـى
ب وحقه في المناقشة وإبداء الرأي ، والضغط في سبيل اتخاذ قرار ما ، وليست تلك هي الصورة الإسـلامية

ضييق نطاق الشورى لا يعدمون حجة ، إذ يتحككون بظاهر الوقائع والنصوص ، ليستنبطوا منها أن الرأي
طلاق وفي كل الحالات .

لة القائلين بعدم إلزامية الشورى للحاكم؟ نجد أن أهم حدث استند إليه المذهب القائل بعدم لزوم نتيجـة
ئيس الأعلى في الدولة الإسلامية هو صلح الحديبية: أي واقعة رفض الرسول ρ رأي صحابته يوم الحديبية ،

ـاء شروط تلك الهدنة ، فطالما أن الرسول قد اتخذ قراره بقبول شروط تلك الهدنة على علاتها... فـالرأي
لى الإطلاق[324].

أنـهـم يستندون إلى نص الآية التي تقـول: [وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكـل علـى الله] [آل
قصود من ذلك في زعمهم أن على الرسول ρ أن يمضـي بعد المشورة بتنفيذ ما عزم عليه هو ، لا الذي
م يكن مقنعا له. إضافة إلى أن كلمة [شاورهم في الأمر] يرون أنها محمولة على الندب والاستحباب فقط

في فهم الدلالات الشرعية المستقاة من وقائع هذا الصلح الهام ، فإننا سوف نتناول هذه المسألة بشيء مـن

ء نسارع إلى القول : بأن الأحكام المستقاة من هذه السابقة لن تكون صحيحة وسليمة إلا إذا نظرنا إليهـا

داث تلك السابقة نجد أن الأحكام المتعلقة بالشورى لابد وأن تستنبط من مرحلتين : مرحلة ما قبل " بروك
ما بعد بروكها " [325]. وذلك على التفصيل التالي :

ـرحلة ما قبل بورك الناقة : ففي هذه المرحلة كان الأمر أمر شورى بين المسلمين . ذلك أن النبي ρ لمـا
ب من عسفان ، وصلته أخبار بأن قريشا قد جمعت له الأحابيش والأعراب بقصد قتالـه ، وصـده عـن
ستشار النبي أصحابه قائلا : π أترون أن نميل على ذراري هؤلاء الذين أعانوهم ، فنصيبهم ، فـإن قعـدوا
ـين ، وإن نجوا تكن عنقا قطعها الله ؟ أم ترون أن نؤم هذا البيت فمن صدنا عنه قاتلناه .. ι فقال الرسول
ن ι [326].

من هذه المرحلة الأحكام التالية :
ـول ρ كان يستشير أصحابه إلى هذه المرحلة .
ـ عليهم القتال ، وتأديب الأحلاف الذين انضموا إلى قريش ، وبرّر وجهة نظره في استعمال العنف معهم .
ـحابة هم الذين آثروا السلم ، وأرجأوا القتال إلى أن يصدوا عن البيت فعلا .

ـحلة ما بعد بروك الناقة : أما عن هذه المرحلة : فإن ما حدث فيها قد قلب النيات والأوضاع :
ρ على ناقته القصواء يتقدم الركب ، ويستعد لما يتكشف عنه الغيب ـ ولو كان قتالا داميا في البيـت
تبرك ، فحاول الصحابة إرغامها على محاولة السير فأبت وتوقفت ، فقالوا خلأت .. فقال النبي ρ : π ما

ـي هذه النقاط : إسلامية المعرفة ، ص 115 .
ـيم راجع : محمد الغزالي ، الإسلام والاستبداد السياسي ، ص 73 – 75 .
ـح البخاري ، ج 02 ، ص834 ، وراجع ابـن القـيـم : زاد المعاد في هدي خير العباد، - مراجعة وتقديم : طه عبد الرؤوف ، مكتبة
1390هـ / 1970م ، ص 136 ، ج 2 .

بخلق ، ولكن حبسها حابس الفيل .. لا تدعوني قريش إلى خطة يسألونني فيها صلة الرحم إلا أعطيتـهم
زجرها فوثبت تسعى .
في هذه المرحلة أن ما حدث فيها كان هو بداية التحول ، إذ خرج الأمر فيها من دائرة الشورى العامـة
دائرة الوحي الإلهي ، وبدأ الرسول يتصرف مستفتيا قلبه الملهم وحده، مصيخا لتوجيه الله، ولو كان ذلك
ة، وما كانوا يطمحون إليه.
الرسول ρ في ردّه على معارضة عمر : أنا عبد الله ورسوله ، لن أخالف أمره ولن يضيّـعني .
الموضوع في هذه المرحلة قد خرج من ميدان الشورى ، وحدود الإجتهاد ، ودخل في دائرة الوحي التي لا

غزالي ملابسات تلك الواقعة نراه يؤكد (أن خلوء القصواء " ناقة الرسول ρ " وتقاعسها هو الذي حسم
ها حابس الفيل ι أي تدخلت الإرادة الإلهية في الموضوع ، وأخرجته عن مجال الشورى، واجتهاد الرأي.
ل كان يقول لأبي بكر وعمر πلو اتفقتما على رأي ما خالفتكماι [328] فإنه هنا خالف جمهور الصحابة ،
به الوحي ، وأصبح لا رأي فيه لبشر...
بد ، وافتأت على رأي الأمة مستشهدا بما حدث في الحديبية ، فيجب أن يصفع بحد السيف لا بباطن اليد ،
نشهد له بدليل من دين الله) [329].
رى أن الاستدلال بذه الحادثة الهامة على المذهب القائل : بأن الشورى معلمة غير ملزمة في نتيجتها لـولي
ء نفسه ، ولا يصلح دليلا لمن ادعوا تلك الدعوى العريضة، والتي لا تسندها حجج معتبرة من نقل أو عقل

ء الناقة والوحي أمرا لا يتعلق إلا بشخص الرسول ρ ، وبمثل تلك الواقعة، فإنه يكون الاستثناء الـذي لا
ولو كانت الشورى لا تلزم لتراجع الرسولρ عن عزم صحابته بالخروج لقتال الكفار يوم أحـد، وهـو
حد أسباب الكارثة، ولقد ارتضى رسول الله ρ دفع ذلك الثمن الباهظ ليؤكد إلزامية الشـورى لحكـام
آن يقر ذلك التصرف النبوي ويشيد به في قوله تعالى: [فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فضا غلـيظ
حولك، فاعف عنهم ، واستغفر لهم ، وشاورهم في الأمر، فإذا عزمت فتوكل على الله] [آل عمران:159

رسول ρ هو الذي حدد مناط العزم ، وهو عزم الجماعة لا الفرد.

خص آية [وشاورهم في الأمر] [آل عمران : 159]، فإن الغزالي ينقل عن علماء التفسـير في شـرحها
هذه المشاورة مع كمال عقله وجزالة رأيه ، ونزول الوحي عليه ، ووجوب طاعته على كافة الخلق فيمـا

، من حديث المسور بن مخرمة ، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط . رقم : 2731ـ 2732 ، وأبـو داود في
، رقم : 2765 .
مسنده ورجاله ثقات ، وجاء فيه لفظ : π لو اجتمعتما في مشورة ما خالفتكما ι ، ورواه الطبراني في الأوسط من حديث البراء بن عازب
ال لأبي بكر وعمر : π الحمد لله الذي أيدني بكما ولولا أنكما تختلفان عليّ ما خالفتكما ι
الإسلام والاستبداد السياسي ، ص 75 .

، أجابوا بأن القصد : شاورهم فيما ليس عندك من الله فيه عهد ، من شؤون الدنيا وسياسة الحرب والسلم
تستعين بخبرتم ، فيتمحض لك الحق الخالص .
لقلوبم وتدعيما لأشخاصهم ، مما يجعلهم عليه ألطف وأحب ، ولتستن من بعده الحكام فلا يهملوا الرعية
دبيرها .
" ما رأيت رجلا أكثر استشارة للرجال من رسول الله "
ن كل ما نزل فيه من الله وحي لم تقع فيه مشورة، فهو حكم لا معقب له)[330].
في جميع ما كتب ومنذ وقت مبكر إلى القول بإلزامية الشورى، بل رأى القول بأنا معلمة سيعطى سلاحا
بالإنسان المسلم كما يشاءون .
لتمييز بين تعاليم الإسلام ، ومسالك الحاكمين باسمه أو المشتغلين بعلومه .
ـض ما نشـره أن رجـلا كاد يقاتله لأنـه احـتقـر الكلمة الـ ـشائعـة " الـشورى معلمـة لا
لمة قادت الأمة إلى الهاوية في عصور طويلة .
يخ إلى اعتقاد هذه الرؤية السياسية الناضجة انطلاقه من أن الأساس بين الحاكم والمحكومين هو عقد يلتزم
بق المصالح العليا للأمة .
وجه الجبابرة الذين فرضوا أنفسهم على الأمة وكبّـلوها لصالح أعدائها ومنعوها من الإبداع والانطلاق ،
جيشها ، وفعلوا بها ما لم يفعله الاستعمار الإنجليزي والفرنسي والإيطالي ، واستباحوا كل شـئ فيهـا ،
اني انحدر إليهم ـ ملكية خاصة ـ عن آبائهم وأجدادهم ولم يتورعوا عن كل صور الإذلال والقهر، غير
لا فقه الفقيه، ولا حقوق المواطنة، ولا إنسانية الإنسان[331].

ن الديمقراطية في تحقيق مبادئ الشورى:

خوض غمار هذا الموضوع أن أعالج نقطة مهمة أرى أنه يجب أن تستجلى في مثل هذه المواطن ، تلك هي
أنم ليسوا ضد اللعبة الديمقراطية، واعتقاد الخصم أن ليس ذلك إلا تكتيكا منهم تقتضيه ظروف المرحلـة
في موقف المطالب ، فإذا تصدروا وأصبحوا في موقف الغالب نكصوا وبطل ما كانوا يدعونه .
ا الانشغال على صيغة السؤال التالي :
اصل بين الدخول الشكلي للعبة الانتخابية ، واستثمارها في الوصول إلى السلطة والانـدماج الفعلـي في
تماعي المؤسس لنمط المشاركة التعددية ؟.

ن هذا السؤال شرط في تبرير أو رفع هاجس الخطر الذي يواكب كل انتصـار يحققـه الإسـلاميون في
لية في الوطن العربي . والذي لا مراء فيه هو أن الإسلاميين ليسوا عناصر سلة واحدة ، بل مـزيج شـديد
لمنطلق والمصالح ، بحيث لا نجد مسوّغا للخلط بين التيار المتشدد الذي ينهج النظرة الماضوية الضيقة رؤيـة

المرجع نفسه ، ص 76 .
يس ، الشيخ محمد الغزالي ، ص 120 .

والفكر التنويري القائم على التحليل المقاصدي ، والفصل بين الدين من حيث هو تعبير عن ثوابت الإيمان
لاقة الإنسان القارّة بالمطلق والمقدس ، والتدين الذي هو كسب بشري لا قداسة له ، وإن انطلق من الدين
فضاء للتأويل الثري ، والقراءة المتعددة ، وهو " ما نزل ومازال يت ل " كما يقول أحد أعلام السـلف ،
نص ، إنما تعكس وضعية القارئ وأفقه النظري وم لته التاريخية والاجتماعية ..) [332]
المنحى بعض أعلام الفكر الإسلامي المعاصر مثل : الشيخ محمد الغزالي ، والدكتور يوسـف القرضـاوي

كيف يحاول الآخر إحتكار القيم الإيجابية للديمقراطية ويجهد في محاولة إلباس الإسلاميين جماـة وتفصـيلا
ستبدادية إن على مستوى الفكر أو على صعيد الممارسة ، وقد لا ننكر أن يوجد هذا المستبد مستقبلا في
ي تتبنى الإسلام حلا لمشكلات الـتمع ـ هذه المشكلات التي أضحت أعقد من ذنب الضب ـ ، لكن إن
وجوده ظنا وتخمينا ، فلقد رأيناه على مستوى كثير من السلطات عندنا ، أو عند غيرنا واقعا حقيقيا مشينا

القانونية والواقعية الموجودة في الفكر السياسي الإسلامي إضافة إلى العدالة المشترطة في المسؤولين ، سيجعل
ميين السياسية ما هو أقرب إلى تحقيق العدالة والحرية ، من كثير من الأنظمة التي درسنا عنها ، أو عايناهـا
.

از وثقة ما مر بنا من قبل وهو أن ما تحتوي عليه الديمقراطية من عناصر أو أفضل ما تتميز به من صفات ،
لأنه إن كان يراد بالديمقراطية أنا : حكم الشعب بواسطة الشعب من أجل الشعب ـ كما قال لنكولن
ـ ولا شك ـ في نظام الدولة الإسلامية باستثناء أن الشعب ينبغي أن يفهم في الإسلام على نحو معـين

هدون بسبق الإسلام الديمقراطية في تقرير القواعد التي يقوم عليها جوهرها، ولكنه ترك التفصيلات لاجتهاد
ل دينهم ، ومصالح دنياهم ، وتطور حياتم بحسب الزمان والمكان ، وتجدد أحوال الإنسان .

بة أنا اهتدت ـ خلال كفاحها الطويل مع الظلمة والمستبدين من الأباطرة والملوك والأمراء ـ إلى صـيغ
اليوم ـ أمثل الضمانات لحماية الشعوب من تسلط المتجبرين.
شرية ومفكريها وقادتا، أن تفكر في صيغ وأساليب أخرى، لعلها تتدي إلى ما هو أوفى و أمثل ، ولكـن
يتحقق في واقع الناس، نرى لزاما علينا أن نقتبس من أساليب الديمقراطية مالا بد منـه لتحقيـق العـدل
حقوق الإنسان، والوقوف في وجه السلاطين الظالمين في الأرض، ومن القواعد الشرعية المقررة: " أن مـالا
هو واجب " وأن المقاصد الشرعية المطلوبة إذا تعينت لها وسيلة لتحقيقها، أخذت هذه الوسـيلة حكـم
شرعا ما يمنع اقتباس فكرة نظرية أو حل عملي، من غير المسلمين، فقد أخذ النبي ρ في غزوة الأحـزاب

المؤتمر القومي ـ الإسلامي الأول ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ص 454 .

ن " وهو من أساليب الفرس واستفاد من أسرى المشركين في بدر " ممن يعرفون القراءة والكتابة " في تعليم
بة، برغم شركهم ، فالحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق بها.
س من غيرنا من الأفكار والأساليب والأنظمة ما يفيدنا ، مادام لا يعارض نصا محكما، ولا قاعدة شـرعية
ر فيما نقتبسه، ونضيف إليه، ونضفي عليه من روحنا ما يجعله جزءا منا ، ويفقده جنسيته الأولى [333].

ي الذي نذكره يرى الغزالي : (أن الشورى برزت في دولة الخلافة في صور شتى وليس المهـم أي طـراز
مهم أن نوفر الضمانات والأساليب التي تجعل الشورى حقيقة مرعية فيختفي الفرد المستبد، وتموت الوثنيات
لرأي الصحيح دون عوائق، ويتقدم الرجل الكفء دون أحقاد...

رى أينعت ثمارها في أقطار واسعة وراء دار الإسلام. ونحن نطلب الشورى ، ونريد اعتبار الوسائل المؤديـة
لى أساس من القاعدة الفقهية: مالا يتم الواجب إلا به فهو واجب. ويتقاضانا ذلـك وضـع تفاسيـر
لأمر والنهي، وتغيير المنكر، ومقاومة مرتكبي الكفر البواح ، وتوضيح الفروق الدقيقة بين المعارضة المشروعة
نيان المتمع ، أو بين النقد الواجب والخروج المسلح...) [334] .

فقهاء المسلمين على تسمية أهل الشورى بأهل الحل والعقد، وتلك التسمية تعبر عن مفهوم تاريخي نشأ في
ظروف الهجرة النبوية وتأسيس الدولة الإسلامية الأولى ، وليس بلازم أن يسمى بهذا الاسم من يناط بهـم
صاصات ما كان منوطا بأهل الحل والعقد في الدولة الإسلامية الأولى ، ولكن الواجـب أن يقـوم بهـذه
صات نفر من الأمة يؤهلهم لذلك – في كل مجتمع أو زمان – ما يحتاج الواحد منهم إليه من ضـرورات
ام بهذا الواجب [335].

ض السلف قد عرف الشورى بأنها " مذاكرة أهل الرأي في الأمر ثم اتباعهم" .
ي لها هو: " إتخاذ القرارات في ضوء آراء المختصين ، في موضوع القرار في كل شأن من الشؤون العامـة

ذه المفاهيم ينبغي أن يفهم ممن يتكوّن مجلس أهل الحل والعقد وأن تدرك وظيفتهم بحق، (لأنه قد وجد من
أهل الحل والعقد ينبتون من تلقاء أنفسهم، كما تنبت الدّنيبة في حقول الأرز ، فهم نبات شيطاني لا يزرعه
هدفا واحدا ، أن الأمة قطيع يقوده حاكم فذ ، له من أسباب الرغبة والرهبة ما يطوع له كل شيء ، فهم
ه سيف المعز وذهبه.) [336].

، نقلا عن فتوى للقرضاوي ، في كتاب : الحركات الإسلامية والديمقراطية ، ص 53 – 54 .
السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث ، ص 168 - 169 .
يا ، في النظام السياسي للدولة الإسلامية ، ص203 .
دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين ، ص177 .

، بعد هذا يدعو العلماء والدعاة والمفكرين إلى التفكير بطريقة معقولة، وهذا حتى تكون الشورى في مواضع
قة السليمة لتكوين أهل الحل والعقد ، مع الاستفادة من تجارب الآخرين. وأن لا يكون الأمر كما يطـرح
ولي الغيرة حين سأله الغزالي مداعبا: (هل الشورى ملزمة للحاكم؟

رى ؟
العقد.
جلسهم؟
قال: يكوّنه الحاكم !
ارون يختارهم الحاكم برغبته ، وله حق أن لا يلتزم برأيهم .
الدينية ؟) [337].

عوة الإسلامية تستقبل قرنا الخامس عشر ، ص 108 .

الحريـات وحقـوق الإنسـان.

:

حريات العامة من أهم مباحث القانون الدستوري الذي يعد بدوره أبا القوانين [338].

ت العامة بالحريات الأساسية التي يخوّلها الدستور للمواطن ، ويصونها له ضد التجاوزات ، ومختلف ضروب
رض لها ، سواء من قبل الأفراد أو السلطة ، كما تشير الحريات إلى مجموع الحقوق الأساسية ، والفرديـة
والمواطن في الدولة [339].

رون على الاجتماع بسبب ما هم عليه من عجز طبيعي عن استقلال الواحد منهم بأمر تحصـيل قوتـه ،
عن ترقيته [340].

وجود السلطة فيهم كي تزع بعضهم عن بعض[341].

شكل هذه السلطة خطرا حقيقيا على قيمة أساسية في حياة الإنسان ؟ أعني حريته ، فكيف السبيل إلى منع

السلطة في الجماعة يقسمها إلى حاكم ومحكوم وآمر ومطيع ، فعلى أي أساس تقوم هذه العلاقـة ؟ ولأي

همات السلطة الدفاع عن الجماعة ضد أعدائها وحفظ الانسجام والتوافق داخلها . فكيف تـتم وحـدة
ى أمنها ، دون مساس بالحقوق الخاصة والعامة ، طالما أن السلطة تميل بطبيعتها إلى التوسع والهيمنة ؟ [342].

ن الخاص والعام ؟ وكيف تصان الحياة الخاصة للفرد في ظل الدولة ؟
سي هو مشكل شعب في مواجهة سلطة "

الإشكاليات التي يطرحها الفكر السياسي والتي سنحاول تناول أهم مواضيعها من خلال المباحث التالية .

كيالي { وآخرون } ، موسوعة السياسة . ج 2 ، ص 241 وما بعدها.. .

، الحريات العامة في الدولة الإسلامية ، مـركز دراسـات الوحدة العربية ، بيروت ، ط 1 ، آب/أغسطس 1993 ، ص23 .

مبدأ وهو(وجوب وجود سلطة وازعة) من البداهة بمكان لدى السلف . والأدلة على ذلك متوافرة إن على مسـتوى السـلطة التشـريعية
ل سيدنا عثمان (إن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن) .

لسلطة القضائية ، فهذا الحسن البصري لما ولي القضاء قال للناس : لا بد للسلطان من وزعة أي : أعوان من القضاة وغيرهم ، ليقيمـوا أمـر
والقسط .

: المرجع السابق ص27 .

ن (مرجع سابق) ، ج2 ، ص 242.

ـ ـات الـ ـسياسـية:

لحقوق والحريات السياسية في المصطلح الدستوري أن تكون الأمة مصدر السلطات ، وصـاحبة السـيادة ئم ، سواء عن طريق اختيارها الحاكم ومراقبته ومحاسبته ومشاركته ، أو في عزله [343].
هي جملة الحقوق اللازمة ، المعترف بها من الدولة للمواطنين في حق المساهمة في الحكم ، بالضغط عليـه ، ى الانتخابات المباشرة والحق في الإعلام والاجتماع والتحزب والتنقيب [344].

حقوق الإنسان بين تعاليم الإسلام وإعلان الأمم المتحدة " تناول الغزالي هذه الحقوق والحريات، وذكر في ية السياسية تعني في عصرنا هذا أمرين :
ق كل إنسان في ولاية الوظائف الإدارية صغراها وكبراها ما دام بكفايته أهلا لتوليها .
كل إنسان أن يبدي رأيه في سير الأمور العامة، وتخطئتها أو تصويبها وفق ما يعتقد .
سية بشقيها تقوم على أن المناصب المختلفة ، وسائل لخدمة المجتمع ، وأن من يشغلها موضع الرقابة الدقيقـة

لام لا يفهم وظائف الحكم إلا داخل هذا النطاق المحكم .
ونه من الموظفين أشخاص تختارهم الأمة ، ولا يفرضون عليها أبدا ، وهي تختارهم لما تتوسمه فـيهم مـن مال التي تسند إليهم ، وتعطيهم نظير ذلك أجرا يقوم بأودهم ، ويكفل معايشهم وأولادهم . وهم بـاقون حقون أجرتا ما بقيت لهم هذه الصلاحية ، وإلا نحّو عنها وخلفهم عليها من يقدر على أعبائها ...) [345].

شر حول "حقوق الإنسان بين تعاليم الإسلام وإعلان الأمم المتحدة " خص الشيخ قضيتي المساواة العامـة بيرة تزيد عن ثلث الكتاب ، فعالج المساواة العامة في النواحي السياسية والمدنية ، وفند مقولات التمييز بين ا مفتعلة ثم تحدث عن الحقوق القضائية ، وهي التي تقضي بخضوع الحاكمين والمحكومين جميعا لقضاء واحد نحو ستين صفحة عن الحريات من جوانبها المختلفة السياسية والفكرية والدينية والمدنية معا ، وتأمين مسيرة ومسيرة الحضارة الأوربية .

ة حقيقة حكم الردة ، وكيف أنه إذا كان ارتدادا إلى الماركسية أو إلى الوجودية أو إلى أية نحلة أخـرى ، لمجتمع ، وفلسفته الدنيوية والأخروية .
يكون أمرا قلبيا وحسب ، وإلا لما أحس به أحد ، فهو في الأغلب الأعم ستار نفسي للتمرد على العبادات ، بل على أساس بناء الدولة نفسها وموقفها من خصومها الخارجيين، ولذلك كثيرا ما يرادف الإرتداد حرية الي تكون مقاومته واجبا مقدسا .

حد وافي، حقوق الإنسان في الإسلام ، ص 21 ط4 مزيدة ومنقحة ، القاهرة : دار نهضة مصر ، 1967 .
طالب ، المرجع في القانون الدستوري والمؤسسات السياسية ، ج2 ، ص146 . الدار البيضاء ، دار الكتاب ، 1980 .
حقوق الإنسان ، ص 45 -46 .

شيخ الغزالي قضية المرأة في نطاق حقوقها الاجتماعية في نطاق تكوين الأسرة، والدور المنوط بالأسرة فيها ة ،والحقوق الاقتصادية ، والحقوق الثقافية والتعليمية ، مقارنا بين الفكر العقلي البحت ، وبين الوحي ثل في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان ، والثاني يتمثل في حقوق الإنسان في الإسلام . وكان الشيخ منطلقا يه الموسوعي ، ومن رؤيته الإسلامية الناضجة . لا يكاد يخرج في مصادره عن كتاب الله وسنة رسوله مع ذلك فهو يقدم فكرا يؤمن به أصحاب العقول ، ولا يماري فيه إلا الجامد الجهول ، أو الجاحد المدخول

ـ في قواعدها التشريعية والتاريخية ـ هي حضارة الحرية ...وحتى في ظلال القبيلة كان الإنسان حرا ، في ظل الإسلام كان المسلم يقول للخليفة على المنبر " لا سمع ولا طاعة " ، ولا يساق إلى أبشع وسائل

يعترض على عمر بن الخطاب ، ويعترف عمر بخطئه ـ لكن مصطلح الحرية ـ قد غاب فترة من تاريخنا ، لأوربية بمفاهيمها ، بحيث أصبح من المحتم عند تتبع مصطلح الحرية التعرف على الدلالات المختلفة التي ار الإستعمال التاريخية التي مر بها .

، أن الحرية هي غياب المعارضة ، بالنسبة للشخص ، أي أننا نشعر بحريتنا حين نحس بأن أحدا لا يراقب ن قدراتنا التصرفية ..

وا على النظم الإرهابية بأنها النظم المطلقة ، أي الحرة التصرف في الجماهير وفق هواها . ولا تعارض بين في الحقيقة يكمل بعضهما البعض .

ول هي نفسها حرية ذلك في أن يعترض ... أي أن يقول رأيا آخر ...

دهما وسائل خارجية بعيدة عن القول ، لكي يمنع الآخر من القول كما يشاء .

تعني فقدان الضوابط وتوازنها ، بحيث لا تكون الضوابط ملزمة للمحكوم فقط ، بل ملزمة للحاكم د التي تمنع الإنسان من الإساءة إلى نفسه أو إلى غيره هي قيود مرغوب فيها عموما ، وقيود القانون العادل وحيث يسود " لا قانون " تسود بالتالي " لا حرية ".

بر الحرية الاجتماعية المقننة ، والحرية الاقتصادية المقننة ، والحرية الفكرية المقننة ...عوامل هامة لاستكمال ن الحرية السياسية لا تقوم في فراغ .

ذلك أن الحرية " سياسيا " هي أن يتاح للمواطن الاشتراك في حكم نفسه ، بقدر ما تسمح له مجموعة والدولة الحرة السياسية هي التي تصبح دولة الشعب تحت مظلة الشريعة الإسلامية .

عويس : الشيخ الغزالي .. ص 133 .

رية أصلية في تصورنا الإسلامي ، وحضارتنا الإسلامية . ليس بمعنى " تحرير الرق " ـ فقط كما زعم بعض بالمعنى الإنساني العام ، الذي ترجمه خير ترجمة الخليفة عمر بن الخطاب في عبارته الشهيرة : "متى اسـتعبدتم هاتم أحرارا . " [347]

السياسي في المجتمعات :

ا إذا قلت أن الشيخ الغزالي كان من أكثر الدعاة والعلماء إحساسا بقيمة الحريات، كما أنه كان من أشد ء التي تغيب فيها هذه الحريات ، وتسود فيها أنواع الحكم الإسبدادي .

رة أقوى من عباراته الآتية، والتي تحمل في طياتها هذا التقدير للحريات والاحتقـار للاسـتبداد وذيولـه الله : "وعلى أية حال فإنني سوف أعد من كبائر الإثم والفواحش، تزوير الانتخابات، وكبت الحريـات، اهير، وسأسلك هذه الجرائم مع أنواع الخنا والربا، والسرقات الكبرى، وسأعتبر الحياد في مواجهـة هـذه ورسوله ولجماعة المسلمين... "[348] .

جل هذا وغيره كان الشيخ مثلا يود أن لو تم تفاهم بين الهيئتين الشعبيتين : أي حـزب الوفـد وجماعـة ن كانتا تستحوذان على القاعدة الشعبية المصرية ـ: وما أحب هذا التفاهم إلا لشيء واحد، هو ضمان بقاء مصر سنة 1923، والذي يوفر للمصريين من الحريات ـ لو نفذ ـ ما يمنع الفرعنة ، ويحمي المستضعفين من

د إعتقادا لا مرية فيه أن الداعية خاصة لا يحتاج إلا للحرية لأداء واجبه، وإنجاح رسالته، ويوم يفقد الحرية

يحتاج إلا لهذه الحرية كي ينتشر وينتصر. وإذا كان بعض الفاشلين في العرض أو القاصرين في الفقه يخشون وا ميدانا لا يستطيعون أعباءه، وليحترفوا شيئا آخر غير الدعوة الإسلامية ... [349]

الثابتة أن حقوق الإنسان وحرياته الأساسية لصيقة بشخصه، وأن كمال إنسانيته ونقصانا مرهونتان بقدر ق، وما ينعم به من حريات، ومن هنا قيل : الإنسان بحقوقه وحرياته، فإذا كان يملك كل الحقوق انيته كاملة ، وإذا افتأت أحد على حق من حقوقه أو حرّيـة من حرياته الأساسية أو انتقص منها ، كان

ص 131 ـ 132 . وانظر : حقوق الإنسان في الإسلام ، ل عبد الحليم عويس، ص 13 ـ 15 . نشر المكتبة السعودي للأبحاث والتسويق .
، ص 190.
ص 188.

ن في هذا الانتقاص انتقاص واعتداء على إنسانيته ، وكلما تعددت الحقوق والحريات التي تسلب من الإنسان
ن إنسانيته بنفس ذلك القدر [350].

، أن الإنسان الذي لا يتمتع بحقوقه وحرياته الأساسية لا يشعر بحضـور فعّـال في الوسـط الاجتمـاعي
ش فيه ، بل بالعكس من ذلك إنه سيشعر بالاغتراب الاجتماعي والسياسي ، وما يترتب على هذا الشعور
ة واكتراث بقضايا الجماعة الكبرى ، إن على الصعيد الداخلي أو على الصعيد الخارجي ، وبذا لا يمكـن
نصرا نافعا وفعالا في مجتمعه ، فلا يستطيع أن يقدم لوطنه ما بوسعه تقديمه من إبداع وخير لصالح الـموع .
اريخ النظم السياسية تصل إلى حقيقة مؤداها : أن الاستبداد السياسي هو مكمن الداء في انتقاص أو انعدام
لأساسية للأفراد . فما من ثورة قامت ، ومامن نظام سياسي انار إلا وكان انعدام الحريـة السياسـية ـ
الواقعية ـ هو بداية النهاية لأي تنظيم سياسي ذلك أن انعدام الحرية السياسية تعقبه الكثير من التـداعيات
، النهاية إلى انيار النظام السياسي القائم .

ة تصاب الجماعة باستبداد سياسي يصاب به الحاكم ، فتمارس الحرية في دائرة مغلقة ، فتنعدم معها كـل
، وتضيع كل أو معظم مظاهر الحرية السياسية التي تمكن أفراد الـتمع السياسي من المشاركة الفعليـة في
هم ، في إطار المقوّمات الأساسية التي ارتضوها .
لاستبداد السياسي وانعدام الحرية السياسية ضياع الحقوق والحريات الأساسية للأفراد .

ي الذي يمارس الحرية في دائرة مغلقة ، لابد وأن يتنكب الصواب فينكل بمن يتصور أنم خصومه ـ حـتى
صومه ـ ولا يعبأ بالحريات الشخصية أو بغيرها من الحريات الأخرى .
حرية السياسية والحقوق الأساسية ، ضياع في العدل الاجتماعي .

آل السلبي للعدل الاجتماعي هو أن الاستبداد السياسي لابد وأن يفرز ـ بحكم طبيعته ـ فئات صـغيرة
وتؤيده ، وتزين له صنيع أعماله ، وقد تتكون هذه الفئات الصغيرة من شرائح اجتماعية مختلفـة، وهـذه
وأن تتمتع بامتيازات كثيرة ، وتتسلط على الكتل الشعبية التي لا تدخل في الدائرة السياسية التي استأثر با
نشاء من مزايا السلطة والثراء والجاه، ويترتب على هذا الوضع اهتزاز في القيم والمساواة ، فتكون التوترات
دية والسياسية هي الأمر المؤكد في هذه الحالة [351] وفي النهاية ينهار النظام السياسي بثـورة أو بـانقلاب
الأمة خائرة القوى أمام التحديات الكبرى ، داخليا وخارجيا [352].

، راجع : حسين جميل ، حقوق الإنسان في الوطن العربي ، سلسلة الثقافة القومية ، رقم 1 ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، طبعة
1 – 13 . وانظر : صالح حسن سميع : أزمة الحرية السياسية في الوطن العربي ، " المقدمة " ص 7 .

، راجع : مصطفى أبو زيد فهمي ، فن الحكم في الإسلام ، المكتب المصري ، طبعة 1981 م ، ص 435 – 454 . وانظر : صالح حسن سميع
) ، ص 8 – 9 .

يع : (مصدر سابق) ، ص 8 – 9 .

ى الأخير تحديدا ـ أي الطبيعة الجامعة بين الاستبداد السياسي والطغيان الاقتصادي أو ما سماه الغزالي بـ " القارونية الكانزة " ـ يقول الشيخ : (..تلوت سورة القصص ، وربطت آخرها بأولها ، فرأيـت أن الله ـاد السياسي والطغيان الاقتصادي في قصتي فرعون وقارون ، ثم ساق هذا القانون الحضاري الصارم [تلك للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين] [القصص : 83]. إنه بعد عشر صـفحات لحافل قرر هذه الخلاصة : أن الاستعلاء والفساد يستحيل أن يأتيا بخير ، كل فرد مزهو بنفسه ، فوضوي في دارته ، ظالم لغيره، ناس لربه، لابد أن يجني الويل من هذه الخلال ...) [353]

قل النص التالي على طوله ضميما إلى ما سطرناه آنفا ، والذي يتحدث فيه الغزالي عن آثار الاسـتبداد في ، وعقبى التفريط في وجود الحريات ، وإن كنت أعتقد يقينا أن مباحث الاستبداد والحريات السياسـية في ى جهد ودراسة خاصة ، يبحث فيها عن مواصفات الاستبداد والمستبد في فكره ، وكذا رصد مظـاهره ، حياة الفرد والمتمع في عصرنا الحاضر، وعلى امتداد تاريخ أمتنا الإسلامية [354] . لننتهي بتصـور واضـح ستبداد أو" أزمة الحرية السياسية " على ضوء المقومات الأساسية وقواعد الشرعية التي تؤمن بـها القواعـد

تي تحدونا أن نجعل هذا الموضوع مستقلا بدراسة خاصة هو ما يذكره الغزالي نفسه من أنه لما أفرج عنه في ن يعيد تحرير الدروس [355] التي ألقاها في معتقل الطور على فريق ممن اعتقلوا معه ليكون بحثا علميا مجـردا فة التي بدأ فيها. ، وحسب ـ بعد الهجمات التي كان يشنها قائد المعسـكر للإرهـاب والإذلال ـ أن بخوض هذا البحث قد انتهت بالإفراج عنه، لكنه كان في هذا الزعم واهما ، إذ كانت ذكريـات المنفـى ، وعودة الغيوم إلى الآفاق أسرع مما يتصور .
ى يقال أنا عادت ؟ [356].
ذه الدروس على أسس علمية بعيدا عن المؤثرات الخارجية بشتى أنواعها ، ولئن استطاع أن يتحرر من كثير ، ما قدر أن يتنصل ويتحرر من الأشجان التي تركتها في نفسه وأمته ممارسات العصور المستبدة ، التي كان

الطريق من هنا ، ص 18 .

داد في فكر الغزالي نعتقد ـ كما نبهنا إلى ذلك مشكورا أستاذنا يوسف بلمهدي ـ تحتاج إلى دراسة مستقلة ، لأن هناك أنواعا أخرى من الشيخ في مجموع كتاباته ، نستطيع أن نعد منها : الاستبداد عند أتباع الديانات عموما ، الاستبداد داخل الحركات الإسلامية ، الاستبداد ـفية ، الاستبداد داخل الأسرة الواحدة ، والاستبداد الـحف في العشيرة أو القبيلة عموما .. إلخ .

ـض إلا لذكر الاستبداد السياسي على وجه الخصوص ، وهذا لعلاقته الوثيقة بموضوعنا قيد الدراسة وهو " الفكر السياسي " ، فحبذا لو حثين لمعالجة هذا الموضوع ودراسته في رسالة مستقلة .

يما بعد في كتابه الموسوم بـ " الإسلام والاستبداد السياسي " . وهي بعض ما كان يلقيه على المعتقلين في **"طور سيناء"** ، والكتاب نابض ساوئ الحكم الفردي الغشوم، ومفعم بالتوجيهات الإسلامية في سياسة الحكم...

الإسلام والاستبداد السياسي ، ص 25 .

حدث باقتضاب في أحد كتبه عن الجو الاستبدادي الكالح وآثاره المدمرة ، يحبذ أن لو تولت لجنة جامعيـة
الفردي على الفكر الإسلامي في شتى العصور ..
ع أن يتوسع في هذا البحث أكثر لأسباب ما [357].

الذي آثرنا أن ننقله لأنه يحوصل رأي الغزالي في الآثار السلبية للاستبداد إن على صعيد الفكـر أو علـى
ول الشيخ ـ رحمه الله ـ : تحت عنوان " الاستبداد يشل القوى " :
ساد بلاد الإسلام من بضعة قرون كان طرازا منكرا من الاستبداد والفوضى..
ت الطبيعية ، وخارت القوى المادية والأدبية ، وسيطر على موازين الحياة العامة نفر من الجبابرة أمكنتـهم
لبوا الأمور رأسا على عقب ، وأن ينشروا الفزع في القلوب ، والقصر في الآمال ، والوهن في العزائم ...
دادي تدمير للدين وتخريب للدنيا ، فهو بلاء يصيب الإيمان والعمران جميعا .
الظل تختنق الأرواح والأجسام في نطاقه حيث امتد . فلا سوق الفضائل والآداب تنشط ، ولا سوق الزراعة

حكمنا بأن الوثنية السياسية حرب على الله وحرب على الناس . وإن الخلاص منها شيء لا مفر منه لصلاح
وقد أصيب الإسلام في مقاتله من استبداد الحاكمين باسمه . بل لقد ارتدت بعض القبائل ، ولحقت بـالروم

في مناصبهم نبتا شيطانيا لا توضع له بذور ، ولا تحف به رغبة ، ولا تشرف موازنة أو مشورة .
ع رأس فارغ على كيان كبير فلابد أن يفرض عليه تفاهته ، وأثرته ، وفراغه ...
ى إلى شؤون الأمة كلها ، فوقعت في براثن الاستعمار الأخير لأن الخلفاء والملوك والرؤساء كانوا في واقـع
مة الإسلامية ، أو كانوا في أحسن أحوالهم ترابا على نارها ، وقتاما على نورها .
استطاعت الدفاع عن نفسها ، متخففة من أعباء هؤلاء الحكام ، ومن جنون العظمة الذي استولى عليهم ..
لام ينكر أساليب العسف التي يلجأ إليها أولئك المستبدون في استدامة حكمهم واستتباب الأمر لهم ... إنه
ان ظلما ، أو أن يسفك دمه ظلما . فما تساوي الحياة كلها شيئا إذا استرخصت فيها حياة فـرد . قـال
زوال الدنيا أهون على الله من قتل مؤمن بغير حق ι [358].
أن يقتل امرؤ من الناس توطيدا لعزة ملك أو سيطرة حاكم .

 الله بن مسعود أن رسول الله ρ قال : π يجيء المقتول يوم القيامة آخذا قاتله ـ وأوداجه تشخب دما ـ
ل شأنه ـ فيقول : يارب ، سل هذا ، فيما قتلني ؟
ل : فيم قتلته ؟ قال : قتلته لتكون العزة لفلان ... قيل : هي لله ι[359]

مشكلات في طريق الحياة الإسلامية ، ص 57 .
: 1395 من حديث عبد الله بن عمرو ، قال المنذري : رواه ابن ماجة بإسناد حسن ورواه البيهقي والأصبهاني وزاد فيه : " ولو أن أهل سماواته
كوا في دم مؤمن لأدخلهم الله النار "
أنظر : الترغيب والترهيب ، ج3 ، ص201 .

ون القتل وهو ما ينتشر في سجون الظلمة ، يروي أبو هريرة أن رسول الله ρ قال : π من جرّد ظهر مسلم
ـو عليه غضبان ι [360].
ضا :π ظهر المسلم حمى إلا بحقه ι [361]. يعني أن المسلم لا يجوز أن يمس بسوء أبدا ، إلا أن يرتكب ذنبـا
ـدئذ يؤخذ منه الحق الثابت في دين الله .

ء بما يصون الكرامات ، ويقدس الدماء والأموال والأعراض هو الجو الذي يصنعه الإسلام للناس كافـة ،
ي يحسنون فيه العمل والإنتاج .
. الطمأنينة ، ويختفي الرعب ، ينصرف العامة إلى تثمير أموالهم وتكثير ثرواتم ، لأنم واثقون أن حصاد ما
يهم، فهم غير مدخرين وسعا في الجهد والإنتاج .
البيئة الوادعة الآمنة المشجعة على الكدح والكسب تقلصت رقعتها في الأمة الإسـلامية خـلال القـرون
لاحون والصناع وأهل الحرف المختلفة في براثن أمراء يحكمون بأمرهم لا بأمر الله .
ـ المتجدد النازل على رؤوسهم أن أقفرت البلاد وصوّح نبتها ، وعم الخراب أرجاءها ...

ن تلقي نظرة عجلى على تاريخ مصر خلال المائتي سنة الأخيرتين . فيما كتبه عبد الرحمان الجبرتي . إنـك
الا ينفد عجبك له ....
انفرط عقدها فليس يمسكها شيء . وضاع أصلها فلا تستحي من سلوك . وتشبثت بـا الفـتن طـولا
ـق هائل كلما ظن أنه انطفأ في ناحية اندلع في ناحية أخرى .
ـق أسباب العمران بله مظاهر الحضارة في أتون هذه الفوضى الضاربة ...
ـ شؤون الري ، وأن يفر الفلاحون من زراعة الأرض ، وأن يعيش أهل المدن وكأنم يستعيرون أعمـارهم

ـر المصري البائس صورة لأقطار الأمة الإسلامية المنتشرة بين المحيطين ، فأي مستقبل ترقبه لمثل هذه الأمـة
واستفحل الخطب ؟؟
ي مخالب المستعمرين الغزاة ، كان النتيجة الحتم، وتخلفها في ميدان الحياة المتدافعة المتدفقة هنا وهناك أمر لم

هذه الجريمة النكراء هو الاستبداد السياسي الذي وقعت البلاد فريسة له ، وكان دين الله بـين ضـحاياه

رواه الترمذي وحسنه من حديث عبدالله بن عباس برقم : 3028 والطبراني في الأوسط ورواته رواة الصحيح .
ي الكبير والأوسط وإسناده جيد . باب : فيمن جرد ظهر مسلم بغير حق . ج2 . ص253 .
رقم " 6403 " باب : ظهر المؤمن حمى إلا في حد أو حق . ج2 ، ص 2118 .

الإسلام والطاقات المعطلة ، ص 50 – 60 .

هذا النص من كلام الشيخ لا نرى حاجة إلى زيادة استطراد أو تفصيل وشرح ، لأن جل ما ورد فيـه لا
، لكن وتمشيا مع المنهجية الأكاديمية حبذنا أن نرتب الملاحظ التالية وأن نحصرها حصرا حـتى تضـبطها
ْقا من النص الآنف الذكر ، وكذا من خلال استقراء فكر الغزالي السياسي فيما يخص الميدان الذي تغيـب
د الاستبداد . وتتمثل جملة هذه الملاحظ في ما يلي :

ضرورة لنشاط القوى الإنسانية وتفتح المواهب الرفيعة .
سيادة الاستبداد ينتج عنه :
لاط الكبيرة أو اختفائها ، وضعف روح النقد عموما أو تواريها ..
هو استعمار داخلي " يمهد للاستعمار الخارجي ، أو ما عبر عنه مالك بن نبي بـمصطلح " معامل القابلية

ت ، وكسر حدتها ، وطرحها في مهاوي النسيان إن أمكن .
النفيسة في جو الزلفى والاستبداد .
ب ، والتركات الثقيلة من الخرافات الموروثة سببها وطأة الاستبداد .
لمأنينة ، واختفاء الرعب ، لزيادة الإنتاج وتكثير الثروات والرقي .
، الذي كان اهتماما أصيلا من اهتمامات الغزالي ، لاحظ فيه الشيخ أن فساد الطريقة التي يختار بها الحاكم
ـت في جو من الاستبداد وانعدام الحريات وغياب الشورى في تاريخنا الإسلامي قد نشأ عنه :[363]
ة واضحة معقولة لنشر الإسلام،وعدم الاهتمام بتكوين الدعاة الحاملين الدعوة للشعوب والأمم.
مية الرسمية كانت خلوا من الإحساس بعالمية الرسالة .
ة نفسها داخل الأمة لم تحظ بالاهتمام الواجب من التنقية والتبصير .
ْم بعد امتداد ، وغامت آفاقه بعد صحو ...
، عن معرفة القوى المناوئة للإسلام ، والتغيرات الهائلة التي نقلتها من طور إلى طور ...
عم ، وباب الثرثرة " الترف الفكري " الذي أدى إلى اجتياح التتار .

معركة المصحف في العلم الإسلامي ، ص 69 – 70 .

أحـ ـ ـ ـزاب للوقاية مـ ـن الاستبداد :

نكرون أن السلطة إذا حادت عن الطريق القويم ، وتمادت في غيها، وفقدت مقومات صلاحياتا : فإنه لابد وهذه المواجهة لابد وأن تتخذ طريقين :

ل : وهو طريق الثورة أو الانقلاب والخروج على الحكّـام .

ى جواز هذا الفعل ، وأن الأخذ على يد الظالم ليس باغتياله ، بعد محاكمة فردية من بعض الناس... [364].

: وهو طريق السلام السياسي ، ويتمثل في انتقال السلطة إلى فئة سياسية تلتف حولها إرادة أغلبية أفـراد ع السياسي من الوهدة التي وقع فيها ، وتقوده إلى بر الأمان .

لإسلامي الوحيد وذلك عبر مدّ رواق الحكم الشوري والمعارضة الحرة، فمن رأى من الحاكم عوجا حدّث للرأي العام موقفه ، فإن أيّـده الناس أسقطوه في انتخاب صحيح ، وجاءوا بخير منه [365].

ريقة الأولى طريقة غير حضارية ، وغير مأمونة العواقب لما يترتب عليها من ارتباك اجتماعي وسياسي ، فلم ة الثانية ، وهذه الطريقة لن تكون مجدية وفعالة إلا إذا كانت منظمة ، وهذا لن يتـأتى إلا عـن طريـق ومن كل هذه الحيثيات تتضح أهمية ما انتهينا إليه من دراسة رأي الغزالي في هذه المسألة وهو:

تعددية السياسية في شكل تجمعات حزبية ، ضمانة أساسية في التصور الغربي للديمقراطية ضد الاسـتبداد، ن نتيجة طبيعية لمبادئ الحرية والمساواة ، واعتبار الإنسان الفرد ، هو الخلية الأولى للمجتمع ، وأنه يحمل في

محكومين المشتركين في رأي أو مذهب أو مصلحة أن يتكتلوا في منظمة واحدة للوصـول إلى الحكـم أو ن من حقهم أن يحرموا غيرهم من ذلك .

، الغربية لا تقبل مبدأ الحزب الواحد وتعتبر ذلك ممارسة دكتاتورية [366] فهذا التعدد ليس شرا لا بد منـه . لمنع التسلط وإيجاد توازن بين الحاكم والمحكوم .

سية بين الشعب والسلطة، لأنا تتولى تنظيم الرأي العام وبلورة إرادته على نحو يمكن معه بسهولة التعـرف ل الانتخابات ، أو الاستفتاء ، أو مداولات البرلمان ، وبذلك تغدو الأحزاب مدرسـة لتربيـة الجمـاهير عن إرادتا وجزءا رئيسيا في جهاز الدولة الديمقراطية ، ومجالا خصبا وموضوعا هاما من موضوعات القانون

تساؤل مهم وهو هل في الإسلام تعددية حزبية في الدائرة الإسلامية ؟ أو في الدائرة الواسعة ؟ ارتأينـا أن نقاط والتي تعتبر منطلقات أساسية في معالجة هذا الموضوع، والوصول إلى النتيجة الأقرب إلى منطق العقـل صوص والنقل :

مائة سؤال في الإسلام ، ص 258 . وينظر فيما يخص هذه النقطة مبحث : السمع والطاعة ومسألة الخروج على الحكام . من هذه الرسالة .

المرجع نفسه ، ص 258 .

طالب ، (مرجع سابق) ، ص152 .

، (مرجع سابق) ، ص 248-289 .

نت الشورى وما في معناها من واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والنصيحة تمثل قاعدة أساسـية في ، أو هي من الخصائص الأولى للأمة الإسلامية والشعائر الواضحة من بين الإسلام فبقاعدة { الأمر والنهي خرجت للناس . وعلى أساسه وعدت بالتمكين في الأرض والصدارة على الصعيد العالمي[ولينصرن الله من عزيز ، الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة ج: 41-42] .

أن الإسلام قد أقر الحريات السياسية بحيث يملك المسلم اختيار الرأي السياسي الذي يريده ، أو نقد الحاكم ي سياسته وفي مواقفه أو مواجهة الواقع بطريقة مختلفة لا تحمل أي لون من ألوان الاعتراف به والثبات عليه

يما أن اختلاف الرأي السياسي كاختلاف الرأي الاجتهادي ما دام خاضعا للأصول الشرعية في انطلاقه من تمنح الرأي سلامته الشرعية) [369]
تكون الأحزاب مذاهب في السياسة ، والمذاهب أحزابا في الفقه ، وما ينكر في ميدان السياسة هو ما ينكر ليد الغبي والعصبية العمياء وإضفاء القداسة على بعض الزعامات ، كأنهم أنبياء وهذا هو منبع الوبال [370] .

إذا استقر أن الشورى هي الإطار العام للتداول السياسي . فإن من مستلزمات ذلـك أن يتمتـع التمـع تل ، والتنظيـم ، و" مأسسة " العمل السياسي أي حرية تكوين الأحزاب وتكتلات المعارضة [371] ومراكز فهي السياسي) [372] .

ء على ما تقدم يتقرر بأن (تكوين الأحزاب هو أحد وسائل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بـل هـي باعها ، لأنها تيسّر أداء ذلك الواجب الكفائي في مواجهة الحكومات التي تتضاعف قوتها في هـذا العصـر كم التسلح ، وتوسع المعارف الاستخبارية ، بحيث لم يعد يجدي في مواجهتها أمر ونهي يتقدم به أفـذاذ لا تنظيمي يدعم آراءهم ومواقفهم ...
ظيمات قد تخطئ أو تصيب ، مثلما تخطئ الحكومات أو تصيب) [373] .
نقرره هو ما دعا الغزالي أن يجيب محاوره لما سأله عن رأي الإسلام في وجود أحزاب سياسية تسـعى إلى ه أهبته وهي بعيدة عنه ؟ وتقوم بقيادة المعارضة الشعبية ، إذا جد ما يستدعي ذلك ؟

حقوق الإنسان ، (الإسكندرية : دار الدعوة) الطبعة الرابعة ، 1419هـ – 1999م ، ص52 .
ن فضـل الله ، قراءة سريعة لمفهومـي الحريـة والديمقراطيـة ، مجلـة المنطلق العدد 65 ـ رمضان 1410هـ / ص13 .
وي ، من فقه الدولة في الإسلام ، ص152 (بتصرف) .
ظته بصدد دراسة المسألة السياسية في الفكـر الإسلامي تخلف بل ندرة الدراسات التي تناولت بعمق مسألة " الأحزاب " من جهة التأريخ لها سي، الحريات العامة ، ص249 .
مصدر سابق ، ص116 .
ص 117 .

ن الدين لا يوجبها ولا يحرمها...
هب الكثيرة واختلاف وجهات النظر ، أثر طبيعي للحرية الفكرية التي وفّرها الإسلام لأتباعــه، وعرفهــا
ير مع الجبابرة والأدعياء ...
ي في الاستئثار بكل شيء ، هو الذي حظر على الناس حقا طبيعيا لهم كان يمكن أن يمارســوه في ســلام

لإسلام بمعارضة لولي الأمر؟
رضة في نطاق الشورى ، وطلب الحقيقة واحترام رأي الكثرة ، لا شيء فيها ، وهذه المعارضــة نفــع في
اجتماعية ليس لأحد أن يفرض رأيه فيها بالعنف، سواء أكان حاكما أو محكوما ولنضرب لك الأمثال...
من الناس رأت أن تضع منهاجا لتصنيع البلاد في بيئة زراعية ، أو لاتحادها مع غيرها في أقاليم منفصــلة أو
ة مشتركة، أو لتطوير أساليب عرض الإسلام ، مستغلة في ذلك إمكانات الحكم، فما الذي يمنع من إنشاء
ك؟ سواء ضاق به الخليفة أو رضي ! أيكون ذلك نقضا للبيعة وخروجا على الجماعة ؟ لا هــذا ولا ذاك،
لمتها ، وسترفض ما تراه خطأ ، وتقرر ما تراه صوابا ، ومن فاز بثقتها اليوم يمكن أن يحرم منها غدا، مــع
كسب الرأي العام.
الاغتيال والكبت والاحتيال ، وإلصاق التهم بالأبرياء، وتمكين الجهال من الإمساك بدفة الأمور زمنا أطول

ء على رأي مخالف لرأي الحاكم أمر لا جناح عليه ، ما دام التزم حدود التعبير السلمي حتى ولــو اقتضــى
عليه ، وفي الحقيقة أن وجود مثل هذه التكتلات السلمية، وكل ما من شأنه أن يوزع القــوة في ا لتمــع
ها في يد الحاكم ، أمر يجد مشروعيته طالما كان هناك تسليم عام بأسس ا لتمع الإسلامي.
هذا الأمر جلاء حين استطلع أحداث تاريخنا الإسلامي وما حمل في طيّــاته من كوارث ونكبــات كــان
أن الأمور سارت على أسلوب المطالبة لا أسلوب المغالبة... وذلك لما قال: (كثيرا ما رمقــت المعــارك
لإسلامي ثم حدثت نفسي: ما ذا لو أن ا اع بين علي ومعاوية بتّ فيه استفتاء شعبي بدلا من إراقة الدم ؟
ة الأموية تمثل حزبا سياسيا له مبادئ معينة فماذا عليها لو تركت آل البيت يكوّنون حزبا آخر يصــل إلى
حيح ، أو يحرم منه بانتخاب صحيح ؟
إن الانتخابات بدعة!
دم واستباحة الحرمة هو السنة ؟) [375].
ب إذا كان يسمح بالتداول السلمي للسلطة . ويحقن دماء المسلمين أقرب إلى سنة الإسلام إذن ، " وأيمــا
ثم سنة الإسلام وشرعه " ، كما ورد في عبارة ابن القيم الشهيرة !
بأن تكوين أكثر من حزب سياسي في النظام السياسي الإسلامي أمر مباح ومشروع ، بل إن له ســوابق
ارة الإسلامية .

مائة سؤال في الإسلام ، ص247 - 248 .
أزمة الشورى في ا لتمعات العربية والإسلامية ، ص49 .

الديمقراطية الغربية من الإسلام وليس بالعكس .
رحمه الله ـ أن " من خصائص الديمقراطية أنا اعتبرت المعارضة جزءا من النظـام العـام للدولـة ! وأن
رف به ويتفاهم معه دون حرج ، ذلك أن مالك السلطة بشر له من يؤيده ومن ينقده . وليس أحدهما أحق
والواقع أن هذه النظرة تقترب كثيرا من تعاليم الخلافة الراشدة "[376].

لك بأن سيّـدنا عليّ بن أبي طالب لم يستبح دماء معارضيه . وإنما أبقاهم على رأيهم وسالمهم ما لم يحدثوا
وذاك بغية الاستفادة من رأيهم وقال لهم :
وبيننا وبينكم ألا تسفكوا دما حراما ولا تقطعوا سبيلا ولا تظلموا أحدا فإن فعلتم نفذت إليكم بالحرب "
حتى تمادوا في الغي وأشاعوا الفوضى وسفكوا دماء الأبرياء قال عبد الله بن شداد: فوالله ما قاتلهم حـتى
لوا الدم الحرام .) [377].

أخيرة مهمة يجدر بنا عدم إهمالها ووجوب تدوينها في هذا الموطن بالذات وتتمثل فيما قـد يلحظـه أي
وهو أنه كان يراعي باهتمام بالغ دور البيئة التي تنتقل إليها التجارب الديمقراطية ، فليست كل بيئة صـالحة
مالم تتوافر الأرضية الخصبة لغرس هذه البذور .
ع الضمانات القانونية والواقعية التي يجب أن تلتزم بها السلطات المخوّل إليها هذا النقل أمر آخـر وهـو:
سياسية للأمة التي ستحتضن مثل هذه التجارب الوافدة . وأرى أن الداعي الذي كان حاديه على أن يركز
ما خبره من واقعنا المعيش ، وما استقرأه من تاريخ الأمة الإسلامية المرير .
جواب الشيخ وذلك لما سئل عن النظام الانتخابي ، وما تقوم به الأحزاب السياسية من دور فيه في الـنظم

نابه كثيرا أو قليلا ، بيد أنه فسد عندنا ، لأن الاستبداد السياسي حوّره ومال به عن فحواه ، وأنا ـ باسم
الاستبداد بكل ما لديّ من طاقة .
والعسكرية أهينت طويلا في أمتنا ، وبطش الحاكم الفرد بها دون رحمة .
نفسي : لماذا يقتل فاتح السند : محمد بن القاسم بقلة اكتراث ؟ لماذا يقضي فاتح الأندلس بقية عمره مهانا
و حنيفة سجينا وحيدا ؟ لماذا يضرب مالك ؟ ويجلد ابن حنبل ، ويموت ابن تيمية محبوسا ؟ لمـاذا يغتـال
ق أصحابه من بعده ؟..
يس مجلس الدولة في مصر عبد الرزاق السنهوري بالنعال ؟ ليموت من بعد مشلولا ...) [378].

السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث ، ص169 .
المرجع السابق ، ص 169 – 170 .
مائة سؤال في الإسلام ، ص 246 – 249 .

حقــوق الإنســان.

ـة لحقوق الإنسان :

ـة الغزالي في مجال القانون الدولي ، المساهمة الفعالة في تقديم الصياغة الحديثة لفقه الإسلام في ذلك الشأن . حقوق الإنسان بين تعاليم الإسلام وإعلان الأمم المتحدة " نلمح صيغة أولية جيدة لتعـاليم الإسـلام في ان ، مضاهاة بأحد مصادر القانون الدولي الحديث ، وهو الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الذي أصـدرته المتحدة في 12 ديسمبر 1984 .
أن كتاب الغزالي آنف الذكر لم يقدم الصياغة النهائية ، وإنما قدّم المادة الفقهية الزاخرة ، الـتي يمكـن أن والحيثيات التي يمكن أن تستند إليها الصياغة المطلوبة في هذا الـال[379].

ئق السياسية الدولية بمعطيات الشريعة وإنجازات الفقه الإسلامي، ليست أمرا بدعا، إنا خطوة إيجابية حافزة تطوير صياغة الأدبيات الإسلامية ، أو على صعيد اجتذاب مزيد من المناصرين لها ، من الـذين لا يمكـن يق تلك الصياغات المتطورة ، وكثير من دارسي العلاقات الدولية وباحثيها لا يتيسر لهم الإطـلاع علـى السرخسي وأبي يوسف وغيرهم من كتاب السير والخراج ، ولذلك تأتي أعمال أمثال الشـيخ الغـزالي ، الله ، خطوة لازمة تيسّر تلك المراجع العسيرة على طلاب اليوم ، وتبيئ لهم أمر الولوج إلى مناجمها واجتناء

على كتابي حقوق الإنسان والتعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام للغزالي ، ربما كان كافيـا لإقنـاع ولية بتقدم الإسلام على الفكر البشري بقرون في شأن تقرير حقوق الإنسان الأساسية وضمانا. ومعظم ما رات الإنكليزية والأمريكية والفرنسية يجده المرء مسطرا في الشريعة الإسلامية وتراث الفقه ، مثل حقـوق ن التمييز العنصري ، والمساواة أمام القانون ، والضمانات القضائية ، وحق المشاركة السياسـية ، وحـق حق التعليم وغير ذلك من الحقوق ، ولقد يدهش دارسوا العلاقات الدولية إذ يكتشفون أن تلك الحقوق قد حاجة إلى ثورات ونضالات عارمة تريق الدماء ، وتز الأوضاع الاجتماعية والسياسية هزا عنيفا ، وإنمـا ـ ول التـ يل الحكيم. ولقد يدهشون أكثر إذ يكتشفون أن حقوق الإنسان في الإسلام ليست هي حقـوق ه ، وإنما هي حقوق الإنسان أي إنسان [380] .

إسلامي العالمي الذي انعقد في لندن في أبريل 1980 صياغة البيان العالمي لحقوق الإنسان في الإسلام وكانت مبادرة رائدة ، وفّـرت وثيقـة ة نوعية لأدبيات الفكر السياسي الإسلامي الحديث، ولعل تلك الوثيقة قد استقت كثيرا من مادتا من كتـاب الشيخ الغزالـي ، ومن بحث نظرة عابرة على حقـوق الإنسان الأساسية " المنشور بدوريـة " **المسلم المعاصر** "، شوال 1394هـ / نوفمبر 1974م .

نوق الإنسان المستنبطة من الـناكارتا (**magna carta**) والثورة الفرنسية والثورة الأمريكية ، كانت هي حقوق الإنسان الغربي الأبيض فقط ب أن انتهكت حقوق غيرهم عيانا بيانا بالتحركات الأمريكية البريطانية ، والفرنسية والأمريكية في الشرق ، ولم يثر سؤال حينها جدي في ولية عن تناقض تلك الممارسات مع إعلانات ومواثيق حقوق الإنسان.

لوّعت الحضارة الإسلامية بحماية أتباع الديانات الأخرى كأقباط مصر ، وموارنيي لبنان ، ويهود العالم من

الغزالي: (وإذا كان الجنس اليهودي قد بقي في العالم إلى الآن ، فإن مرد ذلك إلى قيام الدولة الإسلامية في
ولو بقي النصارى يملكون السيطرة على العالم لقضوا على اليهود قضاءا مبرما) [382] .
د الدولة الإسلامية بفهمها الأريحي لحرية التدين ، هو الذي حمى اليهـود بالأندلس وغيرها من الانقراض ،
لمارونيين من أن يذوبوا في خضم الطغيان الروماني والبيزنطي .

المقارنة بين حقوق الإنسان التي وصلت إليها الإنسانية عبر المؤسسات والمنظمات الدوليـة مـن خـلال
ن القرون ...وبين هذه الحقوق في الإسلام ...في ميدان هذه المقارنة وبيان مواطن الإتفـاق والاخـتلاف
: إني أرى أن هناك تلاق بين حقيقة الإسلام ، وبين المعنى الأصيل للإنسانية ...وهذا التلاقـي هـو
ائما : إن الإسلام عقل لا يعرف الخرافة ، فعندما قرأت نشاط الإنسانية المجردة وهي تقرر الحقـوق الـتي
ن التي تفرضها ، فإني ـ في الحال ـ أقارن بين ما استطاعت البشرية أن تصل إليه ، وبين ما تقرر لـدينا
ب الله وسنة الرسول ρ وحصيلة المقارنة ـ غالبا ـ تكون لمصلحة الإسلام ، وما يكون في الحصيلة من
سانية عندما لا تتدي بوحي الله ، فإنه من الممكن فورا أن أضرب حوله نطاقا، وأن أقرر الموقف الإسلامي
الله تعالى به .

؛ الغزالي : عندما نظرت إلى المادة الأولى في إعلان حقوق الإنسان ، وهو أن الناس يولدون أحرارا ، فإني
دما قلت : إن الكلمة بنصها قد سيقت في حضارتنا الإسلامية على لسان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب في
ها الفاروق عمر بن الخطاب بروح الإسلام الصافية دون تكلف .
رد نموذج لعناصر الإلتقاء بين ما تقرر في ديننا ، وبين ما وصلت إليه الجهود البشرية .
ي قد أجد في حقوق الإنسان شيئا من التفاوت بين ما قرره الوحي الإلهي ، وبين ما وصلت إليه الإنسانية
برز صور هذا التفاوت المساواة المطلقة ، التي أقرتا هذه المواثيق بين الرجل والمرأة في كل شـيء ...فهـي
ن بأعباء وظيفته ، وللأنثى بطبيعة طاقاتا .
تفاوت كذلك ـ والحديث لا زال للشيخ الغزالي ـ قضية الإرتداد عن الإسلام ، فالإرتداد عن الإسـلام
ع فيه على عنصر العلانية الذي يهز النظام العام، وهو خروج لا تقبله أي دولة، لكن بعض الأديان تقبـل
قنيين الإلحاد والانحلال لأن دينهم لا يضع الدولة في حسابه ، ويعطي ما لقيصر لقيصر
ذا التفاوت ـ فإنني ـ أستطيع معرفة من أين يبدأ الـ اع وكيف وقع اللبس ؟
ن المرأة حقا كاملا في مساواة الذكور ، يضعون أمام أعينهم المعاملة الرديئة التي تقع في بعض الـتمعـات
مرأة ، وهي معاملة لا يمكن أن يكون الإسلام مسؤولا عنها . وهي معاملة جعلت الرجل إذا زنى في بعض
فوت ، على حين تقتل المرأة لأقل من الزنا ، وكم ظلمت أبكار عندما تعرضن لهذا الاتام ؟ [383].

، مقال : محمد وقيع الله ، ص132-133 .
التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام ، (القاهرة : دار الكتب الحديثة) ، ص210 .
لحليم عويس ، مصدر سابق ، ص 128 ـ 130 .

نســان في الإسلام [ضــرورات أو مجرد حقــوق؟]:

نشير إلى أن حقوق الإنسان عموما والحريات العامة خصوصا قد وردت في القرآن الكريم في صورة تكاليف
ك ضمانا لقوة الإلزام با وتنفيذها ، كما وردت في السنة ولا سيما في خطبة الوداع . وهو مــا جعــل
موضوع الحريات السياسية ، وبالذات موضوع : الأمر بالمعروف والنهي عــن المنكــر يــذكر بــأن : (
اء الحاكم بالنقد ليس أمرا مباحا فحسب – كما يظن من مفهوم كلمة الحرية السياسية – بــل هــو في
له على كل قادر، والسكوت عن هذا النقد تفريط في جنب الله ، ومن ثم فعلى حملــة الأقــلام وأربــاب
مع عوج الحاكمين في معارك حامية لا تنتهي أو ينتهي هذا العوج ، وكل حركة في هذا السبيل جهــاد ،
تضحية π فسيد الشهداء حمزة ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله [384] ι) [385]

لتي قررت حقوق الإنسان في الإسلام دستورية تعلو على كل إجراء ، وتيمن على كل نظــام اجتــهادي
ن ذلك أكبر ضمانة لصيانة هذه الحقوق والتقيد با عقيدة وامتثالا لأمر الله ، بينما نرى الإعــلان العــالمي
له قوة إلزامية ، وإن كان من المسلّــم به لدى الدول أنه كدستور ينبغي أن تتقيّــد به كل دولة .
ذلك من معاملة إسرائيل للعرب المناهضين لها والمقيمين فيها، إنا تعاملهم بوحشية لم يشهد العالم لها نظيرا
ضونا دفاعا عن أرضهم وبلادهم ، لأنم هم أصحابا الشرعيون فالمغتصب ذو حق ، والمعتــدى عليــه ،
وبلاده مخرب! أو أنه مصنف في قائمة الإرهابيين – أو على الأقل – ينظر إليه كذلك .
!! هو منطق العنصرية . ولو كانت الدولة في فلسطين إسلامية لكان اليهود رعايا يحكمون بعدل الإسلام
م المساواة ، لهم مالنا ، وعليهم ما علينا ، ذلك هو تشريع الله عز وجل ، وشتان بين التشــريع الســماوي
المغتصب .

آخر نرى الغزالي ينوّه بالحضارات التي تلتزم العدالة في القضاء والمساواة بين الناس – خاصة على الصعيد
ها شرفا وزكاة أن تسيل هذه المعاني منها سيلان الأشعة من جرم الشمس ، لأن طبيعتها الحرارة والضــياء

راء هذا وجود بعض الحضارات التي قد تلجأ إلى العدالة والمساواة تحت وطأة ظروف معينــة ، فهــي –
لة عارضة لسلوكها ، طارئة على خلقها ، وليست أصيلة فيه.(لكن الفضيلة حقا أن تعدل ، لا لشيء ، إلا
ن تقوم بين الناس بالقسط.
وا عصابة للسطو قد يقسمون غنائمهم بالسوية .
من الحيف على الآخر حتى لا يقعوا جميعا في أيدي رجال الشرطة...
تضطر الدولة الكبرى إلى معاملة بعض الدول الصغرى بـ اهة واستقامة . لماذا ؟.
ة لحق الضعفاء ؟

المستدرك من حديث جابر وعلي وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه .(ج3، ص215) ورواه الطبراني في الأوسط من حديث ابن عباس برقم

حقوق الإنسان ، ص52 - 53 .

على التوازن الدولي [386].
دام بقوة مرهوبة [387].
لتزم جانب العدالة المطلقة يوم دانت له الأرض ، ولم يبق على ظهرها سلطان مرهوب.
ع إبادة الجماعات القليلة التي رفضت أن تدين له بين المحيطين . ولو فعل ذلك لكان متمشيا مـع منطـق
الإسلام أبى عن ترفع ونزاهة...وبقيت ملل شتى في أرضه شاهد صدق على طبيعته .
الآخرين معاملة يظهر فيها بين الحين والحين طابع التمييز لأبنائه ، والميل على غيرهم ، والإغضـاء عـن
لكنه لم يعرف هذه السيرة ، لأن القيام بين الناس له أسلوب سيعرض على رب الناس ، العلـيم بـذات
[388].

أو " توازن القوى " : نظام العلاقات الدولية المبني على أساس فرضية أن حفظ السلام الدولي يشترط عدم رجحان كفة دولة أو تحالف دولي أو التحالفات الدولية الأخرى المقابلة ، لأن ذلك يغري بالهيمنة والعدوان ، وبالتالي فإن التوازن في القوى يضمن عدم الإخلال بالوضع الدولي النفوذ بالتراضي بين الدول المعنية ...

- أنظر : موسوعة السياسة (مصدر سابق) ، ج 1 ، ص 797 .

نا إلى ما يصطلح على تسميته علماء السياسة بـ : " توازن الرعب "، وهو توازن عسكري دولي منبثق في امتلاك كل من الدولتين الجبّـارتين والاتحاد السوفياتي قـوّة عسكرية ضارية ، بما في ذلك القوة النووية بحيث تستطيع معها توجيه ضربة مدمّرة قاصمة للقوة الأخرى، من بعد أن مفاجئة منها، وهذا النوع من التوازن يخلق حالة من الرعب المتبادل ، يتعذر معها التفكير في استخدام القوة الشاملة كأداة سياسية ، لأن ي الجنون والانتحار المتبادل .

وازن الذرّي وما يولده من رعب متبادل نتائج عديدة أهمها :

دي المباشر للمصالح الحيوية للدول الأخرى ، وبالتالي اقتـسام مناطق النفوذ من جهة .

ثانيـة : تطوير استراتيجيات جديدة تعتمد على بعض المعادلات التقليدية و " الـرد المرن " . وهي معادلة أحلها " ماكنمار " أثناء توليه ريكية محل نظرية " دالاس " في الانتقام الشامل لاحتواء الانفجارات المحدودة والحروب الإقليمية .

ب لم يمنع نشوب حروب التحرير ، والحروب الإقليمية، ولم يوقف الصراع بين الدول الكبرى والأنظمة المتناقضة ، ولكنه حدد إطار هذا تصعيده ، وسقف الخسارة لكل طرف بما لا يؤدي إلى نشوء رغبة في شن حرب نووية شاملة .

ـ أنظر : موسوعة السياسة : (مصدر سابق) ج1 ، ص 797 .

حقوق الإنسان ، ص 29 - 30 .

الثقافــــة السياســـــة .

يدعوني إلى أن أدمج هذا الموضوع تحت العنوان الكبير لهذا الفصل : " الحريات وحقوق الإنسان " علـى
قد جرت في كتب السياسة على إهمال ذكره في هذا الموطن – لما يبدو من أول وهلة أن لا علاقة لموضوع
ة بموضوع الحقوق والحريات السياسية – ، فليس ذلك إلا لأنني قد أعتبرها حقا من جملة حقوق يجب أن
ربي المسلم . وفي الوقت نفسه أعتبره وظيفة من وظائف الدولة تجاه مواطنيها عليها أن تغرسـه في فكـر
.

يمة أساسية للحقوق التي أقرّتها المجتمعات الغربية لمواطنيها حديثا ، – وأقرها ديننا قبل حوالي أربعة عشر
لأمم لها – وذلك من مثل حقوق : الحياة والتعليم ، والعدالة ، وحماية الملكية ، وحماية خصوصيات الفرد
الحماية من التعذيب ، والحماية من تعسف السلطات ، وحرية الإرتحال والإقامـة ، والتربيـة، واللجـوء

ن نجد هذا المواطن جاهلا بحقوقه الأساسية والحريات التي له تجاه السلطات الحاكمة ، وتجد جماهير غفـيرة
سها قطعانا هائمة لا أمل لها في الحياة ، قطعانا ذلولا لكل راع غشوم مستبد ظلوم .
ه المجتمعـات سيادة ظاهرة لثقافة المشاركة ، ففي أمتنا المسكينة ستجد رواجا هائلا لثقافـة الخضـوع ،
[3]
.

قف السياسية لدى كل من آلموند وبويل ، تتميز ثلاثة نماذج كبرى للثقافة السياسية ، يطلقان عليها اسم : - الثقافة الهامشية - ثقافة الخضوع
.

ة الهامشيـة: بعدم الاهتمام التام تقريبا بالنظام السياسي القومي، فهذا النظام عبارة عن ظاهرة عارضة ملصقة على ثقافات فرعيـة محليـة لا
صال ، والأفراد ليس لهم موقف خاص من النظام القومي إذ أن مبادراته لا تطالهم وهم لا يعانون من أي مشاعر تجاهه .
، الخضـوع : فالسلطة القومية تكون أكثر حضـورا ، إذ أن الأفراد يعرفون أفعالها ، ولديهم تجاهها موقف، لكن هذا الموقف سلبي أساسا ،
تجلت من خلال أعمالها الحسنة ، ويخضعون لها إذا كانت تدخلاتها مدمّرة ، ووجود فكرة عمل فردي أو جماعي من شأنه التأثير على عمـل
بية بالمرة عن هذا النوع من الثقافة.
شاركـة : فإننا نعرف بالعكس من خلال واقع أن المواطنين يكونون فعّالين، إنهم يشعرون بقدرتهم أن يؤثروا على السلطة، ويعدّون مثل هذا
ن هذا التدخل للمواطنين في الحياة العامة يتجلى من خلال مؤسسات انتخابية، أحزاب، مجموعات ضغط، لكنه لا يقتصر على تنشيط الإطـار
وبغض النظر عن هذا الإطار عن حالة ذهنية، وطريقة ما في التفكير بالسياسة وفي عيشها.
ن هي الكلمة الوحيدة الواسعة بما فيه الكفاية لأخذ هذه الظاهرة بالحسبان
– جان ماري دانكان : علم السياسة، ص 156 - 157 .

ﻓﺎﻓﺔ السياسية " أحد المصطلحات حديثة الاستخدام في علم السياسة، طوّر مفهومه بشكل خاص على يـد
ولا سيما غابرييل آلموند (g. almond) .
تفسيري يوضح جانبا من أسباب نشأة أي نظام سياسي وفشله أو نجاحه، فهو يوضح مثلا لماذا نشأ النظام
ولماذا نشأ النظام الأمريكي مختلفا عنه ؟
نتج أسباب ذلك من الطبيعة النفسية للشعبين، ومن الثقافة السياسية السائدة في ذينك الـمتعين ، باعتبار أن
ان لهما أن يتوطدا ويستقرا ويجتازا الاختبارات والهزات ، ما لم تكن لهما أسس قائمة من ثقافة الناس[390] .
الشريف π كما تكونوا يولى عليكم ι[391] .
نعرف الثقافة السياسية بأنا:
من الإدراكات والمشاعر والمواقف والتوقعات ، الذي يحمله المواطنون تجاه حكوماتم ، وكذلك طريقتهم
كومة ، وتقويم مشاركتهم في صنع القرار السياسي)[392] .
غزالي حريصا عل تصفية الأجواء الفكرية والثقافية من موروثات عصور الانحطاط التي قامت على التعايش
افي عن التعاطي مع الشأن السياسي، وهذا حقيقة داء عضال، كانت له أسبابه القديمة من إدبار الحكام عن
أو عدم رضاهم عن الحديث في السياسة في دوائر العلم الشرعي، أو في دائرة العلماء المحظيين، ثم أصـبح
لة متأصلة في الثقافة الدينية .
ثرة الغالبة من العاملين في ميدان الفقه بمنأى عن الشأن السياسي ، ومنهم من تجده يعلن ذلـك بالصـراحة
يستنكـر أصلا أن يكون هناك علاقة من أي نوع بين السياسة والفقه أو الدين بشكل عام ، بل إن منهم
هم الدين فهما شاملا بأن فهمه للإسـلام فهـم سياسـي ، هذا إذا لم يتهم السرائر بسوء الغرض ونيـة
أخرى .)[393] .
يقول الغزالي ـ رحمه الله ـ :
دان الدعوة اكترثت لهذه الأسئلة . ورفضت تجاوزها وقلت : لابد من إكراه الكبار والصغار على الاهتمام
ن الحكام جر على ديننا وأمتنا بلايا غليظة .
ن مهدوا لسقوط إنطاكية والقدس وغيرهما نسلوا في عصرنا هذا من يمهد لضياع عواصم الإسلام كلـها ،

مس تعطى الشعوب الحق أن تستبقي الحاكم الذي تحب ، وتستبعد الحاكم الذي تكره . فما الذي يجعـل
عن هذه القاعدة في أغلب أقطارها ؟
ة الشورى ارتقاء عظيما وتطورت محاسبة الحكام تطورا جذريا فكيف تبقى لحاكم في بلادنـا عصـمة ؟
ساءلة ؟

فة مقـ ـال (ملامح الفكر السياسي للشيخ الغزالي) . ا ـ ـ : محمـد وقـيع الله ، ص133 .
في تاريخه عن عائشة من حديث طويل، والديلمي في مسند الفردوس عن عائشة .
فة، ص133 نقلا عن:
almond , Gabriel A. and verba; sidney : the civic culture revisisted (california : sage newbury
، ص 134 .

أرجاء الدنيا بضمانات لصون دمه وماله وعرضه ، ومثـوله أمام قضاء عادل حصين إذا بدر منه خطـأ ، دنا مما توفر لغيره من خلق الله ؟؟..
دثين في الإسلام يسكتون عن هذه القضايا ، ويستمرئون الثرثرة في قضايا أخـرى لا تمـس الحاضـر ولا ل الفراغ وتقتل الوقت وحسب .
م إلا قضايا الحرية الفكرية والسياسية وحقوق الأفراد والشعوب ..) [394]

ل بعض العلماء لشأن السياسة يحكي لنا الشيخ الغزالي الطرفة ذات الدلالة التالية :
ء سؤالا إلى لجنة الفتوى ظانا أنه يستطيع أن يستدرجها بذلك للحديث في شأن السياسـة مـن المنظـور سؤاله بغلاف إجتماعي يتعلق بقضايا الزواج والطلاق، التي تركها الزمنيون لرجال الفقه، وكان السـؤال بالطلاق أن الانتخابات التي جرت في البلاد كانت مزورة.فهل تطلق امرأته أم لا ؟
زالي قائلا: (إن لجنة الفتوى كانت من اليقظة والإنتباه بحيث لم تقع في ذلك الشرك، ولن تقع فيه ولو بقيت ا الدهر.) [395] .

ا كان ينبغي أن يكونوا طلائع أهل الحل والعقد ، الذين يزوّدون صناع القرار بالنصح السديد ، ويقفـون ى تجاوزات الحكام للشريعة ، ومصالح جماهير الأمة الإسلامية.
ن السلبية بمكان، وأسهموا في شكل الثقافة السياسية التي مكنت الحكام من الانفراد بشؤون الحكم .
اء قد أسهموا حقا في نشر الثقافة الفاسدة والتي كانت المستنقع الآسن لنمو جراثيم السياسة الفاسدة ، فإذا ن هذا النوع سعت السلطة لخلقها واحتظان رجالها وفي هذا يقول الغزالي :
ير بالإبراز والإثارة ! إن السياسة الفاسدة تبقى وتنمو في جو الثقافة الفاسدة، وهي إذا لم تجـدها سـعت الها، وأرى أن كثيرا من المعارف المسمومة والفتاوى الكاذبة والأحكام الطفيلية، قد عاشت وغلظـت في ي والاستبداد السياسي..
، أن جماهير المسلمين عدة قرون، احتبست في مجادلات لا تساوي قلامة ظفـر، وهاجـت أعصـابا في طائل تحتها، وذلك في وقت كانت رقعة الإسلام تنكمش، وأعداؤه يشتدون ، وشؤونه العظمى يبتّ فيها

ن ذلك مراد ، وإذا لم يكن مخططا فقد تم لمصلحة الطاغين ، الذين يعنيهم أن تنشغل الأمم عنـهم وعـن

ا تقوم شتى الفنون والألعاب الرياضية بما يشبه هذا الدور، ولا أدري لماذا تهتاج أمة لهزيمة رياضية ، ولا تهتز ضارية والصناعية والاجتماعية... ؟!) [396].

هموم داعية ، 54 ـ 55 .
الإسلام والاستبداد السياسي ، ص 29 .
الطريق من هنا ، 84 –85 .

قائمة تعرف المكانة الشعبية للإسلام ، ومن هنا فهي تؤوي إلى كنفها صنفا من علماء الدين يطلق علـيهم
شوكة لهم ولا غيرة ، يمثلون الإسلام نحوا ما ، أي كما يحب القائمون على الحكم تمثيله، ونفـي شـبهة

لاء ـ والذين سمّوا في الأدبيات الإسلامية كذلك بـ:علماء الـبلاط ، أو علمـاء السـوء ، أو علمـاء
الغزالي أن صديقا له يشتغل في الإعلام قال له يوما:
ضع لنا جملة أحاديث في تحديد النسل قال:
لحل أم بالتحريم؟
را: خمسة أحاديث بالحل ، وخمسة أخرى بالحرمة ! !
يخ يصلح مفتيا للجمهورية، أو وزيرا للأوقاف ! قال: أو شيخا للأزهر؟
، شيخا للأزهر إن أولئك الثلاثة إبّـان الحكم العسكري حمّـلوا الإسلام مالا يطيق، لا في مصر وحدها،
!
، سخروا الفقه لهوى الرجال والنساء واخترعوا أحكاما ما أنزل الله بها من سلطان... ومـا كسـبوا إلا
وكراهية الصالحين من عباده ، وازدراء الجماهير المغلوبة على أمرها...) [397]

طريفا وموفقا أن يضمّـن الغزالي في بعض من كتبه أنماط الثقافات الثلاث التي كانت تسود المجتمعات عامة
ى وجه الخصوص ، وهو لم يقصد بطبيعة الحال ما اكتشفه آلموند غابرييل من هذا المسمى بالثقافة السياسية
هوما جديدا في علم السياسة ، لكننا نقدّر أن العقل البشري على اختلاف الأماكن والأزمان بإمكانـه أن
لواحدة ، حتى وإن اختلفت المناهج والأساليب ، وكان لكل لغته العلمية ومصطلحاته الخاصة به .

ثقافة الهامشية وثقافة الخضوع يذكر في مقال له يصف به علل الأمة المصرية قوله :
في الجهالة السائدة تعيش على الخرافة ، وتتعلق بقشور من الدين لا تزن عند الله شيئا ، وتنقاد مع الحبـال
لفسقة في أعناقها فهي تنجر إلى مصارعها دون وعي !) [398].

فحسب بل إن باستطاعة هذه السلطات القائمة التحكم حتى في سلوك الأفراد ومواقفهم [399] وذلك لمّـا
ة في فهم التقدم والتأخر ، والرفعة والضعة والاستقامة والشر ، وهذه التقاليد هي الأخرى تقـوم علـى
، وتوجيه الجمهور إلى الاستكانة إليه ، بل إلى التسابق في تقديسه.

مقال:(قصة حياة). ا.ـ : محمد الغزالي ، ص198 .
الإسلام المفترى عليه بين الشيوعيين والرأسماليين .
سياسة بين المواقف والسلوك في هذه الدراسات .
خارجي يتبناه فرد ما .
س إذ أنه : نزوع داخلي للرد بطريقة خاصة على وضع ما .
حظته بصورة مباشرة ، لأنه يحدث في الحين ظاهرا للعيان .
من كونه حقيقيا فليس من وراء تتبعه غير النتائج المحتملة ، التي قد تتحقق وقد لا تتحقق وفقا للظروف .

مثلة التي ذكرها الغزالي أيضا وضمّنها أنماط الثقافات الثلاث وحال أهلها ، الأمة التي ظهر بـا قـارون ، جد با أخلاطا من الناس يمتاز كل خليط منها بوضعه وفلسفته وثقافته وأحواله .

ان الظلم الذين يتملقون أربابه ، ويعيشون في ركابه ، يعيشون حواشي للجبارين ، يزينون لهم المقـابح ، ضائح. وهناك أنصار العدل الاجتماعي ، وحماة الوحي الإلهي الذين يستنكرون المظـالم ، ويجتهـدون في يضعون على طريق الشر معالم حمراء ، ويصيحون بقارون وغيره [لا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب ن: 77]

لذين تسقط القوارع على رؤوسهم فلا يستيقظون ، ويتخذ الكبراء من شعورهم حبالا، ومن جلودهم نعالا ون راضون ، يحصدهم الموت وهم في خدمة السادة أبدا ، فتتوفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم...)[400].

أن الغزالي كان من أشد الناس حرصا على محاولة تكوين ثقافة سياسية صحيحة لأمتنا ، هذه الأمـة الـتي طأة الجهل والاستبداد ، حتى صارت تتجافى عن التعاطي مع مقتضيات الشأن السياسي ، وكل ما يتصل به د .

د وبوويل (almond and bowell) المواقف السياسية في ثلاثة فئات : =

وتتجلى في المعرفة التي يراكمها الفرد حول السياسة ورجالها والمؤسسات، وقد تكون هذه المعرفة خاطئة ، لكن المهم هو أن الفرد يعيشها ذاتيا مجموعة حقائق موضوعية موجودة بشكل مستقل عنه ، وتبرر بالتالي المواقف التي يستنتجها منها.

ود بالعكس للمشاعر ، وتتجلى على سبيل المثال بالتعاطف أولا مع هذا الرجل السياسي أو ذاك أو بقبول أو رفض هذا النظام السياسـي أو يديولوجية أو تلك ...إلخ

تكون من خلال تعريف القيم ، أو بعبارة أخرى: من خلال إعطاء الوقائع السياسية علامة إيجابية أو سلبية.

أنظر : جان ماري دانكان :علم السياسة . (مصدر سابق) ، ص155-158 (بتصرف) .

الإسلام المفترى عليه بين الشيوعيين والرأسماليين ، ص106

ـوى الإيجابـي لثقافـة المسلميـن السياسيـة :

ن يعلم بداهة هو أن التربية السياسية ـ التي تمثل السلوك الصحيح ـ في الإسلام تنبع من العقيدة الإسلامية
؛م وأصوله ، ومن أحكام الشريعة الإسلامية ومقاصدها ـ لذلك يجب السعي بغية تكوين ثقافة سياسـية
، المبادئ التي ذكرنا، أي : السعي لتقويم التصور والفهم حتى يغدو تصورا صحيحا، ومن ثم يتولـد منـه
ـ فليست التربية السياسية في المنظور الإسلامي، خارجة عن سياق المنهج الإسلامي وعن روح الإسـلام،
لتي هي جوهرُ رسالته وجماع تعاليمه، وإنما هي جزءٌ أصيلٌ لا يتجزأ من المنظومة الشاملة المترابطة المتكاملة،
قوّماتِ الأساسَ للتعاليم الإسلامية الهادية إلى أقوم السبل في الحياة ، على المستويين الفردي والجماعي.

لام ورحابُته اللتان تجعلان منه منهجاً متكاملاً للحياة ، تقضيان بأن تكون التربية السياسية أحـد العناصـر
، على وجه العموم، في دلالاته العميقة وفي مجالاته المتعددة ، بحيث لا يجوز، بل لا يمكن إطلاقاً الفصـل في
بن التربية السياسية، وبين التربية الأخلاقية، بين تربية الفرد، وبين تربية المجتمع، لوحدة المنهج الإسـلامي ،
سلامية إلى الإنسان وإلى المجتمع ، وإلى الكون بصورةٍ أعمق وأشمل.
، على العلماء والكتاب والمفكرين وجوبا عينيا ضرورة السعي في تبصير الأمة بشؤونا العامـة، وبحقوقهـا
على تنشئة الشباب المسلم على الحس السياسي، والانفعال مع مطالب الأمـر بالمعروف والنهي عن المنكر،
السياسي بأفق مستقبلي واسع وعقلانية خصبة ، وتربص وتريث في انتظار الجولات والنتائج .

، التربية قد أفرز ما نلاحظه على نطاق جبهة العمل الإسلامي من معوّقات كبرى تسهم في تشويه الثقافـة
ستطيع أن نحصر هذه المعوّقات في العناصر التالية:
لتجزيئية، وعدم قدرة بعض الناس على ترتيب الأولويات .
ة المتدينين بقصور بالغ في الفكر السياسي .
نين والمتشددين قافلة الشأن السياسي.
ة الشيخ وغضبه مثل هذه الأشياء ، فيشن عليها النكير في مختلف كتاباته.
يل الثقافة المسماة بثقافة المشاركة إلا بإحكام ربط الدين مجددا بقضايا السياسة ، وإشغال علماء الإسـلام
ى العموم بالشأن السياسي ، باعتباره جزءا أصيلا من مهام الشريعة والفقه [401].

الغزالي على هذا الربط هو الذي جعله يخاطب قراء أفكاره بقوله :
منظور يصل إلى أهدافه في سكينة وسلام.
قارئ الكريم بذه الأفكار.
حدود المطالعة العابرة ... ثم الموافقة الباسمة...
نعده ترفا فكريا عقليا، ويكون حسب القارئ أن يقف هذا الموقف .

، ص 135 . بتصرف

أمر بحقيقة دين كالإسلام، ومستقبل أمة زحمت التاريخ ، وشغلته قديما وحديثا كالمسلمين ، فالأمر أخطـر
ذ ضرورة مادية وأدبية، تجعل من القارئ شريكا للمؤلف ، وتحشدهما معا لخدمة قضية مشتركة ، يتقاسمان
ا وتبعاتها، فلعل الذين يقرءون معي ، يقومون بهذا الحق ، ويمدّون شعاع الفكرة ، ويشاركون في إبلاغهـا

رصه الآنف الذكر يدعوه إلى توجيه هذه النصيحة للعاملين في الحقل الإسلامي يقول لهم فيها: (...أهيب
يرة على دينهم ألا يضيعوا وقتا في جدال، وألا ينخدعوا عن فساد الموضوع بفساد الشكل، وأن يتجهوا إلى
عشرات العلل الكامنة والوافدة ، التي تنخر في كياننا ، وتباعدها عن كتاب ربها وسنة نبيها .
عسكري يجب أن يستيقظوا وإلا كانوا هم أنفسهم قسما من المرضى...) [403].

لسلطة أثرها ووظيفتها في تحقيق قيم الإسلام، فللجماهير مثل ذلك، وفي هذا يقول الغزالي:(لست أنكـر
صار المسافة وإقرار المعروف ، ومحو المنكر، وإني أعلم أن الدولة جزء من الدين ، وأن أجهزتها الفعالة جزء
بعين، وكون الحكم من شعائر الإسلام الحقيقية ، لا يماري فيه إلا جاهل أو جاحد !...
في عمل الأمة نفسها في تثبيت العقائد والأخلاق والعادات الحسنة، وفي إعلاء سلطان الضـمير ، وتتبـع
فية والجلية، وفي فرض رقابة دقيقة على أجهزة الحكم، وفي إبطال شرعيتها إن هي نسـيت وظيفتـها، أو

لإسلام صورة ظاهرة لباطن الأمة، وهي يدها التي تحقق بها ما تبغي، وقدمها التي تسعى بها إلى ما تريـد.)

ة هي الصورة الظاهرة لباطن الأمة – أو كما ذكر في موضع آخر – جسد روحه الأمة ، من أدق التعـابير
الثقافة السياسية ومركزيتها ووظيفتها في صياغة شكل الدولة، ونظامها السياسي، وفي ذلك عظـة بالغـة
سلام، للإهتمام ببذل مزيد من الجهود، لتطوير الثقافة السياسية الذاتية للأمة، وذلك بإنتـاج فريـد مـن
بتحليل ذلك الشأن، وغرس خلق الشورى ممارسة في كل شؤون الحياة، وتدريب النشء على المسـؤولية،
كة في اتخاذ القرارات، والجرأة على محاسبة الحكام، فذاك أساس التحول نحو قيم الإسلام ونظمه في محـيط

الإسلام والأوضاع الاقتصادية ، ص209 .
الطريق من هنا ، ص129.
الطريق من هنا ، ص 123 .
، مقال (ملامح الفكر السياسي) ، ص 137 .

الفصل الثالث .
ـــــــادئ نظـــــــام الحكـــــم.

الأول : الدولـــة في فكـــر الغزالـــــــي .

ب الأول: طبيعتها.
ب الثاني : العلاقة بين الدين والسياسة .
ب الثالث : شكل الدولة .
ب الرابع : المصالح المرسلة في فكر الغزالي .

الثاني : وظـــــائف الدولـــــــة.

مطلب الأول: الوظائف الدينية .
لمطلب الثاني **:** الوظائف السياسية :

ثالث: الـــدستـــــــــــور.

ـ المطلب الأول : صعوبات البحث في الفقه الدستوري.

المطلب الثاني : تحديد الموقف مـن المصـطلحات الحديثـة في الفقـه

المطلب الثالث: رؤية الغزالي للدساتير.
لمطلب الرابع : تدوين الدستور الإسلامي .

الدولـــة في فكـــــر الغـــــزالي

ـــة :

موبات التي يواجهها الباحث المتلمس للأسس التي تقوم عليها الدولة الإسلامية، وجود ركام هائـل مـن
والنظريات التي أنتجتها الثقافة الغربية، وتلقفتها المنطقة الإسلامية، خلال القرنين الماضيين. ويبدو التـأثير
كر الإسلامي المعاصر واضحا بشكل خاص من خلال هيمنة قوالب التفكير الغربية علـى النتـاج الثقـافي
مسلم، ففي نطاق تحديد العناصر المميزة للدولة يلاحظ ميل العديد من الباحثين والمنظّـرين إلى تعريـف
كّـبات الثلاثة للدولة القطرية، التي تشكل حجر الزاوية في المنظومة الدولية الراهنة : الشعب والإقلـيم
مية "، يؤدي تبّنـي هذا التعريف المبني على التصوّر والتجربة السياسيين الغربيين إلى نتيجتين خطيرتين:

ـــــى: التسليم بشرعية التقسيم السياسي الحالي للمناطق الإسلامية، وبالتالي قبول الخريطة السياسية
الغرب وتبعية المناطق الإسلامية. فالخريطة السياسية الحالية للأّمـة هي إرث إستعماري ، وضع خطوطهـا
تعمر بناء على مصالحـه الذاتـيـة ، وأطماعـه الخاصة ، ومن دون النظر إلى إرادة الشعوب المستعمرة
حها.

ـــــة: إن تعريف الدولة من خلال المركبات الثلاثة للدولة القطرية، المذكورة آنفا لا يمكننـا مـن
سية التي تفاضل بين الدول الإسلامية وغيرها من الدول، نظرا إلى أن المبادئ الإسلامية تحظـر عمليـات
لعرقي التي تؤدي إلى هيمنة واستبداد جماعة قومية أو عرقية على الجماعات الأخرى ، كمـا تحظّـــر
يـة التي تؤدي إلى إكراه أتباع الديانات الأخرى على الدخول في دين الجماعة المهيمنـة ، أو طـردهم
م إذا ما أصروا على الاحتفاظ بعقيدتم .

لدولة يجب أن يتم من خلال مركبين:
لسياسية المنظمة للعلاقات السلطوية ضمن مجتمع سياسي معين .
ة والهيئات المخولة لها مهمة تنظيم الحياة السياسية ضمن هذا المتمع.
الدولة بأنا :
التي توجه الفعل السياسي وتحدّده وفق منظومة من المبادئ السياسية المعتمدة." إن التعريف السابق يمكننـا
قا من عناصر جوهرية في تركيب الدولة تلعب دورا حاسما في صياغة الحياة السياسية ، بدلا من التعويـل
، كالتقسيم الجغرافي، أو التركيب القومي، و العرقي . وهكذا يمكننا من خلال التعريف المقترح التمييز بين
طبيعة الحياة السياسية ونوعية الالتزامات العقدية والقيمية السائدة، فتقسم الدول إلى إسلامية أو اشتراكية أو
من التقسيمات .

عريف العام السابق للدولة يمكننا تعريف الدولة بأنا " البنية السلطوية للأمة التي توجه الفعـل السياسـي
المبادئ السياسية الإسلامية " [406].

فة أي الأوصاف يمكن إطلاقها على نظام الدولة الإسلامية ؟ [407] من خلال هذا العرض ومن خلال الإبحار
والتي عرض با لمفاهيم الدولة في الفكر السياسي الإسلامي ، فما الذي بإمكاننا أن نصف به هذه الدولـة
صحابا ؟

ا بالديمقراطية ؟ أو بالثيوقراطية ؟ [408] أو بالأوتوقراطية ؟ [409]
وصاف المعروفة ؟ أو هي شئ مختلف عن هذا كله ؟ أو مزيج منها جميعا ؟ أومن بعضها ؟ كما قال الأستاذ

، الإسلام وإن كان أقرب شئ إليه " **الثيوقراطية** " أولى أن يسمى " **النومقراطية** " وهذه تعني : حكومة
ون القانون فيها صاحب السيادة .
ة إنما يقصد با حكومة الإله أو الآلهة الذين يكونون ممثلين برجال الكهنوت، أو زعماء روحيين مقدسين،
الباباوات في العصور الوسطى، فيكون لهؤلاء الرؤساء سلطات روحية ، ولهم حق الغفـران والحرمـان،
طلقة، وأقوالهم قانون لأنم يدعون أنم يمثلون الإرادة الإلهية .

كذلك ، فهو خال من الكهانة ، وليس لهيئة حق احتكار الشريعة أو التمتع بخصائص روحية ، وما الإمام
إلا منفذ للشريعة خاضع لأحكامها ، وهو معّيـن من قبل الأمة التي تنتخبه ، ولها الحق أن تعزله .

لا يريدها دولة دينية ، وإنما يدعو دوما إلى إقامة دولة إسلامية ، وفرق كبير بين الدولة الإسـلامية ـ أي
، أساس الإسلام ـ والدولة الدينية التي عرفها الغرب النصراني في العصور الوسطى ، وعلة ذلك أن هنـاك
هو إسلامي وما هو ديني ، فالكثير يحسب أن كل ما هو إسلامي يكون دينا ، والواقع أن الإسلام أو سـع
، حتى إن علماء الأصول المسلمين جعلوا الدين إحدى الضروريات الخمس أو الست التي جاءت الشريعة
الدين والنفس والعقل والنسل والمال " ، وزاد بعضـهـم " العرض " .

في ، بحث نشر في : (كتاب : الحركات الإسلامية والديمقراطية) ، ص، 119 – 120 .
ن الريس ، النظريات السياسية الإسلامية ، ص365 - 366 .
. القاضي ، السياسة الشرعية ، ص641 - 642 .
ستاذ سنتيلانة : (الإسلام هو حكومة الله المباشرة ، يحكمها الله الذي يرعى شعبه دائما فالدولة في الإسـلام يمثلـها الله ، حـتى المواطنـون
وظفون عند الله)
de santilana : the legacy o ـ محمد ضياء الدين الريس، النظريات السياسية الإسلامية، ص 366 .
ر : (المثال والنموذج للحكم الإسلامي ، هو الحاكم المستبد)
the califate p.600 : w. mu ـ محمد ضياء الدين الريس، النظريات السياسية الإسلامية، ص 366 .

ن الظن بأن الدولة التي يدعو إليها الغزالي أو غيره من علماء الإسلام ومفكريه دولة دينية ـ كما يسعى في
من المضللين الغربيين والمستشرقين وأوليائهما من ذوي البشرة السمراء [410] ـ وإنما الدولة الإسلامية دولة
س الاختيار والبيعة والشورى ، ومسؤولية الحاكم أمام الأمة، وحق كل فرد في الرعيـة أن ينصـح لهـذا
روف وينهاه عن المنكر. بل يعتبر الإسلام هذا واجبا كفائيا على المسلمين، ويصبح فرض عين إذا قدر عليه
جبن عن أدائه.

في الإسلام مقيّـد غير مطلق ، فهناك شريعة تحكمه، وقيم توجهه، وأحكام تقيده، وهي أحكام لم يضعها
حزبه ، بل وضعها له ولغيره رب الناس ملك الناس إله الناس ، ولا يستطيع هو ولا غيره من الناس أن يلغوا
ـدوها ، فلا ملك ولا رئيس ولا برلمان ، ولا حكومة ولا مجلس ثورة ، ولا لجنة مركزيـة ، ولا مـؤتمر
ة في الأرض تملك أن تغير من أحكام الله الثابتة شيئا.

مسلم أو مسلمة إذا أمره الحاكم بما يخالف شريعة الله مخالفة بينة ، أن يرفض ، بل من واجبه أن يرفض ،
الحاكم وحق الله ، فحق الله مقدم ولا شك ، إذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.) [411].

آنفا سيجرنا إلى بيان وجه صلة الدين بالسياسة ذلك أنا أسالت من الحبر الكثير، وكانت للغزالي مع دعاة
اسة معارك انجلت نهاياتها عن انتصار واضح للمنهج الذي لم يشكك فيه في تاريخنا الطويل أحد ، حتى بلينا
اشم الذي زرع في نفوس البعض هذه الفكرة الصلعاء.
بالسياسة [= الدولة] ؟ [412].

س ولدوا في بلادنا ، لكن عقولهم وقلوبهم تربت في الغرب ، ونـمت أعوادهم مائلة إليه ، فهم أبدا تبع لما جاء به.. إنهم من جلدتنا ويتكلمون
خطر على كياننا . لأنهم كفار بالعروبة والإسلام ، أعوان ـ عن اقتناع أو مصلحة ـ للحرب الباردة التي يشنها الاستعمار علينا ، بعد الحرب
الكبيرة خلال قرن مضى .. ـ محمد الغزالي : ظلام من الغرب ، المقدمة . ص 3 .

وي، من فقه الدولة في الإسلام، ص58 .

وسف القرضاوي إلى غلق هذه القضية والتفرغ لغيرها ويعني بذلك قضية " الإسلام والدولة الدينية " أو ما يسمى بـ ـ " الثيوقراطيـة " و "
" ، ذلك أنها قضية قتلت بحثا ، وتبيّـن فيها الرشد من الغي ، وحصحص فيها الحق ، ووضح الصبح لذي عينين ، فلا ضرورة لأن نظل نلف
ما أحوجنا إلى أن نوفر وقتنا وجهدنا وفكرنا لقضايا أخر، تتطلب منا الكثير من البحث الجاد ، والدراسة العميقة ، والتعاون على تجليتـها ،
ن أن نضيّـعها في توضيح الواضح ، وتحصيل الحاصل ، ونشر النشارة ، وهذا الذي يذكره الشيخ حق في نفسه ، إلا أن هنـاك ملابسـات
زمانية وعرفية تجعل حتى الكثير من حملة الفكر الديني يعتبرون الدولة في الإسلام شبيهة بدولة ثيوقراطية ، وحاكمها ظل الله في الأرض ، فـإن
المؤيدين فما بالك بالمعارضين ، و إذا كنا نعلم أن النموذج الأمثل للدولة الإسلامية لم يره الناس في العصر الحديث مجسدا على واقعهم المعيش ،
جبارا يبذل ممن يخالفنا الفكرة ، ومن يناصبها العداء وذلك عبر توجيه الرأي العام ـ بوسائل إعلامه الجبارة ـ إلى التخويف من هذه الدولـة
ؤمنون بها ، فإن هذا مما لا شك فيه سيتقاضى أهل الحق أن لا يفتأوا في تبيينها وتوضيحها ، وأكثر من هذا تجسيدها على أرض الحقيقة لا سماء
ا نتناولها الآن من جانب تاريخي ارتبط بشخصيتنا قيد الدراسة ، وإذا كانت هذه القضية ـ فرضا ـ الآن عند المسلمين مسألة مـن البداهـة
ن كذلك في عهد الغزالي .

ـة بـين الـ ـ ـ ـدين والـ ـ ـسياسيـة :

سياسي في الإسلام ليس مقصورا على المصالح المادية ، بل يقوم على قواعد تستهدف تحقيق المصالح الماديـة
لأخروية .

ح جميعها قد تقررت في هذا التشريع انعكاسا للفطرة الإنسانية ذاتا – وقد ركز الفقه السياسي عند الغزالي
فكان أكمل وأشمل .

فيما يقوم عليه الحكم السياسي من عنصر ديني ذاتيا، وشأن الرادع في الحكم الذي يقوم على مجرد السلطة
أن يكون خارجيا . والأول يفضله بداهة في نظر العلماء وأولي الرأي والحكمة بل وعلماء الاجتماع كابن
..

زعم من فلاسفة السياسة وفقهاء القانون الوضعي، ومن تأثّـرهم في هذا النظر تقليدا أن لا علاقة للدين
هذا النظر بالنسبة إلى بعض الأديان الروحية الخالصة، فإنه لا يصح بالنسبة إلى الإسلام بوجه خاص وطبيعة
السياسة استلزاما منطقيا وعقليا قبل أن تكون اقتضاءا شرعيـًا، على أن الإسلام قد قامت دولته بل دوله
عصرنا ..

اسية في الدولة الإسلامية تمارس نوعين من الوظائف اختصاصات دينية وسلطات سياسية [414]. ولا فصـل
جموعة القواعد و الأحكام تغطي سائر مجالات الحياة البشرية المختلفة و كل من أشار بمبدأ الفصل في المجتمع

لإلحاد .

نني فصل الدين عن الدولة و معناه [415].

732-808هـ/1332-1406م) هو عبد الرحمن بن محمد بن الحسن، أبو زيد، الحضرمي، الإشبيلي الأصل ، التونسي، ثم القاهري، المالكي،
دون ، عالم أديب ، مؤرخ ، إجتماعي ، سياسي ، حكيم ، ولي في مصر قضاء المالكيـة، أصبح من المسلم بـه تقريبـا في مشـارق الأرض
خلدون هو مـؤسس علـم الاجتمـاع أو " العمران البشري " كما يسميه، وله نظرات نافذة في علم السياسة والاقتصاد، وتعتبر" المقدمة "
العلوم الإنسانية ، بل هي باكورة العمل الموسوعي العام قبل ظهور عصر الموسوعات بحوالي خمسة قرون . من تصانيفه : " العبر وديوان المبتدأ
رب والعجم والبربر.." و " تاريخ إبن خلدون " و " شرح البردة " .

- لزيادة الإطلاع أكثر راجع : موسوعة السياسة : ج6 ، ص815 – 823 .

للسنهوري ، ص21 . وكتاب "عمر بن الخطاب وأصول السياسة والإدارة الحديثة " ،(دراسة مقارنة)، الطبعة الثانية،
فكر العربي ، (1976م) . كما أن التعبير باختصاصات دينية وسلطات سياسية نميل فيه إلى ما ذهب
فؤاد النادي في كتابه " المبادئ الدستورية العامة " ص210 ونعتبره أولى مما قاله بعض الشراح .. – كالسنهوري
ص123 " و رشيد رضا .. في " الخلافة ص 142 " من أن السلطة السياسية تملك سلطات دينية وسياسية لأن السلطة
لك أدنى سلطة بالنسبة للاختصاصات الدينية ، بل نظمها الشارع وفق قواعد الشريعة القاطعة والمحكمة ، والقيود
رسومة ، والجميع مطالب فيها بالتنفيذ فقط والتسليم ، وليس ذلك خلافا وإنما وجهة نظر لما هو أولى، كما ذهب إلى
ي د : محمود حلمي في كتابه : " نظام الحكم في الإسلام "، ص285 .

، موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين ، ج 4 ، ص291 - 294 .

لفصل أو إلى هذا الفصام النكد الذي يندد به شيخ الإسلام في تركيا مصطفى صبري .عبد الغني سني، أحد فقهاء الترك في مقدمة الكتاب الذي
لوطني بتركيا إبّـان أزمة الخلافة ، وخـلال سنـوات احتظارها ، تحـت عنوان " الخلافة وسلطة الأمة " .

ياسية في النظام السياسي الإسلامي سلطة مدنية من كل الوجوه [416].
رى أن الإسلام لم يفصل بيـن السلطتين السياسية و الـروحية.
الجانب المقابل نجد البعض ممن لم يفقهوا شمولية الإسلام وأصوله العظمى نادى بوجوب فصل الدين عـن
وادعوا أن لا صلة للدين بالسياسة ، ومن هؤلاء الشيخ عـلي عـبد الرازق – أحد علماء الأزهـر –
رس العلوم السياسية بجامعة أكسفورد البريطانية، والذي أصـدر كـتابه الـشهير " الإسـلام وأصول
ـى الـقول فيه بـأن :
في شيء من الخطط الدينية ! كلا ولا القضاء ولا غيرها من وظائف الحكم ومراكز الدولة . وإنما تلـك
لا شأن للدين بها فهو لم يعرفها ولم ينكرها ولا أمر بها ولا نهى عنها) [417].

ذه الأفكار المدوّية صدرت سبعة كتب لعلماء ومفكرين مسلمين [418] تعقبتها بالرد فاضطربت مراكز الغزو
على عبد الرازق نفسه زمانا ، وامتنع عن إعادة نشر كتابه على الرغم من إلحاح العلمانيين [419] وترويج
ودفاعها عنه .

خطإ نفسه في الرأي : محمد بركات الله في كتابه عن الخلافة . وهم ومن على شاكلتهم ليست لهم قدم راسخة في معرفة أحكام الشرع الحنيف
– أنظر : عبد الله محمد محمد القاضي ، السياسة الشرعية ، ص 482 .

دث عن سلطة مدنية منتخبة في ممثلي الأمة ، والتزامها بشريعة الإسلام لا يحوّلها إلى سلطة دينية بالمفهوم السائد في التجربة الغربيـة ، الـذي
ويض الإلهي، واستمرار احتكار السلطة ، إذ يظل الدين فيه مصدر القانون والقيم وليس مصدرا للسلطة بأي حال . وكان الإمام محمد عبـده
تلك الشبهة بحسم منذ بداية القرن ، حيث ذكر أن أحد الأصول التي قررها الإسلام هو " قلب السلطة الدينية والإتيان عليها من أساسـها "
آخر من مقالته أن الإسلام " هدم بناء تلك السلطة ومحا أثرها ، حتى لم يبق لها عند الجمهور من أصل إسم ولا رسم . ولم يدع الإسلام لأحد
سلطانا على عقيدة أحد ولا سيطرة على إيمانه . والرسول عليه الصلاة والسلام كان مبلغا ومذكرا لا مهيمنا ولا مسيطرا . قـال الله تعـالى
مذكر لست عليهم بمسيطـر] [الغاشية 22/21] ......
ام رأيه في جملة واحدة هي " ليس في الإسلام سلطة دينية سوى سلطة الموعظة الحسنة والدعوة إلى الخير والتنفير عن الشر وهي سلطة خوّلهـا
ن ويقرع بها أنف أعلاهم كما خولها لأعلاهم يتناول بها أدناهم ...)
ـ أنظر : فهمي هو يدي مقال في كتاب " الحركات الإسلامية والديمقراطية " ، ص23-24 .
ـ وكذا " الأعمال الكاملة " لـ : محمد عبده ، قدم لها محمد عمارة 06 . ج .

ق ، الإسلام وأصول الحكم ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت .(بدون تاريخ) ، ص

همة الرد على كتاب " الإسلام وأصول الحكم " :
الشيخ محمد الخضر حسين : في كتابه " نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم "
الشيخ محمد بخيت المطيعي ، مفتي الديار المصرية حينئذ في كتابه : " حقيقة الإسلام وأصول الحكم "
الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، مفتي المالكية في تونس : في كتابه " نقد علمي لكتاب : الإسلام وأصول الحكم " ويضاف إلـيهم آخـرون
لكتاب ردا علميا رصينا كـ ـ :
الدين الريس ، ود : عبد الرزاق السنهوري ، ود : محمد عمارة ، و العلامة : محمد شاكر ، والدكتور : عبد الحميد متولي) .

مين العالم أنه سعى إلى الشيخ علي عبد الرازق قبيل وفاته ، لإقناعه بإعادة طبع الكتاب فتمنع كثيرا ، ولم يقتنع إلا بعد أن أوضح له أنّ الجـو
ر كثيرا ، وأن السلطات السياسية أصبحت أكثر جرأة في رعايتها لمثل هذه الأفكار وحمايتها لأصحابها ، فأذن له بإعادة طبع الكتاب على ألا
عبد الرزاق – أي مسؤولية من جراء ذلك ! وفي ذلك يقول محمود أمين العالم : " تمنيت أن يخرج الكتاب في حياته ، ليكون معنى من معاني
لجميل ، يقدمه جيلنا المعاصر لهذا الجيل السابق الذي مهد لنا الطريق " .

ون عاما حتى برز خالد محمد خالد من الأزهر، يروّج للمضامين ذاتها في كتابه: " من هنا نبـدأ "، وإذا
ن قد تشبث بمفاهيم العلوم السياسية التي شدا ببعضها في أكسفورد ، فإن خالد محمد خالد قد انتحل لنفسه
، الحادب على الحريات العامة وحقوق الإنسان أن تنتهكها الكهانة الدينية ، إذا مـا اسـتبدت بزمـام

من معرفته بالتجربة التاريخيـة الإسلاميـة ، التي تنفي وجود مثل تلك الطبقة أصلا ، بله أن يتاح لهـا أن
اس ، فإنه فضّل أن يعزف على وتر تلك المخاوف المتوهمة ، التي لا يمكن تأمين الناس من شرها ، إلا بفصل

ن هنا نعلم " تولى الشيخ الغزالي نقض تلك الأطروحة من الأساس ، وقد كان طريفا أن يشتبك شـيخان
مبادئ ثقافتهما موحدة ، يعتركان حول قضية أصولية كبرى من قضايا الدين ، هي معلومة مـن الـدين
كنها لم تكن كذلك في ذلك الزمان.
تولى الغزالي إعادة تعريف المصطلحات المستخدمة في الجدال ، فنظام الكهنوت ـ بتعبير خالد محمد خالد
دين بالاستخدام الدارج، طبقة لا وجود لها ولاشرعية لها في الإسلام... فقط[420].

ريق من الناس يختص بنوع من الدراسات العلمية المتعلقة بالكتاب والسنة ، وهذا النوع من الدراسـات لا
ة محدودة من آفاق الثقافة الإسلامية الواسعة ، تلك الثقافة التي تشمل فنونا لا آخر لها من حقائق الحياتين ،
وغير المادية) [421].
طائفة مغلقة ذات تفويض سلطاني خاص .

" تأويل القرآن " الذي اتخذه خالد محمد خالد حجة أخرى ، تشير إلى سعة سلطان الحاكم المسلم ، الذي
ن الكريم كما يشاء ، لتسويغ تصرفاته وتمريرها على الناس ، فإن الغزالي يعطيه حده الـدقيق فيقـول : (
تمد في أحكامه وتوجيهاته على التعبيرات العامة والألفاظ المرنة ، حتى يساير العصور كلها إلى قيام الساعة،
إعجازه، بيد أن العموم والمرونة شيء آخر غير الغموض والإبهام ... وفي السنة مزيد من البيان لما أجمـل
تفاصيل. وأما إذا كانت بعض الآيات المتصلة بذات الله وصفاته فوق مستوى العقول ، فإن آيات العقائـد
والأوصاف ـ وهي أكثر القرآن ـ محكمة ، ثم هي وحدها منبع التشريع ومناط التكليف) [422].
ضى في التأويل بحجة أن القرآن حمّال أوجه شتى ، لك أن تختار منها ما يوافق هواك ، كما زعم خالد محمد

ن أن خالدا قد سبق أن رفض منهج التأويل ، إلا أنه عاد ليستخدمه لما رأى أن يقضي مأربـه في سـلب
سي، و هاهو يؤول حديث " أنتم أعلم بأمور دنياكم " ليستنتج منه أن الناس أولى بأن يترك لهم أمر اختيار

– جريدة أخبار اليوم (مصر) بتاريخ : 1996/12/08 .
، مقال : ملامح الفكر السياسي للشيخ الغزالي ، ص 110
من هنا نعلم ، ص 24 - 25 .
من هنا نعلم ، ص37.

كم التي تناسب أوضاعهم وفي هذا المقام يتجاهل أن أصول الاستدلال الفقهي لا تعطي هذا الحديث ذلـك
ولج فيه ، وإنما تقصره على القضايا الفنية المتعلقة بمسائل الصناعة والزراعة والطب ، ونحوها مـن الحـرف
تعد إلى حدود القضايا المبتوت فيها شرعا ، كقضايا الحكم والقضاء والاقتصاد . والغريب أن خالد محمـد
ذا الحديث ليحمل على مبدأ الحدود الشرعية، وليوهم جواز تغييرها أو تعطيلها، وإمكان توكيل السلطات
إطار ما تنفذه من أحكام القضاء المدني، هذا إذا كان لابد من تنفيذها.
يؤكد الغزالي أن نظام الحكم الإسلامي ليس نظاما من سائر الأنظمة المعروضة ليختار منها المسلم ما يشاء
وإنما هو نظام منبثق رأسا عن عقيدة التوحيد ومعبر عنها في واقع الحياة الاجتماعية ، وأن الحدود جـزء لا
ظام القضائي ، صحيح أن الجانب العقابي في الدين ليس هو الجزء الأهم من التشريعات الإسلامية ، ولكنه
من مجمل شريعة الإسلام .

ستدلالات صاحب من هنا نبدأ ، يتولى الغزالي دحض الحجة التي ابتكرها الكاتب، والتي ستصبح ـ مـع
رة للعلمانيين، الذين لا يريدون مصادمة الدين بعنف ، وإنما يظهرون بمظهر الحادب عليه . يقول خالد محمد

رضة للنقد والتجريح ، وعرضة للسقوط والهزائم والاستعمار ، فكيف نعرض الدين لهذه المهانة ؟ وعلـى
معجبا حيث يقول[423].
لدولة عرضة للانتصار والانحدار ، فإذا تأسّست على الدين فأي ضير على الدين أن يكون في حال النصر
ن الطغيان ، وفي حال الهزيمة حافزا يغري بالمقاومة ويدفع الشعوب إلى رد العدوان.
دينية محضة سقطت أمام أعدائها، فهل ينقلب الحق باطلا لأنه انخذل في معركة ؟ أي عار على الـدين إذا
الدولة التي تنافح عنه ؟
تل في هزيمته صدّيقون وأنبياء) [424] .
وليائه لا تعني ألاّ يناضل الدين ودعاته ، وأن ينسحبوا من ميدان المعركة ابتداء.
ّب الغزالي مفاصل كتاب من هنا نبدأ، وترصّد حججه التي بذل صاحبه جهـدا كبيـرا في تطويرهـا
الإسلامي، حتى تستأصل ـ في عملية جراحية شرعية ـ هذا : **" الزائد الإسـلامي "** [425] المسمّـى
ي ما كان سوى مظهر سياسي خارج عن حدود الدعوة الدينية التي كلف بـا الرسول صلوات الله وسلامه
ي عبد الرازق ، أو طارئ استلزمته الضرورات الاجتماعية في ذلك العهد لا غير ، كما زعم خالد محمـد

ة ، (عدد خاص عن الشيخ محمد الغزالي) ، ص 112 .
من هنا نعلم ، ص 51 .
لإسلامي " استخدمها : محمد البهي في تلخيصه ونقده لموقف الذين استخدموا لأداء مهمة التنظير لفصل الدين عن الدولة . راجـع مناقشـته
لهم في كتابه الفكـر الإسلامـي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي ، ص 196-206 .
أن خالد محمد خالد نفسه قد تراجع في منتصف السبعينات عن مقولات كتابه " من هنا نبدأ "، وأعلن على الملإ توبته في جرأة تليق بأمثاله من
ن، حيث أكد ـ بعد أن كشف عن المؤثرات الغربية التي أوقعته في الخطإ ـ (أن الإسلام دين نظام ، ولعلنا لا نجد دينا ولا نظرية تتطلب
ة كما نجد ذلك في الإسلام) .

زالي هذا المثال المستقى من المناخ السياسي لتلك الأيام....فيقول : (هب أن رجلا كـوّن فكـرة عـن
ا المعروف أنه أديب وخطيب وأن حياته تقوم على الكتابة والخطابة فحسب ، وأنه لا يعرف عن السياسـة
ادينها يوما ! !

إن هذا الرجل ولد وشاخ في السياسة ، وإنه خاض حربين هائلتين ، وضرب دول العالم بعضها بـبعض ،
ره أثر عميق في تاريخ بلاده ، فكيف يوصف بأنه غير سياسي ؟ قال لك: ولو !
هي التي اضطرته إلى ذلك ! وشن الحروب وعقد المعاهدات وتشريع القوانين وتولي القضاء وغير ذلك من
رجل ولا يسمى سياسيا [427] .

بالتوجيهات التي تغطي مجالات العقيدة والعبادة والتربية لا يعني بالضرورة أن تلك هي حدود الإسـلام،
لك من قضايا السياسة والسلطة مجرد " **زائد** " ينبغي أن يزاح !

فاع عن ذلك " **الزائد** " جهادا مرا مستمرا ، أدى في النهاية إلى تأصيله في مقامه الصحيح فرضا لا يمارى
[428] .

أنظر: خالد محمد خالد ، الدولة في الإسلام ، (القاهرة : دار ثابت ، 1981)، المقدمة ص 24 .
رة واعتراف صريح منه قد لا يتوافر للكثير ، ولكن الملاحظ أن فكره قد ظل مشوشا حتى آخر حياته، لأنه لم يقم بمراجعة أصيلة وجازمة لـمل
ماته حظي برثاء كثير من العلمانيين ، الذين ربطوا بين إنجازاته الفكرية ، وكتابه من " هنا نبدأ " والضجة التي أثارها عند صدوره .
من هنا نعلم ، ص 65 .
، ص 113.

دولــ ــ ــة :

مــاء السياسة المسلمون أنه لا مانع أن تبدأ هذه الدولة ـ الإسلامية العالمية في طبيعتها ـ بدولة إقليمية في
شعبه الإسلام شرعة ومنهاجا ، وآثر أن يجسد النموذج الإسلامي على الأرض ، وان يقاسى في سبيل ذلك
العلنية ، ومن الحصارين المادي والمعنوي والأدبي، ما لا يصبر عليه إلا أولوا العزم ، فإذا ظهرت عدة نماذج
أن تكون بينها دولة واحدة، تقوم على الوحدة ، أو الاتحاد الفيدرالي [429] ، أو الكونفدرالي [430]. وبــذا
ية المنشودة [431] .

ـ ونحن بصدد بناء أمتنا من جديد ـ (وفي سبيل الاستفادة من الغير في إطار إعادة هذا الاتحاد والوحــدة
ن دول الكومنولث البريطاني [432] .
ن شعوب الاتحاد السوفيتي ، أو الولايات المتحدة الأمريكية ـ مثلا ـ
لامية تتكوّن من شعوب عدّة وقد نرى جعل " الخلافة " رابطة مرنة ، أولى من جعلها نظاما مركزيا ، ومن
بما للأجناس والأقطار المختلفة من خصائص يجب أن تبقى لها.
زمن شيمة أولي الألباب ...)[433].

اتحادي (الفيدرالي) fédération : نظام ابتدعته الولايات المتحدة الأمريكية بقصد التوفيق بين الوحدة السياسية لولاياتا الكبيرة المختلفة به كل ولاية منها من طابع خاص يجعل بينها وبين باقي الولايات اختلافات عميقة الجذور، فالسلطة المركزية في هذا القطاع تتمتع بصلاحيات اسة الخارجية، في حين أن السلطات المحلية لكل ولاية تتمتع بصلاحيات واسعة في الحكم الداخلي الذاتي. يكاد يصل إلى حــد الاســتقلال في وهناك دولة كبيرة أخرى ذات نظام اتحادي هي الاتحاد السوفيتي

ـ موسوعة السياسة ، ج 06 ، ص 584 .

الــكــونــفــدرالــية – confédération : فهو شكل من التنظيم الاتحادي بين دول تعهد بممارسة بعض من صلاحيتها إلى سلطة مع إبقائها على حكوماتا المميزة، وتتألف السلطة المركزية أساسا على هيئة تنسيق ملزمة باتخاذ قراراتا كافة ، أو معظم قراراتا على الأقــل عضاء في الكونفدرالية، وذلك بخلاف ما يحصل في الفيدرالية، حيث تتخذ القرارات بأكثرية الأصوات فقط وغالبا ما تتحول الكونفدرالية ولا ولة القومية إلى فدراليــة . وهــذا مــا حصــل في سويســرا علــى ســبيل المثــال حيــث لم يبــق مــن الكونفدراليــة إلا اسمهــا.
اسة ج 5 ص 285.

اوي ، من فقه الدولة في الإسلام ، ص 32 ..

ث commonwealth **:** رابطة دولية حرة بين بريطانيا ومستعمراتا السابقة التي استقلت عنها وظلت تابعة لها محافظة على ولاءها للتــاج ل البريطاني هو رئيس الكومنولث . الهدف الأصلي من هذه الرابطة الإبقاء على صلات التشاور والتعاون بين بريطانيا والدول المتــأثرة بــا تكون بالإضافة إلى بريطانيا من(أوستراليا – البنغلاديش ، كندا، قبرص، الدومينيك، غانا، الهند، كينيا، المالاوي، السيراليون، سنغافورة، جزر ين" ، وت انيا وأغندا، وجامايكا ... ودول أخرى ، اقترح ألبندنيت نرو أن يكون العاهل البريطاني رئيسا للكومنولث . بيد أن هذا المنصــب دستور ولا حكومة مركزية لهذه المنظمة الأولية، كل ما هنالك لقاء سنوي بين رؤساء ووزرات الدول الأعضاء يفترض أن يتم التداول خلاله بعيدا عن الأضواء ـ المشكلات التي يعاني منها المتمعون كمشكلات " البطالة -التضخم النقدي – التخلف الاقتصادي .....
التعاون التقني للكومنولث مهمة تأمين تبادل الخيرات الفنية بين الدول الأعضاء .
سر بين الدول الأعضاء في الكومنولث، خلال العقدين الأخيرين، مع زيادة حدة الخلافات والتناقضات فيما بينها وقد أصيب الكومنولث بنكسة هت بريطانيا صوب السوق الأوربية المشتركة، الأمر الذي أحدث تغيرا ملموسا في تطلعاتا وعلاقاتا الاقتصادية والسياسية والدولية .

ـ موسوعة السياسة ، ج 5 ، ص261-262 .

ظلام من الغرب ، ص277-278 .

غزالي على التذكيـر مثنـى وثلاث بضرورة وجود كيان سياسي وثقافي موحد للمسلمين، حتى يستطيعوا ام بحق الله عليهم، وأهمية هذه الوحدة ـ أو ما كان يسمى قديما بالخلافة الجامعة لبيضة المسلمين ـ تظهر ةـزالي عن سقوط الخلافة الإسلامية " الاسمية " في العصر الحديث :

سقوط روما قديما في البرابرة ، كان له دويّ بعيد المدى ، وإن لم نحس به نحن في طفولتنا ولا شعرنا ـ بعد ث الخطير ، فقد تعلـّـمنا في ظل الإحتلال أنه ليس من الضروري أن تكون للأمة الإسلامية جامعة عامة ، .!!) [434].

ح على الشيخ الغزالي جاء فيه : كيف يقيم المسلمون دولة إسلامية واحدة ؟ [435].

لإجابة بكلام فحواه أننا عند التأمل التاريخي نستطيع القول أن الأمة الإسلامية بقيت إلى يوم النـاس هـذا فاة نتيجة أمور ثلاثة : أولا وقبل كل شيء : 1 ـ حفظ الله تبارك اسمه. ثم يأتي بعد ذلك:

لعميق لدينها. 3 ـ جهاد الفقهاء والدعاة والمربين.

يخ : (...كيف شقت الأمة طريقها بقوة على عهد الخلافة الراشدة، وكانت الجماهير والحكام جسـدا هما، ثم اضطربت أجهزة الحكم العليا ودخلها خلل مزعج أيام الدولة الأموية ، وصدر الدولة العباسـية ، جمهرة العلماء والدعاة أن يبقوا الأمة موحدة الصف والهدف ، وراء أولئك الحكام فكان المسـلمون أمـة دة تقريبا [436].

ذع الغليظ سيقان أخرى ، ما لبث أن اشتدت وتحوّلت إلى جذوع قوية ومن هنا قامت دول إسلامية شتى ضعف [437].

ص277-278 .

اح دين ، مكتبة رحاب الجزائر ،الطبعة السادسة ، 1408هـ – 1988م ، ص145 .

ة سؤال في الإسلام ، ص ، 250 – 254 ، بتصرف .

من القرآن الكريم والسنة الصحيحة ـ حسبما يرى الغزالي ، وكما كان يحرص على ذكره وينبه إليه في كثير من كتبه ـ انفصل عن الحكـم وانكمش وأصبح تعليقا مرا ولاذعا عند واحد مثل الحسن البصري لما قيل له : لص مأخوذ إلى الحاكم ، فقال : سبحان الله ! سارق السـر ق العلانية .

كم المستغل لص ، وأن اللص الصغير يقاد إلى اللص الكبير، واكتفى بذا التعليق.

أن يتحول إلى ثائر ؟ هو رأى مصارع الخوارج ، وبطش الحجاج بالشعوب فرأى أنه يمكن استبقاء الإسلام علميا ونظريا وتربويا بالطريقة التي كذا مشى غيره من الدعاة والوعاظ والعلماء ، فكانت أول شعبة معطوبة في شعب الإسلام هي الحكم .

ـ يراجع : كيف نتعامل مع القرآن لـ :محمد الغزالي ، ص65 - 66 .

من عصر ملوك الطوائف (400 – 536 هـ)، فقد انقسمت الأندلس عقب سقوط الخلافة الأموية إلى عدد من الـدويلات والطوائـف ، س من نفسه القدرة من رؤساء الطوائف عربا أو موالي يستقل بالإمارة التي يحكمها، ويتخذ من أهم مدينة فيها عاصمة له ، وقد نشأت بـين ك وملوكها حروب متصلة ، بلغ الأمر فيها استعانة بعضهم بملوك الفرنجة. كما تجاوز التنافس بينهم إلى التنافس في مجالات العمـران والأدب طرب والغناء، وتشجيع الأدباء والشعراء . وبالرغم من ذلك شغل فريق بالبهرجة والترف والتهافت على الصغائر ، والتلقب بنعوت الخلفاء مما اعر أبي علي الحسن بن رشيق المسيلي (ت 456 هـ) صادقة في حقهم حين يقول :

في أرض أندلـس & أسـماء مـعتضد فـيها ومعتـــــمد

ة في غير موضعهـا & كالهر يحكي انتفاخا صولة الأســـــد

ـ الموسوعة العربية العالمية ، ج 16 ، ص 220 بتصرف .

ياة الإسلام الأولى لم تجيء من كثرة حكوماته ، قدر ما جاءت من تفاهة الحاكمين، ونـدرة مواهبـهم،
لافة بين أناس لا يصلحون لإدارة قرية صغيرة، أو شركة محدودة ...) [438]

التي نستخلصها من بقية الإجابة تتمثل فما يلي :
كيان سياسي وثقافي موحد للمسلمين ، حتى يستطيعوا أداء رسالتهم، والقيام بحق الله عليهم ذلك لأن :
لتاريخ الدولي للعلاقات بين المسلمين وغيرهم ، تُـشعر بأن هذا الترابط الإسلامي ضرورة حياة ، ونـداء
تنظر إلى الإسلام والمسلمين بكره ، وتودّ لهم العنت بل الضياع .
ئن الأولى التي توارثتها الأجيال في مطالع القرن الخامس عشر للهجرة :
لفجوة بين الهندوكية والشيوعية والصليبية واليهودية ، فالكل يعالج الوجود الإسلامي بالقتل .

لمسلمين في دولة واحدة، وتحت راية واحدة ، وهم ألوف مؤلفة " مليار ومائتي مليون نسمة " . موزعـون
والنماذج للتمثيل موجودة.
له دولة ، وهي مثل ذلك العدد ، والاتحاد السوفيتي قدر على بناء دولة واحدة فوق أرض تأخذ نصـف
ن آسيا مع تعدد الأجناس واللغات .

ائق مادية تمنع قيام دولة واحدة للمسلمين ، بل العوائق دون هذه الدولة نفسية ومعنوية واستعمارية، وهي
قبل أن ترجع إلى خصومهم [439].

، مائة سؤال في الإسلام ، ص 250 .

ية المترامية الأطراف يكمّـل بعضها بعضا في كل ميدان ، ويشد أعصابا المعنوية والعسكرية قلب واحد، وفي هذه الفكرة بالذات نجد الغزالي
مع الله " عن الدكتور: محمد البهي أن الرحالة الألماني " بول أشميد " في كتابه " الإسلام قوة الغد " الذي ظهر قبل الحرب العالمية الثانية في سنة
ب المسيحي من استمرار التوتر في السياسة بين حكوماته وشعوبه . وأنذر هذه الحكومات والشعوب بأن الشرق الإسلامي يتحفز للسيطرة بعد
ادة الأوربية ، لأنه يملك فعلا مقومات القوة في الغد .
ي الشرق الإسلامي ضعف الغرب ، وكان لا محالة من أفول نجمه ، ثم أشار إلى مقومات القوة في الشرق الإسلامي وحصرها في ثلاثة عوامل :
لام كدين وروعة الاعتقاد به ، والاستمساك بمثله ، وفي مؤاخاته بين أتباعه على اختلاف الجنس واللون والثقافة .
لثروة الطبيعية ، في رقعة العالم الإسلامي ، الذي يمتد من المحيط الأطلسي على حدود مراكش غربا إلى المحيط الهادي على حـدود إندونيسـيا
هذه المصادر العديدة لوحدة اقتصادية سليمة قوية ، بل لاكتفاء ذاتي لا يدع المسلمين في حاجة ما إلى أوربا ، أو إلى غيرها إذا مـا تقـاربوا

لى عامل مهم ، هو خصوبة النسل البشري لدى المسلمين، مما يجعل قواتم العديدة متزايدة نامية فإذا اجتمعت هذه القوى الـثلاث . فتـآخى
حدة العقيدة ، ووحدة الله ، وغطـّـت ثرواتم الطبيعية حاجة عددهم المتزايد ، كان الخطر الإسلامي خطرا منذرا بفناء أوربا ، وسيادة دعوة
ي مركز العالم .
- محمد الغزالي ، مع الله ، ص 273 – 274 .

الجديدة ليست مركزية بداهة، إنا مجموعة من الأقطار أو الولايات لها حكوماتا المحلية ومجالس شـوارها،
ها المعنوية. يتكوّن منها بعد ذلك كيان الدولة الكبرى ، ويوجد بعاصمتها الخليفة بسلطاته العامة.

ائيون وضع القالب القانوني لهذا البنيان السياسي ، ولا حرج عليهم أن يقتبسوا من الأنظمة المطبقة في دول
ا بروح الإسلام .

يس عصر الدويلات المنثورة. إنه عصر التكتلات الكبيرة القديرة على الحياة والمقاومة الذاتية .

لة الإسلامية الواحدة بكل تأكيد يحتاج إلى تمهيد واسع ، يعيد المسلمين أولا إلى دينهم الحق ويملأ أفئـدتم
ائده وشرائعه وفضائله ، كما تحتاج إلى بصر حاد بأخطاء الماضي وأسباب الانيار ، حتى يمكن تجنبها بلباقة
لة الجديدة على قواعد لا تنال منها الأيام [440].

غزالي ، مائة سؤال في الإسلام ، ص 250 – 254 .

المرسلة في فكـر الغـزالي :

ج الإسلامي للحياة بالمرونة التي تنسجم مع الفطرة الإنسانية ؛ فلا الإسلام فرض نظاماً جامداً لتدبير شؤون
هيكلاً ثابتاً لا يتغيّر للدولة، ولا هو وضع حدوداً ضيّقة لا يجوز تجاوزُها عند إنشاء الأنظمة وإقامة الدول
، وإنما وضع الإسلام ما يمكن أن نصطلح عليه بـ "الإطار العام" للمجتمع، أو بـ "النظام العام"
ن على المبادئ الثابتة للشريعة الإسلامية المستمدّة أساساً من القرآن الكريم ومن السنة النبوية الصحيحة،
ى، والمساواة في الأحكام والحقوق والواجبات. وترك الإسلام للإرادة الإنسانية الحرة، الحق في التصرف
وللمجتمع، على حدّ سواء ، في ضوء هذه المبادئ.

لقواعد الدستورية لنظام الحكم في الإسلام، ليست جامدةً، شأن قواعد الحكم في الأنظمة الشمولية التي
أمام المواطن، وتحجر عليه التفكيرَ في صياغة حاضره وبناء مستقبله وتدبير أمور معاشه. وهذا يقتضي أن
ي الإسلامي، فكراً حيّاً، متحركاً، مسايراً للتطور، وإن كان في الإطار العام للمنهج الإسلامي.

هذه المبادئ، فإن النظرية السياسية في الإسلام، قوامها تحقيقُ العدل في المجتمع الإسلامي، وهي مع ذلك
نسانية، ومتسمة بالمرونة وبالتفتّح، وبالقدرة الذاتية على التجدّد ومسايرة تطوّر الحياة على هذه الأرض.

لعلماء والمفكرون المسلمون الذين اشتغلوا بتأصيل النظرية السياسية في الإسلام وتقعيدها وتفريعها
كُثُر، على أن يطلقوا على هذه النظرية مصطلح "السياسة الشرعية "، التي تحقق مصالح العباد والبلاد في
ا بأن السياسة الشرعية تدور حول المصلحة العامة حيث دارت. وذهب بعض الفقهاء المسلمين إلى
الح المرسلة "، واعتبروها مصدراً من مصادر التشريع ، على أساس أنه كلما ثبتت مصلحةُ الأمة وتحققت
اة، فثمة شرعُ الله. فالمصلحة هي مناط الأمر في البدء والانتهاء. وهذا مفهومٌ إنساني وواقعي ومتفتّحٌ
لإسلامي.

ن خلال استقراء يسير لآراء الغزالي في فكره السياسي أن من أهم المرتكزات التي يعتمد عليها في فقهه
ئ العامة ، ومقاصد التشريع إذا لم يكن ثمّـة نص خاص بالواقعة أو الوقائع المعروضة أو قياس خاص أو
المصلحة المرسلة أساسا للحكم ، بشرط ألا تخرج عن تلك المقاصـد والمبادئ العامة .
.. وفـي مجال المصالح المرسلة يستطيع الساسة المسلمون أن يصنعوا الكثير لأمتهم ، على ألا يصطدمـوا
ه النصوص معاقـد المصلحة ، وإن عميت عن ذلك أنظار)[441].

سلة من أهم ما اعتمده الغزالي في فقهه السياسي، وقد جعل لها اعتبارا بشروطها المعتبرة شرعا ، وأولها ألا
ا صريحا ، لأن الفقه الصحيح ـ كما يذكر ـ هو أن نتعرف على المصلحة حيث لا نص ، وأن نجتهد في
ا، ناشدين إرضاء الله وخير الأمة .

دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين ، ص 47 .

مثلا لم يضع رسما محددا لأسلوب الحكم وإنـما وضع له أخلاقا ترعى ، وقيما تصان. فكيف نولي حاكما ف نحاسبه ونراقبه ؟ وما هي أجهزة الشورى ؟ وكيف نستوثق من التقاء الآراء الناضجة فيهـا ؟ وكيـف ، إرهاب أو إغراء للأمم في هذه الميادين أن تجتهد في وضع النظام الذي يحقق مصلحتها دون ما قيد ، على أن يحفظها تعطيل نص، فإن إمضاء أمر الله نماء وبركة)[442].

نثبت هنا مثالا يعمـل فيه الشيـخ قاعدة المصالح المرسلة وذلك لمـا سألـه أحدهم - ورئيس الدولـة أليست هذه بدعة ؟

دعة ؟ قال: توقيت مدة الرئاسة فإن الأصل أن يكون اختيار الحاكم مدى الحياة .

للاق سواء من الناحية الفقهية [443]. وتتواضع الأمم على ما تراه أكفل لحقوقها فإذا آثرت أن يكون اختيار ءلها ذلك .

تيار الخليفة الأول مدى الحياة قلت : آثر الصحابة أحد الوجوه ولا تحريم للوجه الآخر قال : ألا يكـون

ة إلا بنص، ولا نص هنا. إن فعل النبي عليه الصلاة والسلام قد يكون دليل إباحة. وقد يكون دليل أفضلية ب إلا بدليل أو بنص .) [444].

في أحد كتبه قريبا من مثل هذا الحوار ليقول في ختام نقاشه لمن زعم أن تحديد مـدة الرئاسـة بدعـة (على عهد الرئاسة والخلافة يوصف بأنه بدعة .

ح المرسلة تعرفوا القضية كلها ..) [445].

كره الشيخ (أساسه أن تصريف شؤون الحكم في الدولة ووجوه التدبير السياسي فيها عملا ، يقوم معظمها صالح المرسلة ، التي ثبت اعتبارها بدليل إجمالي لا تفصيلي ، فنجد أحدهم يقرر هذا المعنى بقوله :

ضوء المصالح يستطيع أولياء الأمور، الذين وقفوا بأنفسهم على أسرار التشريع، أو بمعونة العلمـاء إصـدار جديد لا نص فيه ولا إجماع، مما سكت الشارع عنه ولم يجدوا فيه قياسا صحيحا، بعـد تقـديره بميـزان فكل من معيار سد الذرائع والمصالح المرسلة إذن هو أساس معظم النظم والتشريعات، التي تقـوم عليهـا خلا ما وردت فيه النصوص الخاصة، أو انعقد عليه الإجماع، أو شهدت بأحكامها الأقيسة الصـحيحة.)

ين وهذا كما يفهم من بيان الغزالي أثناء حديثه عن المصالح المرسلة :

دستور الوحدة الثقافية، ص 46 - 47.

ل الأدلة الفقهية على مسألة التحديد وعدمه كتاب : (من فقه الدولة في الإسلام) للدكتور يوسف القرضاوي ، ص83-87 .

دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين ، ص 47 .

مستقبل الإسلام خارج أرضه كيف نفكر فيه ؟ ، ص 77.

. خصائص التشريع الإسلامي ، ص 191-192 .

وم بتقرير المصالح أهل الخبرة والتخصص العلمي الدقيق في كل شأن من شؤون الدولة، لأنا هي مناطات أو
، والتشريعات، فضلا عن المتهدين من علماء التشريع الإسلامي، وعلى هذا ينبغي أن يراعى في تأليف
هذا المعنى، أي توافر المؤهلات التي تتعلق بما يقوم به من وظيفة وعمل .
ؤخذ بعين الاعتبار تقدير الظروف الملابسة للوقائع أو للأمة أو للدولة، بوجه السياسية منها والاقتصادية
كرية، لوجوب النظر في المآل المتوقع من التطبيق، كيلا تكون النتائج مجافية لمصالح الدولة الحقيقية في ظل
بد من الخبرة العلمية في كل شأن من الشؤون ، لأنا تعتبر مضمون الحكم ومناطا للعدل فيه ، أو مقوّما من
عتبرة ، الحقيقية والحيوية للدولة .)[447].

، المصدر نفسه ، ص 191-192 .

ـ ـ ـف الـ ـ ـ ـ ـ ـ ـدولـ ـة :

ائف السلطة السياسية في النظم المعاصرة في المسائل السياسية والإدارية والاقتصادية والقضائية ، وهـ ـي في اختصاصات دينية كما أن سلطات الدولة في النظم المعاصرة تصبو في العادة إلى تحقيق غايـ ـات وأهـ ـداف ما يتطلبه التشريع السماوي من غايات وأهداف .

لسياسية في الدولة الإسلامية فإلى جانب الغايات التي تنشد تحقيقها السلطة السياسية في النظم المعاصـ ـرة ، يق أهداف وغايات قصد المشرع الإسلامي تحقيقها . وحتى في نطاق هذه الأهداف التي قد تتشابه مع مـ ـا سية المعاصرة ، فإن هذا التشابه ليس كاملا ذلك أن الشارع الإسلامي وضع جملة من القيود والضوابط من اليب التي تتخذها السلطة السياسية في الدولة الإسلامية وفقا لها والتزاما بما تقضي به الشريعة الإسـ ـلامية واعدها الكلية وأصولها الشاملة [448].

ف الـ ـسياسية والـ ـدينية للـ ـدولـ ـة :

وردي وظائف الدولة في عشر مسائل ، ومن المصلحة التي يقتضـ ـيها التصـ ـنيف العلمـ ـي أن نميـ ـز بـ ـين ة والسلطات السياسية :

ت (الوظائف الدينية) وتشمل :
يفة العقائدية الأخلاقية (حفظ الدين)
ة الدعوة إلى الإسلام ونظامه وحكمه (الجهاد).

الوظائف) السياسية وتشمل :
يفة القضائية والأمنية.
يفة المالية والاقتصادية.
فة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (الحسبة).
ق التكافل الاجتماعي .

محمد محمد القاضي ، السياسة الشرعية مصدر للتقنين بين النظرية والتطبيق ، ص481 .

ائـف الـ ـديـنـية :

ظيفة العـقائـدية والأخـلاقية " حـفظ الـدين " :

لإسلام قائمة على التزام عقيدة ونظام وتشريع، يجمعها كلها دين هو الإسلام وأن أول واجباتـا حمايـة
أخلاقه وتنفيذه في تشريعه وأحكامه .
دولة في الإسلام نشر دعوة الإسلام بما تتضمنه من حقائق عقائدية وتعاليم أخلاقية ، ومنع ما يعارض هذه
سؤولية عظمى ملقاة على كاهلها وهي :
ة تستنفد الليل والنهار قبلما تنتهي من أعبائها ، وظيفة السهر في الداخل والخارج على حراسة العقيـدة ،
شير با ، وتحقيق أنظمتها ، وإنفاذ أحكامها ، والإشراف العام على شؤون أتباعها ، وتكـوين الأجيـال
اتا ، وتسخير الأعمال المدنية لخدمتها ...) [449].
الحكومة لا تكون مسلمة ، إلا إذا أقامت النظام الذي يدعوا إليه الإسلام ، وغرست العقيدة التي تمد هذا
ة والنماء) [450].
أن هذه الوظيفة تفرض على الـ ـ ـدولـة :

ـا :

، وكذا حقائق الإيمان ، والأخلاق والأحكام ، وهذا هو ما كان يفعله الرسولε سواء في العهـد المكـي
ة وبنـائها أم بعدها . وكان يرسل الصحابة لتعليم القبائل إلى المناطق وكذلك فعل من بعده خلفاؤه .
:
يكم ليعلموكم كتاب ربكم وسنة نبيكم ، ويقيموا بينكم الدين)
الي في مـواضع عدة من كتبه إلى وظيفة الدولة في هذا الإطار ، وذكر في مؤلفـه القيّـ ـم " معركـة
تمع المسلم التي لا ينفك عنها ولا تنفك عنه وهي :
ـ الزكاة ، ج ـ الثقة في يوم الجزاء ، د ـ الخشية من الله .
لى دور الحكم في إقامة هذه الشعائر والحفاظ عليها من جانب الوجود .
الجسر على نر ليعبر عليه العابرون ، يبني المعهد الذي يصقل النفوس ويبين الحلال والحـرام ، والفضـيلة
ين جزء من وظيفته ، وليس أحدهما أولى من الآخر باهتمامه ...
كون الحكم ترجمة أمينة للمجتمع الذي يقوم فيه ، وأداة صالحة للتعبير عن مزاج الأمة وعقيدتا التي تقدسها
...) [451].
يظنه الظانون أن العبادات من صلاة وصيام وزكاة وحج وغير ذلك من عبادات ، أعمال فردية موكولـة

من هنا نعلم ، ص48 .

معركة المصحف في العالم الإسلامي، ص09 .

م لا تسأل عنها ولا تتم با ، فهو ظن مغرق في الخطأ والضلال .
سارع إلى تفنيد هذا الظن وبيان وجه الحق فيه ، فإن الدولة لا تكون مسلمة يوم تكـون إقامـة الصـلاة رها ...!! .
لوات الخمس مفروضة على الحاكم في ديوانه ، كما هي مفروضة على كانس الطريق ، وكلاهما مسؤول واستوائها وأدائها ، هذا حق ولكنه جزء من الحقيقة الكبيرة ،.
ا أن الدولة في نظر الإسلام مكلفة برعاية الله ، وإشاعة تقواه ، وتوطيد وقاره، وتقديس اسمه ، وإن مـن عين على انتظام الصلوات الخمس من الفجر إلى العشاء ، وإشعار المؤمنين كافة أن ذلك من صميم رسالتها .

ل المرء هل هناك من رقابة أو قوانين تضبط حدوث مثل هذه الخروقات في المتمع الذي تقوم على شـؤون سلمة ويجيب الغزالي بقوله:
أمر الصلاة لا يضبطه رجال الشرطة ولا تحكمه سطوة القانون ، إن ما تملكه الدولة من هيمنة على شؤون لام وما يقدّمه الحاكم من نفسه من أسوة حسنة بإلفه المساجد وإمامته للمصلين ، أو انتظامه في صفوفهم ، قينا من ازورار عن المتكاسلين في الصلاة والمتهاونين با ، وما يملكه من عقوبة رادعـة للجاحـدين لهـا، ك كله بعيد المدى في المحافظة على الصلوات ، وإعلاء شأنا الرسمي والشعبي) [453].

:
العقائد الباطلة كسائر أنواع الوثنية والإلحاد، ومنع الانحراف والتشويه والخرافات التي يمكن أن تحدث تحت وهو ما سماه ابن تيمية بـ : (منع الغش والتدليس في الديانات) [454].
ن أنواع الغش والتدليس المتمثلة (في البدع المخالفة للكتاب والسنة وإجماع سلف الأمـة، مـن الأقـوال كذيب بأحاديث النبيρ ومثل الغلو في الدين بأن ي ل البشر م لة الإله ، ومثل تجويز الخروج عن شـريعة عبلات السحرية والشعبذة الطبيعية وغيرها...) [455] تتخذ قديما صبغة فردية.

ث فقد صارت تفرض وغيرها من الانحرافات والفساد على الجماهير فرضا بشكل أو بآخر، وقد تأخـذ بيهة بتقاليد عامة، مما يستدعي وجوب مناقشتها بين الحين والحين ليعرف مدى توافقها أو تفاوتا مع أصول إن العرف السائد ـ كما يشير إلى ذلك الغزالي ـ قد يبدأ حسنا ثم تنحرف به تيارات محدثة ، فلا يصل تقاليد لو أعيد وزنا لرجع الناس عنها كلا أو جزءا . والمعيار الثابت كتاب الله وسنة رسوله ρ أما آراء ع دراسة وموازنة ...

المصدر السابق ، ص16 .
ص 16-17 .
نظام الإسلام الحكم والدولة ، ص90 .
سبة ، ص43 . ويراجع كتاب آراء ابن تيمية لـ : محمد المبارك ص65 .

، للمجتمع الاشتراكي في عصرنا هذا تقاليد يربي عليها الأجيال الجديدة وللمجتمع الحر أو الرأسمالي أخلاق
ف بيئته .
لدولة أمسى لها دور كبير في مجال التربية ، وأنها تملك من وسائل المحو والإثبات ما يجعل تصرفها بعيد الأثر

ة تغرس الكفر وتشرّع التحلل وترغم الجنسين معا على الانحدار فرجالها كما وصف القرآن الكريم المنافقين
ـهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم نسوا الله فنسـيهم إن المنـافقين هـم
ة:67] .)[456]

ـظة علـى الأخـلاق :

ا عبر العقوبات المحددة شرعا وهي : " الحدود " أو غير المحددة وهي :" التعازير " .
احتياطية التي تحول دون حدوثها ، وبنشر الفضائل والآداب أو تقويتها وتشجيعها بشتى الوسائل والطـرق

أن ثمة علاقة بين السلطة من جهة ، والفرد والمجتمع من جهة أخرى ، شأن هذه العلاقـة وجـود تـأثير
، مباشر في تكوين الأخلاق ودعم القيم أو هدمها .
عصرنا هذا دخل كبير في تكوين الأخلاق الفردية والجماعية ، وفي رعاية الأمانة والعهود ، قـديما كـانوا
ن لا يعرف السلطان .

يستطيع العيش بعيدا عن أهل السلطة مستريحا من رغبتهم ورهبتهم وعطائهم وحرمانهم ..
تفرض على كل امرئ معرفتها طوعا أو كرها .
كومي هيمنت على الأقوات والثقافات معا ، وهي تدخل بيتك لتسمعك من برامج الإذاعة ما تشاء، وترقب
ا تشاء ، وتقدّر سنك لتجندك متى تشاء ، ولتأخذ ابنك إلى المدرسة عندما تشاء.
مات أضحت مستحيلة ، ومن ثم فإن آثار الحكومات في إضعاف الأخلاق وتقويتها، لا يمكن تجاهلـها أو
45

فرض ويحتم فلسفته وفكره على الجماهير كـ : النظام الشيوعي والنظام العلماني وغيرهما : فكيف يهمـل
وبحوثهم في علم السياسة عامل تأثير السلطات بإمكاناتها المادية والمعنوية على دعم أو نقض بنيان الأخلاق

طيع أن أفهم كيف تنفصل النظرة الأخلاقية عن النظرة السياسية ؟

الدعوة الإسلامية تستقبل قرنها الخامس عشر ، ص 187 وانظر : ص 186 .
المرجع السابق ، ص 91 .
دعوة الإسلامية تستقبل قرنها الخامس عشر ، ص 188 .

العلوم الحديثة وواجب الدولة تجاهها :

تخلف المسلمين لم يكفّ الغزالي عن الدعوة إلى التقدم ومحاربة التخلف واللحاق بموكب العالم المتطور، عن وم الكون والرياضيات، واستخدام التكنولوجيا، وحسن الإدارة والتنظيم، والانتفاع بأقصى ما عند الغربيين اجتناب النواحي السلبية في أخلاقياتم وسلوكياتم، كإعراضهم عن الله واليوم الآخر، والتحلل الجنسـي، ت الأمة تحت راية الإيمان للعمل والإنتاج من أجل التقدم، واعتبر ذلك لونا من عبادة الله تعالى وضربا من يتم ذلك بداهة إلا عبر إطار منظم وتكاتف الجهود من طرف الدولة ابتداء ثم مواطنيها انتهاء .

اهتمامه بذه القضية في العديد من كتبه ، ويعتبر أن تخلف المسلمين وتقاعسهم عن الأخذ بالعلوم الحديثـة

اثنا الفكري في ميزان الشرع والعقل " يقول بمرارة فاجعة:
أن خانوه خيانة فاجرة واتخذوه مهجورا، في الوقت الذي أنسوا فيه بباطل من القول وسخف من الجدل ..
لحة الحديثة فأشعر بهول ما بلغه القوم من قوة .
و ، وجو أرض، وأرض جو، وأرض أرض، وهذه طائرات قاذفة، وتلك مقاتلة، وهذه سبتية، وهذه مزودة ذه تفلت من شباك الرادار ، أما المقذوفات من شتى الأسلحة ففنون وجنون ، هذه فخاخ ألغام ، وهـذه

ع ما أعد هؤلاء لنصرة معتقداتم وقيمهم. فهل أعد المسلمون شيئا من هذا في بلادهم بتفوقهم الصـناعي .

نريه منهم فيبيعون لنا ما يستغنون عنه، ثم يمدوننا بذخائر بين الحين والحين ...
صرة الدين والشرف والأرض والعرض أقبح من هذا الفشل ...)[459].

كيف سبق اليابانيون سبقا بعيدا ، واعترف لهم نظراؤهم وأعداؤهم بالتفوق ذلك لأنم صابروا وصـابروا ا ثم يتساءل : (هل تحس أن الذكاء الياباني وحده وراء هذا النجاح الرائع ؟)
ومركزا على شأن الدولة في ما ذكر:(أن تكاثف جهود الدولة ومواطنيها في رعاية هذه العلوم وتطويرها ، والاجتماعي في طول البلاد وعرضها، كان نعم العون في ذلك المضمار .
روحه الشعب ، أو كأن الشعب جسد روحه الحكومة .
، ولا اختلاف على هدف ، و لا تحاقد على منصب ...) [460].

تراثنا الفكري في ميزان الشرع والعقل ، ص 11 ـ 12 . بتصرف ، دار المعرفة + دار ريحانة، الجزائر . (بدون تاريخ) .
الطريق من هنا ، ص 31 .

هاز الدعـ ـوة ـ إنشاءا ومتابعة ـ :

مة كما قال العلامة أبو الحسن الندوي : (هي دولة هداية لا دولة جباية ، أي أن أكبر همها نشر دعوتا في رسالتها إلى كل مكان ، فهي رحمة الله إلى الناس كافة ، ولا يجوز حجز رحمة الله أن تصل إلى عبـ ـاد الله)

لمهمة الدولة في حملها للدعوة وتبليغها للناس كافة ، ينتقل با من الفكرة الساذجة التي تجعل الدعوة وصفا ة أشخاص ، إلى كون الدولة هي حاملة لواء هذا الهم ، وهي الموسومة بذا الوسم وذاك لما يقول ـ مثلا

ف بالدعوة بعض الوعاظ الذين يرقون القلوب ، ويذكرون بالخير ويعينون على العبادة ، وهذا وصـ ـف ن التجوز ، فإن النبيρπ كان يتخول أصحابه بالموعظة مخافة السآمة عليهم ι. [462]
وسع مكانا وزمانا من هذا النصح المؤثر البليغ ...

الدعوة أركانا في برامج الإعلام تطول أو تقصر، وقد يسمّى أولئك المتحـ ـدثون دعـ ـاة علـ ـى اخـ ـتلاف قونا ، وهذا وصف مجازي للدعوة الإسلامية ، فإن التدريس والحوار بعض الجوانـ ـب العلميـ ـة للرسـ ـالة

نسه فدائرته أوسع وأضخم . إنه أجهزة دولة كاملة ، تشمل التعليم والتشريع والقضاء والجيش ، والتوجيه ارجي ، والهيمنة على كل نشاط مدني ليكون طاقة تتحرك با دواليب الإسلام في أية ناحية ...) [463].

هذا الأمر جلاءا في فصل من كتابه " هموم وداعية " تحت عنوان : أين عمل الحكومات ؟ جاء فيه قوله :
ي مهما قارنه من إخلاص قليل الثمر...إنه يشبه نشاط التجار الصغار أمام الشركات الكبرى .
الإسلامية ؟ ... وأين ما وضعته من خطط لنشر رسالة عالمية ؟
عندنا كان السرطان الذي أودى بحضارتنا ورسالتنا خلال قرون مضت ...
نوا القشرة العفنة في كياننا من زمن بعيد ..

فروق بين نشاط ونشاط .. نلفت النظر إلى أن الفاتيكان إستطاع بأجهزته المنظمة أن يجعل عشرين دولة في مذهبا واحدا وتنطق لغة واحدة .. أما نحن ففي الشام وحده جمّدنا نحلا داخل الكيـ ـان الإسـ ـلامي ، أو ستغرب .. فبقيت الفرق الباطنية إلى جانب اليهودية والنصرانية . بقيت داخل قطر إسلامي واحد ألف عام

وة ؟ بل أين أجهزة التعليم العادي ؟؟

وي ، من فقه الدولة في الإسلام ، ص40 .
282 باب الاقتصاد في الموعظة ، والبخاري 68 باب ما كان النبي ρ يتخولهم بالموعظة والعلم كي لا ينفروا..
الدعوة الإسلامية تستقبل قرنا الخامس عشر ، ص 8 – 9 .

ات الملايين من المنبوذين .. هل فكرت الحكومات الإسلامية في اجتذاب هؤلاء إلى الإسلام ، وحركـت
هم وكسب جانبهم ؟
الدولة أن تقوم به نض به أفراد احتسابا ولا ننكر نجاحهم في توسيع دائرة الإسلام شرقا وغربا لكن الأفراد
الإسلام لسهولة تعاليمه ، ومواءمته للفطرة.بيد أنم يعجزون عن تعليم اللغة العربية، وتيسير قواعـدها ،
أو ثمن مسلمي العالم الإسلامي)[464] .

الغزالي على وجوب أن تكون وظيفة الدعوة وهداية العالمين إلى صراط الله المسـتقيم مـن اختصاصـات
الهيئات الدائمة ، لأن الجهود الفردية لا يعوّل عليها في الديمومة والبقاء ـ وقد شكا للغزالي يومـا كـبير
غندية فترة تواجد الغزالي فيها لمهمة دعوية ـ قائلا : لقد جاءنا آباؤكم بهذا الدين ، فلم جئتمونا بـه إذا
ده ؟ ما هذه القطيعة ؟ ما يجيئنا من لدنكم دعاة ولا فقهاء ولا مدرسون ...؟ !! .
واذكر أني شعرت بالخجل أو بالحزن ، وأنا أستمع إلى هذا القول الصحيح .
عده هما سر النجاح ، وذلك لا تقوم به إلا حكومات قائمة ، أو هيئات دائمة، والجهد الفردي هنا يعـد
جاحه يعد بعيدا إذا قاومته مؤسسات رسمية أو شعبية مستقرة ...) [465] .

بد الدين علوما وتربية ـ تصورا وسلوكا ـ :

أن الدولة الأمينة على الرسالة الإسلامية ، عليها واجبات ثقيلة نحو الأمة التي تقوم على شـؤونا، ونحـو
تقوم على تربيتها ، ويمكن إجمال هذه الواجبات في الـنقـاط الـتـالـيـة :

م الدين : وتبصير طلابه بالحقائق الرئيسية وتجاوز القضايا والخلافات التي خلفها الفراغ والترف في بعـض
نو ظني وما هو أصلي وما هو فرعي، وتناول المذاهب المختلفة على أنا وجهات نظر ليست معصومة مـن

ن بحاجة إلى إعادة نظر ، فهناك معلومات تقدم للكبار فقط تشحن با عقول الصغار ، وهناك آراء للرجال
عصوم أو نص ثابت ، وهناك أركان للأخلاق والسلوك تراجعت ، لتحل محلها صور فقهية ثانوية) [466]

علمية لإقامة الدين على أصوله المستقرة :
كوين تصور موحد صحيح لحقائق الدين وجوهره يعين على اطّـراح الأعـراف والتقاليـد وسـائر
تنافي تعاليمه .
لتفكير، مما ينعكس أثره بالتالي على تحديد مسلك الفرد وتصرفه، ويؤول بالضرر البالغ على المتمع كلـه)

هموم داعية ، ص 152 – 153 .
ص 39 ، بتصرف .
الطريق من هنا ، ص 85 ـ 86.

لار فقد ألـّ ـ ـف الغزالي كتابيه : " دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين " محاولة منه في تكوين تصـور
ين الكبرى ، وأصـوله العـظمى ، وجـوهره الـصافي ، علـها تجمع العامليـن لهـذا الـدين علـى
لفكرية ، وتعدد مناهج التغيير الذي سلكته كل طائفة .
ـتـابـه: " ليس من الإسلام " والذي دعا فيه إلى نبذ البدع والخرافات ، الـتي لا تمـت إلى الإسـلام
سلة . ولا ريب أن الضلال في الفهم كالضلال في العمل من حيث المآل، إذ كلاهما سبيل إلى الانحراف عن
لضلال في الفهم سلاح فتاك ، يقطّـع أوصال الأمة ويفرّقها أشتاتا وطرائق قددا ، ويشل طاقاتها ، ويلقي
. في مراغة التخلف بجميع صوره ، نتيجة الوقوع فريسة سائغة لفساد التصور . ـ فمن نتائج فساد التصور
كما هو ملاحظ، وأجلى مظهر لفساد السلوك ما نراه من مظاهر السلبيـة والتواكل واللامبالاة ، والإيمـان
رد هملا مسلوب الإرادة أو مقهورها ، وهو على النقيض مما تقتضيه الأصول الإسلامية المستقرة .

ومة القائمة بين **الفقهاء والصوفية :** ذلك أن العناية بالتربية تتطلب ذلك، على أساس تجريد التصوف مـن
ي التصقت به ، ورده إلى كتاب الله وسنة رسوله ردا يدرب الناس على مقام الإحسان ـ أعني مراقبة الله

رقى بعقله أبدا فكم من ذكيّ العقل غزير العلم ، تراه خبيثا لا تؤمن أطماعه ، وكم مـن منـافق علـيم
، عددا من المنتمين إلى التصوف دعيّ لا ضمير له ، غير أن هذا لا يزهدنا في تعهد القلوب بما في هذا العلم
ب رفيعة) [468].
اطر القاتلة أن التعليم الحديث اعتنى بتربية العقل وتثقيف اللسان ، مع بعض السموم في التعليم ، ولم نلحظ
ذية القلب وإشعال العاطفة الدينية وتقويم الأخلاق وتهذيب النفس، وبالتالي كانت الحصيلة أن نشأ جيـل
غير متناسب النشأة وقد تضخمت وكبرت بعض نواحي إنسانيته وحياته على حساب البعض، وأصـبحت
باطنه وعقله وقلبه وعلمه وعقيدته مسافة شاسعة ، بل أصبح التفاوت بين عقله وجسمه كبير فالأوّل ضخم
ناعم (إن الرقي العقلي المحض الذي بلغته الإنسانية يجعل مستقبلها على حافة الهاوية إن لم يقترن هذا الرقى
تي معتمد على الله ورسولـ ـه) [469].

، خصائص التشريع الإسلامي في السياسة والحكم .
المرجع السابق ، ص 86 .
مع الله دراسات في الدعوة والدعاة ، ص23 .

وة إلى الإسلام ونظامه وحكمه (الجهاد) :

ف الإسلام ودولته ، تحرير البشر من الاستعباد والظلم ، وإقامة العدل بينهم سواء أكانوا مسلمين أو غـير
ضي أن يكون للدولة قوة ، وأن تستعمل هذه القوة في الجهاد، لإزالة الظلم والاستعباد بين البشر ، وإقامـة
ة الإنسانية ، وإخضاع الناس لنظامها الإنساني العادل ، سواء أدخلوا في الإسلام ، أو بقوا علـى دينـهم
ظامها وحكمها) [470].

اف الإسلام ودولته كذلك : نشر الإسلام والدعوة إليه عقيدة وشريعة ونظاما ، بالحجة والدليل والتعلـيم
العالمي .

السلمية نفسها قد تصادف من يمنعها ويكافحها ، وهنا لا بد للدولة الإسلامية من حماية دعوتـها بـالقوة
من يقف في سبيلها فـ ـ :
بإقامة العدل ومنع الاستعباد بالتحرير لبني الإنسان .
ر الدعوة إلى الإسلام ونظامه .
لامي .
لي ما يوضح جليا هذه الأمور.
اب عن سؤال من مجموع مائة سؤال تقدم با الأستاذ خالد محمد خالد إلى الشيخ الغزالي كي يتولى الإجابة
ه على السؤال التاسع عشر :
سولρ السيف ولم يكتف بالاقتناع ؟ فكانت إجابة الغزالي ما يلي:
اءة مرفوضة إلى أن الرسولρ حارب ليحمل الخصوم على قبـول الـدعوة ، وهذه تهمة لا أصل لها
ا يدّعيه المدّعون بعد أمر الله لرسـوله [وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومـن شـاء فليكفـر]
سبحانه [إن هذه تذكرة فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا] [الإنسان:29].

خطته في الحياة على استحالة زوال الأديان كلها ، واكتفى بأن يبقى مذكرا بالحق منكرا للـهوى ونـرى
ه [ولئن أتيت الذين أتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك وما أنت بتابع قبلتهم وما بعضهم بتابع قبلـة
نواءهم من بعد ما جاء ك من العلم انك إذا لمن الظالمين] [البقرة:145].
ميـن أن نقرر الحق وأن نحيا على هداه، وأن نمد طريقه لمن أحب سلوكه، ولنا بلا ريب أن نرد المهاجمين
بـن، وأن نسكت المفتريـن إذا تمـادوا في أذاهم ...) [471] .

نظام الحكم ، ص 92 .

مائة سؤال في الإسلام ، ص 86 - 87 .

ن جوابه الكتاب الذي أرسله النبيρ إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام، ليدلل من وراء سرده أن الدعوة تبقي
رفضها الطرف الآخر ما لم يحمل السلاح في وجهها ، وربما كان الرومانيون يحسبون الإســلام
ـ كما يصفونا ـ وأيا ما كان الأمر، فقد حاولوا البطش بالإسلام و دعاته ، و شرعوا يقتلون مــن [472]

(ولولا السّيف الإسلامي الصّــلب ، ولولا الرجال أولوا البأس الذين حملوه ، ولولا نبي الملحمــة الــذي
عرينه ، لذهب الإسلام في خبر كان .
عماريون بدموع التماسيح بعدما يزول .
ن غضاب ، لأن الإسلام قاتل الرومان ؟
سه : من الذي جاء بالرومان إلى الشام وآسيا الصغرى ؟
إلى مصر والشمال الإفريقي ؟؟
إلى إخراج أولئك المستعمرين من أرض احتلوها أكثر من خمسة قرون ؟
إناء استعمار البيض من جنوب إفريقيا ؟
دها بكل مغارمها ومتاعبها، هي الطريق الفذ لمحو الاستعمار الطويل .
بيان بالأدلة وأحرصها على استثــارة الأفكار ومناشدة الضمائر، وكان يمكن أن يلام لو أنه آثــر إعمــال
العقل ، أو قابل اللطف بالعنف ، أما أن يعرض حجته فيلقى الهزء والهوان ، ثم يحاول المتمرسون بالــدهاء
الثرى فدون ذلك ركوب الأهوال .
والناس إن ظلموا البرهان واعــتسفوا فالحرب أجدى على الدنيا من السلم) [473].

يثر أن لا يمتد بي سيل الحديث لأكثر مما ذكرته ، بيد أنني رأيت أهمية الموضوع تقتضيني أن أفصل بعض
بيّــن ما أبهم بخصوص موضوع الجهاد في الشريعة الإسلامية ، ذلك أنه أسال في عصرنا حبرا وافرا ،
والأقلام إبداعا زاخرا .
ن تناول موضوعات لصيقة بهذا العنوان والذي ادعت أطراف كثيرة كتبت فيه أن الإسلام إنما انتشر
لجهاد " أو " السيف " كما يحلو لبعض المتصيدين في المياه العكرة إشاعة ذلك لتلويث سمعة الإسلام
نه ، وعارا لا يبرح عرينه .

أن تكون كلمة الآريسيين في كتاب النبي ρ لهرقل لما قال له :
، عليك إثم الآريسيين ...) مقصودا بها الفلاحين ، يقول : ونحن نرى مع بعض المحققين أن الآريسيين هم أتباع آريوس البطريق الــذي قــاد
في التاريخ الكنسي، ورفض بقوة جعل عيسى إلها أو ابنا لله . وهذا القس لقي مع أتباعه اضطهادا شديدا وتظافرت قوى الدولة الرومانية على
ة دعوته ، وورثت الحكومة الأخرى هذا الترويع ، حتى انقرضت الكنيسة أو كادت ...
ي الإسلام أن يندد بها ، ويذكر هرقل بموقفه منها ، ثم يذكر الغزالي : أنه بعد إذ هدي إلى ذلك الفهم عرف أن الأستاذين معروف الــدواليبي
ي سبقاني إليه وذلك ما يقويه ويؤكده .
- أنظر: مائة سؤال في الإسلام ، ص87 بتصرف .

مائة سؤال في الإسلام ، ص86 - 87 .

أتناول من هذه العناوين ما تنضوي تحت لوائه أغلب التفريعات وأقصد بذلك عنوان : الإسلام والعلاقات

العــلاقــات الــدوليــة :

والسلــم.

حرب هو هدف الحياة الاجتماعية ، والمثل الأعلى للتعايش بين الأمم لذا فإن الإسلام على الإجمــال يعتــبر ب أن تتوجه إليها جميع الجهود ، فهي وحدها الحالة العادية التي تؤيّــدها النصوص الشرعية الأصلية ، ومن و تصرف مناقض أن يُعد إخلالا بهذه النصوص ، أو من باب المستثنيات ، فيقتضي بالتالي إهماله عند دراسة صرف .

م ما كان ينادي به الغزالي ويحاول أن يؤصل معناه في أذهان المسلمين ، (ذلك أنه وإن كان الراسخون في قرره في هذه المقدمة ، فإن أفواجا من الشباب المغرور والشيخ العجزة ، انتشروا في هذه الأيام ، يؤثرون ألا سخ ألا محاسنة في الدعوة، ويجب وضع حد لهذا البلاء .) [474]

ا إلى السلم في كافة أحواله. واعتبر الحرب من إغواء الشيطان ، وصرّح بأن من يلقي السلام لابــد مــن ولقد صرّح فوق ذلك بأن من يلقي السلام لا يصح أن يقاتل بدعوى أنه غير مؤمن هذا صريح في نصوص هو سجل الشريعة الإسلامية الخالد ، الذي يخاطب الأجيال كلها لا فرق بين عصر وعصر، ولا جيل وجيل

اة ألا محاسنة في الدعوة : آية السيف .

غزالي ، جهاد الدعوة ، ص 46 ، دار القلم ، دمشق ، الطبعة الثانية ، (1420هـ -1999م).

السيـ ـف:

أنه بحث في القرآن كله عن تلك الآية : " آية السيف " التي يحتج بها بعض الدعاة فلم يجدها، ومن ثم نراه
سورة براءة من حديث عن القتال في ثلاثة مواضع من السورة ، ليس قتال الهجوم أو القسر ، وإنمـا هـو
نبوا بالمعاهدات ونقضوا العهود ، وغدروا بالمسلمين وأضروا بهم .
هذه الآيات الثلاث ما يمكن أن يسمى بآية السيف ـ بالمعنى الذي تشيعه تلك التسمية ـ بل إن آيـات
مين بالاستقامة لمن يقاتلهم [فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم ، إن الله يحب المتقين] [التوبة:07] فمـن
الناس بعدوان طالما لم يبادئوك به.
د فقد أحصى الشيخ الغزالي نحوا من مائة وعشرين آية من القرآن الكريم تؤكد أن الإسلام يتحرك بدعوته
في الحرب أو الغزو...
ه " جهاد الدعوة " الآيات التي تضمّـنت سياسة الدعوة وجهادها ، ورد ما استدل به البعض من الآيات
باسم النسخ .
سرد والرد معا سيعرف القارئ المسلم أسلوب النفس الطويل الذي سلكه الإسلام في هداية أهـل الأرض
لصراط المستقيم ، وعندئذ يعلم متى يلجأ المحرج إلى السيف وكيف يستخدمه؟.
هذه الآيات مع تعليق للغزالي عليها :
: [ودّ كثير من أهل الكتاب لو يردّونكم من بعد إيمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم ، من بعد مـا
فوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره ، إن الله على كل شيء قدير] [البقرة:109].
: (يقول ضعاف النظر: لا عفو ولا صفح والآية منسوخة ، أما الراسخون في العلم فيرون الآية محكمـة ،
ة من ألزم الخلال للداعية ، ربما فشل القول اللّين في إقناع فرعون بأنه بشر عادي، وليس إلها كما يـزعم،
يقيم سياسة الدعوة على المخاشنة وإغلاظ القول ، بل يجب أن تبقى هذه السياسـة ملتزمـة السـماحة
ن الحق والباطل أجل محدد استأثر الله بعلمه ، وقد ظهر من سنن الله في الأمم السابقة أن القـدر الأعلـى
فيحق الحق ويبطل الباطل ، طال الزمن أو قصر ، وعلى المؤمنين أن يبقوا حـتى اللحظـات الأخيـرة
وشرف أنفسهم ، يؤثرون الإقناع على التحدي ، والتعليم على العدوان) [475].

بيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن، إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سـبيله
، وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ، ولئن صبرتم لهو خير للصابرين ، واصبر وما صبرك إلا بـالله ،
تك في ضيق مما يمكرون] [النحل:125- 126-127] .

جهاد الدعوة ، ص25 - 26 .

القول بالنسخ مرض أصاب بعض المتكلمين في القرآن الكريم ، وكان سبب بلاء شديد للأمة ، بـل إنـه
عوة ووضع في مجراها الجنادل ! أليس من المصائب أن تثبت أقوال هنا بأن هذه الآية منسوخة ؟ وماذا بعـد
الة الأمة كلها وهي الدعوة الواضحة الموصولة حتى قيام الساعة ؟ ماذا يكون عملنا بعد ذلك النسخ ؟
ن لا يدري؟ !
سخين في العلم رفضوا هذه الأقوال، ولكن أفواجا من الشباب المغرور والشيوخ العجزة، انتشروا في هـذه
كراه في الدين ، ونسخ ألا محاسنة في الدعوة، ويجب وضع حد لهذا البلاء) [476].

لى: [فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى إذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق، فإما منـّـًا بعد وإما
ب أوزارها...] [محمد ρ :04].

الي: (إذا وقعت الحرب فما بد من خوضها، وعسى الله أن يكفّ بأس الذين كفروا، ويقطع دابر المعتدين،
على عدوّنا ويمكّـننا من أعناقهم، فأولوا الأمر مكلفون بالتصرف وفق مصلحة الدعوة ، ولهم أن يختاروا في
ا من أمرين: المن أو الفداء، وهو تخيّـر ناطق على السماحة والرحمة في ديننا ، والقول بأن الآية منسوخة
صلون ، لا مكان له في السياق ، ولم ترد به سنّـة ، ولعله تحرف بشري ، أملت بـه سياسـات الثـأر

ب ودار الإسـلام :

ن نشير إلى أن الشيخ الغزالي كان يعتبر أن هذا التقسيم للدور إلى دار حرب ودر إسلام إنما فرضته علينـا
ومؤامرات عدوانية ، ولولا وجود أناس يستكثرون علينا حق الحياة بديننا ، واجتياح عقائدنا معهـا مـا
التقسيم ، يقول رحمه الله :
ؤمن بالأخوة الإنسانية ، ونعد اختلاف الأجناس والألوان مصدر تعارف لا تناكر ، ونود أن يحيـا أهـل
قوله تعالى : [إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ..] [الحجرات 13] .
الحرب ودار الإسلام فرضتها علينا ظروف خارجية ومؤامرات عدوانية ، فإن هناك للأسف من يسـتكثر
بديننا ، ويريد بشق النفس أن يجتاح عقائدنا ويجتاحنا معها . [ولا يزالون يقاتلونكم حتى يـردوكم عـن
عوا .] [البقرة 27] ومن حقنا أن نواجه هذا التحدي الذي فرض نفسه على العلاقات الدولية قـديما ،
معه آثاره ، وما أشوقنا إلى انتهاء هذه الأوضاع ، لكن أتراها زالت ؟
من العرب أن يرتدوا عن دينهم ، ويتنازلوا عن أرضهم بكل تبجح .
العلاقات الإنسانية على هذا الأساس النهار ؟) [478].
رّف دار الإسلام بأنا :

ص 46 .
، ص65 .
الدعوة الإسلامية تستقبل قرنا الخامس عشر ، ص 166.

ضي التي يعمرها المؤمنون برسالة محمد ρ العاملون بكتابه وسنته المنفذون لشرائعه والمنضوون تحت لوائـه)
حرب : (جميع الأراضي التي يقطنها الكافرون بهذه الرسالة، المخاصمون لها المعترضون لدعوتا، قد تتسـع
كل الأوطان التي غزاها منها الصليبيون القدامى، أي أوربا كلها تقريبا، وقد تتسع هذه الدار فتشمل كـل
ها التتار علينا فوصلوا من الصين إلى فلسطين، وقد تضم كتابيين ووثنيين وملاحدة.) [480].

، قسّـم فيه العلماء الدور لدار حرب وعهد وإسلام، يورد الغزالي ملاحظة صائبة، أملاها تأمله العميق في
مين الدولية ، مفادها أنه يمكن في كل الأحوال وجود دار رابعة تسمى دار الحياد.
عجبه لعدم اهتمام فقه العلاقات الدولية الإسلامية بالتنظير لأحكام تلك الدار.
ار الحياد يقول الغزالي: (إن الذي يقول لي: أنا كافر بدينك ، أقول له: لي عندك طلبان: ألا تمنعني من أن
، لي: ليس لي شأن بك ، فأقول له: وألا تعترض غيرك إذا دخل فيه فيقول لي: ليس لي شأن به أيضا ، وهنا
هو الآخر ، ولكن أن أقول له: هات الجزية ، فهذا يعني أني خطّـاف ، فعلى أي أساس آخذ منه الجزيـة
[481].

وجود تلك الدار الرابعة ، مادام وجد هذا الصنف من المتعاملين مع الإسلام. ويؤصّـل الغزالي لفكرته بقوله
وكم فلم يقاتلوكم والقوا إليكم السلم، فما جعل الله لكم عليهم سبيلا..] [النساء:90] . ففيه دلالـة
واز التعرض لمن لم يتعرض للإسلام والمسلمين بسوء.

ـل الدينـي في العلاقـات الدوليـة :

دعو إلى استبصار سنن الاجتماع والتاريخ ، التي تحكم علاقات الدول بعضها ببعض ، لأنه من دون مثـل
ب تحديد أثر كل عامل على حدة في دفع علاقات الأمم بعضها ببعض.
نبه عليه هنا بالذات - ومن دون استبعاد لأثر عوامل القوة المختلفة - أن منظور الشيخ الغزالي للعلاقات
أثر العامل الديني في دفع العلاقات الدولية وتحريكها. وهو لا يزعم بطبيعة الحال أن العامل الـديني هـو
رجح ، وإنما يركز عليه في كتاباته لثلاثة أسباب رئيسة:
لعه في موضوعه وتعلقه به.
بأن دور العامل الديني في العلاقات الدولية قد لحقه تجاهل مقصود من قبل معظم المحللين السياسيين في العالم
صر كانت بعض الدول العربية تناصر فيه بعض الدول غير الإسلامية، ضد دول إسلامية ، كما بدا ذلك في
الباكستاني ، واليوناني / التركي .
، كان المقصود منه - تسويغ مثل تلك المواقف - ومنع العاطفة الإسلامية الجامعة أن تتـأجج في قلـوب
.

مائة سؤال في الإسلام ، ص78 .
، ص78 .
، الدولية ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، ص86 .

ذا التجاهل أصبح تقليدا في مجال التحليل السياسي في العالم العربي تكاد تمس آثـاره في كـل الصـحف ولم يهتز ذلك التقليد إلا أخيرا مع قوارع مأساة البلقان ، حيث بدا العامل الديني بشكل أوضح مـن أن ل الأوربية من مذابح مسلمي البوسنة والهرسك [482].

سيق بالذي قبله ومتمم له ، وذلك هو سعي الغرب الحثيث ، ومحاولتهم إخفاء هـذا العامـل في أثـواب عندما أرادوا فرض هيمنة معنوية من قبلهم تجاه دول العالم الإسلامي ، وكذا دأبا الجـاد والموجـه نحـو غزو الأفكار والعقول ، وذلك حتى تقتنع بعد مسخ ثقافي وذوبان حضاري أن العلاقات بـين الـدول لا . مصالح محضة ، وأن عصر الأحقاد الدينية والحروب الصليبية مضى مع العهد البائد. وفي هذا يقول الغزالي

سب أن الارتقاء الحضاري الحديث قد محا أحقاد الماضي ، ويسّـر للناس جميعا أن يتعارفوا لا أن يتناكروا ح لبنان الأخيرة [483] ، رأيت كأن العداوات ولدت الأمس ، أو أمس فقط [484] ! ورأيت جثث الأطفـال وهناك ، تشهد بأن القوم يقتلون في هؤلاء الأطفال امتداد الإسلام القريب أو البعيد ! إنا هي مذبحة بيت ن الهجري ! ...

ذي أن ينتمي إلى توراته ، وأن يهتدي بنصوصها على تحديد الأرض التي يريدها من كيانـا ، ولا يبـاح ، قرآنه وهو يردّ هذا الاعتداء ؟....

ن خلال تعاليم القرآن رجعية ممقوتة ويكون الإلحاد من خلال تعاليم الماركسية تقدما محترما ؟

ودي في روسيا جريمة يضطرب لها الضمير العالمي ؟

المؤلفة منا شيئا عاديا ؟...) [485].

ينعقد عليه الإجماع بين خبراء العلاقات الدولية من أن الدين عامل تفجير في هذا الـال ، فان الغزالي يراجع الممارسات التاريخية للمسلمين ليعطي صورة مغايرة لتصور الإسلام للعلاقات الدولية ، حيث تصبح حالـة وأما الحرب فهي وسيلة هامة لذلك السلم حين تعرضه للخطر [486].

، ص 129 – 130 . بتصرف .

ح مخيمي صبرا وشاتيلا المروعة ، التي اقترفها اليهود بحق إخواننا الفلسطينيين، وكان ذلك سنة1982 .

ت به اليوم الذي قبل يومك ، فأهل الحجاز يبنونه على الكسر، فيقولون : (مضى أمس واعتكفت أمس، وما رأيته مذ أمس) بالكسـر في . قال الشاعر :

اليوم أعـلـم ما يـجيء به & ومضـى بفضـل قضائـه أمـس

الأيام الغابرة أعربته ، كقول شوقي :

لأمس قمـت على الزهراء أندبم & واليـوم دمعي على الفيحـاء هتـان

من أل في بنائها واقترانا به في إعرابا .

مائة سؤال في الإسلام ، ص97 - 98 .

، ص 130 .

ياز " في منظور الغزالي :

فكرة " عدم الانحياز " في أواخر الخمسينات وطوال الستينات، ناصرها الغزالي بقوّة ، وأضاف إليها مـن سلمين أحوج إلى البعد عن التحالفات الاستغلالية الظالمة من بعض الدول التي كانت تتزعم عدم الانحياز (بقة، والهند)، لأن تلك الدول لا تخشى على خصائصها الثقافية كثيرا من تأثيرات الغزو الفكري الأجنبي ، ، وكذلك لأن تلك الدول أقوى عسكريا في مواجهة المعسكرين الروسي والأمريكي من المسلمين .[487]

طاء فكرة عدم الانحياز بعدها الإسلامي ، فإنه لم يرتض أن يكون الحياد سلبيا فقط ، ودعا بالمقابـل إلى ئص الروحية ، وتنمية الموارد المادية الذاتية للأمة بما يغني عن الحاجة إلى الآخرين ، ويعصم عـن الوقـوع تراقهم لعمليات التنمية الذاتية لبلاد العالم الإسلامي ...وهكذا فمن " العبث تصور حياد إيجابي يذهل عن ربط الأمة به ، ودفع شؤونا إليه ".

جمود وفراغ لا تسمح به طبيعة الحياة الدولية التي هي في أغلب أحوالها إما مدافعة أو عـراك ، أو تأهـب

العلاقات الدولية أن هذه الفكرة قريبة من طرح مدرسة رفض التبعية التي نظر لها بعض كتـاب أمريكـا طاب مدرسة اليسار الجديدة . ولكن ما يعاب على نظرية رفض التبعية أنا ركزت اهتمامها على العامـل تحليل أثر الشروط الدولية على مسارات التنمية الداخلية في البلدان المتخلفة

الغزالي فقد أولى العناية الكبرى للجانب الثقافي والعقائدي في الموضوع، وهو الجانب الذي أهملته مدرسة

له لحركة عدم الانحياز ومدى ملاءمتها لأوضاع العالم الإسلامي في فصل " الحياد ..كما نفهمه " من كتابه " الاستعمار أحقاد وأطماع " (تب الإسلامية، 1403هـ)، وراجع كذلك أطروحة كتابه " الإسلام في وجه الزحف الأحمر " الذي طغى على مصر في ذات أيام الدعوة إلى

يمكن عقد مقارنة إيجابية بين أفكار الشيخ الغزالي وأفكار الفيلسوف الجزائري مالك بن نبي حول الفكرة الأفرو أسيوية ومؤتمر باندونج .
ية المعرفة ، ص 131.

ختصاصات = السلطات) السياسية للحكومة الإسلامية:

اصات متطورة وتختلف باختلاف العصور وحاجات الجماعة الإسلامية ويمكن أن ترد هذه الاختصاصات :

ـ الوظيفة القضائية والأمنية .

ـ الوظيفة الاقتصادية .

ـ وظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (الحسبة) .

ـ تحقيق التكافل والعدالة الاجتماعية .

دور الدولة الإسلامية للعناية بذه الاختصاصات ، نفهم ما يبدو من تمجيد فلاسفة السياسـية المسـلمين ئها للدولة ، ذلك أنم اعتبروا رئيسها الأعلى قائما مقام النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا ، فيشترط ب الرئاسة ـ في نظر الغزالي ـ أن يدرك طبيعة هذه الولاية العامة وقدرها وخطرها ، أي : أن يتفهم تبعاتا ها الجسام ، ولعل هذه الأعباء الجسام من السياسية و الاجتماعية والاقتصادية والأمنية التي ألقى با الإسلام الأعلى وموظفيه ، تربو على المهام الدينية، مما يجعل منه ـ في شرع الإسلام ـ حاكما سياسيا في المقام

ضحا فيما يقرره الإمام الماوردي من مقومات الدولة الأساسية التي يجب تحقيقها وتـتلخص فـيمـ ـ ـا

ـــن متبـــع ـ ب) ســـلطان قـــاهر ـ ج) عـــدل شـــامل ـ د) أمـــن عـــام م ـ و) أمل فسيح
الإجمالية معظمها أمور تتعلق بمظاهر سيادة الدولة كما ترى من تنفيذ التشريع القائم وتطبيق أحكامـه).

ب ذكر الوظيفة الاقتصادية ، ووظيفة العدالة الاجتماعية ، وتحقيق التكافل الاجتماعي لضيق المقام علـى أن صرين الآخرين.

. خصائص التشريع الإسلامي في السياسة والحكم ، ص335 -336 ، (بتصرف) .

ة الاقتصادية :

ي الوظيفة الاقتصادية أمور هامة ، تتصل كلها بتحقيق العدل والكفاية للفرد والمجتمع في مجال الحياة
د الأسعار والأجور، حيث يجب التحديد ومنع الاحتكار والاستغلال والإجبار على البيع والتأجير، والعمل
رًا ضروريا وكتأمين معيشة الشعب حين القحط والجدب ، كما فعل عمر بن الخطاب في طلب المدد لأهل
لأخرى وما شابه ذلك من أعمال ، وتأمين الكفاية للعاجزين عن بلوغها .

ساد يؤكدون أن استقرار المجتمع لابد له من التوازن أو التعادل الاقتصادي ، وقد أثبتت الدراسات المسحية
ث أن اتباع سياسات اقتصادية تهدد مكتسبات فئات بينه في المجتمع، تكون نتيجته قيام حركات احتجاج
ت تنذر باختلال نظام العمران برمّته. بل إن بعض النظريات تنحو إلى تقرير أن شدة بطش النظام الحاكم
بالقذة ، مع مستوى توزيع الثروة في المجتمع ، فبطش الحاكم يتماشى طرديا مع تركيز الثروة في يده.

بذه الأفكار كتب الغزالي أقدم وأحد أشهر ثلاثة كتب ظهرت بالعربية عن فلسفة النظام الاقتصادي
ب الغزالي فهو:" الإسلام والمناهج الاشتراكية " وأما الكتابان الآخران فهما: " العدالة الاجتماعية في
ب ، و" اشتراكية الإسلام " لمصطفى السباعي.

أن تلك الكتب ما كانت سوى كتب رحلة، لأن زمان الاشتراكية قد ولى بعد انهيار نظريتها وزوال
ة قاصرة بالطبع ، لأن الفكر الاشتراكي فكر أصيل عتيق ، أسس معالمه أفلاطون ، وما تزال الكتابات تتنوع
إليه تتجدد وتشتد ، ولا يضير أن تسقط بعض الصور المتطرفة لذلك الفكر ، فطالما ظل هناك استغلال
، (والظلم من شيم النفوس، كما تقرر عند الحكماء)، فإن الحاجة إلى العدل والمساواة تظل إحدى
سانية.

ة السياسة بلا اقتصاد هي من قبيل دراسة اللغة بلا نحو إذ أن (صلة الاقتصاد بالسياسة وثيقة ومراقبة سير
س لابد منها ، وتحديد موقف الحاكم من المال العام شارة كل دولة محترمة ...)[490].

ي ولوج الميدان الاقتصادي لإعطاء آراء أصيلة حول تقسيم الثروة في المجتمع ، ودور الدولة في ذلك كله ،
ائع حين إبّان صعود المد الفكري الاشتراكي في العالم العربي في الأربعينيات وما بعدها أن الإسلام يقر
زيع الثروات ويحابي الأغنياء ويسكّن ضغائن الفقراء المغبونين .

تناوله الغزالي بالنقص في كتابه " الإسلام والمناهج الاشتراكية " ثم قارن ما بين حلول الإسلام للمشكل
، المدارس الاشتراكية على اختلاف منازعها .

زالي الاقتصادية قد تشعبت لتشمل قضايا المساواة والحرية والكرامة الإنسانية ، إلا أننا سنقصر هذا العرض
ادة عند التطرق لقضايا الاقتصاد ، وتنظيم الحياة الاقتصادية وفي هذا المقام فإن أهم ما يهم هو : [491]

الطريق من هنا ، ص 126 .

المعرفة ، مقال(ملامح الفكر السياسي للشيخ الغزالي) لـ :محمد وقيع الله ، ص119 – 121 . بتصرف

تعلقـة بتنظيم الحيـاة الاقتصادية :

ـ ـل :

ب في ظل النظام الإسلامي أهمية خاصة . إذ أنه الحق الذي تترتب عليه حقوق الملكية وهو كذلك هـدف لخلق وتكليف من تكاليف الرسالة ولحكمة عليا جعل الإنسـان يكـدح لابتغـاء الـ ـرزق [ومـا ' يأكلون الطعام وما كانوا خالدين] [الأنبياء:08]
لكل أفراد ا لتمع حق اختيار نوع العمل الذي يوافق مواهبهم ، ونوع التدريب الذي من حقهم أن يحصلوا قد قيّـد بأطر تشريعية تمنع الغش فيه والسرقة والاحتكار والاستغلال وسائر أنواع الكسب الحرام .

. ـر :

أن لكل سلعة من هذه السلع المتداولة في الأسواق سعرا حقيقيا يمثل ثمن التكلفة ، وقدر الربح المضـاف في ,أن العمل سلعة مثل أي سلعة أخرى ، والسلع جميعا تترك في ميدان السوق لقانون العرض والطلـب [492]
لتحديدها يقول الغزالي :
أن الموظفين والعمال أصحاب خبرة ودراية ومهارة ، وأن الخدمات التي يؤدونا للمجتمـع لا تعـدوا أن سلعا يرتفق الناس با ولا يستغنون عنها . فهل تترك هذه المواهب والمنافع المقرونة با في مهب الريح ترتفع ط عدل ؟ لا! .
البشري الذي يبذله موظف أو عامل في إنجاز أمر من الأمور ، أو إتقان سلعة من السلع له عوض مالي يمكن . فإذا تدخلت ظروف مصطنعة لبخس هذا الثمن أو المغالاة فيه ، فإن العدالة التي قررتا الشريعة ، فمنعت عن التغرير والخداع والاحتكار ، تنتقل هنا لتمنع كذلك الغلو والحيف أو الجشع والانكسار .
دمات العلمية والفنية واليدوية يجب أن تلقى مقابلا مجزئا ، لا يشعر معه الموظف أو العامل أن جهده أهدر بثمن بخس ...) [493].
زمة إذن بحماية العمال ضد تغوّل الرأسماليين الذين أثبت لهم التاريخ طبيعة الجشع.

يقولون بإلغاء التجارة لما رأوه من جشع أغلب التجار وعيّنـوا من يوزّع السلع بعد نقلها من مواطن استهلاكها - و هم الشـيوعيون –

يجدي في تلبية الرغبات العامة ولا بتجاوب مع الحريات الطبيعية ، وهو جزء من خطة في العيش لم تحض برضا الجمهور فبقيـت في حراسـة

والذي نراه إبقاء سوق العرض و الطلب وإطلاق المنافسة الحرة بين الأفراد والشركات ، و تدخل الدولة بالتسعير الجبري إذا أحسـت سـوء
- مائة سؤال في الإسلام ، ص 278 .

، حقوق الإنسان بين تعاليم الإسلام وإعلان الأمم المتحدة ، الإسكندرية ، دار الدعوة ، الطبعة الرابعـة (1419هـ ـ – 1999م) . ص

، الملكيــــة :

عادة اكتسابا عن العمل ، مع التنبيه أن الإسلام لا يمنع وسائل التملك الأخرى كالميراث و الهبة ، ولكـن لة التملك الأساسية.

ئل السخرة و الاستغلال و الاحتكار و الربا ...

حق الملكية ، ووضع الضوابط الكثيرة لحمايته و تعزيزه :

بدأ بالواجبات الاجتماعية النبيلة ، حتى يكون المال في يد صاحبه مصدر خير له وللناس) [494].

فقراء المحرومين من الزكاة . و فيه حقوق أخرى للمجتمع غير الزكاة ، و هو مجرّد استخلاف على المـال الإعتبار أحق من الثاوي عليه في بعض الأحيان ، كما عبّـر عن ذلك سيدنا عمر بـن الخطـاب، عنـد ض الناس وذاك حين حرموا ابن السبيل الماء فقال: π ابن السبيل أحق بالماء من الثاوي عليه ι. [495]

لاجتماعي، وهو مبدأ قديم قدم الدولة الإسلامية. قرّره الرسول ρ عنـدما كفـل للفقـراء والمعـدومين ، حق " العطاء" الثابت في بيت المال بما يكفي حاجاتم ويدفع عوزهم .

ميعا بما فيها أشدها تطرفا وغلوا في الرأسمالية قد رأت أهمية ضمان حياة فقرائها ، واندفعت لتنشئ بـرامج لاجتماعية التي تضمن تحسين مستوى حياتم. فإن هذا المبدأ قد تقرر من قديم الزمان في الإسلام وما كـان ، من مبدأ العدل الإسلامي العام ، وما كان الإسلام ليحتاج إلى أن يكتشف اكتشافا متأخرا أن مبدأ فائض من إفقار متزايد للفقراء ، وتوسيع لهوّة التباين الطبقي في المتمع ، يمكن أن يولّد شرارات الثورة والاحتراب فى الإسلام المسلمين شرّ بلايا تلك التجربة الوبيلة، وبالتالي عصم مجتمعاتم من أن تنشأ فيها صور الإقطاع ح ، كما اعترف بذلك بعض المنظرين الماركسيين [496] .

غزالي ، حقوق الإنسان بين تعاليم الإسلام وإعلان الأمم المتحدة ، ص 137.

ابن حزم في كتابه المحلى ، في معرض استدلاله على إيجاب الضيافة ثلاثة أيام ، وهو من قول عمر بن الخطاب، وفيه أن ناسا مـن الأنصـار فمروا بحي من العرب فسألوهم القرى فأبوا ، فضبطوهم فأصابوا منهم، فأتت الأعراب عمر بن الخطاب، فأشفقت الأنصار فقـال عمـر: (، ما يخلف الله في ضروع الإبل بالليل والنهار؟ إبن السبيل أحق بالماء من الثاوي عليه) .

(فهذا فعل الصحابة وحكم عمر بحضرتم لا مخالف له منهم، وبالله تعالى التوفيق، وروينا عن مالك : لا ضيافة على أهل الحاضرة ولا علـى ل في غاية الفساد) – المحلى ج9 ، ص175 .

المعرفة ، ص 121 . بتصرف

ـنيـة [= إتحادات العمـال] :

الإسلامية مكلفة بإرساء قواعد المساواة والعدل ، فإنه لا ينتظر منها أن تقف تلقائيا في صـف أصـحاب
ـمل ، كما تقف الدولة الليبرالية ، وإنما عليها أن تصغي إلى العمال والمستخدمين ، وتمكّـ ـ ـ ـنهم مـن
.ميهم لاستيفاء حقوقهم وامتيازاتم .
ـغزالي أن تنشأ نقابات مهنية قوية في المجتمع المسلم تكون بمثابة جماعات مصالح ، ومراكز ضغط ، تعمل في
منسوبيها، فتكون بمثابة الضامن والمدافع .
:
ـهؤلاء الذين يبيعون جهودهم أن يطلبوا تدخل الدولة لحمايتهم، والإسلام أول من يأمر برعايتهم .
ـم نقابات مهنية تتمثل فيها المصالح الخاصة لأصحاب الحرف والخدمات المادية والأدبية . وكان الـدافع إلى
ـورة التجمع لضمان كرامة العمل والمنتسبين إليه .
ـن الاعتراف به ، بعدما عرا الجماعة الإنسانية من تطور واسع جعلنا نطالب بتسعير الوظائف في كل مكان
ـناله من الزراية والحرمان .) [497]
ـغزالي لم يفصّـل كثيـرا في موضوع النقابات ـ وهو تفصيل ليس مطلوبا منه بالطبع ـ فإنه يمكن القول
ـبات حظا من القوة التي تستطيع بها التأثير في عملية اتخاذ القرار ، إنما هو فرع من عملية الشورى في المجتمع
ـة التي تتوخى توزيع القوة توزيعا عادلا في المجتمع ، وبداية ذلك إنما تكون بتخفيض قوة الدولة والرأسماليين
ـمسحوقة بشيء من أدوات الضغط ، لتمكينها من الإسهام في صياغة القرار .هذا وربما صلح لتطوير تلـك
ـاديات الأقطار الصناعية التي تصوغ سياستها النقابية : (corporation) [498] .
ـة التي ثبت نجاحها في أقطار كثيرة مثل ـ النمسا والنرويج والسويد والدانمارك ـ . وتنال تلك التجربـة
ـعلماء السياسة المقارنة ، بحسبانها تشكل منظورا اقتصاديا جديدا، يسهم في ضبط إفراط النظام الليـبرالي .
ـ في مفهوم العدالة الاقتصادية ، ففي ظل إدارة الاتحادات النقابية تتلاقى مصالح هذه الفئات جميعا ، وتتوافق
ـلعامة للدولة وخصوصا فيما يتصل بتحديد الأسعار ، وتوجيه الخدمـات. وذلك بما يحقق ـ إلى أقصى
ـالح جميع الفئات ، وعادة ما تكون العلاقة هنا بين النقابات علاقة تنسيق و توفيق بين المصالح ، على العكس
ـتمعات الليبرالية ، حيث العلاقة هي التنافـس ، وهيمنة الأغلبيـة على حقـوق الأقليـة [499] .

حقوق الإنسان بين تعاليم الإسلام وإعلان الأمم المتحدة ، ص131.
ـنا للتفصيل أكثر في شأن (corporatism) . وقد حبّـذ د : محمد وقيع الله أن يتخصص بعض طلاب الاقتصـاد الإسـلامي و العلـوم
ـ هذه التجربة الخصبة و إغناء الفكر الإسلامي بها ، و ذلك مع ملاحظة أن المناخ الاجتماعي الإسلامي بما فيه من خلال التسـاند و التكافـل
ـاونية و لعله من المناسب أيضا ملاحظة إن الأقطار الغربية التي نجحت فيها تجربة (corporatism) كانت هي الأخرى بمنآة مـن عقابيـل
ـ ما يسمى بأخلاق البروتستانتية . و صور الليبرالية و الرأسمالية المتطرفة مما يهيئ مناخا صالحا لنجاحها.."
ـ إسلامية المعرفة ، مقال محمد وقيع الله ، ص 122 .
المعرفة ، ص 122 .

ثل هذه التجارب أمـر لا يعاب ، إنما يعاب النقل الحرفي انبهارا بما عند الآخر ، وجهلا بمعنى الـذات ، و الإنساني و الـتمعات الإنسانية يمكن أن نستصحب منها أجزاء تتلاءم مع معتقداتنا و ثقافتنـا و مقـررات موم فما سبق استعراضه هو جوهر ما أسماه الغزالي : " بالاشتراكية الإسلامية "
ة الغزالي إلى الاستفادة من أفكار الآخر في هذا الـال من باب النافلة ، لقد كان يراه واجبا ، إذ أنه لم يكن جارب غيرنا ، لأن فقهنا الـمّـد من قرون لا يلبّي الحاجات الطارئة ، وهنا وجد من يقول :
ـرا من أحد ؟ قلت : لا نستورد العقائد ولا الأخلاق ، ولكن الخطط التي تخدم أهدافا مشتركة ، لا معـنى دنا قالوا : ما تعني ؟ قلت : الظلم قبيح عند الناس كلهم فإذا تحصنت أمة بطريقة حسنة فإن ديني لا يمنـع قالوا : وضح مقصدك فهو غامض. قلت : لقد رأيت في أوربا وأمريكا دولا شتى تشرع قـوانين دقيقـة ،الحكم، لأنا تعرضت لـ وات الجور والأثرة والطغيان وكما قال الشاعر:

والظلم من شيم النفوس فإن تجد *** ذا عفـ ـة فلعلة لا يظلـ ـ ـ ـم

جتمعات بشرية حصّـنت نفسها من هذه المآسي فلماذا لا نقتدي با أو نقتبس منها في تلك الطرائق الـربة ؟ قال لي البعض : هذا ما نخافه منك إنك تستورد الإصلاح من منابع بعيدة عن ديننا وتراثنا ، ونحن أغنياء .

ت غيرتك هذه في موضعها إنني معتز بديني ولله الحمد .
ن الاعتزاز بالدين أن نرفض الجهاد بالصواريخ والأقمار الصناعية لأنا بدعة ، إن التفتح العقلـي ضـرورة ث في الفقه الإسلامي ...) [500] .
ا من العلم ليس أحد أولى با من أحد ، لماذا نتركها لغيرنا ولا نجوّد فيها نحن ؟ أو ننقله إلى ربوعنا ؟
على المسلمين لو ساحوا في أرجاء القارات واطلعوا على أحوال الخلائـق وراقبـوا أحـوال الشـعوب نوا مما يرون الأساليب الإدارية والنظم الحضارية التي تخدم مثلهم وتحقق أهدافهم .
ب بعد ما تعفنت الأوضاع السياسية والاقتصادية لدينا في عصور الجمود والتخلق) [501].

و لم يستنبط شيئا عجبا من نصوص الإسلام ، و لم يقسـر تلك النصوص قسرا ليتمخض عنها ما تأبـاه ن نجد أمثلة و نظائر كثيرة لهذا الفكر ، منشورة في كتب الفقهاء القدامى كابن حـزم و ابـن القـيم و

. الغزالي هو أنه كيّف هذا الفقه بصورة جديدة ، ليتوافق مع أفهام المعاصرين ، حيـث أصـبح العـرض أحيانا استخدام المصطلحات السائدة ضرورة لا مهرب منها [502].

دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين ، ص 197 - 198 .
المصدر السابق ، ص 193 .
، ص120 –123 .

تكافـل والعدالـة الاجتماعية :

اعي هو ما يستحقه كل فرد في الدولة ، من تأمين كفايته في الغذاء والكساء والسكن والمستوى الصحي ، له لا يكفيه ، أم كان عاجزا أو فقيرا أو شيخا هرما أو طفلا يتيما ، من أموال الزكاة وغيرها إن لم تـف

التكافل الاجتماعي الذي شرعه الإسلام ركنا أساسيا من أركان الدين الخمسة ، يتصل بالعقيدة و هو من اعي[503] .

لفكر الغزالي من خلال استقراء جملة أفكاره وذلك فيما يخص المساواة و العدل الاجتماعي مجموع النتائج

هو المساواة التي لا تعطي أحدا حقا ليس له ، و لا تبخس إنسانا شيئا من مقوّمات حياتـه الكريمـة

ت على الإنسانية فترات قصيرة لا تكاد تحسب من عمرها تحققت فيها المساواة المثالية الـتي تنعـدم فيهـا انت له مبررات خاصة ، إلا أن أغلب الفترات الأخرى و خاصة العهود البائدة ـ عهد القياصرة ـ كان عهد التخمة و عهد الجوع ، عهـد الدفء في الفراش و عهد الرعشة من عري . عهد النعمة الضاحكة و السلطان و الجبروت الذين لا حد لهما ، وعهد الطاعة التي لا حد لها...

نابة صغرى متقاربة للفئات للمساواة المادية التي يحتاج الناس إليها في إشباع ضروراتم ، كمـا أن هنـاك لب البشرية المعقولة ، ولا يستطيع أحد القول أن هذه المساواة المرنة متحققة عندنا ، ما دامت هناك جماهير مرتبة السوائم، و أفراد يعبثون في الأرض عبث الشياطين .

في تصويره للمثل العليا للعلاقات بين الناس يمجد الإيثار ، الإيثار الذي يجعل المرء يـ ل عن ضروراته لأخيه يها، الإيثار الذي يرفع العلائق الإنسانية إلى مستوى لا يرقى إليه غش ولا ضغن ولا كزازة ..
ب الناس بذا الإيثار العالي . إذ كيف نطلب الفضل ممن فاته العدل أو نطلب التكرمة و السماحة ممن يضن .

لب من الناس أخوّة توزّع عليهم السراء و الضراء بالقسطاس المستقيم أخوة تعطي كل ذي فضل فضله ، و وذلك ما يعز في هذه الأيام وجوده .

خصائص التشريع الإسلامي في السياسة والحكم .

مد الغزالي ، الإسلام المفترى عليه بين الشيوعيين و الرأسماليين من ص 29... ص61 .

ع تلك المقالة التي اعتقدها المشرقيون من أن الذكاء باب إلى النحس ، وأن الغباء باب إلى الثراء و أن الدنيا
ـ تعطي الحلية من ليست له آذان، و كثر في الشعر العربي ترديد هذه الأوهام .. و هكذا يتخلص الناس
على النظم الفاسدة ، والأوضاع الجائرة ، والأحكام المستبدة ، و الخلل الاقتصـادي ، وانتشـار الزلفـى
يتخلصون من الاعتراض على هذا كله باتام القدر الأعلى . لأن شيوع هذه المقالة سيحدث تخريبا واسـع
متنا الفكرية و الاجتماعية و السياسية ، فضلا عن أنه تخرّص على القدر ، يسند التهمة الباطلة التي تزعم أن
..

اهل لأحوال الأمم المحرومة من العدالة الاجتماعية ، أو توين لآثار الضيم النازل با ، أو تسـكين للثـوائر
دليل على أحد أمرين :
في العقل -2) أو نفاق في القلب
لته الحقيرة من دين الله أو من دنيا الناس فلا يلتفت إليه ...

لم والمعرفة، وحياة الصحة والعافية ، وحياة الحرية والكرامة ، تلك كلها حقوق لا يجوز أن يحرم منها أحد،
ابيعها في كل مكان . وأن يتمكن من مواردها كل إنسان.

تي تتعرض لها الأمم يتحتم أن توزع على الجميع بالقسط ، فلا تسفك دماء لتصان أخرى ، ولا تدم بيوت
تعرض للأخطار طبقة وتحمى من هذه الأخطار طبقة . بل الكل سواء في فرص البقاء والفناء ، والخسـارة
. والرفعة .

رص في هذه الأمور هو ما توحي به العدالة وتدي إليه المساواة [505] ويحرص عليه الدين ويعتبر التحلل منه
ائل وهدما لقواعد الحكومة الصحيحة بل هدما لكيان الأمة التي تعد نفسها خير أمة أخرجت للناس ...

ك المساواة مما تعارف عليه الناس في هذا الزمان، فينبغي ألا يغيب عن بالنا أن الإسلام عندما بشر با منذ أربعة عشر قرنا كانت شريعة رومـا
لاد الشام، المجاورة لجزيرة العرب . و في ظلها كان الناس يقسمون إلى أحرار و غير أحرار والأولون طبقتان . أحرار أصلاء هم الرومـان ، و
اللاتين . أما غير الأحرار فكانوا أربعة أنواع :الأرقاء ، و المعتقون ، وأنصاف الأحرار ، و الأقنان التابعون للأرض . و كان الأحرار الأصلاء
بالحقوق السياسية في معظم الفترات التي مر با تاريخ روما . أما غيرهم فكانوا محرومين منها. أيضا فقد كان أرسطو فيلسوف اليونان الأشهر
السياسة بأن الفطرة هي التي أرادت أن يكون البرابرة عبيدا لليونان (و هذه تعاليم المدرسة الأفلاطونية) و إن الآلهة خلقت نوعين من البشر :
بالعقل و الإرادة . و هم اليونان بطبيعة الحال . و نوع لم تزوده الآلهة إلا بالقوة الجسمانية و ما يتصل با و هم البرابرة (غير اليونانيين) ....
ة أن يكون التقسيم على ذلك النحو، ليسد البرابرة النقص الموجود عند اليونان(القوة الجسدية) . الأمر الذي يستوجب أن يضل الآخـرون
خدمة الجنس الأرقى . ذي العقل الرشيد .
عروف الدواليبي ، الحقوق الرومانية ، ص 464 و ما بعدها ـ فهمي هويدي ، مواطنون لا ذميون ، دار الشروق ص 86 .

ء الأسر وحياطتها :

شيخ الغزالي تكافلا اجتماعيا منوطا بعنق الدولة، إنشاء الأسر وحياطتها ، و كذا ضبط العلاقة بين الجنسين

لإسلام للأسرة أنه يعاقب على الزنا بالجلد حينا، و بالقتل حينا آخر ، فهو يأمر بالرجم حتى الموت للـزوج
ى أحدهما هذه الفاحشة .
الجنسي مدّمـر للمجتمعات و جالب لغضب الله ، و الواقع أن الشباب الذين يمرّنون على ريّ غرائـزهم
ون العيش في جو الأسرة ، ولا يألفون ما فيه من رضا وقناعة ..
البغاء ترك في نفوسهم عاهات خلقية مستديمة، و ذلك سر تشديد الدين في محاربة الزنا، و الحضارة الحديثة
ا المنطق ، إنما جعلت المرأة كلا مباحا للأعين و الأيدي ، وصار كثير من الشباب يمتنع عن الزواج ، لأن ما
ى مرمى نظره ، وقد تصدّع بناء الأسرة تبعا لذلك ..) [506]

: (من واجب الدولة ضبط العلاقة بين الجنسين داخل إطارها الصحيح ، فإن ذوي الفطر السليمة ضاقوا
ي يصحب الحضارة الحديثة ، و ما انتهى إليه من انحدار و تتك ..
ن علماء الاجتماع يدقون نواقيس الخطر ، و ينذرون أمهم إذ تمل حياة الأسرة سـوء المصـير بانيـار
روابط المتمع ، و انقراض النسل) [507].

ـ باسم الإسلام ـ مكلفة أن تعنى أعظم العناية بإنشاء الأسر وحياطتها، و توفير ضمانات الاستقرار لها،
ظروف الاقتصادية و الثقافية و السياسية من آثار تمسها .
ولة عن ذلك مسئوليتها عن التموين والتعليم والدفاع ، وما شابه هذه الأغراض، التي لا يمكن تركها للأفراد
ى الدولة ، إننا نرى تأمين العفة في الأمة لا يقل عن توفير الخبز لها، وإذا كان تسعير المواد الضرورية واجبـا
يان شتى ، فإن تحديد المهور وضبط مقدمات الزواج لا يقل ضرورة عن تسعير اللحوم والفواكه .
أفراد المسؤولة عن محو شارات التبرج ، وأسباب الإغراء ، ومصادرة الفوضى الجنسية والخلقية...)[508].

حقوق الإنسان ، ص 106 .
الطريق من هنا ، ص 83 .
ص 106 .

ن الإدراك الإسلامي التقليدي ـ من خلال فكر الغزالي السياسي ـ يجعل وظائف الدولة تتحدد بالعناصر

ة الإسلامية تملك رسالة تدور حول قيم معينة لا تتغير في المتمع القومي ، و تفرض عليها إطـارا للتعامـل [5] .

هذه الرسالة في خاتمة المطاف هو : حقوق المواطن و كرامته ، وتمكينه من تحقيق ذاتيته المسلمة.

لة الإسلامية أخلاقيات و قيما ، حيث أن هذه المثاليات تعلو في وظائف الدولة على أي حاجـات ماديـة

لسياسي و الاجتماعي و الاقتصادي في الإسلام بين جهاز الحكم و الرعية ، و كذلك بين أجهزة الحكم في تيد ملزم [511] .

في كل أمر واقع موقف وحكم بعد تقويمه [512] في معاييره ليؤثر فيه ، و يتجه به إلى ما يقتضيه الحق و العدل

ؤصل مبدأ الكرامة الإنسانية لمن أسلم ولمن لم يسلم .

جلة قضايا دولية . العدد 317 السنة السابعة، 7 رمضان 1416 هـ / 29 يناير 1996 م .

) تعني أمرين : الأول : تقويم الاعوجاج . و الثاني: تبيين قيمته ، و من الخطأ التعبير عن هذا المعنى الأخير بكلمة " تقييـم "
دراسة التشريع الإسلامي في السياسة و الحكم خاصة، يتفق و طبيعة التشريع نفسه، خلافا لنظرية بعض أعلام الفقه الأجنبي كالفقيه (**ديجي**)
لظواهر الاجتماعية ينبغي رصدها و تنظيمها تقريرا لها . ثم يجرى التقنين على أساسها و إنما التشريع علم تقويمي . هذا وقد جانب منهج العميد
خالفته لطبيعة التشريع نفسه من حيث أن التشريع علم غائي ، ولذا كانت مهمته التقويم لا التقرير لتعلقه بالإرادة و البواعث ، فينبغي أن يتخذ
يتفق و طبيعته وعلى هذا ليست مهمته رصد ما هو كائن بإطلاق ثم تقريره ، بل تقويم ما يخالف مبادئه و قيمه من الحق و العدل و المصـالح
التوجيه إلى ما ينبغي أن يكون، فكان من الخطإ اعتبار القيم العليا أساسا في التشريع وغاية له ، و من هنا نشأ مبدأ . (التكافل الاجتماعي و
م في التشريع الإسلامي من الحاكم والمحكوم لما بينهما من وحدة الغاية التي هي سبب الالتزام السياسي، ذلك الالتزام الـذي تترتـب عليـه
بين الحاكم و المحكوم ...

- فتحي الدريني ، خصائص التشريع الإسلامي ، ص 103 بتصرف .

الحقوق و الحريات ، لا يني يشرع من الأحكام العملية التفصيلية ما يجعل تحقيق مفهوم هذا المبدأ أمرا واقعا

لم يغفل " مبدأ المنفعة " سواء على مستوى الأفراد و المجتمع و الدولة، فالسياسة - كما هو معلـوم -
رء الأضرار و المفاسد ، المادية و المعنوية ، ثم إقراره المصلحة العامة و مقتضياتها في جميع شـؤون الحيـاة
حقا جوهريا للمجتمع و شخصيته المعنوية، التي تنبثق منها إرادته العامة الحرة، وتنطلق من تصـور موحـد
و تمثلت هذه الإرادة العامة الحرة في الصفوف المختارة من العلماء و أهل الخبرة والتخصص العلمي الدقيق
شؤون الحياة معا تحقيقا " للتوازن " بين المادة و الروح، و مطالب الدنيا و مطالب الآخرة ، فضلا عن إقراره
محورية في أصل تشريعه [514].

علاقة الدولة الإسلامية بغيرها من المجتمعات المحيطة بها و المتعاملة معها تقوم على مفهوم السـلم بمعنـاه
ن الجهاد أمر طارئ لاعتبارات محددة منها :
منع الفتنة : فقد يتعرض المسلمون في بعض الأحيان لصنوف من الترويع و الأذى تنزل بهم حتى يرتدوا عن
ز ترك حملة العقيدة تحت وطأة هذا العذاب، بل يجب كسر شوكة المعتدين ، وإسقاط سلطتهم حتى تستقر
و يؤمن من شاء دون خوف.
تأمين الدعوة : فمن حق المسلمين أن يعرضوا ما عندهم على غيرهم عرضا عاديا لا يقترن به رغبة أو رهبة
ف ، فإذا عطلت إذاعتهم، أو صودرت كتبهم ، أو حبس دعاتهم ، جاز لهم أن يقاتلوا حتى يتقرر لهم هذا
م أن يكسروا السياج الحديدي الذي تحتمي وراءه بعض الفلسفات و المذاهب الضالة ... [515].
رورة واستثناء، إذ يسبق الجهاد دعوة مباشرة أساسها الحديث مع السلطة الشرعية، لتمكين الإتصال بهـذا
ية لأي تعامل قتالي.

ن الاحترام المتبادل بين الدولة الإسلامية و الدول الأخرى هو مبدأ أخلاقي لا تلتزم به الدولة فقط في تعاملها
اكمة في تلك الدول ، بل تلتزم به الدولة في معاملة جميع مخالفيها ، سواء في الداخل أو في الخارج .. [516].

وجود العامل الإسلامي في العلاقات الدولية، هو وجود موجه لحماية الإنسان بصرف النظر عن أصـله أو
ط العدل المطلق عن أي اعتبار من اعتبارات القوة ، أو الانتماءات الدينية أو العنصرية ، ولتحقيق السـلم
ل في تصور الإسلام للعلاقات الدولية، ولذلك فلا غرو أن كان تركيز الغزالي واضحا على ضرورة جلب
لأثر إلى حقل العلاقات الدولية .

، خصائص التشريع الإسلامي ، ص 163
مائة سؤال في الإسلام ، ص90 .
مصدر سابق .

الـــــــدســــتــور

ِ ضعف عناية المسلمين بالأحكام الشرعية المتصلة بالقانون العام، وبوجه خـاص بالقـانون الدسـتوري
[517] فبينما نجد العناية الكبرى بمسائل الأحوال الشخصية وأحكام العبادات، نجد التقصير في ميدان الأحكام
حكام المتعلقة بالنظام السياسي للدولة وعدم العناية بالبحوث الدستورية [518].
غزالي يشكو من تخلف المسلمين الفقهي والعلمي وبخاصة في الشؤون الاجتماعية والاقتصادية والسياسـية ،
لإسلامي داخل حدود ضيّـقة ، إن تجاوزت بيوت الماء فإلى ساحة المسجد ، وقد تتدخل في شؤون الحارة

ِ ومشكلات المال ومفاصل الحياة الحقيقية للمجتمع والدولـة ، فإن الفقه لا علاقة له بها ...[519]
ِ حرجا ـ أول أمره ـ من إغلاق باب الاجتهاد في فقه العبادات [520].
كفي مما استراح إليه الأئمة ، ولا حاجة إلى ما وراءه ولو كان مقبولا .
ـاملات ـ الذي جمّد وهذه مصيبة ـ من عشرة قرون فإن تجميده عجز في دنيا الناس . وقصور في دين الله
رورات صارخة بأن الإسلام يحتاج اليوم إلى جهود ذكية ودؤوب في الفقه الدولي ، والفقه الدسـتوري ،
ى ملاحقة ما تجدد في عالم المال والتجارة وشؤون العمل والعمال ...) [521].
ـق فقد رأى الدكتـور عبد الـرزاق السنهـوري (بأن نصف الفقه الإسلامي ـ والمتعلق بالقـانون
دور الطفولة) [522].
ذي ذكره السنهوري منذ خمسين من السنين ، وبعد هذا الزمن نجد ذلك الطفل قد أخذ بعض الشيء ينمو
ِ المهد يحبو ، لا يكاد ينهض حتى يكبو) [523].

طور الفكر السياسي الإسلامي من هذه الرسالة ، ص: ، وما ذكرناه من توجيه وتصحيح لهذه الشائعة التي لم يمحص الكثير من الناس فيها

حمد القاضي ، السياسة الشرعية مصدر للتقنين ، ص 329 .

دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين ، ص 196 .

ِ الرأي الذي جنح إليه في هذه المسألة (إغلاق باب الاجتهاد في العبادات) . ونادى أخيرا بالاجتهاد في بعض الأحكام العبادية لأنه ممكـن .
ِ إلى هذا الرأي بعدما قرأت رسالة للفقيه المعاصر عبد الله بن زيد آل محمود عنوانا " جواز الإحرام من جدة لركاب الطائرات والسفن البحرية
إلى الموضوع ، فإن مواقيت الحج حددتا السنة ، وقد جد في عالم المواصلات ما لا معنى للتغاضي عنه.
ي كان يعتقده الغزالي ملابسات خارجية وأسبابا موضوعية تركت الغزالي يجنح إليه آخر الأمر، ولعل أهم هذه المبررات والأسباب هي :
ض المنسوبين إلى العلم الديني الاجتهاد في ميدان أشبع بحثا، كدورات المياه ودور العبادة، واستعراض عضلاتم العلمية هناك .
هذا الميدان بثقافة ضحلة، ووسائل علمية ضامرة . لا يؤتمنون با على قراءة جريدة قراءة سليمة فكيف بالاجتهاد في دين عظيم قائم على أسس
صد كلية لا يستقل بإدراكها إلا الأفذاذ .
الخلافات الحادة بين المسلمين ـ باجتهاداتم العرجاء ـ واستغلال كثير من السياسات الجائرة والسلطات المستبدة فقه هؤلاء واجتـهادهم ـ
م ـ لضرب الجماعات الإسلامية بعضها ببعض !!

المصدر السابق ، ص 126-127 .

نهوري ، الخلافة ، ص 21 .

ات أمام الباحث فـي الفقـه الدستـوري :

ـ من الفقهاء من رجال القانون إلى الصعوبات التي تقف أمام الباحث في الفقه الدستوري الإسلامي ، نشير
ة :

ولـى :

ـ تنحيـة نظـام الحكـم الإسلامـي :

في وقت مبكر قبل تنحية غيره من جوانب التشريع الإسلامي، فحال ذلك ـ بالتالي ـ دون وجود سوابق
ُمر الذي أدّى إلى أن أصبح الباحث في ميدان القانون الدستوري الإسلامي يجد نفسه كما يقرر الـدكتور
بين مخـ ـ ـافـتين :

ـى :

ـ إما أن يمضى في تفصيل التجربة الإسلامية على قصرها ، وأن يقدمها على أنا منهاج الإسلام في الحكم
كتفيا في عرضه بذا القدر من ناحية، وملتزما تفاصيل تلك التجربة من ناحية أخرى فيلزم بذلك ما لا يلزم
لام ما ليس من أصـوله ومستلـزماته ، ويقـيّـده بملابسات العصر وظـروف الزمان والمكـان . لأن
انت من ثمرة الاجتهاد ، وساهمت في تكوينها على الصورة البسيطة غير المعقدة عوامـل شـتى منـها :
مكان ومقتضيات العصر، لذلك لا يستساغ أن تعتبر هذه السوابق من قبيل السوابق الشرعية التي يتحتم أن
لامية على الدوام لأن هذا المنطق لا تؤيّـده الشريعة ذاتا ، ولا المنطق العلمي السليم ، لأنه علينا أن نضـع
، بدئ أن الشريعة الإسلامية خاتمة الشرائع ، وهو ما يعطي لها بالضرورة صفة الخلود والأبدية .
تظل دائما مفتوحة أمام العقل الإنساني ، والقول بخلاف ذلك يؤدي إلى جمود الشريعة ويتجافى مع مقصد

:

وإما أن نرفض تلك التجربة أو هذه السوابق ، ونلجأ إلى النصوص وحدها فنجدها قليلة ومجملة ، فنقـول
لام لا صلة له بالحكم والسياسة، وأنه دين لا دنيا وأن مهمة الرسول υ كانت كما يزعمون نبوة لا ملكا
موضعه [525].

لي ، الشريعة الإسلامية مصدر أساسي للدستور ، ص 214 .

حمد النادي نقله في كتابه (المبادئ الدستورية العامة)، ط1 1975 ، دار الثقافة للطباعة والنشر ص 27 .

ة الحكم في الإسلام " ، ص 53-65 . بيروت ، دار العلم للملايين .

ي : النظم الإسلامية ، ج2 ، ص 4 – 6 .

وانظر: السياسة الشرعية لـ : عبد الله محمد محمد القاضي ، ص 330 .

علاقة الدين بالسياسة في مطلب : وظائف الدولة من هذه الرسالة .

متصفح للأحكام المتعلقة بالمسائل الدستورية يجدها تنتج نموذجا محددا يجب على الدولة الإسلامية أن تتشكل الشريعة لعوامل تتعلق بخلودها وأبديتها، قد اكتفت بتقرير قواعد كلية وأحكام شاملة تحدد الإطار العـام ي المتمع الإسلامي، من تطوّر يتعلق بظروف الزمان والمكان ، وهذا لا يؤدي إلى التقليل من المنهاج الـذي يحط من قدرها ، بل إنه في حقيقة الأمر يؤكد أن النظام السياسي الذي ينبثق مـن القواعـد الكليـة ، ي حتّمتها الشريعة، راسخ الدعائم ، متين الجذور، صالح للتطبيق في كل العصور ، وبالنسبة لكل ظـروف ضرورات الحياة البشرية والسياسية جزء منها مرتبط بالزمن ، متغيرة مع تغيره ، كما أن معايير الإسلام من مع التطور ، ولا تقف عقبة في سبيله [526].

الـثانية :

ـ عـدم انتظامها تحت أبوابا الحقيقية :

ام الإسلام فيما يتعلق بالنواحي الدستورية موزعة في جوانب كتب العقيدة ، دون كتب الفقه، وهو الحال ا لما سلكه الشيعة من اعتبار هذه المسائل متعلقة بأصول الدين، وركنا سادسا من أركان الإسلام، بجانـب أجمع عليها فقهاء السنة، وحددتا نصوص الشريعة القاطعة ، كما نجد كثيرا من قواعد القانون الدسـتوري السير، وفي أخبار وتاريخ الفرق الإسلامية، ولكل منها المنهج الذي سارت فيه ، وطريقتـها في العـرض

في النهاية إلى عدم وجود قواعد القانون الدستوري في مجموعة واحد، مبوّبة التبويب العلـمـي السليم ، رها من فروع القانـون المختلفـة [527].

، أن علماءنا قد جانبهم الصواب حين أدرجوا أبواب السياسة الشرعية تحت الأبـواب الـتي تبحـث في بواب العقيـدة . وكمثـال على ذلك إدراج موضوع " الإمامة " أو " الخلافة " ضمن مباحثها، وذلـك عتبرون قضية الإمامة من أصول الدين ، ومن أمور العقيدة عندهم ، مما دعا علماء أهل السنة أن يبحثوهـا ضا ، وإن كانت هي عند أهل السنة من مباحث الفروع ، لأنها تتعلق بالعمل ، لا بالاعتقاد أساسا .

التهوين من أمر الإمامة أو الحكم بما أنزل الله ، لأننا إذا نظرنا إلى فرائض أساسية كالصلاة والزكاة نرى أنها لأصول ، لأنها أعمال لا عقائد ، ولكن هذا لا يخرجها عن كونها من أركان الإسلام ومبانيه العظام ، على والإيمان بركنيتها في الدين هو من الأصول لا من الفروع ، ولهذا عُدّ من أنكر فرضيتها أو استخف بـها : ن ، خارجا عن الملة ، لأنه أنكر ما هو معلوم من الدين بالضرورة ، وفي هذا تكذيب لله ورسوله، وكذلك الحكم بما أنزل الله هو من الفروع ، ولكن اعتقاد وجوبه ولزومه، والإيمان بالاحتكام إلى ما أنـزل الله في وله هو من الأصول يقينا ، وهو من صميم الإيمان [528].

ي ، مصدر سابق ، ص 28 .

: فكرة السيادة في الدولة الإسلامية، مجلة المعاصرة يوليو سنة 1970 ، ص111 . وأبـو الأعلى المودودي ، نظرية الإسلام وهديه ، ص242 .

سف القرضاوي ، السياسة الشرعية ، مؤسسة الرسالة ، ط 1 ، (1421هـ – 2000 م) . ص 16 .

ـثالثة :

ـ النـزعـة الاستبدادیـ ـة :

لاستبدادية التي عرفت عن حكم الخلفاء منذ عهد خلافة الأمويين، فيما يرى الدكتور السنهوري في مقدمة
علمـاء المسلميـ ـن القدامى (اللهم إلا إذا استثنينا القليل منهم) إلى عدم العناية بالبحوث الدسـتورية

ئ عبر الأجيال قصورا ملحوظا في الإلمام بما تعارف عليه علماء النظم السياسية، وفقهاء القانون الدستوري
ىلمين، من اصطلاحات محددة، وتقسيمات خاصة بهذا العلم ، تتعلق بضبط أصوله وتقعيد قواعده ، وبهذا
قانون الدستوري الإسلامي يواجه بأحد رجلين :

ى عالم بالشريعة ملم بمصادرها، خبير بأصولها في الاستدلال والاستنباط من مظانها ومراجعها، ولكنه لم يتهيأ
وف العصر من تنظيمات وضعية مستمدة من تعاليم الإسلام، كما رسم إطارها القرآن والسنة ، كما أنـه
لإنسانية خلال قرون متعاقبة، وما تولّـدت هذه التجارب من سوابق وقواعد وأحكام، وفي سبل الإحاطة
انية في نطاق اجتهادات البشر المفيدة لنأخذ منه ما يتلاءم مع الشريعة، ويثرى تجاربنا مع الأوضاع الجديدة
د اجتهاد الإمام الشافعي ما بين العراق ومصر، (لأن المتناهي وهي النصوص لا يفي بغير المتنـاهي وهـي
530
.

ى من رجال القانون الوضعي الذين بهرتهم الحضارة الغربية، وما تميّـزت به من إبداع مادي، وما توافر لهـا
والسيطرة، فاندفعوا بوعي أو بغير وعي، وفي جهل يكاد أن يكون تامّـًا بأحكام الشريعة الإسلامية، ومـا
متعلقة بنظام الحكم، إلى الدعوة لاقتباس تنظيمات تلك الدول، واهمين أو معتقدين أن ذلك يؤدي بهـم إلى
ضارة المادية التي وصلت إليها تلك الدول ، وقد ذكرنا فيما نقلناه من قول الغزالي السابق أن من المفيـد أن
لم أحكام الفقه الوضعي في هذا خاصة، بحكم أنها تجارب إنسانية مشتركة بين عقول البشر، ولأن الأحكام
معاملات ، ومنها القواعد المتعلقة بنظام الحكم قد اكتفى المشرّع الإسلامي بتقرير قواعدها الكلية وأصـولها
جتهدين في كل عصر على حسب ظروف مجتمعاتهم وأزماتهم تفصيلها على ضوء تنزيل الجزئيات على تلك
ى الجزئيات لا نهاية لها فلا تنحصر بنص، وإنما المراد من كمال الدين في قوله تعالى :" اليوم أكملت لكـم

ام مالك أنه " أنه سئل عن البغاة – يقصد العصـاة الخارجيـن على الخلافـة – أيجوز قتالهـم ؟ فقال : إن خرجوا على مثل عمر بن عبـد
لم يكن مثله ؟ فقال: دعهم ينتقم الله من ظالم بظالم. ثم ينتقم من كليهما " فكانت هذه الكلمة من أسباب محنته .
عـة الاستبدادية للخلفاء العباسييـن في الميدان السياسـي نجد فقيها كبيرا – كان أكبر الباحثين والمؤلفين المسلمين القدامى في المسائل المتعلقة
وهو أبو الحسن الماوردي المتوفى سنة 540هـ/1146م . وجدناه بعد أن يضع كتابه الشهير " الأحكام السلطانية ". يوصي بعدم نشره إلا بعـد
جد أن بعض الباحثين من العلماء كان يكتب في جو من الخوف والرهبة . بينما كان البعض الآخر يكتب بدافع من الزلفى والرغبة .
راجع : - محمد رشيد رضا : المنار ص 53 - محمد عبد الله العربي : نظام الحكم في الإسلام ص15-16 .
- السنهوري : مصادر الحق في الفقه الإسلامي ، ج 2 . ص 199-200 .
رطبي، بداية المجتهد ونهاية المقتصد، دار اشريفة ، الجزائر ، 1409هـ – 1989م، ص03 (بتصرف).

– 3] هو في هذا السياق بحسب ما يحتاج إليه من القواعد الكلية لمواجهة ما لا نهاية له من الوقائع والنوازل

ي ال عة الاستبدادية تحديداً فإن الغزالي يذكر (أن الفقه الذي يرشح أصحابه لخدمة الوحدة الإسلامية يحتاج ادات جديدة ، يستحيل أن تعجز عنها أصول الفقه عندنا ... وقد تحدث العلماء القـدامى في السياسـة ي الإدارية . بيد أن حديثهم كان قليلا ، ويبدو أنهم أوجزوا حتى لا يصـطدموا بالساسـة ، ويتعرضـوا

فقد وقفوا عند حاجات عصرهم ، وقد مضت قرون طويلة ، وهذا الضرب من ثقافتنا الإسلامية لا يعدو تى القرن السابع الهجري، فهل ينشط الفقهاء المسلمون ليجعلوا التشـريعات الإداريـة ، والدسـتورية ، طالع القرن الخامس عشر الذي احتفلنا بمقدمه من بضع سنين ؟..) [531]
يخ قد ركز على هذه المفاهيم في كتبه ومحاضراته ولوّح بلسان النقد إلى ضرورة تعريج فقهاء القانون بغيـة خلل ، الذي أصابنا في حياتنا السياسية.

ي الذي سنسرده ما يشير إلى كثير من الصعوبات التي أتينا على ذكرها، تناولها الغزالي بقلمه المسطر ، وعقله بارة ، وأوضح ما ينتج جراء تقصيرنا في العناية بمثل هذه الأمور جزائنا المنتظر ، من التخلف والتأخر فقال :

خطاء الفكر الإسلامي الأولى بذله جهدا مضنيا في بحوث ما وراء المادة ، فبدّد بهذا قدرا كبيرا من طاقته دون ب ، وخالف بهذا التفكير منهج القرآن الكريم في البحث والنظر ، فإن الله في كتابه أمرنا بالتأمل في المادة لا كون المشهود ، لا في الغيبيات المفترضة والموهومة ، وهذا العوج الفكري الذي حاربه العلمـاء المحـافظون ن حياتنا الاجتماعية والثقافية .
ر أساء إلينا في ناحية من حياتنا السياسية ، وهو فيما أرى نقص معالم الفقه الدستوري من حياتنا الفقهية دته في مواريثنا السماوية ، ومع الحاجة الماسة إليه في سيرنا التاريخي الطويل .
ري : هذه الدراسات التشريعية التي تحدد وظيفة الحاكم وصلته بالأمة والسلطات التي يملكهـا ، وطرائـق الإسلام عليه ، والحقوق والواجبات المتبادلة بين شتى الأجهزة الإدارية التي تشكّـل عموما نظام الدولة .
وأمرهم شورى بينهم] [الشورى : 38] لا يكفي أن يلقيها واعظ من فوق منبر ، أو يرسلها قارئ في الهواء ي الحياة العامة قوانين ملزمة ، واختصاصات واضحة .
ِمّـة تدارست في حلقات العلم حقائق كثيرة في ذلك المجال ، لكن هذه الدراسـات لم تأخـذ طريـق ار ، الذي يقدم للمجتمع الإسلامي ضمانات وثيقة ، فلا يتعرض للأزمات التي تكوّن منه حاكما مسعورا ها إلى طريق الدمار ...

سر تأخر العرب والمسلمين ، دار البعث قسنطينة الجزائر ، ص180.

لامي – في ميدان العبادات والمعاملات – حفـل بأخيلة تجعل المرء يضحك حينا ، وتجعله يدهش أحيانا ، تعرضت لأبعد الصور ، وأعقد القضايا بالتقريب والحل ، ومع ذلك فإن هذه الناحية الدستورية لم تأخـذ أبواب الغسل في العبادات ، ولا ما أخذته أبواب البيوع في المعاملات !!....

لعل الانحراف الأساسي في تكوين السلطات العليا هو الذي أغرى بتلك النقائض ؟ وفي رأيي أن الإفـادة هذا الميدان عظيمة الجدوى، إن البشر في أقطار فيحاء ، وعلى آماد متطاولة لدغتهم آثام الحكم الفردي ، عجب إذا عملوا بنداء الفطرة على تحصين أنفسهم ضدها ، وعلى وضع الدساتير الـتي تتضـمن العـبر ع الظالمين معهم ، وصراعهم مع الظالمين...

لا لفكر أجنبي يزاحم مواريث الدين ، أو يوهم بعدم كفايتها لحاجات العصور .كلا إنما هو نقل لوسـائل تحقيق الغايات التي جاء بها الدين ولإنفاذ النصوص التي تضمنتها...) [532].

الصعوبات التي عاقت نطاق دراسة النظام السياسي الإسلامي فضلا عن الصعوبة فيما يتعلق بطرق اختيار ستوري الإسلامي ، لأن هذه المسألة بحق كانت المسألة الأساسية التي اختلف المسلمون حولها ، ويكاد يكون ، بين المسلمين والذي أدّى في النهاية إلى تفرقهم إلى فرق ومذاهب مختلفة .

ρ انتقل إلى جوار ربه ولم يستخلف عليهم شخصا معيّـنـا ، يتولى سياسة أمورهم الدينية والسياسـية، ينتهون فيه، ويحلونه بالطريقة التي تتلاءم مع ظروفهم وأحوالهم ، مع مقتضيات الزمان والمكان ، مكتفيا في ومؤشرات عامة ، يلتزم بها المسلمون في طريقة تنصيبهم لرئيس الدولة ، وعلى غير هدا اختلفت المنـازع في النهاية إلى إسالة بحور الدم ونشوب المطاحنات والحروب بين المسلمين بعضهم البعض .

لشهرستاني إلى ذلك بقوله (وأعظم خلاف بين الأمة خلاف الإمامة ، إذ ما سُل سيف في الإسلام علـى ـل على الإمامة في كل زمان) .[533]

إلى لقاءات السيوف في خلافة يزيد بن معاوية ، وفي انتقال الخلافة من الأمويين للعباسيين أكثر مـن أي

لغزالي فيما يخص مسألة اختيار الحكام جرثومة خبيثة تفتك بالسياسة الإسلامية وتدع فراغا سيئا بين الأمة طريقة اختيار الحاكم الذي يلي الأمور ويقود الأمة إلى ما تعرف وتقر من أهداف ، ونحن نريد استئصـال كها ، والتغلب على ما تنشأ من علل وأوجاع . ويخيل إليّ أن هناك نقصا في تفكيرنا الفقهي يجب تداركـه من تجارب تاريخية ، وعلى ضوء ما وعى العالم كله من كفاح للطغاة والمستبدين ...) [534].

معركة المصحف في العالم الإسلامي ، ص97 – 98 .

الملل والنحل) ج1 ص 21 . وإن كـان في عبارتـه بعـض التعمـيم حيـث لم يكـن للسـيف مجـال أثنـاء الخلافـة الرشـيدة .
ـ أنظر كتاب منهاج السنة ، لشيخ الإسلام ابن تيمية .

معركة المصحف في العالم الإسلامي ، ص 96 .

، من المصطلحات الحديثة في الفقه الدستوري:

نفادة من تجارب الإنسانية في نطاق اجتهادات البشر المفيدة ، لنأخذ منه ما يتلاءم مع الشريعة ويثري تجاربنا ة ، يتحتم علينا تحديد موقفنا من المصطلحات التي انتهى إليها فقهاء القانون الدستوري : كالديمقراطية عية وغيرها من المصطلحات الكثيرة ، أو نحاول إيجاد مصطلحات محددة تتفق مع تعاليم الإسلام وقواعده ، طلحات الوضعية [535] قد صارت تفجر الكثير من المعارك السياسية والفكرية بغير مبرر مثلا : الديمقراطية ، شتراكية ، الرأسمالية ...

ات الآن ؟

منها بمثابة ثوب فضفاض يتسع للعديد من الآراء والاتجاهات والمواقف الحقيقية والمزيّفة، المتقاربة

كم الآن على وجه الأرض لا يقول أنه لا يمارس الديمقراطية ، نحن نعرف ديمقراطية أثينا ، ونذكر ة في المقاطعات السويسرية القديمة ، ولا تزال كلمة الشورى ، ترتبط في أذهاننا بالعديد من الصور الباهرة الأولى من التاريخ الإسلامي.

كانت تشير إلى واقع محدد وواضح الملامح ، وتقوم بدور الموصّل الجيّد بين ما يرتبط بها في أعماقنا فعلا ، ولكننا الآن نتوه ونصاب بالعجز التام عن الفهم أمام ديمقراطيات هذا العصر ، ألم يكن هتلر اطية ويرأس حزبا يحمل اسم: " الوطني الاشتراكي "

ليسار [536] يتراوح اليمين بين حكم العصابات ، وحكم المحافظين ، والمسافة شاسعة بين الحكمين .

وعة فوق ألف اتجاه وألف مذهب ، حتى لم يعد هناك مفكر واحد قادر على أن يشير بإصبعه إلى فريق ا هو اليسار، والاتهامات المتبادلة بين اتجاهات اليسار، تجعلك تصاب بالدوار والدهشة في آن واحد .

، عن الاشتراكية والرأسمالية ، لقد صارت كل من الكتلتين تعني خطوطا عامة وعريضة لكن أيًّا منها لم را قاطعا وواضحا .

هاج الحكم في الإسلام ، ص 22 . ويراجع : - محمد المبارك ، ذاتية الإسلام ، ص 27 – 48 .

: اليسار أو الجناح اليساري وكذلك اليمين والجناح اليميني . من التعابير الاصطلاحية التي أصبحت مرتبطة بنظم الحكم وبالمذاهب والأحزاب ، نشأ اللفظ أصلا مع قيام الجمعية الوطنية الفرنسية في عام 1789 (التي مهدت لقيام الثورة . إذ كان الأشراف من أعضائه يجلسون في مكان رئيس المجلس ، بينما كان يجلس ممثلو الشعب إلى اليسار ، وأصبح من الشائع بعد ذلك في المجالس النيابية الأوربية أن تجتمع العناصر الراديكالية د اليسرى من المنصة، بينما يجلس المحافظون في المقاعد اليمنى . توسع استخدام الاصطلاح بقيام الأحزاب السياسية فأصبح المؤيدون للحكومة ليمين والمعارضين باليسار . كما أصبح الحزب السياسي الواحد مقسما إلى جناحين يميني محافظ ويساري تقدمي ، بينما يمثل الوسط العناصر جانب منها إلى أحد الجناحين عرف بالوسط اليميني أو الوسط اليساري أو اليسار الوسط . تمييزا له عن اليسار المتطرف ، شمل هذا التقسيم كالاشتراكية التي تعتبر الشيوعية جناحها الأيسر ، بينما انقسمت بدورها إلى أجنحة يسارية ويمنية ويتمثل هذا التعبير الصراع العقائدي الذي ن ستالين وتروتسكي بعد وفاة لينين ، وبين ستالين وتيتو منذ عام 1948 ثم الصراع بين بيكين وموسكو فيما بعد ذلك .

- موسوعة السياسية ج7، ص 412/411.

اكية تعني على طول الخط ـ مثلا ـ الملكية العامة للدولة ، ولم تعد الرأسمالية تعني على طول الخط الحرية

قدر من انسحاب الدولة في المجتمعات الاشتراكية ، والتركيز على ملكية وسائل الإنتاج فقط. وعلى الجانب ، اتجاهات متزايدة إلى تدخل الدولة في حركة رأس المال، وصارت هناك اشـتراكية فابيـة ، واشـتراكية ية إسلامية، واشتراكية تنبع من الواقع الخاص لدول العالم الثالث .

، تطور فكري وحضاري هائل طرح احتياجات وتساؤلات بلا حصر ورأينا وسمعنا كيف تمارس أجهـزة الحقائق، وتطويعها لخدمة مخططات موضوعية سياسية أو غير سياسية، وكيف تمضى محـاولات انتـهاك دمة الأقوى أو الأغنى .

، عشنا حضارة الكلمة ، ولا مفر أمامنا بعد كل التطور الذي أصاب حيـاة الإنسـان وفكـره ، وبعـد ، لحرمة الكلمة ، ليس أمامنا إلا أن نتجاوز عن الكلمة لنرصد الموقف ونتابعه . ولا بد أن ننتقـل مـن إلى حضارة الأداء، كما يقول فيلسـوف معاصـر [537] : (دعك مما يقال ويسجل على اللافتات وفي والمواثيق ، فذلك لن يقودك إلى الحقيقة بأي حال، لقد صار الموقف هو مفتاح تلك الحقيقة ، وليس حلو .

، الكلمة فهي في الأصل مقدسة ، ولكن المشكلة في الذين يستخدمونها، ويؤجرونها مفروشة لكل من يملك

يس في الاتصال بحضارة الغرب أو في الانفتاح الكامل عليها وإنما هو في ذلك المـوقف النفسـي ذي يجعله يقلد حيث يجب الإبـداع ، وينهار حيث يجب أن يصمد .

ب بضاعتين: بضاعة يزجيها إلينا وبضاعة يضن بها علينا ، فأما التي يزجيها لنا فإنها مما تسلبنا أخلاقنا وقيمنا ، وبالجملة شريعتنا .

ضن... فهي سر تفوقه المادي علينا هي : علمه و" تكنولوجيا العصر " وأكثرنا على الـتي يزجـي أقبـل ي يضن استنكف وترك .

ث عن حضارة لنا سابقة أو عن دور لنا مأمول ، ليس مطلوبا أن ننعزل وليس مطلوبا أن نتخلف عن ركب طلوب والمرغوب تحديد هوية سياسية مستقلة وذاتية، تفرض على الآخرين احترامنا .

ٍ موت ، والسكنى بين مقابره وآثاره عجز وجمود .

أعظم حضارات العالم والعمران والتقدم ، وهدّم أعظم إمبراطوريات الظلم والاستعمار في التاريخ كلـه ، فة تجمع بين القدرة على استيعاب التراث ومواجهة المستقبل [538] .

، بحاجة ماسة إلى تحديد الموقف من المصطلحات العصرية والحديثة في ميدان الفقه الدسـتوري خاصـة ، ، والاقتصادي والسياسي بصفة عامة .

محمد محمد القاضي : السياسة الشرعية مصدر للتقنين بين النظرية والتطبيق ، ص 334 – 336 .

هاج الحكم في الإسلام ، ص 22 . ويراجع : - محمد المبارك ، ذاتية الإسلام ، ص 27 – 48 .

ي تحديد مصطلحاتنا الفكرية، لا من خلال أننا نريد أن نعيش في جو أكاديمي يعمل على أن لا يخلط بـين
ضرورة العلمية تفرض ذلك ، بل لأن المسألة تتصل بحركة الحياة في واقعنا ، وبحركة بناء الحاضر والمستقبل

ي نحدد المصطلحات جيدا ، لأنه شرط ضروري لأيّ حوار، فمن مشاكلنا في الحوار أننا نتحاور في عناوين
نا بطريقته الخاصة ، فقد نجد من يتحدث عن الديمقراطية الإسلامية ، بحيث أصبحوا يعانون مشكلة إذا قالوا
قراطية شيء آخر ، باعتبار أن قداسة الديمقراطية تجعلها تضاد كل من يرفضها...
ن تناقش الديمقراطية المحمّـلة بالكثير من الإيحاءات الشعورية والإنسانية ، والرفض لكل ما هو غير إنساني
ر إنساني.) [539].

نا أن نحدد موقفنا من المصطلحات في الفقه الدستوري وغيرها ؟
ن أهم العوامل التي يتوقف عليها فهم وتأصيل النظام السياسي الإسلامي ، والوقوف على جوانبه المختلفة ،
. مفاهيم الأشياء ومدلول الكلمات والمصطلحات ، ذلك أن المفاهيم والكلمات لها تاريخ ، ولهـا أصـول
لا يكون حال الباحث في هذا كحاطب ليل ، يجمع ما يضر وينفع ، أو يقع في مزالـق البحث ومتاهات
ما ليس منه ، مما هو مطروح في النظم السياسية المعاصرة .
ي على ترخصه في استخدام مصطلحات الاشتراكية ، الديمقراطية ... كما جرت مؤاخذه السباعي علـى

قراء الإسلاميين لهم حساسية شديدة من استخدام المصطلحات الأجنبية ، هذا الاستخدام الذي يسـتدعيه
ي المقارن .

العلامة محمد حسين فضل الله في الاتحاد اللبناني للطلبة المسلمين بعنوان : " الإسلام والديمقراطية " ونشرتا مجلة البلاد ، السنة1 ، العدد23 (
ر 1991) .

وانظر: الحركات الإسلامية والديمقراطية ، مصدر سابق ، ص 68 -69 .

ثة كتب ظهرت بالعربية عن فلسفة النظام الاقتصادي الإسلامي :

لإسلام والمناهج الاشتراكية " للشيخ : محمد الغزالي .

شتراكية الإسلام " للدكتور : مصطفى السباعي

لعدالة الاجتماعية في **الإسلام** " للأستاذ : سيد قطب

الثلاثة إبان صعود المد الفكري الاشتراكي في العالم العربي في الأربعينيات وما بعدها وتميّـزت ثلاثتها بالأصالة الفكرية ، والإضافة إلى الفكـر
غم من أن مصطلح الاشتراكية ظهر في عنواني كتابين منهما بينما آثر سيد قطب نحت مصطلح العدالة الاجتماعية الذي شاع استخدامه بعد
ؤاخذة لأنه صك هذا التعبير الشهير وذلك مع انه اقرب إلى الترجمة الحرفية لمصطلحي : socialism , communism

الغزالي أن الأستاذ مصطفى السباعي قد ندم على العنوان الذي اختاره لكتابه...قال : وأنا أعلم سر ندمه لأنني خضت مثله هذه المحنة..لقـد
رب يريدون كلمة الاشتراكية وحدها ، ولا يهتمون بعد ذلك للعقائد والعبادات التي هي لب الإسلام . وعندما كنا نبرز لهـم مـن تعـاليم
والتطبيقات التي سحرتم من ثقافة الغرب والشرق، كانوا يأخذون هذا البدل المعروض ، ويجردونه من صـبغته الإسـلامية ، ثم يمضـون في
رة أو خشية أو خلق... ومن هنا وضع الله الشؤم في سياستهم الاقتصادية ، فما دسوا أصابعهم في خضراء إلا جفّـت ، ولا دخلوا بلدا إلا
م القشف الأسر والأفراد...إنم كما قيل : أفقروا الأغنياء ولم يغنوا الفقراء ، وتلك حدود اشتراكيتهم ، ومبعث كراهية الجماهير لها...

- أنظر: محمد الغزالي ، الدعوة الإسلامية تستقبل قرنا الخامس عشر ، ص108-109 .

ن السؤال الآتي : أليس الإسلام منهجا إلهيا مستقلا بذاته يمكن عرضه كما هو باستخدام مصطلحاته الخاصة ، بالأديان والنظم الأخرى ؟ أم أنه لا بد من مقارنته بالنظم الأخرى ، الأمر الذي قد يتطلب استخدام ت غريبة عنه ؟) [541].

طلحات الغربية عند المفكرين الإسلاميين بين القبول والرفض :

ن يمثلون تيّار الاعتراض ، والدعوة إلى استخدام المصطلحات الذاتية التي تميّزنا عن الآخر الأستاذ محمد

نظام الإسلام بذاتيته الخاصة ، التي ينفرد بها على غيره من النظم ، ولا يمكن أن نقارنه بأي مذهب ، أو فاهيمه ونظرياته وأسسه مصطلحات في ظل نظم معينة ، من زاوية التجارب التاريخية الأجنبية ، الأمر الذي صورات مغلوطة لا تتفق مع النظام الإسلامي) [542].

ا الموقف في ما عبّر عنه سيف الدين عبد الفتاح مدرس العلوم السياسية في جامعة القاهرة، في رسالته ت في كتاب بعنوان " التجديد السياسي والواقع العربي المعاصر - رؤية إسلامية " ، وأطروحته تلك ن الباحثين الإسلاميين الذين أفرزتم " الصحوة " ، وخرجوا علينا بجهد علمي جاد يعبّر عن الإعتزاز وع الحضاري الإسلامي ، والحرص المبالغ فيه على إثبات تميّزه وتفرّده، والتحذير المستمر من الانزلاق في غربي .

رسالته إلى بناء علم سياسي إسلامي مستقل في منطلقاته ومفرداته ، وقدّم نموذجا لما يدعوا إليه ، فإنه استند لاب أنظمة الغرب ، والديمقراطية في مقدمتها، إلى عدة حيثيات في مقدمتها [543].

ستجلب من أمة غير إسلامية - بفرض صلاحه - لا ينتج إنتاجا حسنا يضمن له أقصى درجات الفعّالية ا من ضمير الأمة وعقيدة المسلمين .

الأنظمة أو المؤسسات التي توظف لحل مشكلات الأمة الإسلامية ، لابد أن تكون مناقضة كليا أو جزئيا أو ، ناقصة بما يؤدي إلى تشويهها .

ن بالعقيدة الإسلامية يفرض على الأمة أن تسعى في بناء أنظمتها واستنباط حلولها من الكتاب والسنة، م حياتنا .

دة الإسلامية تفرض على معتنقيها أن يمحصوا أيّ نظام آخر غير أنظمتها مهما اشتدت مشابهته لأنظمتها، ذلك النظام على علاّته وبلا بيّنة، قد يؤدي إلى التسليم بزيمة أنظمتهم وأنظمة عقيدتم وارتياب في لإخراجهم عن عقيدتم) [544].

(مصدر سابق) ، ص 123 .

نهاج الحكم في الإسلام ، ص 46 . بيروت ، دار العلم للملايين .

لامية والديمقراطية ، مصدر سابق ، ص 47 .

بد الفتاح إسماعيل ، التجديد السياسي والواقع العربي المعاصر : رؤية إسلامية ، ص 90 .

ضير في استخدام أي من الطريقتين ، فالغرض هو عرض الإسلام عرضا عصريا حيّـًا ، يخاطب حاجـات
شكالاتم ، فإن أمكن ذلك بالمقارنة أو بسواها فقد تحقق المقصود .
زالي ميّـالا للأخذ بأسلوب المقارنة في كثير مما كتب ، وله شفيع أي شفيع في استخدام القـرآن منـهج
وحيد وعقائد الشرك ، وعرض المنهج الإسلامي على غيره من المناهج ، والموازنة بـين مصـائر المـؤمنين
وغير ذلك .

أحسن ما لدى الآخرين ملائمة للفطرة وموافقة للوحي فأخذه ليكون – بعد تذيبه - من بين الوسائل التي
ة عندنا. فالمعيار الأساسي في هذا الإقتباس هو :
بس للفطرة وموافقته للوحي [= الكتاب والسنة] .
ق ثقافتنا وقيمنا ومعتقداتنا .
ر الحديث نجد أن أقوى العروض للإسلام هي تلك العروض التي استخدمت المنهج المقارن ، وتحدثت بلغة
، الغزالي في استخدام مصطلح الاشتراكية أو الديمقراطية أو ...
ت .) [545]

، في " قصة حياة " هذا المذكور بقوة وبثقة، وأنه إنما أقدم على هذا الأسلوب بدافع من قناعـة فكريـة،
اهات واقعية ، تفرض نفسها حتما على من يريد أن يتصدى لمعالجة الأفكار السياسية ، أو خدمة القضـايا
لول المثلى فيقول :
أكره العنف والتحامل على الآخرين ، وبقدر ذلك أكره العدوان على ديني والإفتيات على حقي ، من أجل
جتمع أدعو فيه ، ولم أستوحش من الأسماء السائدة ، أو العناوين الشائعة للمذاهب الاجتماعية والاقتصادية
طة التلاقي بين الفطرة التي عرفتها بالوحي، وعرفها غيري بالتجربة أو بالفلسفة أو بالعلم، من هذه النقطـة
ا متمكن ومستريح ... نعم قبلت ما رفضه غيري من كلمات الديمقراطية والاشتراكية مثلا، وعن طريق
ستبداد السياسي أو الجشع الرأسمالي، أخذت أعرض من ديني النواحي المقابلة أو المماثلة، فإذا نجحـت في
بية ـ ويجب أن أنجح وإلا كنت داعيا فاشلا ـ انتقلت بالفرد الذي أحدثه ، أو المجتمع الذي أخاطبـه إلى
ي تمس العقيدة والعبادة وسائر شعب الإيمان.

ن الدعاة يضيقون أشد الضيق بالعناوين المحدثة ويشمئزون من كلمة ديموقراطية أو اشتراكية أو ما شابه ذلك
ان :
يريد الإسلام عنوانا فجّـا على ركام من التعاليم المدونة بلغة العصر المملوكي أو التركي ، ولا يتحرك قيد
لعصر ، ولا يقبل مقترحات جديدة للوسائل التي تخدم أهدافنا وشرائعنا ..إن هذا النوع يشبه مـن يريـد
ر التفجير الذري، معتمدا على نصوص لم يفهمها ...
ن مع هذا النوع ولا أكترث بإنكاره عليّ أو تبرّمه بي .. !

، (مصدر سابق)، ص 123 .

ك نوع غيور على الإسلام شكلا وموضوعا يقول : إن العناوين المجلوبة من الخارج قد تقدح في الحقـائق ، ومن الممكن أن ننظر إلى أحسن ما لدى الآخرين ملائمة للفطرة وموافقة للوحي فنأخذه ليكون – بعـد وسائل التي نخدم بها قيمنا المقررة ، إن الخلاف مع هذا النوع شكلي وإنني لأغار على ديني كما يغـارون ، غ من جحر مرتين ! فكم من متدينين يتصورون الخلافة فرعونية جديدة تحكم دون معقب ، أو قارونيـة با جما ، وتريقه في أهوائها دون رقيب) [546].

ي قرّرناه فقد يجوز لنا أن ندلي بنقد للتوجه الذي حدا بالغزالي أن يستعمل المصطلحات الوافدة ، ذلك أننا فه محاطا باعتبار آخر ، وهو أن يكون استعمال هذه الكلمات رهن ـ كما ذهب البعض بحق ـ بحـال ذر والفتنة .

هبية الإسلامية قد تجاوزت مرحلة الغربة ، فصار لها حضور فعلي، بحيث لا يخشـى عليهـا مـن غلبـة كل ملابساتها البيئية والتاريخية، ومنطلقاتها المذهبية وأسسها الفكرية : فلا بأس من الاستعانة بكل مصـطلح وإدراجه في سياقها، ولفّها بأطرها وتصوراتها، وعندئذ يجوز القول : بأن المعاني أهم من المباني ، وأن العبرة فاظ ، وإنما هي بالمعاني والمقاصد . [547]

خص المبـرّر فإننا نرى أنه من الأفضـل الإقتصار على استخـدام مثلا مصطلح ـ الشورى ـ علـى لية ـ في أدبيات الفكر السياسي الإسلامي لسببين :

، لا يوجد مبرّر قويّ الآن لاستخدام مصطلح وافد دخيل ، محل مصطلح أصيل .
صرف الجميل هو (أننا حين نزهد في جلب العناوين الأجنبية لنظمنا الإسلامية ، فالواجـب أن نكشـف ول لهم هذا عوض عن ذاك .
يل ، ونقدم بدله هذا الأصيل !
دل الديمقراطية الغربية.) [548]

الأخذ بالأحوط يعضد ما ذهبنا إليه من تفضيل : فإذا كانت المذهبية الإسلامية تتمتع بحضـور قـوي في الحضارة الأوربية ـ التي تولد من رحمها مصطلح الديمقراطية ـ مازالت تتمتع بطغيان مؤثر [549].

، ص 201 - 202 . وفي كتاب " قذائف الحق " يذكر الشيخ مبررا آخر لتوظيفه المصطلحات الأجنبية في مشروعه الفكـري فيقـول: " زت في التعبير أحيانا ، وقبلت بعض العناوين الشائعة " كالديمقراطية " في ميدان الحكم و " الاشتراكية " في ميدان الاقتصاد لا لإعجابي بـذه لأجعل منها جسرا يعبر عليها الكثيرون إلى الإسلام نفسه ، أي أني أريد نقل الديمقراطيين والاشتراكيين إلى الإسلام بعدما أوضحته وأبـرزت د صبغ الإسلام بصبغة أجنبية أو نقله إلى مذاهب مستوردة .. " ـ الغزالي : قذائف الحق ، ص 155.
الترابي ، إشكالات المصطلح والمفهوم ، بحث منشور بمجلة المستقبل العربي ، العدد 75 ، مايو 1985 م ، ص4 – 22 .
الدعوة الإسلامية تستقبل قرنا الخامس عشر ، دار الهدى ، الجزائر ، ص107-108 (بتصرف) .
ه المعاني : صالح حسن سميع : أزمة الحرية السياسية ، مصدر سابق ، ص 55 – 62 .

رؤيــة الــغــزالي للــدســاتــير .

ـــــحكم :

ض مقولات الفكر السياسي الإسلامي الحديث عبارة :(أن القــرآن دستور المسلمين) [550].
لك أن القرآن يتضمن أمورا غيبية ، وأخرى تخرج عن المعنى المحدد لمفهوم الدستور ، فهو في الواقع أعلــى
وأرفع قدرا ، لأنه الميثاق الأعلى ، والعهد الأعظم للبشرية كلها مع الله ، فهو يختلف في هذا عمّــا قالــه
العليا الأمريكية :
، ولكن الدستور هو ما نقرر نحن أنه كذلك.).

ى الفقه الدستوري ننقل تعريف الغزالي لــه ، فالمقصود به عنده هو :
شريعية التي تحدد وظيفة الحاكم وصلته بالأمة ، والسلطات التي يملكها وطرائق الشورى التي فرضها الإسلام
اجبات المتبادلة بين شتى الأجهزة الإدارية ، التي تشكل عموما نظام الدولة) . [551]

ذا التعريف يمكننا القول أن النظام الدستوري هو التشريع الأعلى الذي يعنى بأمور ثلاثة على وجه التحديد

ظامها الأساسي .
القائمة على الحريات ومقوّمات التمع .
وعلاقة السلطات بعضها ببعض .

ستــوري بين الإيمــان والأمــة "

قليديون أن النظام الدستوري يقوم على ثلاثة عناصر هي :
. 2) والسلطة ... ـ 3) والتوازن الدستوري بين الشعب والسلطة .
لعصرية المذهبية ، فتجعل عناصر الدستور تنحصر في :
بية ـ 2) والأمة أو القاعدة الشعبية ـ 3) والتوازن الدستوري بين الإيمان والأمة.
عنصر " الإيمان أو المذهبية " يوضح الغزالي وهو بصدد الحديث عن نظام الإسلام الاقتصادي ـ الــذي
لدولة العام ـ :

كم في الإسلام ، ص 112-114 للدكتور: محمود حلمي ، وكذا الشيخ أبو الوفاء المراغي في مقال بمجلة الأزهر – السنة 49 عدد شــعبان
و 1977 تحت عنوان " مسؤولية الحاكم عن رعاية المواطنين " ص 115 . وجاء فيه من القواعد العامة في مسؤوليات الحاكم أن يمارس الحاكم
دستور ، والدستور في الإسلام كتاب الله وما ثبت من السنة عن رسول الله "

أنظر : ـ السياسة الشرعية . لـ : عبد الله محمد محمد القاضي ، ص339 .

معركة المصحف في العالم الإسلامي ، ص 97 .

ادي تصحبه فلسفة نفسية واضحة عند ذويه ، فإذا لم تستند الاشتراكية الإسلامية إلى فكرة علمية صادقة ، مة له .) [552] .
ذا الأمر إنما جاء في معرض دفع شبهات قد يوردها البعض، وهي أن طبيعة الدين تربط قلوب الناس بالحياة يشون في الدنيا مصروفين عنها قليلي الاكتراث بما يصيبهم فيها من بؤس وضيق .
س الشأن السياسي في هذا على الشان الاقتصادي.

على الحكومات المدنية إهمالها عنصر الإيمان والدين ، فليست هذه الحكومات في جوهر تكوينـها وثيقـة ، نرى أنه سرعان ما تطرق الوهن إلى عملها وهيبتها، فتعثر خطوها في كل ناحية .
مات لم تتم بالتربية الدينية فنبت الأفراد على طبائعهم دون تذيب ، وسعة العلم وطول الدراسـة ، مـع ة الوازعة ، لا يجديان فتيلا خصوصا في مجتمع تشبثت بترابه معالم الإسلام ، فهي لا تفتأ تثبـت نفسـها لتوجيه والقيادة [553] .

، الإجمال ما يدعو إليه فقهاء القانون الدستوري في تنصيصهم على وجوب قيام النظام الدسـتوري علـى وري بين الإيمان والأمة ، وإذا حاولنا تجلية المفهوم القاضي بوجوب الربط بين الدستور والبناء الإيديولوجي ورة طرح الإشكال المتعلق بإدخال هذا العنصر الموسوم بالإيمان والعقيدة أو المذهب الأيديولوجي ـ بلغـة واعي الربط الذي يتصوّره الدّستور الإسلامي بين البناء العقائدي والبناء الأيديولوجي ، أو كما عّبر عنه آية لربط بين المسألة الواقعية والمسألة الاجتماعية.
ا الإشكال قد وضحه المرحوم الشهيد الفيلسـوف المطهري في كتابه " الوحي والنبوة " لما قـال : " إن شكل أساسي على نوعية التصور العام عن العالم ..
جية هي من نوع الحكمة العملية، والتصور هو نوع من الحكمة النظرية، وكل من الحكمة العملية مـبني الحكمة النظرية "
ا ما توحي به النصوص الإسلامية ، إنا تذكر العقيدة أو التصور ، ثم تستنتج منه موقفا عمليا، فنقرأ هـذه : كيف ينتقل القرآن الكريم من موقف تصوري واقعي، إلى موقف أيديولوجي، من تصور العالم الـواقعي دالة في الميزان والقسط في التعامل العملي ، يقول تعالى: [والسماء رفعها ووضع الميـزان ألا تطغـوا في ن بالقسط ولا تخسروا الميزان] [الرحمان : 06-08].
تضيه المنطق وتشهد به النصوص.) [554].
الإيمان أو المذهبية قد تأخذ أسماء أخرى وتلبس أردية متنوعة ، وليس بالضرورة أن يقصد الغرب بالإيمان أو دنا نحن المسلمين .
قرره هو ما دعا الغزالي أن يذكر في ثالث كتاب أصدره وهو: "الإسلام والاستبداد السياسي" :

الإسلام والاستبداد السياسي .
معركة المصحف ، ص 47 .
خيري ، حول الدستور الإسلامي في مواده العامة ، ص14-16.

ـنين تأتي في المحل الثاني بعد تهذيب النفس وترقية الضمير ، فإن القيمة الذاتية لهذه الدساتير ونبل الفكرة التي
خبث المؤامرات التي حيكت لتعطيلها، وعظم الفائدة التي تتحقق من رعايتها لدين الله ولدنيا الناس معا ...
ـان يوجب على العاملين للإسلام أن يحددوا موقفهم بازائها، وهو موقف يستحيل أن يكـون في مصـلحة
ـسسون أمجادهم على امتهان الجماهير، والعبث بمصالحها ، وإذا لم يسمع صوت الدين في معركة الحرية فمتى
ـق سهمه إلى صدور الطغاة فلمن أعده إذن ؟ !) [555].

، عبر بعنصر الإيمان أو المذهبية بعبارة ، تهذيب النفس وترقية الضمير ، ومعلوم أنه لا يتم ذلك إلا عن طريق
ـتقاد بأسس مذهب قائم .

الإسلام والاستبداد السياسي ، ص27 - 28 .

. ـي للدستـ ـور المصـ ـري:

فصح عنها الفكر السياسي للشيخ الغزالي قد كانت نتاج إيمان عميق قديم ومتجدد بقيم الشورى والحرية ، ذّود عنه طوال سنوات جهاده الفكري فمن قديم كان الغزالي قد أعلن تأييده للدستور المصري في سنة 1923 ين الأحزاب والجماعات السياسية وغيرها .

ك يبدي سخطـه وعجبه من تجاهل جمهرة المتدينين لأمر حماية ذلك الدستور ، الذي هّيـأ لهـم حـق .

دفع الغزالي لينتقد ذلك الموقف في حوار له مع حسن البنا ويتحدث الغزالي عن ذلك فيقول [557] :

ـ من ثلث قرن ـ قابلت أستاذي الكبير حسن البنا ، لأشكو إليه موقف المتدينين عامة من قضية الحريات صحبني الأستاذ خالد محمد خالد ، وبوصفي عضوا مؤسّـسا في جماعة الأخوان ، فقد تحدثت يومها كثيرا قلت : إن المركز العام لا يدفع عن الدستور كما ينبغي. وتمادى بي الغضب فقلت كأني أسمع جرس الملكية الإمام الشهيد أحلم مني وأرزن ، فرد اتامي بلطف ، وأصدر أمره إلى مجلة الإخوان أن تنشر لي ما أكتب سة الجماعة)[558].

القارئ ويتساءل كيف يؤيد الغزالي الدستور المصري وينـوّه به ـ وهو فيما يظهر ـ دستور مدني ، غير سلامية .. وفيما نورده من هذا الحوار الذي جرى بين الغزالي وأحد المحسوبين على الجبهة الدينية الجـواب

زالي محاوره ـ وكان يكابره ـ : ما الفرق بين دستور سنة 1923 والدستور الذي جاء بعـد الانقـلاب . تحّيـر: لا أدري ولا يضرّني هذا الجهل !

: تدري فقط أن تثير الشغب حول الصلاة بالنعل أو بدونا ، وحول انتقاض الوضوء من لمس المرأة أو عدم الأمر بقدرة حاكم ما على تخريب البيوت وتعمير السجون ، وحرق الكرامات ، وترويع العائلات . قلت ك لا يضر ! ! !

ج قد اقترح اسمه ـ بعد عودته من الجزائر إلى مصر ـ ضمن مقدمة أسماء قليلة لأن يشغل مشيخة الأزهر، أو وظيفة المرشد العام للإخـوان حسبما كان يرى بعض محبي الشيخ وتلامذته، لأن بعض المهتمين لاحظوا ما يجري في الساحة من اضطراب فكري مع فقدان المرجعية الرشيدة، منصب شيخ الأزهر خاصة بثقله التاريخي، وسمعته الدينية حين يحتله شخص بوزن الغزالي ستعود إليه مكانته في الداخل والخارج...وحين بدأ الحميدة لإقناع القيادة السياسية بذه الفكرة تضافرت عدة تيارات متذرعة بأسباب عديدة لإحباط هذه المحاولة ،...ومنها :

بعض المعارضين لتسلمه المشيخة آنذاك لم ينسوا له ملاحظاته حول الدستور المصري ، فقد كان من أبرز أسباب خلافه مع نظـام يوليـو في تعطيل دستور 1923 م . فهو ـ كما أشرنا في المتن أعلاه ـ لم يقتنع بما اقتنع به بعض قادة الإخوان آنذاك ، من أن تعطيل الدستور قـد تم يريدون وضع دستور يجسد المبادئ والقيم الإسلامية ويسهم الإخوان أنفسهم في صياغته . وحتى بعد أن تم تشكيل لجنة الخمسين عضوا لوضع م تدأ مخاوف الشيخ وأشار إلى خطورة أن تبقى البلاد بدون دستور ولو ليوم واحد ، ودافع عن كثير من مواد ذلك الدستور المعطل ، كمـا على ما أدخل على الدستور من تعديلات في عهد الرئيس الراحل أنور السادات)

- أنظر: إسلامية المعرفة (عدد خاص عن الشيخ الغزالي) ص7 -8 (بتصرف) .

، (مصدر سابق) ، ص 118 .

أزمة الشورى في التمعات العربية والإسلامية ، ص44 .

الكتاب والسنة عنوان جميل، وسيكون هذا العنوان على فراغ قاتل يوم يتاح للفراعنة أن يتخطفونا مستندين
لم نعرف نحن لم وضع ؟ وكيف ؟؟
ب الحوار: لا تنس أن الدستور الذي نوّهت به مستورد من الخارج " ونحن لا نأخذ فكرا من أحد " ! قلت:
لا مترجم ، ومنقول عن جملة من الدساتير الأوربية الحديثة ، وليس كل ما جاء من الخارج يعاب...
ا أنفسهم ضد المظالم المتوقعة بهذه المبادئ القانونية... فإذا كنا في مصر نتعرض لذات المرض، فلا حرج من
لربة ! !
لاستيراد إذا كان ما نجلبه مضادا لما عندنا، أو كان عندنا ما يغني عنه...) [559].

ستزول إذا علمنا أن موقف التأييد يرتد إلى أمر غاية في الأهمية ، وذلك أنه بعد الإطلاع على هذا الدستور

وواضعوه قد ضمّـنـوه ثلاثة مواد يصدّق بعضها بعضا، وتسير في اتجاه واحد، وتحقـق أهـم مقاصـد
دتين من المواد الثلاث هي من الأسس التي تبنى عليها النظم الدستورية وهـا: كفالـــة حقـــوق
هم في التمتـع بها.

ي أساسي لحكومة دستورية من تقرير الحرية والمساواة وتشريع الأحكام الكفيلة بتحقيقها وصونا ، فجميع
ترجع إلى أمرين عامين : [560]
الحرية الشخصية . - الثاني : المساواة بين الأفراد في الحقوق المدنية والسياسية "
ثلاث المشار إليها هي : المادة الثالثة ، والمادة الثانية عشر ، والمادة المائة وتسعة وخمسون ، حيث تنص المادة

ن لدى القانون سواء ، وهم متساوون في التمتع بالحقوق المدنية والسياسية ، وفيما عليهم من الواجبـات
دون تمييز بينهم في ذلك بسبب الأصل أو اللغة أو الدين" مادة 03
الثانية عشر : " على أن حرية الاعتقاد مطلقة " مادة 12 .
وتسعة وخمسون تنص : " على أن الإسلام دين الدولة الرسمي " مادة 159.

، ص189 .

ي أن هذين الأمرين مما صدرناه إلى الغرب يوما ما . يقول : ولن نفتأ نذكر ما لدينا لا لنقول فقط بضاعتنا ردت إلينا بل لنـهيب بالقاصـرين
ردوا ثقتهم في أنفسهم وحضارتم ويحددوا بدقة مالهم وما عليهم ... إلى أن يقول (لذلك أعجبني من الدكتور : علي عبد الواحـد وهـو
ق الإنسان أن يقول : ترجع أهم حقوق الإنسان العامة إلى حقين رئيسيين : المساواة والحرية . وقد ادعت الأمم الديمقراطية الحديثة أن العـالم
ا بتقرير هذين الحقين فذهب الإنجليز إلى أنم أعرق شعوب العالم في هذا المضمار!! ويزعم الفرنسيون أن هذه الاتجاهات جميعا كانت وليـدة
أمم أخرى على الإنجليز والفرنسيين هذا الفضل وادعته لنفسها ، والحق أن الإسلام هو أول من قرر المبادئ الخاصة بحقوق الإنسـان في كـل
اق وأن الأمم الإسلامية في عهد الرسولρ والخلفاء الراشدين من بعده كانت أسبق الأمم في السير عليها)
ـ مقدمة كتاب " حقوق الإنسان بين تعاليم الإسلام وإعلان الأمم المتحدة " ص 7 - 8 .

رصا من الغزالي على مادة " الإسلام دين الدولة " أن تكون مدرجة ضمن مواد الدساتير في البلاد العربية ، ، الدستور الذي وضع في سوريا منذ أكثر من خمسة وعشرين عاما ، ورفض أصحابا أن يجعلوها ضـمنه م الإسلام فيذكر الغزالي: (أن بعضهم قال له في معرض الاعتذار عن هذه النكبة : لقد وضعنا نصا على أن ي أساس التشريع .

لي: ولم أرحّب بذا العذر، لأن هذه المادة ستكون ميّتة ولأنا لو نفـّذت في بعض القوانين ما دلت علـى ستفادت في قوانينها من الفقه الإسلامي ولم تدخل بذلك في الإسلام [561].

ادة كانت في الدستور المصري يومئذ رمزا فقط ، لكن زوال الرمز بعد ضياع الجوهر إيذان بالشر كله ... م الذي أحرزته الصليبية في حملاتا المسمومة على الإسلام) [562].

كسب عظيم يجب أن يحافظ عليه ويثمّـنه كل المشتغلين بالشأن السياسي ، وإن يكن من عيب يمكـن أن د هذه المادة في الدساتير العربية – فهو من ناحية أثرها في واقع الـتمعات . إذ أننا سنجد مما أحرزته القوى نا بأن توضع في دساتير كثيرة مادة " دين الدولة الرسمي هو الإسلام "، على أن تظل حبرا على ورق فـلا لتربية أو التشريع أو التقاليد العامة أو أصول الحكم [563] وذلك حتى يتكون على مر الأيام انفصام ما بـين والحكومات القائمة على شؤونا ، وقد وقع هذا كله بإيحاء الغرب الأثيم وتوجيهه السقيم .

لا يمكن أن نعتبر هذا منه تناقضا في معالجته لقضية واحدة ، إذ أنه يمكننا أن نفهم من رأيه الأخـير ذاـك لم الاجتماع السياسي ، وهو أن عدم الالتقاء بين الحاكم والمحكوم ، والانفصام بين الشـرعية الرسميـة ، يؤدي في الغالب إلى افتقاد السلطة السياسية لقوة النفوذ المعنوية في نفوس القواعد الشعبية ، فتلجأ السـلطة لإسكات الأصوات الرافضة لتلك الشرعية الرسمية بكل نتائجها [564].

بيعـة الأشياء دالـّـ ـت على أن عدم الالتقاء والانسجام بين شيئين يؤدي إلى تنافرهما والإنفصام بـين يُحدث أمرين :

أول : وهو ما يطلق عليه اصطلاح : " تسرب القوة " أو" تسرب السلطة " ، ويحدث ذلك حينما يوجـد سلطة السياسية القيام بعمل معين ، ولكن ذلك النص لا يمكن تطبيقه ، وبذلك يعجز صاحب السلطة عـن ، أو القوانين ، وذلك لعدم شرعيتها من ناحية مخالفتها للقيم والإقتناعات الاجتماعية ، وإن كانت لتلـك شرعيتها المعتبرة من وجهة نظر الشرعية الرسمية .

اني **:** وهو ما يطلق عليه اصطلاح " تدهور قيمة السلطة " . ويحدث ذلك عندما يعمد صاحب السلطة إلى أو القرارات بالقوة على الرغم من مخالفتها لقيم واقتناعات الجماعة . مما يؤدّي إلى انحطاط السلطة في نظـر رامها لرموزها ولسياساتا ، ويترتب على ذلك تحديها لها رغم ما توقعه على أفرادها من جزاءات .

لك إلى استفادة الفرنسيين في تفنينهم لبعض قوانينهم بـ : بمختصر خليل بن إسحاق . وهو كتاب في الفقه على المذهب المالكي كان ذلك في رت ...

معركة المصحف ، ص167 .

زالي ، الدعوة الإسلامية تستقبل قرنا الخامس عشر ، ص116 .

ن المعنى : أحمـد بهاء الديـن ، شـرعيـة السلطـة في العالـم العربـي ، دار الشروق ، القاهرة ، ط 1 – 1984م ، ص13 .

ى الوطن العربي ، وفي ذهننا هذه التوطئة فسوف نجد أن ذلك العداء المستحكم بين السلطة والتنظيمـات
ـر عن ذلك الانفصام وعدم الالتقاء بين الشرعيتين : الرسمية والشعبية في الكثير من القواعـد والمفـاهيم
لانفصام وعدم الالتقاء رغم أن معظم الدساتير العربية قد نصّت على أن المذهبية الإسلامية هي عقيدة الدولة
على أن قواعدها هي مصدر ـ في بعض الدساتير ـ أو المصدر ـ في بعضها الآخر ـ للبنية القانونية .)

ّـق الأستاذ الطماوي على هذا الاتجاه الدستوري بأنه قد قرّر حقيقة واقعيـة ، وهـي أن المذهبيـة
راث الأساسي لمجموعة الدول العربية ، ومن ثم فإن النظام العام يجب أن يستمد معظم مقوّماته مـن هـذه
تضى هذا الاتجاه عدم دستورية أي تشريع يخالف الأحكام قطعية الثبوت والدلالة في التشريع الإسـلامي ،
لعربية التي ورد فيها اصطلاح " المصدر الرئيسي " ، أي بإضافة الألف واللام [566].

ياق تحديدا نرى الغزالي يعيب على الحكومات المدنية ـ وخاصة العربية منها ـ إهمالها عنصـر الإيمـان
نا ـ فليست هذه الحكومات في جوهر تكوينها وثيقة الصلة بالدين ، فلذلك سرعان ما تطرق الـوهن إلى
ثر خطوها في كل ناحية . كما نبه إلى العداء المستحكم بين السلطة والشعب ـ التي كان يمثل إحداهما في
خرى بالروح ـ ومن طبيعة هذين العنصرين التكامل والتوافق لا التنافر والعداء ، لكن للأسف نجد هـذا
ا فالعلاقة بينهما ما ذكرناه من الانفصام وعدم الالتقاء بين الشرعيتين : الرسمية والشعبية في الكـثير مـن

ذلك في البلاد العربية والإسلامية ما أسميناه من قبل بـ : " تسرب السلطة أو تسرب القوة " وكذا نـتج
تدهور قيمة السلطة " في هذه المجتمعات .

، للحرية وأن يعيش الوادي كلـه في ظلال دستور محترم وقوانين مرعية وحكام أمناء ، هو الـذي جعلـه
ستور سنة 1953 وساد الإرهاب ، واستذلت الجماهير فقال منوّها بالدستور المصري ومنددا بالملابسات التي
طرف فئة فرضت نفسها قهرا على الأمة :
ي :الدستور المصري" من خيرة دساتير العالم لو أحسن استغلاله ، حصلت عليه الأمة في أعقاب ثورتا من
من الممكن أن يكون هذا الدستور محور حياة آمنة عزيزة ، لو خلصت النيات في إبقائه وصيانته، ولـو أن
ع الرأي العام باحترامهم، وإعطاء زمامه لهم صابروا الأيام، وعاودوا الكرة ، ونزلوا على حكم الأمة أولا،
بتهم أخيرا ، ولملكتهم أمرهم على إجلال وإعزاز، ولكن النفر الذين انصرفت عنهم الأمة في انتخابات حرة
شيئتها، وأن يشقوا كلمتها، فجاء وزير وألغى الدستور القائم ، واستبدل به دسـتورا شـائها ، ومجلسـا

لماوي ، السلطات الثلاث في الدساتير العربية المعاصرة وفي الفكر الإسلامي ، القاهرة ، دار الفكر العربي ، الطبعة
198 م) ، ص 7 – 12 .
ص 11 – 12 .

ن، وتألفت من قبل ومن بعد أحزاب تبنى وصولها إلى الحكم على تزوير الانتخابات وتحقير الأمـة، أمـام
جمـع، وهي لا تعرف الدستور القائم إلا قصاصة ورق .) [567] .

هتمام الغزالي باللب وحقائق الأشياء كان أكثر بكثير من العناوين والأشكال فلم تكن لتخدعـه الأسمـاء
الشائعة ، حتى ولـو لبست تلك الأشياء لبوس الدين وتزينت به ، وكان نقيضها محفوفا بالأسماء والشارات
ما ننقله من كتابه دستور الوحدة الثقافية ما يبين هذا وذلك لما قال: (شعرت بجزع عندما رأيـت بعـض
طية بالكفر!! فلما بحثت ما معه لكفالة الجماهير وكبح الاستبداد الفردي ، وجدت عبارات رجراجة يمكن
لظ، ورفضت هذه التهويمات فقال لي أحد الأذكياء : لقد وضع الشيخ النبهاني دستورا على النحو الـذي
عجل : لقد قرأته ، والفرق بينه وبين الدستور المدني الذي حكم مصر من سنة 1923 إلى سنة 1953 بعيـد

تور الموصوف بالإسلام يحقق من مبادئ الشورى وإحقاق الحق وإبطال الباطل وضمان الحريات والمصـالح
ستور المستورد المبادئ فهو يحقق 90 % من الأهداف الإسلامية ...) [568] .

لغـزالي دستورا إسلاميا وضعه بعضهـم ، وأغلب الظن عندي أنه يقصد به هذا الدستور الذي وضـعه
ن النقد فيه ، أنه أعطى فيه رأس الدولة سلطات خرافية لا يعرفها شرق ولا غرب . قال الغزالـي : وعندما
وجدت أن معائب ثلاثا تلتقي فيه :
ء فهم لمعنى الشورى، وغباء مطلق في إنشاء أجهزتنا المشرفة على شؤون الحكم.
ى عن الأحداث التي أصابت المسلمين في أثناء القرون الطوال ، والتي نشأت عن استبداد الفرد ، وغيـاب

هل بالأصول الإنسانية التي نضت عليها الحضارة الحديثة ، والرقابة الصارمة التي وضعت على تصـرفات

سلمون القرن الخامس عشر الهجري . وفهمٌ عدد منهم لوظيفة الحكم لا يتجاوز هذا النطاق العقيم فكيف
ه!! ؟؟ .
وري في أمتنا يجب أن تنحسر عنه ظلال الحجاج وعبيد الله بن زياد وبعض ملوك بـني العبـاس وبعـض
.
خوض فيه شيوخ يقولون :
ن على الصحابة في عمرة الحديبية ...
تئت على الناس ويتجاوز آراءهم ...) [569].

في موكب الدعوة ، ص 146 – 147 .
دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين ، ص198 .
هموم داعية ، ص 112 .

لدستـور الإسلامـي :

م هذه القضية ومعرفة طبيعتها ، فإن الذي طالب به المصلحون والعلماء والدعاة هو العمل على تحقيـق أن
لامي دستور البلدان الإسلامية .
، أن الدستور الإسلامي دستور قد تمّ تدوينه ؟ وجاء هؤلاء اليوم للمطالبة بتنفيذه ؟

، بقوله : " إن الواقع هو أننا نريد أن نحول دستورا غير مدّون إلى دستور مدون فإن الدستور الإسلامي لم
د ، ولهذا الدستور غير المدّون عدة مصادر علينا أن نستفيد منها عندما نرتب لبلادنا " دستورا مدونا " [570]
ن فيها اليوم .
ستور غير المدون بشيء غريب لم تعهده الدنيا ، فانه مازالت جميع الدول في العالم تجـري نظمهـا علـى
إلى القرن الثامن عشر، ولا تزال دولة كبيرة من دول العالم ـ بريطانيا ـ تجري شؤونا إلى يومنا هذا [571]
.ون ، ولو أن إنجلترا دفعتها الحاجة إلى أن تدوين دستورها لما وسعها إلا أن ترتب مواد دستورها باقتباسها
دستورها غير المدون ، وهانحن اليوم نواجه مثل هذه الحاجة بعينها) [572]

ذكره المودودي منذ خمسين سنة تقريبا ، ونتساءل اليوم هل الحاجة التي واجههـا المطـالبون بالدسـتور
جهها نحن اليوم ؟
قول بأن الزمن قد دار دورته ، ليطلع علينا باجتهادات لعلماء ومفكرين ـ تدعو إلى الثقة والإعتزاز ـ
سلامية.
نا اجتهادات كاملة (فالأمر ما يزال يحتاج إلى مضاعفة جهود العلماء والمفكرين والقـانونيين ، لتزويـد
سباب الحياة العصرية ، وأن يستحث التقنين الإسلامي خطاه ، ويوسع مداه ، حتى يتابع الزمن ، ويلحـق
وتنحني الرؤوس صاغرة أمام عظمة الشريعة وإبداع علمائها .) [573].

ة هنا بالذات أنه في إطار الجهود العملية الفعلية ، وتضامنا مع مسلمي البوسنة والهرسك ، كان آخر مـا
ـي لهم مشـروع دستـور لدولتهم الناشئة ، يتفق مع الشريعة الإسلامية.
، إبن الشيخ " د:علاء محمد الغزالي " في ورقة قدمها للحلقة الدراسية حول العطاء الفكري للشيخ عنونـا
خصية للشيخ محمد الغزالي." ولم نتمكن لحد الآن من الإطلاع على هذا المشروع.

المدون :صك (document) ينطوي على القواعد الأساسية التي يقوم عليها نظام دولة من الدول ، وله في هذه الدولة مـ لة قانونية مسلم بـا
فكل دولة لا يكون دستورها مدونا بصورة صك مثل هذا الصك لا يقال لمجموع قواعدها الدستورية إلا (**دستورا غير مدون**) .حتى لـو
ند مكتوبة ومبعثرة في مختلف مصادرها .
ال أن هذا الذي يذكره المودودي كان ضمن محاضرة ألقاها في جمعية المحامين فـي مراكش فـي 24 نوفمبر سنة 1952 أيام كانت حركـة
الإسلامي قائمة على قدم وساق في طول باكستان وعرضها . ولم يبق اليوم دولة في العالم لا تملك هذا الدستور المدون .
المودودي ، تدوين الدستور الإسلامي ، ص3 - 4 . الجزائر، شركة الشهاب ، (بدون تاريخ).
م والنظام الإداري ، ص05-07 ، للدكتور المستشار: مصطفى كمال فهمي (بتصرف) ..

فائدة يحسن بنا أن نوضّح نقاطا هامة فيما يخص الدستور الإسلامي وذلك من مثل مسألة التقنين للنصوص (1000) نص من آيات القرآن وأحاديث الرسول ε المتصلة بأغراض شتى كـ : " الشـؤون الشخصـية ، الاقتصادية والسياسية " . ولما كان هذا التشريع يتناول شؤون الأسرة ، وأشتات المعاملات المالية والتجارية لطائفة من الجنح والجنايات ، ويوجه في أخرى ، بل إن هذا التشريع كما هو معروف يتنـاول دسـتور ويتعـرض للعـلاقـات بينها وبين الدول الأخـرى في حالتي السـلم والحـرب ...

ر يحتاج إلى اتخاذ الوسائل والتدابير في ضوء المصادر الأساسية للدستور واستنباط الأحكام منه ، واستخراج خلاله ، وإنشاء النصوص الدستورية وغيرها ، كما فعل السابقون من فقهاء المسلمين ، فقد قننت الشريعة ، تقنينا بديعا وصيغت المتون (textes) في جميع المذاهب ، وكان لكل مذهب إسلامي متونه المعتمدة ، وهذا عصر إلى قانون حلول فحسب ، ولكن عقدة المشاكل في الحاضر هي تيسير تطبيق الشريعة بعد أن توقـف حا طويلا من الزمن ...[574]

قانون اعترفوا في مجامعهم العلمية . ومؤتمراتم الدولية [575] بما للشريعة الإسلامية من قدر رفيع ... مة الفقه عندنا ـ على اختلاف مذاهبهم ومدارسهم ـ ورّثونا تركة فنية لا نظير لها في أزهـى المـدنيات لا تزال بحوثهم الغنية المترفة مفخرة للفكر الإنساني الـرد .. ثم جاءت هذه الأجيال الهابطـة مـن ذراري تنظر إلى ما لديها من كنوز نظرة بلهاء ، ثم تردّد مع عملاء الصهيونية والاستعمار : أن الإسلام مثالي وأن جتمع !

إذا محاسني اللاتي أدل بها *** كانت عيوبا فقل لي : كيف أعتذر) [576].

، الإسلام والنظام الإداري ، ص 5 ـ 7 ، ط 1974 .

ي استقلاله التام عن غيره وله مبادئه الأساسية، وقواعده الخاصة، وتاريخه الـيد، وهذا ما توصل إلى القول به اليوم الراسخون في علم القـانون ، إذ أصبحوا يعترفون بأن التشريع الإسلامي يعد في طليعة المصادر الأصيلة الصالحة لسد حاجات التشريع الحديث ، ففي مؤتمر القانون المقارن عام 1937 الذي حاضر فيه ممثلوا الأزهر عن المسؤولية الجزائية والمسؤولية المدنية في الإسلام ، وعن نفي كل علاقة مزعومـة بـين القـانون ة الإسلامية صدر قرار تاريخي مهم عنه بالنسبة إلى رجال القانون الأجانب إذ جاء فيه:

الإسلامية مصدرا من مصادر التشريع العام .

ـة قابلـة للتطـور.

ـم بذاتـه ليس مأخوذا عن غيـره .

ر الدولي للمحامين المنعقد في لاهاي أيضا عام 1948 والذي اشتركت فيه 53 دولة من دول العالم قد اتخذ قرارا جاء فيه : (نظـرا لمـا في ، من مرونة ، وماله من شأن هام يجب على جمعية المحامين الدولية آن تتبنى الدراسة المقارنة لهذا التشريع وتشجع عليه) .

ات **المؤتمر الدولي للقانون المقارن** المخصص لأسبوع الفقه المقارن المنعقد في باريس عام 1951 ، وقف أحد المشاركين فيه وهو نقيب سـابق س وصرّح : (أنا لا أعرف كيف أوفـق بين ما يحكى لنا عن جمود الفقه الإسلامي ، وعدم صلاحه أساسا تشريعيا يفي بحاجات الـتمـع وبين ما نسمعه الآن من المحاضرات ومناقشاتا ، مما يثبت خلاف ذلك تماما ببراهين النصوص والمبادئ)

- أنظر د : سمير عالية : نظام الدولة والقضاء والعرف في الإسلام ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، ط1 (ص24 .

، قذائف الحق ، ص 238 .

الفقه الإسلامي لا يعرف تقسيم القانون من حيث موضوعه: إلى قانون عام وقانون خاص. ومع ذلك فقد
مون لتقسيمات أخص من ذلك دون إدراجها تحت قانون عام أو خاص ، ففي مسائل القـانون الـدولي
فقهاء المسلمين عنها تحت عنوان " السير والمغازي وأهل الذمة والحـربيين " وفي مسائـ ـل القانـ ـون
على " الخلافة وشروطها والشورى وأحكامها " وفي مسائل القانون الإداري كتب الماوردي " الأحكـام
ى مجراه ، وفي المسائل الجنائية كتبوا عن " الحدود والقصاص والتعزير " وهذه ما تسمى بفروع القـانون

ا اهتم به فقهاء المسلمين في مسائل القانون الخاص ، فهو تقسيم هذه المسائل إلـ ـ ـ ـى: معاملات وهي
ي الحديث ، المسائل المدنية والتجارية ، والأحوال الشخصية ، وقانون المرافعات المدنية والتجارية ، ومـواد
ية المداينة، وكتاب عمر بن الخطاب لأبي موسى الأشعري ، وطرق التقاضي ، والقانون الدولي الخاص ، بما
سلمين وغير المسلمين ، ودار الإسلام ودار الحرب ، وأيّ القوانين يطبّـق ، إلى غيـر ذلك من مسائـل

ان يرى أن المسألة الأساس في مثل هذه الحالات ، هو المحاولات الجادّة للربط بين النظري والـواقعي أي:
ة الفقهية العظيمة ، وبين واقع الناس بغية تـ يلها على الفساد الذي استشرى في أوصـال الأمـة عامّـ ـة
وأوهن قوى الإسلام ، وأخّر الشعوب الإسلامية تأخيـرا مزريـا في ميادين المعرفة الكونية والتنظيمـات

إصلاح حقيقي ونظرات نافذة ......

سلام إلى ما كان عليه أيّـام رسول الله ε وخلفائه الراشدين تستدعي [578] :
إيمان من الشوائب .
قيام حكـام من طراز عاقل وعادل ، تختارهم الأمة اختيارا حرّاً ، وتحاسبهم إذا شاءت حسابا مرّاً .
ن أن تتخذ من الوسائـل ما يبلغها هذه الغايـة ، وما يمنع تسرّب السفهاء والطغاة والملتاثين بجنون العظمة
النسب ، ما يمنع هؤلاء جميعا من تولي وظيفة ما، بله زعامة الأمة .
حفظ الكلمة المأثورة " تحدث للناس أقضية بقدر ما أحدثوا من فجور " ونحفظ من أصول الفقه " ما لا يتم
واجب " فمعنى ذلك :
وضع الدساتير التي تكفل كرامة كل فرد في الأمة ، وتحجز الحاكم عن أيّ تصرف مائل .
في هذا الحقل – أي : التقنين ووضع الدساتير- جهاد إسلامي محض .
وسيلة خارجية لبلوغ هذا الهدف ، لا تقدح أبدا في صبغته الإسلامية .

محمد القاضي ، (مصدر سابق) ، ص 388-389 .
، معركة المصحف في العالم الإسلامي ، ص 173 .

د جاء في مجال الفقه الدستوري ، ونظام الحكم وفي علاقة الحكام بالمحكومين بمبادئ عامة ، وأسس رئيسية مياتا بمرونة التطبيق ، وفتح باب الاجتهاد في نطاق أصول متفق عليها في الشريعة ، والمبادئ العامة في مجال ستوري بالذات، أنسب الحلول لموافقة شتى الظروف المتجددة والمتغيرة ، في ظل مختلف الأزمنة والأمكنة ، ع وهو تفصيل ما لا يتغير ، وإجمال ما يتغيــر من ضرورة خلود الشريعة ودوامها .

المفهوم إنما جاء ليحقق للمجتمع القسط والعدل ، والاستقلال السياسي والاقتصادي والثقافي، ولذلك فإنه ر للأمة لمواصلة طريقها في الحاضر عن طريقين:

هاد الفقهاء جامعي الشرائط الذين يبذلون حياتم في سبيل سد الفراغ الناشئ من مستجدات الحياة وفــق ما يعتبر الفقهاء الحفّــاظ على استمرار الشريعة السماوية بشكلها الا يه لكي لا تحرّفها الأيادي الخبيثــة ، ، ــ اليوم ــ عبئ المسؤولية في هذه الصيانة ليكون تعامل الإنسان ــ دائما ــ منطقيا مع عدالة التكــوين

الآخر: فهو الاستفادة من علوم وفنون البشرية وتجاربا وهذا الأمر ضروري ، لبناء قــدرات جديــدة في لأنه مجتمع مليء بالحركة الخيّرة الهادفة ، التي تقتضي أن يواكب المسيرة من أجل تقدم الإنسانية ، مجتمــع ، الجمود أو يستغني عن الخبرات والتجارب في ميادين الحياة.

تحتــم عليه الاستفادة من علوم وفنون البشرية على طول التاريخ لتوظيفها في خدمة أمته. هــذه النظــرة ما الدستور الإسلامي في مواده فإنه بذلك يطرح ما تريده الأمة الإسلامية ، التي تعتبر الإسلام أملها الوحيد ها الطويل ، لتسعد في ظله بعيش كريم.)[579].

قول أخيرا أن تنويه الغزالي بالدساتير الغربية واهتمامه با [580] ودعوته إلى وجوب إيجاد دســتور حقيقــي ن الحكــام والشعوب ، وتحدد الخطــوط التي يقف عندها هؤلاء الحكام ، ــ إضافة إلى ما سبق ذكره ــ ارات مهمّة إعتلجت في صدره ، وفرضها الواقع الأليم الذي تلظت بــنيران جــوره واســتبداده الأمــم

ه الميزات تتمثل في :

ساتير للعلاقة بين الشعوب والحكام ، تنظيما يمنع المظالم ، ويوصد الأبواب في وجه لصوص السلطة ، الذين ، الحين والحين ، فيملكون زمامها ويعبثون به كيفما شاء لهم الهوى .

ذه ــ كسب كبير للإنسانية ، وهي عون واسع لتحقيق ما ينشده الإسلام للشعوب من رعاية وما يحفظ لهم

: أنه منذ عقل لم يفرق بين كرامة الإنسان وحريته ــ وأن يعيش الوادي كله في ظلال دســتور محتــرم ، ام أمناء .

خيري ، (مصدر سابق) ، ص25-26 .

لغزالي بذه الدساتير عن سماع لفضائلها أو انبهارا بما يسود القوم من علاقة رائعة بين الحكام والمحكومين تسودها الحرية والعدل والمساواة الحقة بل ودرسها مليا ولنسمع إليه يقول :

تير كسب كبير للإنسانية ، وعون واسع لتحقيق ما ينشده الإسلام للشعوب من رعاية ، وما يحفظ لهم من حرمات...لقــد درســت هــذه لافها فوجدتا أدنى إلى ما وعينا من مثل عليا في ديننا ..."

- أنظر : معركة المصحف في العلم الإسلامي ، ص 143 .

ـة :

ا في موضوع الفكر السياسي عند الشيخ محمد الغزالي فإنّ بإمكاننا الإشارة في الخاتمة إلى النقاط التالية التي
لدراسة:

سياسي عند الغزالي كان امتدادا طبيعيا للأفكـار الـنّـهضوية التجديدية لمدرسة المنار ، ومدرسة الإخوان
ر واضح في فصيل تلك المدرسة التي يطلق عليها مدرسة الإحياء والتجديد الحديثة لفكر الإسلام .

ي قد اتّـسم على العموم بـ ـ ـ :
لاجتهاد .
لية والرؤية الشاملة .
عتدال .
صول الإسلامية .
تحدات والإبتلاءات المترامية على العالم الإسلامي .
نتاج الفكر البشري والخبرات الإنسانية في الميدان السياسي .
العرض الفكري المقارن .
ن الأخطاء التاريخية .

عتبر كتابات الغزالي السياسية ـ من منظور تاريخي للفكر الإسلامي الحديث ـ بمثابة :
ة تطور انتقال وسيطة نحو التنظير السياسي الإسلامي المنشود ، أفضى إلى النهضة الماثلة للفكـر السياسـي
تفرعت عنها كتابات إسلامية أكثر تخصصا .
يمكن القول أنا مدخل مناسب لولوج عالم النظم الإسلامية . مثلما أن كتب الشيخ أبي زهرة الفقهية تعتبر
ة عالم الفقه الإسلامي .

قدمية فإن أفكار الغزالي السياسية كانت من أقوى الأسلحة التي اكتسحت جناح التغريب ، كما كان لهـا
دور رائد وفعال وهذا :
شتملت عليه من مادة علمية أولية ، اتخذت بديلا لطروحات التغريب.
ا أعطت محتوى إيجابيا لثقافة المسلمين السياسية ، بكل ما تحمله كلمة الثقافة من معاني .

ي في فكره السياسي على مفهوم الحريات العامة ، و حقوق الإنسان من جهة أنا قـد وردت في القـرآن
سيّما في خطبة الوداع ، في صورة تكاليف بنصوص آمرة ، وذلك ضمانا لقوة الإلزام با وتنفيذها .

أن الحرية السياسية هي الشرط الأول لبناء الشخصية السوية ، القادرة على النهوض من الكبوة الحضـارية
بي في الوقت الراهن ، وبعبارة أصرح وأوضح : تعد الحرية السياسية الضمان الجوهري للخروج من محـنتي
وهي أساس العودة إلى الذات .

الإشارة إليه في هذا المقام أن من لوازم الحرية السياسية المزدهرة إحاطتها بنظم انتخابية سـليمة ، تعبّـ ـر
ضمونا وغايتها .
ن الحرية السياسية على تلك الأسس القانونية والواقعية بمبادرة ذاتية من النظم السياسية العربيـ ـة القائمـ ـة ،
آخر يراه الشيخ سوى اضطلاع المؤسسات التربوية والتعليمية ، وقادة الفكر والرأي بمهمة تربية الأمة على
رهن تغير الأوضاع والأحوال بتغير الأنفس ، كما أن صلاح المحكومين أو فسـادهم يفضـي إلى صـلاح
م ، والأمم الحية لا تفرز إلا نظاما صالحا ، أما الأمم التي تذهب ريحها فتكون مرتعا خصبا لإفراز المستبدين

قانون الدولي، كان الغزالي مساهما في تقديم الصياغة الحديثة لفقه الإسلام في ذلك الشأن . وكتابه " حقوق
الإسلام وإعلان الأمم المتحدة " قد حوى صيغة أولية جيدة لتعاليم الإسلام في ضمان حقـوق الإنسـان،
ادر القانون الدولي الحديث ، وهو الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الذي أصدرته الجمعية العامـة للأمـم
1984 . ويمكن ملاحظة أن كتاب الغزالي آنف الذكر لم يقدم الصياغة النهائية، وإنما قدم المـادة الفقهيـة
أن تعتبر المرجع الأوفى ، والحيثيات التي يمكن أن تستند إليها الصياغة المطلوبة في هذا المجال .

ي بجواز التعددية ، ويعتبر أن تكوين أكثر من حزب سياسي في النظام السياسي الإسـلامي أمـر مبـاح
سوابق تاريخية في ظل الحضارة الإسلامية . وهو مبدأ تقترب به الديمقراطية الغربية مـن الإسـلام ولـيس

غزالي بخصوص الديمقراطية كان منطلقا في الأساس من التصالح مع هذه التجربة.
أهم ما يمكن ملاحظته بخصوص رؤيته وتعامله مع الديمقراطية :

. تصرف بوعي وحكمة حين بيّـن ما هو حضاري في الغرب، وما هو سياسي ولم يبدأ من نقطة رفض أو
غربي، كما هو شائع في مناخ الخمسينات التي تصاعدت في ظله المواجهة بين الحركة الوطنيـة المصـرية
ي .

اطية وسيلة من الوسائل التي نخدم بها عقائدنا وفضائلنا، وهي جزء من الفكر الإنساني العام، لا علاقة لـه
أصحاب الفلسفات المتناقضة يتناقلون الكثير في هذا المجال دون حرج . الحرج كله أن ندع ديننا وأن نزهد
ارا لوجهة أخرى مجلوبة من الشرق أو الغرب..

ه قد نبه إلى نقطة هامة هي : أنه لا يتعين علينا أن نطبق النموذج الغربي للديمقراطية بشكله المتبع في بلاده ،
تلاف المحتمل بين طبيعة المجتمعات وتركيبها.

ت التعريفات الأشهر للديمقراطية هي تلك التي تثير الإشكالات لدى القارئ المسلم وتستحضر لديه مفهوم
غه المودودي ونظّـر له وأشاعه سيد قطب، ذلك المفهوم القاضي بأن هنـاك تعارضـا بـين الإسـلام
يفات الأحدث، لا تثير ذلك الإشكال، لأنها لا تنحو ذلك النحو الذي يثيره تعريف أبراهام لنكولن القائل
(حكم الشعب بالشعب للشعب)، وإنما تتحدث عن آليات الحكم والتأثير في القرار السياسي.

إليه الغزالي بفكره السياسي من أن الإسلام يلتقي في كثير من مبادئه مع الديمقراطية، يقابله في الجانب الآخر
حي الاختلاف الجوهرية بين الإسلام وبعض مفاهيم الديمقراطية، ولا سيما مصطلح " الحرية " ومصطلح "
ي يعطيها حق التصرف في جسدها .

الغزالي في جميع ما كتب ومنذ وقت مبكر إلى القول بإلزامية الشورى للحاكم، وكان يـرى أن الوضـع
حكام في المجتمع المسلم هو الوضع الشوري، أي الوضع الذي يختار فيه الناس حكامهم ، غير مكتفين بمجرد
ن أو متغلبين، مستنتجا ذلك من وقائع اختيار الخلفاء الراشدين الذين يمثلون التجربـة الأقـرب التصـاقا
ي ، وبروح الدين، وبتجربة الرسول ρ في الحكم .

الغزالي على تبيان رسالة الإسلام ودولته ، هذه الرسالة التي تدور حول قيم معيّنة لا تتغير في المجتمع القومي
ى ضرورة تجلية وتوضيح محور هذه الرسالة والذي يدور في خاتمة المطاف حول:
قوق المواطن وكرامته . ـ وكذا تمكينه من تحقيق ذاتيته المسلمة .

الي أن للدولة الإسلامية أخلاقيات وقيما ، حيث أن هذه المثاليات تعلو في وظائف الدولة على أي حاجات

كان يؤكد على مفهوم السلم ، وأنه الأصل في تصور الإسلام للعلاقات الدولية ، ومنه ففي إطار التعامل
سلامية مع غيرها من الدول يفترض :

ي علاقتها بغيره من المجتمعات المحيطة بها على أساس السلم الواسع، ومنه فالجهاد أمر طارئ ولا تبـادر بـه
لاعتبارات محددة هي :
ع الفتنة . 2- تأمين الدعوة .
ن بين الدول الإسلامية والدول الأخرى هو مبدأ أخلاقي ، لا تلتزم به الدولة فقط في تعاملها مع السلطات
دول ، بل تلتزم به الدولة في معاملة جميع مخالفيها ، سواء في الداخل أو في الخارج .

جود العامل الإسلامي في العلاقات الدولية ، واعتباره عاملا إيجابيّ الأثر في حقل هذه العلاقات ، لا كمـا
امل تفجير وتفرقة .

فكره السياسي مراجعات نقدية لكثير من الطروحات السياسية الإسلامية في هذا العصر ، ودحضه للكثير
وعقلي راسخ ، ومن أمثلة هذه الطروحات :
ى البعض أن الشورى ملزمة غير معلمة .
إقراره مبدإ الحكم الوراثي والملكي ، وخاصة إذا نتج عنه أو تولد منه ماساه بـ : الفرعونية الحاكمة ، أو

ية العمل التربوي والثقافي والتكويني ، قبل الدخول في معتركات العمل السياسي دون إعداد العدة اللازمة .

إعادة قيـام الخلافة في العصـر الحديث ، كان الغزالي يـرى إحتهادا منه أن تكون " الخلافة " رابطـة
جعلها نظاما مركزيا ، ذلك أن الأمة الإسلامية تتكون من شعوب عدة ، ومن الضروري الاعتـراف بهـا
مختلفة من خصائص يجب أن تبقى لها.
ج في عدة أقطار أمكن أن تكون بينها دولة واحدة تقوم على الوحدة أو الاتحاد الفيدرالي، أو الكونفدرالي.
لإسلامية المنشودة .
كره والتنبيه إليه في هذا المقام :

ذه الدولة الجديدة ليست مركزية بداهة ـ كما مر ـ إنا مجموعة من الأقطار أو الولايات لها حكوماتـا
اها. وضرائبها وشخصيتها المعنوية.
ذلك كيان الدولة الكبرى ، ويوجد بعاصمتها الخليفة بسلطاته العامة.

يع الأخصائيون وضع القالب القانوني لهذا البنيان السياسي، ولا حرج عليهم أن يقتبسوا من الأنظمة المطبقة
مد إشرابا بروح الإسلام .

غزالي على تتبع مااستجد في عالم السياسة وفكرها فالضرورات صارخة وهي تنبئ أن الإسلام يحتاج اليوم
ة وفكرية ـ ذكية ودؤوب في الفقه الدولي ، والفقه الدستوري ، والفقه الإداري .
ند استحث العزائم والهمم إلى ملاحقة ما تجدد في عالم المال والتجارة وشؤون العمل والعمال .

ص الدستور فإن الغزالي نادى بضرورة وجوب الربط بين الدستور والبناء الإيديولوجي، أو ما سماه البعض
سألة الاجتماعية .

ا نحفظ الكلمة المأثورة " تحدث للناس أقضية بقدر ما أحدثوا من فجور " ونحفظ من أصول الفقه " ما لا
هو واجب " فمعنى ذلك :

ينا مطلقة في وضع الدساتير التي تكفل كرامة كل فرد في الأمة ، وتحجز الحاكم عن أي تصرف مائل .
مل في حقل التقنين ووضع الدساتير ، جهاد إسلامي محض .
ن وسيلة خارجية لبلوغ هذا الهدف ، لا تقدح أبدا في صبغته الإسلامية .

المصادر والمـراجــع :

حـرف الألـف ..

أعلى المودودي ـ تدوين الدستور الإسلامي ، الجزائر، شركة الشهاب .(بدون تاريخ).
م أحمد شلبي: ـ علـم السياسة ، دراسة في قواعده الأصولية وضوابطه النظرية ، بيروت ، الدار الجامعية) .
باء الدين : ـ شرعية السلطة في العالم العربي، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الأولى ، (1984).
حمروش : ـ شهود ثورة يوليو ،
ـد شلبي : ـ موسوعـة التاريخ الإسلامـــي ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، الطبعة الرابعة (

الزعبي : ـ مسألة المعرفة ومنهج البحث عند الغزالي ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي + دار الفكر والتوزيع ، ط 1 ، 1420 هـ ـ 2000 م.

حـرف الثـاء .

بـــــدوي : ـ أصول الفكر السياسي والنظريات والمذاهب السياسية الكبرى ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، (1976).
ـ النظم السياسية ، دار النهضة العربية ، القاهرة ،(ط 1975) .

حـرف الجيـم .

شوفالييه : ـ الأعمال السياسية الكبرى ،
ماري دانكان : ـ علم السياسة ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ، (199 م).
ل مظهر : ـ حضارة الإسلام وأثرها في الترقي العالمي ، القاهرة ، مكتبة الخانجي ، 1974.

حـرف الحـاء .

ـــــــر ـ التلخيص الحبير ، المدينة النورة ، 1964 .
ـــــــزم ـ المحلى ، تصحيح أحمد محمد شاكر ، بيروت ، دار الآفاق .
ــن البنـــا ـ مجموعة الرسائل ، دار الشهاب . الجزائر .
يــن جميــل ـ حقـوق الإنسـان في الوطن العربي ، سلسلة الثقافة القومية ، رقم 1 ، مركـز ة العربية ، بيروت ، طبعة 1986 م .

رية توفيق مجاهد : ـ محاضرات في الفكـر السياسي ، كلية الإقتصاد والعلوم السياسية ، جامعة القاهرة ،

ـ الفكر السياسي من أفلاطون إلى محمد عبده ، مكتبة الأنجلو المصرية ، (1986م

حـرف الخـاء .

ـد محمـد خالد ـ من هنا نبدأ ،
خلدون " ـ المقدمة : عبد الرحمان بن محمد بن خلدون الحضرمي ، مكتبة المثنى ، بغـداد ، (

حـرف الـراء .

شـد الغنوشـي ـ الحريات العامة في الدولة الإسلامية ، مركز دراسات الوحدة العربية ،بيروت ، ط
س 1993 .
رشد : ـ بداية المجتهد ونهاية المقتصد، دار اشريفة، الجزائر، 1409هـ – 1989م

حـرف السيـن .

يمـان الطمـاوي : ـ عمـر بن الخطـاب وأصول السياسة والإدارة الحديثة،(دراسة مقارنـة)،
لقاهرة ، دار الفكر العربي ، (1976م) .
ـ السلطات الثلاث في الدساتير العربية المعاصرة وفي الفكر الإسلامي ، القاهرة ،
، الطبعة الخامسة ، (1986م).
ـر حسيـن : ـ الإعـلام والإتصـال بالجماهير والرأي العام ، القاهـرة، عالـم الكتـب ، (

ـر عاليـة : ـ نظام الدولة والقضاء والعرف في الإسلام ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشـر
ت ، ط1 (1418هـ ـ 1997م)، ص24 .
بد عليوة وآخرون : ـ علم السياسـة ، الإسكنـدريـة ، مطبعة الجمهوريـة ، (1990م) .
ف الدين عبد الفتاح : ـ التجديـد السياسـي والواقع العربي المعاصـر – رؤية إسلامية
مور مارتن ليبست : ـ رجل السياسة ، بيروت ، دار الآفاق الجديدة .

حرف الشين .

اطبـي : ـ الإعتصام ، للإمام : أبي إسحاق إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي.
هرستـاني : ـ الملل والنحل ، بيروت .

حرف الصاد.

ح حسن سميـع : ـ أزمة الحريات السياسية في الوطن العربي ، الزهراء للإعلام العربي ، الطبعـة الأولى) .

حرف الطاء .

بدوي وطلعت الغنيمي: ـ النظـم السياسيـة والاجتماعية ، الطبعة الأولى (بدون تاريخ).

حـرف العيـن .

س محمود العقـاد ـ موسوعة عباس محمود العقاد الإسلامية .

د الله محمد محمد القاضي ـ السياسة الشرعية مصدر للتقنين بين النظرية والتطبيق ، مطبعـة دار الكتـب ، طنطا ، الطبعة الأولى ، (1410هـ – 1989م).

الحليـم عـويـس : ـ الشيخ محمد الغزالي تاريخه وجهوده وآراءه ، دار القلم ، دمشق ، الطبعة الأولى 20م) .

الحميد الأنصاري : ـ الشورى وأثرها في الديمقراطية ، الطبعة الثانية ، بيروت ، المكتبة العصرية .

الحميـد متـولـي ـ مبادئ نظام الحكم ،

ـ القانون الدستوري والأنظمة السياسية ، طبعة القاهرة .

الرحمان عبد الخالق : ـ الشورى في ظل نظام الحكم الإسلامي، الكويت ، دار القلم 1982 .

.د الرزاق السنهوري : ـ الخلافة ، مؤسسة الرسالة ، بيروت .

د الهـادي أبـو طـالـب : ـ المرجع في القانون الدستوري والمؤسسات السياسية ، الدار البيضاء ، دار 1 .

الوهاب الكيالي وآخرون : ـ موسوعة السياسة ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ط3 (1995).

.ـي عبـد الـرازق : ـ الإسـلام وأصول الحكـم ، منشـورات دار مكتبة الحياة ، بيروت .(

مـر مـمـدوح : ـ مبادئ تاريخ القانون ،

حـرف الفـاء.

.ـي هـويـدي : ـ مواطنون لا ذميون ، دار الشروق .

تـحـي الـدرينـي : ـ خصائص التشريع الإسلامي في السياسة والحكم ، مؤسسـة الرسـالة ، 1407 هـ -1987 م).

ـحـي عثمـان : ـ الدولة والدساتير ،

حرف القاف .

.ن قيـم الجـوزيـة : ـ زاد المعاد في هدي خير العباد ـ مراجعة وتقديم : طه عبد الرؤوف ، مكتبـة ، (1390هـ – 1970م) .

● حـرف الـلام .
ـؤي صـافـ ـ ـ ـ ـي : ـ العقيدة والسياسة ، فيرجينيا ، المعهـد العالمـي للفكـر الإسـلامي ، (

● حـرف الميـم .
ـك بـ ـن نـبـ ـي : ـ شروط النهضة ، دمشق ، دار الفكر العربي ، (1410هـ) .
ـ ـ ـاوردي : ـ الأحكام السلطانيـة ، بيروت ، لبنان .

ـ ـد الغـزالـ ـي :

ـ الإسلام والأوضاع الاقتصادية ، مكتبـة رحـاب الجزائر .
يخ) .
ـ الإسلام والاستبداد السياسي ، دار ريحانة ، الجزائـر 1420 – 1999م .
ـ الإسلام المفترى عليه بيـن الشيوعيين والرأسماليـن ، دار الشهاب للطباعة والنشر،

ـ أزمة الشـورى في المجتمعـات العربية والإسلاميـة ، دار الشرق الأوسط للنشر،
لكتاب نفسه مطبوع تحت عنوان : الفساد السياسي في المجتمعات العربية والإسلامية ، دار نهضـة مصـر
والتوزيع . الطبعة الثانية ، يناير 2000 .

ـ تراثنا الفكري في ميزان الشرع والعقل ، دار المعرفة + دار ريحانة، الجزائر . (بـدون

ـ التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام ، القاهرة ، دار الكتب الحديثة .
ـ جهاد الدعوة بين عجز الداخل وكيد الخارج ، دار القلم ، دمشق ، الطبعة الثانية ، (
19م).
ـ حصاد الغرور : دار الشهاب باتنة ، الجزائر ، (بدون تاريخ) .
ـ حقوق الإنسان بين تعاليم الإسلام وإعلان الأمم المتحدة ، الإسكندرية ، دار الدعوة ،
1419هـ – 1999م) .

ـ دستور الوحدة الثقافية بين المسـلمين، دار القلـم، دمشـق ، الطبعـة الأولى ،
198م) .
ـ الدعوة الإسلامية تستقبل قرنا الخامس عشر ، دار الهدى ، الجـزائـر .
ـ سـر تأخر العرب والمسلمين ، دار البعث للنشر ، قسنطينة ، الجزائـر (1406هـ-

ـ السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث ، منشورات دار الكتب الجزائرية ، الطبعـة
اريخ) .
ـ الطريق من هنا، دار القلم دمشق ، الطبعة الثالثة ، (1421هـ -2000م).
ـ ظـ ـلام من الغـ ـرب ، دار الإعتصام ، الطبعـة الثالثة ، (1399هـ ـ –1979 م

ـ في موكب الدعـوة ، منشـورات دار الكتب ، الجـزائـ ـر ، (1408هـ ـ –

ـ قذائف الحق ، شركة الشهاب للطباعة والنشر ، باتنة ، الجزائر .
ـ كفاح دين ، مكتبة رحاب ، الجزائر ، ط 6 ، (1408هـ – 1988م).
ـ ليس من الإسـ ـلام، الـ ـدار الشـامية ، بيـ ـ ـروت ، ط1 ،(1420هـ ـ -

ـ مائة سؤال في الإسلام ، دار رحاب للطباعة والنشر والفنون المطبعية ، الجزائر ، ط 2
- 2001م) .
ـ المحاور الخمسـة للقـرآن الكريم ، دار القلم ، دمشق، الطبعة الثالثة، (1421هـ ـ -

ـ مستقبل الإسلام خارج أرضه كيف نفكر فيه ،
ـ مع الله دراسات في الدعوة والدعاة، دار القـلم ، دمشـق ، ط 4 ، 1421هـ ـ ـ

ـ معركة المصحف في الإسلامي ، مكتبة رحاب ، الجزائر .
ـ من معالم الحق في كفاحنا الإسلامي الحديث ، دار الشهاب للطباعة والنشر ، باتنة
، (بدون تاريخ) .
ـ من هنا نعلم ، دار الكتب ، الجزائر ، (بدون تاريخ) .
ـ هموم داعية ، منشورات العالمية للإعلام ، طبعة 1995 م.
ـ ـد المبـ ـ ـارك : ـ نظام الإسـلام الدولـة والحكـ ـ ـم ، دار الفكر ، ط4 ، (1401هـ ـ –

ـد أبو زهـ ـرة : ـ المجتمع الإنساني في ظل القرآن ، دار الشروق .
ـد أسـ ـد : ـ منهاج الحكم في الإسلام ، بيروت ، دار العلم للملايين ، 1975 .
شيد رضـا : ـ تفسير المنار ، طبعة بيروت .
ـ الخلافة ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، الجزائر .
ـد سليـم العـ ـوا : ـ في النظام السياسي للدولة الإسلامية ، القاهرة ، مكتبة مدبولي ، 1988م.
د ضياء الدين الريس: ـ النظريات السياسية الإسلامية، مكتبة دار التراث ، القاهرة ، ط7.

.مـد طه بـ ـدوي : ـ رواد الفكر السياسي الحديث وآثارهم في عالم السياسة ، الإسكندرية ، المكتب
، طبعة 1967 .
: الجابري : ـ العقل السياسي العربي محدداته وتجلياته ، مركز دراسات الوحدة العربية ، أكتوبر ط 3.
د عبد الله العربي : ـ النظم الإسلامية ، بيروت .
:ـمـد عـمـ ـ ـارة : ـ الإسلام وحقوق الإنسان ، ضرورات لا حقـوق ، سلسلة عالم المعرفـة ،
س الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، 1985 .
ـ التراث والمستقبل ، دار الرشـ ـاد ، الطبعة الثانية ، 1418هـ / 1997م.
ـ الشيخ الغزالي الموقع الفكري والمعارك الفكرية ، القاهرة ، الهيئة المصـرية العامـة
19م) .

مخيـ ـري : ـ حول الدستور في مواده العامة
ـمـد فؤاد النـادي: ـ المبادئ الدستورية العامة ، دار الثقافة للطباعة والنشر، الطبعة الأولى (1975م

د كامل ليلة : ـ النظم السياسية الدولة والحكم ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بـيروت،

مد نصر مهنا : ـ الفتوحات الإسلامية والعلاقات السياسية في آسيا، الإسكندرية ، منشأة المعارف

ـ في تاريخ الأفكار السياسية وتنظير السلطة ، المكتـب الجـامعي الحـديث ،
سكندرية .(بدون تاريخ) .
د يوسف موسى : ـ تاريخ الأخلاق ،
ـ نظام الحكم في الإسلام ، العصر الحديث للنشر والتوزيع ، الطبعة الثالثـة ، (
19م) .
.مـد يـ ـ ـونس : ـ تجديد الفكر الإسلامي على مشارف قرن جديد" قراءة في تجربة الشيخ الغزالي "
مرة ، ط 1 ، (1419هـ - 1999م) .
.مـود الخـالـدي : ـ معالم الخلافـ ـة في الفكـر السياسي الإسلامي ، بيروت ، دار الجيل ، عمان
(1984) .
ود شلتـ ـوت: ـ الإسلام عقيدة وشريعة ، ط5 ، القاهرة ، بيروت ، دار الشروق .
، أبوزيد فهمي: ـ فن الحكم في الإسـ ـلام ، المكتـب المصري ، طبعة 1981 م.
.ى صبـري: ـ موقف العقل والعلم والعالم من الله رب العالمين وعباده المرسلين ،
.ى الخشـاب: ـ النظريات والمذاهب السياسية ،
الدواليبـي : ـ الحقوق الرومانية ،

منظور :   ـ لسان العرب ، لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ، طبعة بيروت . دار لسـان

هـدي محفـ ـ ـوظ : ـ إتجاهات الفكر السياسي في العصر الحديث ، المؤسسة الجامعيـة للدراسـات ، ط 1 ، (1410هـ – 1990م) .
ـ ـ ـا :   ـ تاريخ المذاهب السياسية ، طبعة 1995م .
ونييـه وآخـرون : ـ تاريخ النظم والأحداث الاجتماعية من الماضي حتى فجر العصر الوسيط.

حرف النون .

وي (676 هـ):   ـ المنهاج للإمام أبي زكريا يحي بن شرف الدين ، القاهرة ، دار الحديث ، ط 1 ، (199م) .
صـ ـ ـر عـ ـارف : ـ في مصادر التراث السياسي الإسلامي دراسة في إشكالية التعميم قبل القـراءة تينا، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، (1994) .
ر الدين لعـرابـة : ـ الشيخ محمد الغزالي "حياة وآثار ، شهادات ومواقف" ، شركة دار الأمة ، الجزائر ، (1998 م) .

حرف الهاء .

يـرت تشيللـ ـر :   ـ المتلاعبون بالعقول ، ترجمة : عبد السلام رضوان ، الكويت عـالم المعرفـة، (199م) .

حرف الواو .

ـل ديـورانـت : ـ قصة الحضارة ، دار الجيل ،
ف القرضـاوي :   ـ السياسة الشرعية ، مؤسسة الرسالة ، ط 1 ، (1421هـ – 2000م).
ـ الشيخ الغزالي كما عرفته ، مؤسسة الرسالة ، بيروت .
ـ من فقه الدولة في الإسلام ، دار الشروق ، ط1 (1417هـ –1997م).

الـدوريـات :

، مجلة فكرية فصلية محكمة يصدرها المعهـد العالمي للفكر الإسـلامي (عدد خاص عن الشـيخ محمـد
، العدد 07 ، رمضان 1417هـ/ يناير 1997م .
لقومي الإسلامي الأول ، مركز دراسات الوحدة العربية .
لسنة 49 ، عدد شعبان 1397هـ/ يوليو1977م.
ليوم (مصر) ، 1996/12/08م .
سنة الأولى ، العدد 23 ، كانون الثاني/ يناير 1991م .
، يناير 1991م .
دد221 ، ربيع الثاني 1397هـ/أبريل 1977م.
، للشيخ محمد الغزالي ، (حلقة دراسية) الطبعة الأولى (1417هـ-1996م) المعهـد العـالمي للفكـر
لأردن ، المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية / مؤسسة آل البيت ، جمعيـة الدراسـات والبحـوث

ية ، عدد317 ، السنة 07 .
ي ، العدد 75 ، مايو 1985 م.
ي ، السنة 15 ، العدد 124 ، (تشرين الأول/ أكتوبر) 1992 .
ي ، السنة 15 ، العدد 166 ، (كانون الأول/ ديسمبر) 1992 .
المعاصر ، شوال 1394هـ/نوفمبر1974م .
، يوليو 1970م.
العدد 65 ، رمضان 1410هـ .

فهـرس الآيـات القرآنيـ ـة : (مرتبة حسب السور)

ة	*السورة ورقم الآية*	*الصفحة*
ض الكتاب .	البقرة : 85	104
هل الكتاب لو يردونكم	البقرة : 109	183
لحق بشيرا ونذيرا .	البقرة : 119	119
ين أوتوا الكتاب	البقرة : 145	180
جا غيره .	البقرة : 230	92
فعلن في أنفسهن	البقرة : 234	94
ث لكم طالوت ملكا .	البقرة : 246	76
الأمر	آل عمران : 159	[84 ـ 85 ـ 86 ـ 129]
عامل منكم	آل عمران: 195	92
منوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل	النساء : 29	127
ن على النساء.	النساء : 34	89 ـ 90
آمنوا أطيعوا الله .	النساء : 59	125
فلم يقاتلوكم .	النساء : 90	184
بالقسط شهداء لله .	النساء : 135	68
لكم دينكم .	المائدة : 3	85 ـ 201
آمنوا أوفوا بالعقود .	المائدة : 1	125
بما أنزل الله فألئك هم الكافرون .	المائدة : 44	125
هم بما أنزل الله	المائدة : 49	104
الخبيث والطيب.	المائدة : 100	114
تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة	الأنفال : 25	128
لكم فاستقيموا لهم .	التوبة : 7	182
ؤمنات بعضهم أولياء بعض	التوبة : 71	89
لله .	يوسف : 40	24ـ 109
صصهم عبرة	يوسف : 111	71
أنزل إليك من ربك الحق	الرعد : 19	71
ة يهدون بأمرنا.	السجدة : 24	76
ربك بالحكمة .	النحل : 125 ، 126 ، 127	[183]

ي آدم .	الإسراء : 70	89
ربكم .	الكهف : 29	180
من ينصره .	الحج : 40	41 ـ 42
جسدا لا يأكلون الطعام	الأنبياء : 8	189
في الأرض .	القصص: 77	153
خرة نجعاها للذين لا يريدون علوا	القصص: 83	137
م بواحدة	سبأ : 46	50
جعلناك خليفة في الأرض .	ص : 26	76 ـ 98
ى بينهم .	الشورى: 38	[84 ـ 85 ـ 86 ـ 119 ـ 202] .
يوحى إلي .	الأحقاف 9	125
ند الله أتقاكم .	الحجرات 13	100
ن كفروا فضرب الرقاب .	محمد 04	183
ا ووضع الميزان .	الرحمان 06	211
نتصر .	القمر 10 .	53
ة .	الإنسان:29	180
، مذكر	الغاشية 21 ـ 22	161

الأحـاديـث :

الصفحة

يل تسوسهم الأنبياء . 03
تقولون إن أحسن الناس أحسنا . 31
الأمور . 81
رف إمام زمانه . 81
ون دنياكم . 84 ـ 85 ـ 86
كم مسؤول عن رعيته . 84 ـ 85 ـ 86
وا أمرهم إمرأة . 89 ـ 92
أمرهم إمرأة . 90 ـ 91
ت نفسها . 94
ي قريش . 98
ش . 98
ن وإن كان عبدا حبشيا. 98
ش. 99
راية عمية . 100
لا يقضى فيها بالحق 104
مع على ضلالة . 125
ي ثلاثون سنة 122
ميره شيئا فليصبر. 125
نات وهنات . 125
تعرفون منهم وتنكرون. 125
وال فرآه . 125
الله في الأرض 126
أوا الظالم . 126
يد الظالم . 126
ا فأعطاه صفقة يده . 127
لله ρ على السمع والطاعة 128
الفيل . 129 ـ 130
على ذراري هؤلاء . 129
هو لها بخلق . 129 ـ 130

...رأي ما خالفتكما .	130
...مشورة ما خالفتكما .	130
...أيدني بكما .	130
...مون على الله .	139
...وم القيامة آخذا قاتله.	139
مسلم بغير حق	139
...مى إلا بحقه .	139
حمزة	147
...ولى عليكم .	150
صحابه بالموعظة .	177
...ن عليك إثم الأريسيين .	181

الفهرس

ـداء .
ـ ـرات .
ـ ـ ـ ة .

د ـ ـ ـ ـ ـول الفكـر السيـ ـاسي .
: **تعريف الفكر السياسي** 02
ـ **معنـى كلمـة " سياسـة " في اصطلاح علـم** السياسـة...04
ـ **علم السياسة والفكر السياسي** 04

: أهميتـ ـ ـ ـه ووظيفته في المتمع .
ـ **أهمية الفكر السياسي** 06
ـ **وظيفة الفكر السياسي في المتمع** 07
ـ: **النظم والأفكار السياسية في العصور القديمة** 10
شرق القديم ـ **[مصر ، الهند ، الصين]**.................................... 10
2 ـ الغرب القديم : [اليونان القديم ، الرومان .]...................12
3 ـ في القرون الوسطى 14
ـ ميزاته...14
ـ الصراع بين البابوات والأباطرة......................15
: الفكر السياسي في عصر النهضة ، ومطلع العصور الحديثة.............16
1 ـ الفكر السياسي في عصر النهضة..............................16
ـ مكيافيل 16
ـ بودان 17
2 ـ الفكر السياسي في مطلع العصور الحديثة 18
ـ توماس هوبز 18
ـ جون لوك 19
ـ منتيسكيه 20
ـ جان جاك روسو 22

س : الفكر السياسي الإسلامي وخصائصه...........................23

الإسلام السياسية ونظام الحكم فيه
23..
كزات النظرية السياسية في الإسلام
24 ....
ـ السياسي الإسلامي
25..

الأول: حيـاة الغـ ـزالي ، بيئته ، خصائص خطابه ، وسمات فكره السياسي.
ل : البيئة السياسية الاجتماعية الاقتصادية والفكرية..................31
بيئة السياسية...32
بيئة الثقافية...35
بيئة الاقتصادية 37
بيئة الاجتماعية...39

اني **:** حياة الغـ ـزالي ، مواقفه ، وجهوده .
ياة الغزالي 40
واقف الغزالي وجهوده في مصر 41
جهوده في الدعوة خارج مصر **..43**
ـ وفاته..44
ـ ث : **خصائص خطاب الغزالي السياسي..45**
معايير الخطاب الناجح 47
ـ التدليلية 47
ـ المراجعة النقدية 47
ـ سلامة التوجهات البديلة أو المطورة 47
ـ التبليغية 50
ـ الناحية التوجيهية 53
ابع : سمات الفكر السياسي للغزالي 58
ـ فكر إجتهادي تجديدي ....60.
ـ الصورة الكلية والرؤية الشاملة 61
ـ السمة العملية وربط الفكر بالعمل..................................64
ـ الإيمان بقيمة الإنسان 68
ـ الواقعية والإعتدال 69
ـ الاقتباس من نتاج الفكر الإنسانـي:.....................................70

ـ الأخذ بالمنهج النقدي والاستفادة من الأخطاء التاريخية .71

ـ كتب الغـزالـ ـي 73

س نظام الحكم .

ول : الخلافة = [الرئاسة] 76

أول : كيفية انتخاب [الخليفة = الرئيس] 76

ـ طريقة انتخاب الرئيس ـ في فكرالغزالي ـ :.........................78

اني : مقاييس الترشيح لمنصب الخلافة 88

ـ المرأة وتولي المناصب العامة [= السياسية] 89

ـ شرط القرشية 98

اني : **الديمقـ ـ ـراطيـ ـ ـ ـ ـة .**

ؤية الغزالي للديمقراطية وموقفه منها 102

لثاني: ـ الاستفادة من الديمقراطية ، [الضوابط والمحاذير]............106

ـ الديمقراطية (وسائل وغايات) 106

ـ طبيعة ا لتمعات وعلاقتها بالتطبيقات الديمقراطية 107

ـ الديمقراطية وإشكالية الحاكمية 109

ـ إزدواجية التعامل [= الكيل بمكيالين] 112

ـ المحاذير الأساسية في تجربة الاقتباس من قيم الديمقراطية....113

ـ القيم الإيجابية للديمقراطية 116

مبدأ الشـ ـورى 119

ـ تعريفها 119

ـ تحديد معالم رؤية الغزالي للشورى 121

ـ وجوب الشورى 121

ـ إختيار الحكام وفق مبدأ الشورى [الواقع والتاريخ]............123

ـ محاولة إصلاح الحكم وتأثرها بـ

ـ عقدة صفين وتحول الخلافة إلى ملك عضوض 124

ـ شيوع الأحاديث المسوغة للظلم 127

ـ السمع والطاعة ومسألة الخروج على الحكام 129

ـ إلزامية الشورى للحاكم 130

ـ الاستفادة من الديمقراطية لتحقيق مبادئ الشورى 133

: الحريـ ـات وحقـ ـ ـوق الإنسـ ـان

يد 137

ي : الحريات السياسية 138
ـ آثار الاستبداد في المجتمعات 140
ـ تعدد الأحزاب للوقاية من الاستبداد 146
ب الثاني : حقوق الإنسان .
ـ الصياغة الأولية لحقوق الإنسان 150
ـ حقوق الإنسان في الإسلام ضرورات لا حقوق 152
ـ الثقافة السياسية للأمة
ـ تمهيد 154
ـ إعطـاء المحتـوى الإيجابـي لثقافـة المسلميـن السياسيـة159

: مبـ ـ ـادئ نظـ ـ ـ ـام الحكـ ـ ـ ـم.

ي : الدولـ ـة في فكـ ـر الغزالـ ـ ـ ـ ـ ـي .
ب الأول: طبيعة الدولة...162
ب الثاني : العلاقة بين الدين والسياسة 165
ب الثالث : شكل الدولة 170
ب الرابع : المصالح المرسلة في فكر الغزالي 174

: وظـ ـ ـ ـائف الدولـ ـ ـ ـ ـ ـة
الأول: الوظائف الدينية 178
الوظيفة العقائدية والأخلاقية . (حفظ الدين) 178
المحافظة الأخلاق 180
ـ الإهتمام بالعلوم الحديثة 181
هاز الدعوة والقيام عليه إنشاء ومتابعة 182
تجديد الدين علوما وتربية..183
عوة إلى الإسلام ونظامه [= الجهاد] 185
لام والعلاقات الدولية 187
ب والسلم 187
لسيف 187
الحرب ودار العهد ودار الإسلام 189
العامل الديني في العلاقات الدولية 190
الانحياز " في منظور الغزالي 191
الثاني : الوظائف السياسية .

، الاقتصادية 193
ـ الحقوق المتعلقة بتنظيم الحياة الاقتصادية 194
ـ النقابات المهنية [= إتحادات العمال] 196
تحقيق العدالة والتكافل الاجتماعي 198
جب إنشاء الأسر وحياطتها 200
لخلاصـــــــة 201

: الـــدستــــــــــــور.
تمهيد..203
الصعـوبـات أمام الباحث فـي الفقه الدستوري :........204
ـ الـ عة الاستبدادية 204
ـ عدم انتظامها في أبوابا الحقيقة 205
ـ تنحية النظام الإسلامي 206

ثاني : تحديد الموقف من المصطلحات الحديثة
....209
ـ إستخدام المصطلحات الغربية عند المفكرين الإسلاميين 211
ؤية الغزالي للدساتير.....................................215
الدساتير عامة 215
ـ التوازن الدستوري بين الإيمان والأمة 215
ـ رؤية الغزالي الدستور المصري 218
رابع : تدوين الدستور الإسلامي 223
....227
صادر والمراجع 232
الآيـــــات 240
الأحـــــاديث 242
المـوضـوعـات...244